

الرواية التي تصدّرت قائمة أعلى الكتب مبيعا
وفقا لجريدة «نيويورك تايمز»
تَم تحويلها الآن إلى فيلم ضخم من إنتاج شركة توينتيث سينشري فوكس!!
@ketab_n
ketab.me
إيراجون
كريستوفر باوليني


ketab.me
Best Books

إيراجون



صحراء هادارك
دو ويلدنفاردن
سباين
سوردا
جبال بيور
مارنا
اوروثاين
كيرتان
سلتريم
نادينديل
اليسميرا
اوسيلون
كارفاهول
طلام
تيرم
كوستا
بيلاتونا
فينستر
ميلبان
فورنست
سيثري
دوث
أروز
ايبرون
بارليم
اودن
يوراغ
تارناغ
فارين دور
نهر بيرتوت
أورثياد
دالجون
ايلياميفيون
سيرس
الزدوما
مارزعيون

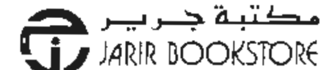
الرواية التي تصدرت قائمة أعلى الكتب مبيعاً وفقاً

لجريدة «نيويورك تايمز»

تم تحويلها الآن إلى فيلم ضخم من إنتاج شركة «توينتيث سينشري فوكس»

إيراجون

كريستوفر باوليني





الموقع		الرقم		
المركز الرئيسي (المملكة العربية السعودية)				
ص. ب ٣١٩٦	تليفون	٤٦٢٦٠٠٠	١	+٩٦٦
الرياض ١١٤٧١	فاكس	٤٦٥٦٣٦٣	١	+٩٦٦
المعارض: الرياض (المملكة العربية السعودية)				
شارع العليا	تليفون	٤٦٢٦٠٠٠	١	+٩٦٦
شارع الأحساء	تليفون	٤٧٧٣١٤٠	١	+٩٦٦
الحياة مول	تليفون	٢٠٥٧٠١٠	١	+٩٦٦
طريق الملك عبدالله (حي الحمرا)	تليفون	٢٧٨٨٤١١	١	+٩٦٦
الدائري الشمالي (مخرج ٥/٦)	تليفون	٢٧٥٤٧١٠	١	+٩٦٦
القصيم (المملكة العربية السعودية)				
شارع عثمان بن عفان	تليفون	٣٨١٠٠٢٦	٦	+٩٦٦
الخبر (المملكة العربية السعودية)				
شارع الكورنيش	تليفون	٨٩٤٣٣١١	٣	+٩٦٦
مجمع الراشد	تليفون	٨٩٨٢٤٩١	٣	+٩٦٦
الدمام (المملكة العربية السعودية)				
الشارع الأول	تليفون	٨٠٩٠٤٤١	٣	+٩٦٦
الاحساء (المملكة العربية السعودية)				
المبرز طريق الظهران	تليفون	٥٣١١٥٠١	٣	+٩٦٦
جدة (المملكة العربية السعودية)				
شارع صاري	تليفون	٦٨٢٧٦٦٦	٢	+٩٦٦
شارع فلسطين	تليفون	٦٧٣٢٧٢٧	٢	+٩٦٦
شارع التحلية	تليفون	٦٧١١١٦٧	٢	+٩٦٦
شارع الأمير سلطان	تليفون	٢٣٨٢٠٥٥	٢	+٩٦٦
شارع عبدالله السليمان (جامعة بلازا)	تليفون	٦٨٧٢٧٤٣	٢	+٩٦٦
مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)				
أسواق الحجاز	تليفون	٥٦٠٦١١٦	٢	+٩٦٦
المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية)				
جوار مسجد القبلتين	تليفون	٨٤٦٦٧٦١	٤	+٩٦٦
الدوحة (دولة قطر)				
طريق سلوى – تقاطع رمادا	تليفون	٤٤٤٠٢١٢		+٩٧٤
أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة)				
مركز الميناء	تليفون	٦٧٣٣٩٩٩	٢	+٩٧١
الكويت (دولة الكويت)				
الحولي – شارع تونس	تليفون	٢٦١٠١١١		+٩٦٥

موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على :

jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

ERAGON

INHERITANCE
BOOK ONE

Christopher Paolini





المحتويات

التمهيد :
ظلال الخوف

عصفت الرياح عبر ظلام الليل منذرة بأحداث سوف تغير العالم ، حيث ظهر كائن على هيئة ظل طويل هلامى الشكل وقد رفع رأسه واشتم رائحة الهواء . كان هذا الظل تبدو عليه الهيئة الإنسانية ، فيما عدا شعره القرمزى وعينيه ذواتى اللون الأحمر الداكن .

اختلس نظرة بعينيه فى دهشة ؛ لقد كانت الرسالة صحيحة : كانوا جميعاً هنا . أم ياترى كان فى الأمر فخ ؟ ظل يوازن بين كل الاحتمالات المتوقعة ، ثم قال ببرود : " انتشروا ؛ اختبئوا خلف الأشجار والشجيرات . أوقفوا القادم مهما كان ... وإلا ستموتون " .

تجمع حوله اثنا عشر مخلوقاً من المخلوقات المسماة " أورجال " مدججين بالسلاح الذى كان عبارة عن سيوف قصيرة ودروع حديدية مستديرة منقوش عليها رموز سوداء . كانت تلك المخلوقات تشبه الرجال لكن أرجلهم كانت مقوسة وأذرعهم غليظة شديدة البطش ومستعدة للفتك

والتحطيم . كما كانت تنمو فوق آذانهم الصغيرة قرون مقوسة ، أسرع هؤلاء الوحوش فى الأدغال وهم يتذمرون بينما يختبئون فيها . وسرعان ما هدأ صوت سيرهم وسط الأحراش وساد الهدوء فى الغابة مرة أخرى .

حام الظل الهلامى حول شجرة غليظة لاقتفاء الأثر . كان الجو يسوده الظلام ولا يمكن للعين البشرية رؤية أى شيء ؛ لكن بالنسبة له فإن ضوء القمر الخافت كان بمثابة ضوء الشمس الساطع عبر الأشجار ، وكل تفاصيل المكان كانت واضحة له بشكل حاد لعينيه الفاحصتين الباحثتين . ظل هادئاً بشكل غير طبيعى ، وفى يده سيف طويل لونه باهت ، كان هناك خدش رفيع كالسلك منحوت على نصل السيف ، وكان هذا السلاح رفيعاً لدرجة أنه يمكن أن يخترق ما بين ضلوع الإنسان لكنه على الرغم من ذلك كان قويًّا جداً لدرجة أنه قد يخترق أقوى الدروع الحديدية .

لم تكن مخلوقات الأورجال فى مثل حدة إبصار ذلك الظل ، بل كانوا يتحسسون طريقهم بأسلحتهم كالمتسولين العميان . صاحت بومة لتقطع هذا الصمت الرهيب . لم يسترخ أحد إلا عندما ابتعدت البومة ، ثم ارتعشت الوحوش فى برد الليل ، وقطع أحدهم فرعاً صغيراً بحذائه الثقيل ، فأطلق الخيال فحيحا معلنا عن غضبه . فتقهقرت وحوش الأورجال إلى الوراء وظلوا بلا حراك . كتم ذلك الظل الهلامى استياءه منهم وتقززه أيضا ـ كانت رائحتهم كاللحم الفاسد ـ ثم أعرض عنهم وأعطاهم ظهره ، كانوا بالنسبة له مجرد أدوات لا أكثر ولا أقل .

قاوم نفاد صبره بينما تحولت دقائق الانتظار إلى ساعات . لابد أن الرائحة سبقت أصحابها فى المجىء . لم يسمح لوحوش الأورجال بالنهوض أو تدفئة أنفسهم ، ولقد حرم على نفسه هذا الترف أيضاً وظل قابعاً خلف الشجرة يقتفى الأثر . هبت الرياح مرة أخرى عبر الغابة وكانت الرائحة أقوى هذه المرة . شعر ذلك الظل بالإثارة ، فحرك شفتيه الرفيعتين وهو يطلق زمجرة .

همس لهم قائلا : " استعدوا " ، وكان كل جسده ينتفض ويرتعش من فرط الإثارة والترقب . هز طرف سيفه فى حركات دائرية صغيرة . لقد استغرق الأمر عدة خطط والكثير من الألم لكى تأتى هذه اللحظة التى طال انتظارها ولن يفقد السيطرة الآن .

لمعت عيون وحوش الأورجال تحت حواجبهم الكثة وأطبقوا أيديهم على أسلحتهم ، وتقدمهم ذلك الكائن وسمع صوت ارتطام شىء صلب بالأحجار . ظهرت أشباح خافتة فى الظلام وتقدمت نحو الطريق مقتفية الأثر .

جاءت ثلاثة خيول بركابها وهى تصهل ناحية الفخ وكانت رؤوسهم مرتفعة فى شموخ وتلمع أغطيتهم فى ضوء القمر كالفضة السائلة .

على أول حصان كان هناك " إلف " (الإلف " بكسر حرف الألف وتسكين اللام : مخلوق خرافى عبارة عن جنى صغير قزم له أذن مدببة ويتميز بالخبث) له حاجبان مقوسان بشكل رائع . وكانت بنية جسمه ضئيلة لكنها قوية مثل السيف وكان يحمل على ظهره قوساً وعلى جانبه سيفاً

وعلى جانبه الآخر جعبة السهام الملصق في آخرها ريش البجع .

أما الراكب الآخر فكانت لديه نفس الملامح والوجه الملائكي كالراكب الأول ، وكان يحمل في إحدى يديه رمحاً وفي الأخرى خنجراً أبيض محمولاً في حزامه . وكان يرتدى خوذة تدل على جودة الصنعة غير العادية ؛ حيث كانت مرصعة بالذهب والكهرمان .

بين هذين الراكبين كانت هناك سيدة من مخلوقات " الإلف " لها شعر أسود فاحم وكانت تترقب الطريق وما يحيط بها بحرص وتوازن ، وكانت خصلات شعرها الطويل الغزير تحيط بوجهها وكأنها إطار لبرواز ، وكانت عيناها تشعان بقوة دافعة ، وكانت ملابسها خالية من الزينة لكنها لم تؤثر على جمالها أو تقلل منه . كانت تحمل بجانبها سيفاً وعلى ظهرها قوساً طويلاً وجعبة سهام ، وكانت تحمل حقيبة جلدية تنظر إليها من حين لآخر وكأنها تطمئن نفسها بأنها لا تزال في مكانها .

تحدث أحد مخلوقات " الإلف " بصوت خفيض ، لكن الظل الهلامي لم يستطع سماع ما قاله ، وأجابت السيدة بصوت ينم عن السلطة ثم تبادل حارساها الأماكن عن يمينها وعن يسارها . فالمخلوق الذى كان يرتدى الخوذة تولى القيادة وأمسك برمحه في وضع الاستعداد . مروا جميعاً بمكان اختباء ذلك الكائن الهلامي وبعض مخلوقات الأورجال بدون أدنى شك يساورهم في أن هناك من يراقبهم .

كان ذلك الكائن الهلامي يتلذذ بالفعل بنصره الأكيد عندما هبت الرياح وغيرت اتجاهها ومرت بمخلوقات الإلف

وهى محملة بالرائحة النتنـة لوحـوش الأورجـال . صـهلت الخيل ورفعت رأسها فى قلق وتوجس ، وتجمد ركابها فـى ترقب وجالت عيونهم من جانـب لآخـر سـريعاً ثـم أمسكوا زمام الظل وانطلقوا مبتعدين .

سبق حصان السيدة خيـل الحارسين بمسـافة بعيـدة ، وهـرع وحـوش الأورجـال مـن مخـابئهم وأطلقـوا وابـلاً مـن السهام السوداء . خرج الظل من مخبئه خلف الشجرة ورفع يده اليمنى وصاح : " جاريزلا ! " .

أطلق الأشعة الحمراء من كف يده ناحيـة سيدة الإلـف مما أضاء الأشجار بلون أحمر بلـون الـدم ، وأصـاب الشـعاع حصـانها فسـقط وصـاح بصـوت عـال وانكـب علـى الأرض بصدره . فقفزت السـيدة مـن علـى الحصـان بسـرعة خارقـة ونزلت على الأرض بخفة ثم نظرت سريعاً إلى حارسيها .

وسرعان ما فتكت أسـهم الأورجـال القاتلـة بالحارسين وسقطا من على الخيل النبيلة وسالت دماؤهما فـى الوحـل . وبينما هرع الأورجـال للحارسـين المقتـولين صـرخ زعـيمهم قائلاً : " وراءها ! هى من أريد ! " ، صاح الوحوش فى غيظ وهرعوا عبر الطريق .

انطلقت صيحة من السيدة عندما رأت جثتـى حارسـيها وتقدمت خطوة ناحيتهما ، ثم لعنت أعداءها وجرت مسرعة نحو الغابة .

وبينما هرع الأورجـال عـبر الأشـجار تسـلق ذلـك الظـل قطعة من صخور الجرانيت البارزة فوقهم ، ومـن موقعـه ، كان بإمكانه رؤية كل الغابة من حوله ، ثم رفع يـده ونطـق بالتعويذة السحرية : " الـنيران ! " فانـدلعت الـنيران فـى

جزء من الغابة يقدر بربع ميل ، ظل يحرق جزءاً تلو الآخر حتى كوَّن حلقة من النيران قطرها نصف فرسخ حول موقع الكمين . بدت ألسنة اللهب كالتاج المتوهج على رأس الغابة . شعرٍ ذلك الكائن بالرضا وهو يراقب حلقة النيران بدقة ، خوفا من أن تنتشر وتخرج عنٍ نطاق سيطرته .

زاد اتساع حلقة النيران مختزلا المنطقة التى يبحث فيها وحوشٍ الأورجال عن السيدة . فجأة سمع ذلك الظل صراخا حادا وصياحاً ، وعبر الأشجار شاهد ثلاثة من أتباعه يقعون فوق بعضهم البعض ويعانون من جروح خطيرة قاتلة . ثم لمح السيدة تهرب من بقية وحوش الأورجال .

هربت ناحية قطعة جرانيت بارزة ومليئة بالنتوءات بسرعة هائلة . فحص الظل الأرض من تحته على مسافة ٢٠ قدماً ثم قفز وحط على الأرض بخفة أمامها . ظلت تتدحرج فى حلقات دائرية ثم عادت سريعاً للطريق وكانت دماء الأورجال السوداء تقطر من سيفها وتلطخ الحقيبة الجلدية التى فى يدها .

جاء الوحوش ذوو القرون من الغابة وضيقوا عليها الخناق وسدوا عليها منافذ الهرب . التفتت برأسها بحثاً عن مهرب . لكنها لم تجد مهربًا ، فنظرت بأنفة وشموخ يليق بالملوك نحو كائنات الأورجال من حولها . اقترب منها ذلك الكائن الهلامى رافعاً يده ومستمتعاً بإيقاعها فى الفخ بلا مهرب .

" أحضروها لى ! "

وبينما اندفعت وحوش الأورجال للأمام ، فتحت سيدة " الإلف " الحقيبة الجلدية وأدخلت يدها فيها وتركتها

تسقط على الأرض . كان فى يديها حجر كبير أزرق اللـون ، وكان يعكس ضوء النيران الغاضب ، رفعت هذا الحجر فوق رأسها وتمتمت بالتعويذة السحرية بشكل محموم . صـاح الكائن بيأس : " جاريزلا ! " .

انطلقت من يده كرة من لهب ناحية سيدة الإلف بسرعة السهم المنطلق . ولكن كان الأوان قد فات ، حيث انطلق ضوء أخضر شديد كالزمرد أنار الغابة لبرهة ثـم اختفـى الحجـر الأزرق . ثم أصابتها النيران الحمراء وسقطت مغشيا عليها .

صاح الظل فى غضب عـارم وسـار إلى الأمـام وهـو يقـذف بسـيفه نحـو إحـدى الأشـجار . انغـرز السـيف فـى جـذع الشجرة وظل السيف يهتز فى مكانه . أطلق تسع قذائف من اللهب من يده ـ لقتل كل وحوش الأورجال فـى الحـال ـ ثـم حرر سيفه من الشجرة وجرى نحو سيدة الإلف .

ظل يتوعد بالانتقام بلغة حقيرة لا يعرفها أحـد سـواه . وأطبق يديـه الـرفيعتين ، وحـدق إلى السماء وحـدقت إليـه نجوم السماء الباردة ، ولم تومض له وظلـت كأنهـا تشـاهده من عالم آخر . تقوست شفتاه فى تقزز وازدراء قبل أن يعود لسيدة الإلف الفاقدة الوعى .

لم يفتنه جمالها الذى يسلب لب أى رجل مـن البشـر ، تأكد من أن الحجر الثمين ضاع واختفى ، ثم استعاد حصانه من مخبئه بين الأشجار ، وبعد أن قيد سيدة الإلف الجميلة على سرج الحصان امتطاه وخرج من الغابة .

أطفأ النيران ليمهد لنفسـه الطريـق ، لكنـه تـرك بـاقى أجزاء الغابة لتحترق .

الاكتشاف

جثا إيراجون على ركبتيه على أعواد البوص والحشائش التى داستها الحيوانات وفحص الآثار الموجودة على الأرض بعينيه المدربتين على اقتفاء الأثر . كانت الآثار تدل على أنه كانت هناك غزلان فى هذا المرج منذ نصف ساعة . سرعان ما ستنام . كان هدفه غزالاً صغيراً يعرج بشكل واضح بسبب رجله الخلفية اليسرى وكان مازال فى القطيع . اندهش لأن الغزال الأعرج لم يمسك به دب أو ذئب حتى الآن .

كانت السماء صافية ومظلمة والجو به نسيم خفيف . كما كانت هناك سحابة فضية اللون تظلل الجبال التى كانت تحيط به ، وكانت أطرافها تشع بلون أحمر من ضوء القمر بين قمتى جبلين ، كانت الأنهار تتدفق من الجبال ومنبعها أنهار الجليد وقمم الجبال المليئة بالثلج فى شكل كتل كبيرة . جاء ضباب يبعث على الاكتئاب عبر أرض الوادى وكان كثيفاً لدرجة لا تجعل إيراجون يرى قدميه .

إن إيراجون فتى فى الخامسة عشرة من عمره ، ولا تزال أمامه سنة واحدة ليصل لسن الرجولة ، كان حاجباه أسودين كثين تحتهما عينان بنيتا اللون وحادتان . كانت ثيابه رثة من كثرة العمل . كانت معه سكين للصيد يدها من العظام موضوعة في غمد مربوط بحزامه ، وكان هناك غمد جلدى أسطوانى يحمى قوسه المصنوعِ من خشب الجميز من ندى الضباب ، كما كان يحمل أيضا قفصًا خشبيًّا .

كان تتبعه للغزال قد قاده للتوغل بعمق فى منطقة سباين ، وهى منطقة جبليةٍ وعرة لم تكتشف كلية وتمتد عبر أراضى آلاجيشيا وغالباً ما تكون هذه الجبال مصدرًا للحكايات الشريرة التى تبعث على التشاؤم . وعلى الرغم من كل هذا ، لم يخش إيراجون منطقة سباين ـ فقد كان الصياد الوحيد بالقرب من مدينة كارفاهول الذى يجرؤ على الاقتحام والتوغل فى تلك المناطق الصخرية الوعرة .

كانت تلك ليلته الثالثة للصيد ، وقد تناول نصف طعامه بالفعل . وإذا لم يتمكن من صيد الغزال الشارد فسيضطر للعودة للمنزل خالى الوفاض ، وعائلته تحتاج إلى اللحم لأن الشتاء قادم بسرعة ولا يمكنهم تحمل نفقات شراء اللحم فى مدينة كارفاهول .

وقف إيراجون بهدوء وطمأنينة فى ضوء القمر القاتمِ ، ثم جرى مسرعاً نحو الغابة ناحية وادٍ ضيق وكان متأكداً أن الغزلان ستتجه إلى هناك للراحة . حجبت الأشجار السماء عن مجال الرؤية وألقت بظلال أوراقها على الأرض . كان ينظر للطريق على فترات متباعدة ، حيث كان يحفظه .

فى الوادى الضيق ، هز وتر قوسه بحركة ثابتة ثم أخرج ثلاثة سهام وهمَّ بإطلاق أحدها وترك باقى السهام فى يده اليسرى . أظهر له ضوء القمر عشرين غزالاً أو أكثر راقدة على الحشائش بلا حراك . كان الظبى الصغير الذى يريده على طرف القطيع وقدمه العرجاء ممتدة بشكل يثير الشفقة .

زحف إيراجون ببطء مقترباً من الظبى وجعل قوسه فى وضع استعداد ، فكل عمله طيلة ثلاثة أيام أدى إلى تلك اللحظة . التقط نفساً عميقاً لآخر مرة ـ ثم حدث انفجار مدوى فى الظلام هز سكون الليل .

انتفضت كل غزلان القطيع ، اندفع إيراجون للأمام عبر الحشائش بينما لفح الهواء الساخن وجنتيه . توقف فجأة وأطلق سهمه على الغزال الشارد الصغير الذى ظل يعدو ، لكن السهم أخطأه بمقدار إصبع واحد متخذًا طريقه فى الظلام ، ندب إيراجون حظه التعس واستدار مسرعًا وأخرج سهمًا آخر واستعد لإطلاقه .

خلفه حيث مكان رقود الغزلان ، اشتعلت دائرة كبيرة من الحشائش والأشجار ووقفت أشجار الصنوبر عارية من ثمارها وأوراقها ، والحشائش خارج نطاق الاشتعال سويت بالأرض ، ورائحة الدخان والحريق ملأت الهواء . فى مركز نطاق الانفجار قبع حجر أزرق براق اللون ، وقد حامت خيوط الضباب بشكل متعرج حول مكان الحريق وأحاط بالحجر الأزرق ضباب دائرى بكمية صغيرة .

نظر إيراجون حوله لعدة دقائق بحثاً عن أى خطر ، لكن لم يجد أى شيء يذكر سوى الضباب . أرخى خيط قوسه

بحذر وتقدم فى طريقه ، وكان ضوء القمر يجعله يبدو كظل شاحب وهو يمضى فى طريقه إلى الحجر الأزرق . حاول تحريك الحجر بسهم ثم قفز للخلف تحسبا لأى خطر يداهمه . لم يحدث شىء ، فتناول الحجر بحذر وحرص شديدين .

لم ير إيراجون فى الطبيعة من قبل حجرًا براقًا وأملس بهذه الطريقة ، كان سطحه الأملس لونه أزرق غامق ، عدا بعض العروق البيضاء المنتشرة حوله كشبكة العنكبوت . كان الحجر باردًا وأملس لدرجة أنه لا يُحدث احتكاكًا مع أصابعه ، وكأنه حرير جامد . كان الحجر بيضاوى الشكل وطوله حوالى قدم ووزنه عدة أرطال ، لكنه بدا أخف من وزنه المتوقع .

بدا لـ " إيراجون " أن الحجر مخيف وجميل فى نفس الوقت . *من أين أتى ؟ هل تُرجى منه فائدة ؟* ثم انتابته فكرة مزعجة : *" هل أُرْسِل إلى هنا مصادفة أم أنه من المقدر لى أن أحصل عليه ؟ "* . إذا كان قد تعلم شيئًا من القصص القديمة ، فإن ما تعلمه هو معاملة السحر والسحرة بحرص كبير .

" لكن ، ما عساى أن أفعل بهذا الحجر ؟ " من المتعب حمله ، وقد يمثل خطرا ، قد يكون من الأفضل تركه هنا . تملكته حيرة شديدة ، وكاد أن يلقى به ، لكنه شعر بشىء يبقى الحجر معه . على الأقل قد يشترى مقابله *بعض الطعام "* . ثم هز كتفيه دون اكتراث ووضعه فى حقيبته .

كان الوادى مكشوفا بحيث لا يمكن إقامة معسكر آمن للمبيت ؛ لذلك عاد إلى الغابة وأعد فراشه فوق جذور مبتورة

لشجرة مقطوعـة وبعـد أن تنـاول وجبـة بـاردة مـن الخبـز الجاف والجبن تدثر بالأغطية الثقيلة وراح في سبات عميق وهو يفكر مليًّا فيما حدث .

وادى بالانكار

أشرقت الشمس فى صباح اليوم التالى وكنت تجمع أشعتها ما بين اللون الأصفر والأحمر الفاتح . كان الهواء نقياً ومنعشا ولكنه بارد للغاية . وكانت الثلوج تغطى ضفاف الجداول وبرك مياه صغيرة متجمدة تماماً . بعد أن تناول إيراجون إفطاره من حبوب القمح باللبن عاد للوادى الضيق وفحص المنطقة الوعرة . لم يظهر ضوء النهار أية تفاصيل جديدة ، فبدأ إيراجون طريقه نحو المنزل .

كان الطريق الوعر يكاد تتلاشى ملامحه ، وفى بعض الأماكن لا يظهر له أى أثر . ولأن الحيوانات هى التى شقت هذا الطريق فقد كان ممتلئًا بالتعرجات الطويلة ولم يكن على خط مستقيم ، وكانت التعرجات جانبية أو تعود للخلف ، لكن على الرغم من هذا ، فإنه كان أسرع طريق للخروج من منطقة الجبال .

كانت منطقة سباين إحدى المناطق التى لا يستطيع الملك جالباتوريكس من ادعاء أنها تخضع لسلطانه . وقد انتشرت

القصص والأقاويل حتى الآن عن اختفاء نصف جيشه أثناء التوغل فى الغابة القديمة فى هذه المنطقة ، وكأنها منطقة موسومة بالحظ السيئ . وعلى الرغم من الأشجار الباسقة والسماء اللامعة الصافية ، فقليل جداً من الناس يتمكنون من البقاء فى سباين لفترة طويلة دون أن تقع لهم الحوادث .
كان إيراجون أحد هؤلاء القلة من الناس ـ ليس بسبب أى مواهب خاصة ـ كما كان يظن ـ بل بسبب الحذر والتيقظ الدائم الدءوب وردود أفعاله السريعة . كان يتجول فى منطقة الجبال كثيراً منذ عدة سنوات ، لكنه لا يزال حذرا منها . وفى كل مرة يظن أن الجبال قد باحت له بكل أسرارها ، يحدث شىء يزعزع فهمه لها ـ مثل ظهور الحجر الأزرق .

ظل يسرع الخطى ويقطع الفرسخ تلو الآخر سريعاً . فى وقت متأخر من الليل وصل إلى حافة وادٍ جبلى شديد الانحدار . كان نهر أنورا يندفع بشدة متجهاً نحو وادى بالانكار ، ومتخماً بمئات الجداول الصغيرة ، كان النهر يندفع بسرعة شديدة جداً ويشق مجراه عبر الصخور والأحجار الضخمة التى تعترض طريقه وكأنه يتقاتل معها ، وامتلأ الهواء بصوت هدير الماء المندفع .
مكث إيراجون فى الأحراش المجاورة للوادى الجبلى الضيق وأخذ يتأمل ضوء القمر قبل أن يخلد إلى النوم .
زادت برودة الجو فى اليوم التالى ونصف اليوم الذى تلاه ، وقد تحرك إيراجون سريعاً ولم ير من الطبيعة البرية ما يثير الشك إلا قليلا . بعد الظهر بقليل ، سمع شلالات إيجوالادا التى غمرت كل المكان بصوت مكتوم لهدير الماء

المنهمر بسرعة . قاده الطريق لصخر من الإردواز بارز ومبلل وكان النهر يمر به سريعا ويشق مجراه فى الهواء الفارغ وعبر الصخور المتلئة بالطحالب .

وجد أمامه وادى بالانكار معروضًا كما الخريطة المفتوحة . كانت قاعدة شلالات إيجوالادا ، التى تقع أسفل إيراجون الآن بمقدار نصف ميل ، هى الحد الشمالى للوادى . وعلى مقربة من الشلالات تقع مدينة كارفاهول وهى عبارة عن مجموعة من المبانى البنية اللون . كان الدخان الأبيض يتصاعد من المداخن متحدياً البرية من حوله . من هذا الارتفاع كانت تبدو المزارع كالمربعات الضئيلة لا يزيد حجمها على عقلة الإصبع . وكانت الأراضى من حولها إما طينية أو رملية ، حيث تتمايل الحشائش الميتة فى مهب الرياح . وكان نهر أنورا يلتف من الشلالات إلى الناحية الجنوبية لوادى بالانكار ، ويعكس كمًا كبيرًا من أشعة الشمس . وعلى بعد مسافة كبيرة كان النهر يجرى عبر قرية ثيرينسفورد والجبل الوحيد المسمى يوتجارد . لا يعرف إيراجون بعد تلك النقطة إلى أين يذهب النهر سوى أنه يتجه للشمال ويصب فى البحر .

بعد فترة توقف عن المسير ، ترك إيراجون الصخرة البارزة وواصل سيره عبر الطريق ، وكان يتوجس خيفة من الهبوط . عندما وصل لأسفل الطريق ، كان ضوء الشفق الأحمر يغمر المكان ويجعل الألوان تتداخل مع الأشكال فى كتل رمادية . كانت أنوار مدينة كارفاهول تتراقص بالقرب من إيراجون فى ضوء الغسق وكانت المنازل تلقى بظلال طويلة . بجانب قرية ثيرينسفورد ، كانت كارفاهول هى

المدينة الوحيدة فى وادى بالانكار وكانت منعزلة ومحاطة بأرض جبلية وعرة . ونادراً ما يسافر الناس إليها إلا بعض التجار والصيادين .

كانت القرية مؤلفة من مبان قوية من الخشب لها أسقف منخفضة - وبعض الأسقف مغطاة بالقش ، والأخرى بالحصى . تصاعد الدخان من المداخن فى المنازل مما أعطى الهواء رائحة الخشب . كانت المبانى بها شرفات واسعة أرضية يتجمع فيها الناس ويتبادلون الحديث والتعاملات . وأحياناً تنير إحدى النوافذ نتيجة وجود ضوء شمعة أو مصباح . سمع إيراجون الرجال يتحدثون بصوت مرتفع فى هواء الليل بينما تهرع زوجاتهم لإحضارهم للمنزل وتوبخ كل واحدة زوجها لأنه تأخر .

سار إيراجون فى الطريق المتعرج بين المنازل حتى متجر الجزار ، وكان مبنى واسعًا ممتلئًا بالأعمدة الخشبية الغليظة ومن فوقه تنفث المدخنة دخاناً أسود .

دفع الباب ليفتحه ، وكانت الحجرة الفسيحة دافئة وجيدة الإضاءة بالنار التى تتراقص ألسنة لهيبها فى المدفأة الحجرية . كانت هناك منضدة فارغة تمتد عبر جانب من الحجرة . وكانت الأرضية منثور عليها القش ، وكل شيء فى المتجر كان نظيفاً للغاية ، وكأن صاحب المتجر يقضى وقت فراغه فى البحث فى كل مكان مهما صغرت مساحته عن الذرات الدقيقة للغبار والقذارة . خلف المنضدة وقف الجزار ويدعى سلوان ، وكان رجلا قصيراً ونحيف الجسم ويرتدى قميصا قطنيا ومريلة طويلة تلطخها بقع الدماء . وكان هناك مجموعة مبهرة من السكاكين معلقة على

حزامه . كان وجهه شاحبًا وحزينًا وبدا وكأنه ممتلئ بالنتوءات والبثور ، وكانت عيناه السوداوان تعبران عن شكه في كل ما حوله . وكان يمسح المنضدة بخرقة من القماش .

اهتزت شفتا سلوان بينما دخل إيراجون وقال : " حسناً ، لقد عاد الصياد القوى لنا ، نحن البشر الضعفاء . كم صيداً ظفرت به هذه المرة ؟ " .

قال إيراجون بفظاظة : " لا شيء " ، فلم يكن يحب سلوان مطلقا . فقد كان هذا الجزار يتعامل معه باحتقار ، وكأنه شيء غير نظيف . كان سلوان هذا أرمل ولم يهتم سوى بشخص واحد - ابنته كاترينا التى يحبها حبا جما .

قال سلوان بدهشة مصطنعة : " أنا مندهش للغاية " . ثم استدار وأعطى ظهره لـ" إيراجون " ليكشط شيئاً من على الحائط وسأل قائلاً : " هل هذا سبب مجيئك إلى هنا ؟ " .

اعترف إيراجون على مضض : " نعم " .

" إذا كانت تلك هى الحال لنر كم معك من المال " ، ثم طرق سلوان على المنضدة بأصابعه عندما حرك إيراجون قدميه وظل صامتا . " هيا ــ إما أنك تملك المال أو لا تملكه ، فما قولك الآن ؟ " .

" ليس لدىَّ مال لكن ـــ "

قاطعه الجزار بحدة قائلاً : " ماذا ؟ ليس لديك مال ، وتتوقع شراء اللحم ! هل باقى التجار يهبون بضائعهم مجانا ؟ هل أعطيك البضائع بلا ثمن ؟ " ، ثم قال بوقاحة : " لقد فات الأوان ، عد غدا بالمال ، لقد كنت على وشك إغلاق المتجر " .

نظر إليه إيراجون فى غضب وقال : " لا يمكننى الانتظار للغد يا سلوان ، لكنى معى ما يصلح للدفع " ، ثم أخرج الحجر بابتهاج ووضعه بحرص على المنضدة المشققة ؛ حيث لمعت جراء ضوءٍ لهب النيران المتراقص .

قال سلوان متمتماً بينما مال لينظر إلى الحجر باهتمام : " لقد سرقته غالباً " .

تجاهل إيراجون هذه الملحوظة وقال : " هل هذا يكفى ؟ " .

التقط سلوان الحجر وتفحصه محاولاً تخمين وزنه والتكهن بحجمه وتحسس الحجر ونعومته وفحص العروق البيضاء الظاهرة فيه . وضعه سلوان على المنضدة وهو ينظر إليه بتأمل وقال : " إنه حجر جميل ، لكن ما قيمته ؟ " .

قال إيراجون : " لا أعرف ، لكن لم يكلف من نحته نفسه هذا العناء إلا إذا كان يساوى الكثير " .

قال سلوان بنفاد صبر مبالغ فيه : " هذا واضح جداً ، لكن ما قيمته ؟ بما أنك لا تعرف ، أقترح أن تذهب به لتاجر يثمنه أو تبيعه لى بمبلغ ثلاث كرونات " .

اعترض إيراجون قائلاً : " يالك من بخيل ! لابد أن الحجر يساوى عشرة أضعاف هذا السعر . فثلاث كرونات لا تشترى لحمًا يكفى لأسبوع واحد " .

هز سلوان رأسه دون اكتراث وقال : " إذا لم يرق لك عرضى ، فانتظر حتى وصول التجار لتثمين الحجر ، وعلى أية حال لقد تعبت من الحوار " .

كان التجار عبارة عن مجموعة من البدو المشتغلين بالتجارة والترفيه وكانوا يزورون كارفاهول كل ربيع

وشتاء . كانوا يشترون كل ما يفيض عن حاجة سكان القرية والفلاحين من المحصول أو من أى شىء يصنعونه ، ويبيعون ما يحتاج أهل القرية والفلاحون إليه طوال العام : البذور والحيوانات والقماش والمؤن مثل الملح والسكر .

لم يرغب إيراجون فى انتظار وصول التجار لأنه قد ينتظر طويلا ، وعائلته تحتاج إلى اللحم الآن ؛ فقال سريعاً : " حسناً ، لقد قبلت عرضك " .

" رائع ، سأحضر لك اللحم . بالمناسبة ، أين عثرت على هذا الحجر ؟ " .

" منذ ليلتين فى منطقة سباين ــــ "

صاح سلوان : " اخرج من هنا ! " ، ودفع الحجر بعيداً ، ثم سار بغضب نحو نهاية المنضدة وبدأ يمسح بقع الدم القديمة من على إحدى السكاكين .

قال إيراجون : " لماذا ؟ " ، ثم ضم الحجر إلى صدره وكأنه يحميه من غضب سلوان

" لن أتعامل مع أى شىء تجلبه من تلك الجبال اللعينة ! خذ حجرك السحرى فى مكان آخر " . زلت يده فجأة ، وجرح أصبعه على نصل السكين ، لكنه بدا وكأنه لم يلاحظ ذلك واستمر فى مسح السكين مع أنه يلوثه ببقع دم جديدة .

" أنت ترفض البيع لى ! " .

" نعم ! إلا إذا دفعت لى بالعملات " ، ثم رفع السكين ولوح به ناحية إيراجون وقال : " اذهب قبل أن أمزقك إربًا ! " .

فُتح الباب فجأة من خلفهما . استدار إيراجون بسرعة واستعد للمزيد من المشاكل . دخل هورست بخطى ثقيلة ، وكان رجلاً ضخماً . ودخلت كاترينا ابنة سلوان وكانت فتاة طويلة فى السادسة عشرة من عمرها ـ خلفه وعلى وجهها أمارات الإصرار . اندهش إيراجون لرؤيتها ؛ فهى عادة ما تنأى بنفسها عن أى مشاجرات لوالدها . نظر إليهما سلوان بشك وريبة ثم هم باتهام إيراجون قائلاً : " إنه لم ـــ "

قال هورست بصوتٍ عال وصاخب : " الزم الصمت " ، وكان يصدر صوتاً من احتكاك مفاصل يديه فى نفس الوقت . كان هورست الحداد الوحيد فى مدينة كارفاهول ، كما تشهد على مهنته رقبته الغليظة ومريلته الجلدية الرثة الممزقة . كان عارى الذراعين حتى الكوعِ ، وجزء كبير من صدره المشعر مفتول العضلات كان ظاهرا من فتحة قميصه ، كانت له لحية سوداء كثة وغير مهذبة ، ذات شعر متداخل ومتشابك مثل عضلات فكه وقال له : " سلوان ، ماذا فعلت الآن ؟ " .

نظر سلوان شزرًا إلى إيراجون وكأنه يهم بقتله ، ثم بصق وقال : " لا شىء ، هذا الـ ... الفتى جاء إلى هنا ويحاولٍ خداعى ، طلبت منه مغادرة متجرى لكنه لم يحرك ساكنا ، ثم هددته فتمادى فى تجاهلى ! " بدأ سلوان وكأنه ينكمش وهو ينظر إلى هورست .

صاح الحداد : " هل هذا حقيقى ؟ " .

قال إيراجون : " كلا ! لقد عرضت عليه هذا الحجر مقابل بعض اللحم ، ولقد وافق على هذا الاتفاق . ولكن عندما أخبرته أننى عثرت على الحجر فى منطقة سباين ،

رفض حتى مجرد لمسه ، فما المشكلة فى مكان عثورى عليه ؟ " .

نظر هورست إلى الحجر بفضول ثم وجه انتباهه مرة أخرى للجزار قائلاً : " لماذا لا تتقايض معه يا سلوان ؟ أنا نفسى لا أحب منطقة سباين ، لكن إذا كانت المسألة تتعلق بقيمة الحجر ، فإننى سأضمن الأمر بنقودى " .

ظل السؤال معلقاً فى الهواء للحظة ، ثم لعق سلوان شفتيه وقال : " هذا متجرى وأنا حر فيما أفعله " .

تقدمت كاترينا من وراء هورست وسحبت شعرها البنى إلى الوراء ، وكان يبدو شعرها كالنحاس المذاب : وقالت : " يا أبى ، يريد إيراجون الدفع ، أعطه اللحم ثم بعد ذلك يمكننا الذهاب وتناول العشاء معًا " .

ضاقت عينا سلوان وكانتا تنبئان بالخطر وقال : " عودى إلى المنزل ، فهذا ليس من شأنك ... قلت لك *اذهبى !* "

تصلب وجه كاترينا ثم غادرت المتجر وظهرها متصلب بشموخ وأنفة .

راقب إيراجون هذا المشهد بغيظ وحنق لكنه لم يجرؤ على أن يتدخل . وشد هورست لحيته قبل أن يقول معاتباً : " حسناً ، تعامل معى أنا . ما هى الكمية التى كنت تريدها من اللحم يا إيراجون ؟ " ، وكان صوته يتردد صداه عبر المتجر .

" أكبر كمية يمكننى حملها "

فتح هورست حافظة نقوده وعد بضع عملات وقال : " أعطنى أفضل قطع اللحم لديك وتأكد من أنها كمية تكفى حقيبة إيراجون " . تردد الجزار وتنقلت نظرته الحادة بين

إيراجون وهورست ، قال هورست مهدداً : " عدم البيع لى ليس فكرة جيدة ! " .

نظر إليهما بحدة وبمقت شديد ، ثم ذهب سلوان للحجرة الخلفية ثم سمعا أصوات سريعة من التقطيع والتغليف واللعن والسباب بصوت منخفض . بعد بضع دقائق غير مريحة عاد بحمولة بين ذراعيه من اللحم المغلف . كان وجهه يخلو من أى تعبير وهو يتناول مال هورست ، ثم أسرع بتنظيف سكينه وتظاهر أنهما غير موجودين .

حمل هورست اللحم وخرج إيراجون يتبعه وهو يحمل حقيبته وحجره الأزرق . لفح الجو البارد المنعش وجنتيهما مما أشعرهما بالانتعاش بعد البقاء فى المتجر المكتوم الهواء .

" شكراً لك يا هورست ، سيسر عمى جارو كثيرًا " .

ضحك هورست بهدوء وقال : " لا تشكرنى ، لقد أردت أن أفعل ذلك منذ فترة طويلة . سلوان مشاكس وشرير ويثير المتاعب ، وسيفيده أن يهان لكى يتعلم التواضع ، لقد سمعت كاترينا ما كان يحدث وهرعت لإحضارى . شىء جيد أننى حضرت لقد كنتما على وشك العراك . وللأسف ، أشك فى أنه سيخدمك أنت أو عائلتك فى المرة القادمة التى ستذهبون لمتجره ، حتى لو كان معكم مال " .

قال إيراجون وهو يفتح حقيبته : " لماذا انفجر غاضباً هكذا ؟ لم نكن أبداً على وفاق ، لكنه كان يقبل نقودنا دائماً . لم أره يعامل كاترينا هكذا من قبل " .

هز هورست كتفيه دون اكتراث : " اسأل عمك ؛ فهو يعرف عن هذا الأمر أكثر منى " .

وضع إيراجون اللحم فى حقيبته وقال : " حسناً ، لدىَّ سبب آخر للإسراع بالذهاب إلى المنزل ... لمعرفة سر هذا اللغز . هذا الحجر من حقك الآن " ، ثم قدم له الحجر الأزرق .

ضحك هورست قائلاً : " كلا ، احتفظ بهذا الحجر الغريب لنفسك . لكن إن أردت الدفع فإنٍ أولبريشٍ سيسافر لمدينة فينستر الربيع القادم ليعمل حداداً مستقلاً وسأحتاج لمساعد ، ويمكنك أن تحل محله فى أيام فراغك حتى تسدد الدين " .

انحنى إيراجون قليلاً وشعر بالسعادة . كان هورست لديه ابنان هما أولبريش وبالدور وكان كلاهما يعمل معه فى متجر الحدادة . وأن يحل إيراجون محل أحدهما كان عرضا سخيا ، فقال : " شكراً لك مرة أخرى ، كنت أتطلع للعمل معك " . كان سعيداً لأنه بذلك وجد طريقة لتسديد دين هورست ؛ فعمه لا يقبل الإحسان . وعندئذ تذكر إيراجون ما قاله له ابن عمه قبل أن يغادر المدينة للصيد فقال : " روران يريدنى أن أحمل رسالة إلى كاترينا ولكننى لن أتمكن ؛ فهل يمكنك أن تنوب عنى فى تلك المهمة ؟ " .

" بالتأكيد " .

" إنه يريدها أن تعرف أنه سيأتى للمدينة بمجرد وصول التجار وسوف يراها حينها " .

" هل هذا كل شىء ؟ " .

كان إيراجون يشعر قليلاً بالإحراج وهو يقول : " كلا ، بل يريدها أيضاً أن تعرف أنها أجمل فتاة رآها وأنه لا يفكر فى سواها " .

ابتسم هورست ابتسامة عريضة وغمز إلى إيراجون وقال : " لقد صار الأمر معه أكثر جدية ، أليس كذلك ؟ " .

قال إيراجون مبتسماً : " نعم يا سيدى ، هلا شكرت كاترينا أيضًا بالنيابة عني ؟ لطيف منها أن تتحدى والدها من أجلي . أتمنى ألا تعاقب بسبب ذلك . سيغضب روران إذا حدثت لها مشاكل بسببى " .

" لا داعي للقلق ، فلا يعرف سلوان أنها استدعتنى ولذلك أشك في أنه سيقسو عليها . قبل أن تذهب ، هلا تعشيت معنا ؟ " .

" آسف ، لا يمكننى ذلك ، فعمي جارو يتوقع وصولى الآن " . ربط إيراجون حقيبته من أعلى ورفعها على ظهره وواصل المسير عبر الطريق ورفع يده لتحية هورست مودعاً إياه .

سار بخطى بطيئة من حمولة اللحم ، لكنه كان يتلهف شوقاً للعودة للمنزل ؛ مما جعله يسير بحماس متجدد . وصل فجأة لنهاية القرية وترك خلفه أنوارها الدافئة . بزغ القمر بضوئه اللؤلؤى من بين الجبال وغطى الأرض بانعكاس باهت لضوء النهار وبدا كل شيء مسطحًا ومغطى باللون الأبيض .

قرب نهاية رحلته ؛ ابتعد عن الطريق المتجه جنوباً ، وانحرف إلى طريق بسيط يؤدى مباشرة إلى منطقة بها حشائش وأعشاب يصل ارتفاعها إلى الخصر ثم تسلق التل الصغير المستدير الذى يختفى تحت شجرة الدردار وارفة الظلال . وصل إلى قمة التل ثم رأى الضوء الصادر من منزله .

كان للمنزل سقف مغطى بالحصى ، ومدخنة من الطوب الأحمر . كان طرف السطح البارز يقع فى أسفله جدار مطلى باللون الأبيض ويلقى بظلاله على الأرض . كان هناك جانب من الشرفة الأرضية ممتلئ بالخشب والحطب المقطع الجاهز لنيران المدفأة ، والجانب الآخر من الشرفة ممتلئ بأدوات الزراعة المبعثرة فى المكان .

كان هذا المنزل مهجوراً منذ نصف قرن ، إلى أن انتقلوا للعيش فيه بعد موت ماريان زوجة جارو . كان المنزل يبعد عن كارفاهول بمقدار ١٠ أميال وأبعد من أى منزل آخر . كان الناس يعتقدون أن تلك المسافة خطيرة لأن الأسرة المقيمة فى هذا المكان لن تتمكن من الاعتماد على المساعدة من أهل القرية وقت الأزمات ، لكن عم إيراجون لم يستمع لنصائح الناس .

على بعد مائة قدم من المنزل كان هناك اسطبل لونه كئيب داكن ، ويوجد به حصانان ـ بيركا وبرو ـ بالإضافة إلى بعض الدواجن وبقرة واحدة . أحياناً كانوا يحتفظون بثور ، لكنهم لم يتمكنوا من شراء واحد هذا العام . كانت هناك عربة مربوطة بين خشبتين . وعلى حافة الحقل كان يوجد خط كثيف من الأشجار بمحاذاة نهر أنورا .

رأى إيراجون الضوء يتحرك خلف النافذة بينما وصل للشرفة الأرضية وقد حل به التعب وقال : " عمى ، أنا إيراجون ، أدخلنى من فضلك " . فتحت نافذة الباب لثانية واحدة ، ثم فتح الباب .

وقف جارو ويداه على الباب . كانت ملابسه الرثة تبدو كأنها خرقة بالية معلقة على هيكل خشبى . كان وجهه

النحيل يبدو متلهفاً ونظر إلى إيراجون بعينين حادتين برزتا من بينٍ شعره الأبيض . كان يبدو كرجل قد تم تحنيطه جزئياً قبل اكتشاف أنه على قيد الحياة . كان جوابه على نظرة إيراجون التى تنم عن التساؤل : " روران نائم " .

تراقص ضوء المصباح الخافت الموضوع على المائدة الخشبية القديمة ، كانت قديمة لدرجة أن عروق الخشب كانت بارزة وكأنها بصمات عملاقة . بالقرب من المائدة كان هناك موقد خشبى به صفوف من أدوات الطهى المعلقة على الحائط بمسامير مصنوعة يدوياً ، كان هناك باب آخر يؤدى إلى باقى المنزل . وكانت الأرضية عبارة عن ألواح من الخشب الذى أصبح ناعماً مصقولاً من كثرة السير عليه لسنوات طويلة .

خلع إيراجون حقيبته من على ظهره وأخرج اللحم . قال عمه بصرامة عندما رأى اللحم المغلف : " ما هذا ؟ هل اشتريت اللحم ؟ من أين أتيت بالثمن ؟ " .

سحب إيراجون نفساً عميقاً قبل أن يجيب : " كلا ، اشتراه لنا هورست " فأجابه جارو : قلت لك من قبل إننا لن نتسول طعامنا ولا نقبل إحسانًا . إذا لم نتمكن من إطعام أنفسنا فسوف ننتقل للعيش فى المدينة . سرعان ما سيرسلون لنا ملابس مستعملة ويسألون كيف سنجتاز فصل الشتاء " . كان وجه جارو شاحبًا من شدة الغضب .

قال إيراجون بسرعة : " أنا لا أقبل الإحسان ، لقد وافق هورست على أن يدعنى أعمل معه لسداد الدين هذا الربيع ، فهو يحتاج لمن يساعده لأن أولبريش سيغادر البلدة " .

سأل جارو وهو يحاول أن يخفض صوته : " ومن أين ستحصل على الوقت الكافى للعمل معه ؟ هل ستتجاهل ما يجب أن تقوم به من مهام هنا ؟ " .

علق إيراجون قوسه وجعبة سهامه على الخطاطيف المعلقة على الجدار بجوار الباب الأمامى ، ثم قال بضيقٍ : " لا أعرف كيف سأرتب لذلك ، كما أننى وجدت شيئاً قد يساوى نقوداً " . ثم وضع الحجر على المائدة .

انحنى جارو على الحجر ونظرته الجائعة أصبحت متلهفة وأكثر شراسة ، وتحركت أصابع يده بحركة لاإرادية غريبة وقال : " هل وجدت هذا الحجر فى منطقة سباين ؟ " .

شرح له إيراجون ما حدث وختم حديثه قائلاً : " وأسوأ ما فى الأمر هو أنى فقدت أفضل سهامى ، وسأضطر لصنع المزيد من السهام قبل مرور وقت طويل " وحدقا معاً إلى الحجر فى الظلام الخافت .

رفع العم الحجر وقال : " كيف كانت حالة الجو ؟ " . وأطبق يديه على الحجر وكأنه خائف أن يختفى .

قال إيراجون : " كان باردًا ، لم يهطل الثلج ، لكن درجة الحرارة كانت تصل للتجمد كل ليلة " .

بدا القلق على جارو من هذا الخبر وقال : " غدًا سوف تساعد روران فى حصاد الشعير ، وإذا جنيتما القرع أيضاً فلن يضايقنا الصقيع " . ثم مرر الحجر لـ " إيراجون " قائلاً : " احتفظ به ، وعندما يأتى التجار سنعرف قيمته لأن بيعه هو أفضل تصرف له . كلما قلَّ تعاملك مع

السحر كان ذلك أفضل ، ... لكن لماذا دفع هورست ثمن اللحم ؟ " .

شرح إيراجون سريعاً ما تم من مشاحنات بينه وبين سلوان واختتم حديثه قائلاً : " إنني لا أفهم ما الذى أغضبه إلى هذا الحد " .

هز جارو كتفيه دون اكتراث وقال : " لقد ذهبت إسميرا زوجة سلوان إلى شلالات إيجوالادا ولم تعد ، قبل عام من مولدك ، ولم يقترب من منطقة سباين منذ ذلك الحين ، ولم يتعامل مع أى شيء هناك . لكن هذا ليس مبرراً كافياً لرفض الدفع ، ربما كان يريد إيقاعك فى مشاكل " .

ترنح إيراجون فى تراخ وتعب قائلاً : " كم هى رائعة العودة إلى المنزل " . هدأت عينا جارو وأومأ له برأسه . سار إيراجون بخطى متثاقلة إلى حجرة نومه ووضع الحجر تحت فراشه واستلقى عليه . لقد عاد للمنزل أخيرا ، ولأول مرة بعد بداية الصيد يشعر باسترخاء تام وهو يغط فى نوم عميق .

حكايات التنين

فى الفجر اخترقت أشعة الشمس النافذة وأدفأت وجه إيراجون . فرك عينيه وجلس على طرف فراشه ، كانت الأرضية المصنوعة من خشب الصنوبر باردة الملمس تحت قدميه . كانت قدماه تؤلمانه فمدهما وحك ظهره وتثاءب .

وبجوار الفراش كانت هناك رفوف ممتلئة بأشياء جمعها إيراجون من الغابة ، فقد كانت هناك قطع مقوسة من الخشب ، وقطع غريبة الشكل من الصدف والصخور المكسورة التى يظهر ما بداخلها من بريق وخيوط من الأعشاب الجافة مربوطة على هيئة عقد . وكانت قطعته المفضلة عبارة عن جذر معقود بشكل غريب لا يمل من تأمله . وكان باقى حجرته فارغة ، فيما عدا دولاب ملابسه ومنضدة صغيرة بجوار الفراش .

ارتدى إيراجون حذاءه الجلدى ذا الرقبة الطويلة وحدق إلى الأرضية وهو يفكر ، كان هذا اليوم غير عادى . ففى نفس التوقيت تقريباً منذ ١٦ عاماً حضرت أمه سيلينا إلى

المنزل فى كارفاهول وحدها وهى حامل . كانت قد هربت لمدة ٦ سنوات وكانت تعيش متنقلة بين المدن . عندما عادت كانت ترتدى ملابس فخمة وغالية وشعرها كان مربوطًا بشبكة من اللؤلؤ . طلبت من أخيها جارو البقاء معه حتى تلد . وبعد خمسة شهور وضعت وليدها . وصعق الجميع عندما توسلت سيلينا وذرفت الدموع من أجل أن يعتنى أخوها جارو وزوجته ماريان بطفلها ويتوليان تربيته . وعندما سألها عن السبب قالت : " أنا مضطرة لذلك " ، وزادت توسلاتها فى يأس حتى وافقا فى النهاية ، أسمته إيراجون ثم رحلت فى صباح اليوم التالى ولم تعد أبداً منذ ذلك الحين .

تذكر إيراجون رد فعله عندما حكت له ماريان هذه الأحداث قبل موتها . وعندما أدرك أن جارو وماريان ليسا والديه ، انزعج للغاية . سقط كل يقين وثابت لديه فى بحر الشك فجأة ، وفى النهاية تعلم أن يتعايش مع هذه الحقيقة ولكن كان يساوره الشك دائماً أنه يوجد سبب قوى دفع أمه لهذا السلوك : *"أنا متأكد من وجود سبب قوى دفعها لذلك ، لكن أتمنى معرفته "* .

وكان هناك شيء آخر يشغله أيضاً فى هذه المسألة : من أبوه ؟ لم تخبر سيلينا أحد باسم والد طفلها ، ومهما كان فإنه لم يأت للبحث عنه . تمنى لو أنه يعرف من أبوه ، ولو حتى لكى يعرف اسمه بالكامل ، من اللطيف أن يكون للمرء تاريخ وجذور .

تنهد وذهب للمنضدة حيث غسل وجهه بالماء البارد من الطبق الكبير وارتعش بينما كان الماء البارد يجرى على

عنقه . شعر بالانتعاش وأخرج الحجر من تحت الفراش ووضعه على الرف حيث داعبه ضوء النهار ، وسقط منه ظل دافئ على الحائط . لمس إيراجون الحجر وتحسسه مرة أخرى ثم أسرع الخطى إلى المطبخ وهو متشوق لرؤية أسرته ، كان جارو وروران فى المطبخ بالفعل يتناولان بعضاً من الدجاج ، وعندما ألقى عليهما إيراجون التحية وقف وعلى وجهه ابتسامة عريضة .

كان روران أكبر من إيراجون بعامين مفتول العضلات وقوى البنية وحريصاً في حركته . وكانا قريبى الشبه من بعضهما حتى يظن من يراهما أنهما شقيقان .

ابتسم روران وقال : " سررت بعودتك ، كيف كانت الرحلة ؟ "

قال إيراجون : " صعبة وشاقة ، هل أخبرك العم جارو بما حدث ؟ " ، ثم تناول قطعة من الدجاج والتهمها بنهم ينم عن جوعه الشديد .

قال روران : " كلا " ، فقص عليه إيراجون بكل شيء باختصار . ونتيجة الإلحاح الشديد من روران ، ترك إيراجون طعامه لكى يريه الحجر الأزرق . ألقى ذلك بكم كبير من الرهبة مما جعل إيراجون يشعر بالرضا . ولكن سرعان ما تساءل روران بتوتر : " هل تمكنت من التحدث مع كاترينا ؟ " .

" كلا ، لم تسنح الفرصة بعد شجارى مع سلوان ، لكنها تتوقع مقابلتك عند حضور التجار ، لقد كلفت هورست بنقل الرسالة لها " .

قال روران غير مصدق : " أخبرت هورست ؟ لقد كان أمراً خاصاً ولو كنت أريد أن يعرف الجميع ، لكنت أشعلت حريقاً واستخدمت إشارات الدخان لنقل الرسالة ! إذا عرف سلوان فلن يسمح لى برؤيتها مرة أخرى " .

طمأنه إيراجون قائلاً : " سيكون هورست حريصاً فى نقل الرسالة ولن يدع أحداً يقع فى قبضة سلوان ، وخاصة أنت " . لم يبد أن روران قد اقتنع بكلامه هذا ، لكنه كف عن الحديث . ثم عادا لتناول الطعام ، فى ظل الحضور الصامت لـ " جارو " . مع انتهاء آخر اللقيمات ذهب ثلاثتهم للعمل فى الحقول .

كانت الشمس باردة وشاحبة ، مما وفر لهم بعض الراحة ، وتحت عيون الشمس الحانية تم تخزين الشعير فى المخزن . وبعد ذلك قاموا بجنى ثمار القرع الشائكة ذات العروق ، ثم محصول البنجر والبازلاء واللفت والفول ، وجمعوها فى أجولة فى القبو . بعد ساعات من العمل المضنى الشاق ، مددوا عضلاتهم المنهكة وشعروا بالرضا لانتهائهم من جمع المحصول .

ثم قضوا الأيام التالية فى تخليل الطعام وتمليحه ونزع القشور والبذور وإعداد الطعام للشتاء .

بعد تسعة أيام من عودة إيراجون من رحلة الصيد ، هبت عاصفة ثلجية شديدة من الجبال واستقرت على الوادى وهطلت الثلوج بغزارة وغطت الريف بطبقة بيضاء سميكة ، لم يجرؤ أحدهم على مغادرة المنزل إلا لجمع الحطب أو لإطعام الحيوانات ؛ لأنهم كانوا يخافون أن يضلوا الطريق فى الرياح العاتية والأراضى الوعرة بفعل الثلوج ، وقد كانوا

يقضون وقتهم في الالتفاف حول الموقد بينما تهب الرياح العاتية وتهز النوافذ القوية . مرت العاصفة الثلجية بسلام بعد بضعة أيام ، وكانت المنطقة تبدو غريبة حيث كانت عبارة عن مساحات واسعة من الثلوج .

قال جارو : " أخشى ألا يأتي التجار الرحالة هذا العام مع سوء الأحوال الجوية ، لقد تأخروا عن موعدهم حقاً . فسننتظر ونعطيهم فرصة قبل أن نذهب إلى كارفاهول ولكن إذا لم يظهروا سريعاً ، سنضطر لشراء أي مؤن احتياطية تزيد على حاجة سكان المدينة . " وكان يبدو على وجهه الاستسلام .

ساورهم القلق أكثر بمرور الأيام وعدم ظهور التجار . وقد قل الكلام بينهم ، وخيمت الكآبة على المنزل .

في صباح اليوم الثامن بعد العاصفة ، سار روران نحو الطريق وأكد عدم وجود التجار بعد في المدينة . قضوا ذلك اليوم في الاستعداد للرحلة إلى كارفاهول ، والبحث بدقة عن أي شيء لديهم يمكن بيعه ، وكانت وجوههم تعلوها الكآبة الشديدة . في هذه الليلة استبد اليأس بإيراجون فذهب لفحص الطريق مرة أخرى . وجد إيراجون آثار عجلات على الثلج وآثار حوافر الخيول بين آثار العجلات ، شعر بالفرحة الغامرة فعاد للمنزل عدواً وقفزاً وأنبأهما بالخبر السعيد مما أضفى الحياة على استعداداتهم مرة أخرى .

نقلوا فائض محصولهم في العربة التي تجرها الخيول قبل شروق الشمس . وضع جارو النقود التي ربحها طوال العام في حقيبة جلدية صغيرة ثم ربطها بحرص على

حزامه . ووضع إيراجون الحجر الزرق فى حقيبة صغيرة وسط أجولة الحبوب كى لا يتدحرج عندما تتعرض العربة للمطبات على طول الطريق .

بعد تناول الإفطار السريع ، ربطوا الخيل بالعربة وجرفوا الثلج من الإسطبل إلى الطريق ، وقد كانت عربات التجار قد أزاحت الثلوج من الطريق بالفعل ؛ مما سيجعلهم يصلون سريعاً إلى كارفاهول قبل الظهيرة .

فى ضوء النهار ، كانت القرية الصغيرة التى تعج بالنشاط ممتلئة بالصياح والضحكات وأقام التجار معسكرا للمبيت فى حقل فارغ فى ضواحى المدينة . وانتشرت بشكل عشوائى مجموعات من العربات والخيام ونيران المعسكرات وكأنها بقع من الألوان تنتشر فى لوحة من الجليد . كانت الخيام الخاصة بالشعراء المتجولين والمغنين مزركشة بألوان كثيرة ، وكان هناك تيار متدفق من الناس يربط المعسكر بالقرية .

تجمع الناس حول صف من الخيام الزاهية الألوان والأكشاك التى تسد الطريق الرئيسى ، صهلت الخيل فى الضجيج ، وكان قد تم دك الثلوج وتسويتها بالأرض وأصبح سطحها أملس كالزجاج ، وفى مناطق أخرى أذابت نيران المعسكر الثلج تمامًا . كما أن كسرات الخبز المحمصة أضافت رائحة مميزة للروائح التى تنتشر حولهم فى الهواء .

أوقف جارو العربة وربط الخيل ، ثم أخرج النقود والعملات من الحقيبة الجلدية الصغيرة وقال : " اشتريا حلوى لكما . افعل ما يحلو لك يا روران لكن عليك أن تذهب إلى منزل هورست وقت العشاء . وأنت يا إيراجون ، أحضر

الحجر الأزرق وتعال معي " . ابتسم إيراجون إلى روران ووضع المال في جيبه وهو يخطط للأشياء التي سينفقه فيها .

رحل روران في الحال وعلى وجهه تعبير يدل على الإصرار . قاد جارو إيراجون عبر الزحام وهو يبعد الناس بكتفه ليخلي الطريق لهما . كانت النساء يشترين القماش وأزواجهن على مقربة منهن يفحصون الأقفال والخطاطيف والأدوات الجديدة .

أما الأطفال فكانوا يجرون عبر الطريق وهم يصيحون من فرط الإثارة . كانت من ضمن المعروضات : السكاكين والتوابل والأوعية الخاصة بالطهي ، وكانت معروضة في صفوف لامعة بجوار ألجمة الخيل الجلدية .

حدق إيراجون إلى التجار بفضول ، كانوا يبدون أقل ثراءً مقارنة بالعام الماضي وتبدو على أطفالهم نظرة هائمة وخائفة ، وكانت ملابسهم مرقعة . كان الرجال ذوو الوجوه الشاحبة يحملون السيوف وكأنهم معتادون عليها على الرغم من أنهم لم يكونوا كذلك ، وحتى النساء كن يحملن الخناجر حول خصورهن .

تساءل إيراجون : *" ما الذي سبب هذا التحول بهم ؟ ولماذا تأخروا عن موعدهم ؟ "* تذكر كيف كان هؤلاء التجار في قمة البهجة والسعادة والمرح سابقاً لكن الآن اختفى كل المرح . اندفع جارو في الطريق المزدحم بحثاً عن ميرلوك التاجر المتخصص في شراء وبيع المجوهرات والحلي الغريبة .

وجداه خلف كشك يعرض بعض الدبابيس القيمة المزينة بالجواهر على بعض النسوة ، مع كل قطعة يعرضها ، كانت

النساء يصحن إعجاباً بها . خمن إيراجون أنهن سوف ينفقن كل ما لديهن من مال فى حوزتهن ثمناً لتلك القطع من المجوهرات . وكان يبدو أن تجارة ميرلوك رائجة وتنمو وتزدهر فى كل مرة يبيع فيها بضائعه للآخرين . كانت لديه لحية خفيفة ويتعامل بهدوء وببساطة ، وكان يبدو أنه يتعامل مع باقى العالم باحتقار .

حالت مجموعة النسوة المعجبات بالحلى دون وصول جارو وإيراجون للتاجر ، فوقفا لبرهة منتظرين ، وبمجرد أن فرغ ميرلوك من التعامل مع الزبائن أسرعا لمقابلته .

قال ميرلوك : " ماذا تريدان يا سادة ؟ حلية تليق بسيدة محترمة ؟ " وبحركة سريعة كشف عن وردة رقيقة منحوتة من الفضة بحرفية عالية . كان المعدن المصقول قد جذب انتباه إيراجون ونظر إليه بإعجاب . واصل التاجر حديثه قائلاً : " سعرها ثلاث كرونات فقط ، على الرغم من جلب هذه القطعة من صائغ شهير في مدينة بيلاتونا " .

تحدث جارو بصوت هادئ قائلا : " نحن هنا للبيع لا للشراء " ، وعلى الفور غطى ميرلوك الوردة فى الحال ونظر إليهما باهتمام أكبر .

" فهمت ، لكن إذا كان ما تريدون بيعه ذا قيمة ، يمكنكم مبادلته بإحدى تلك القطع الجميلة " . ثم صمت لبرهة بينما وقف إيراجون وعمه وقد بدت عليهما علامات عدم الارتياح ، ثم واصل كلامه قائلاً : " هل أحضرتما ما تريدان بيعه ؟ "

قال جارو بحزم : " نعم ، لكننا نريد أن نريك إياه فى مكان آخر " .

رفع ميرلوك أحد حاجبيه ولكنه قال بلطف : " فى تلك الحالة ، اسمحا لى بأن أدعوكما للدخول فى خيمتى " . ثم جمع بضاعته ووضعها برفق فى صندوق مغطى بالحديد له قفل . ثم أشار لهما نحو خيمته الموجودة فى آخر الطريق المؤدى إلى المعسكر المؤقت . مروا فى خط متعرج بين العربات إلى أن وصلوا إلى خيمة بعيدة عن باقى خيم التجار . كانت الخيمة ذات لون أحمر قان فى أعلاها وأسفلها لون بنى يميل إلى الصفرة ، مع مثلثات رَفيعة من الألوان المتداخلة . وفتح ميرلوك باب الخيمة وأزاحه جانبًا .

كانت الخيمة مملوءة بالحلى الصغيرة وقطع الأثاث الغريبة ، مثل الفراش المستدير ، وثلاثة مقاعد منحوتة من جذوع الأشجار . وكان هناك خنجر معقوف ومرصع بياقوتة حمراء على مقبضه وموضوع على وسادة بيضاء .

بعد أن دخلوا أغلق ميرلوك باب الخيمة ، واتجه نحوهما قائلاً : " تفضلا بالجلوس " . وعندما جلسا، قال لهما : " أظهرا لى ما تريدان بيعه وأصررتما على أن أراه بعيداً عن الناس " . أخرج إيراجون الحجر من الحقيبة ووضعه بين الرجلين . حاول ميرلوك لمسه ولمعت عيناه وكان على وشك الإمساك به لكنه توقف وقال : " هلا سمحتما لى ؟ " ، فأومأ له جارو موافقا فحمله ميرلوك .

وضع ميرلوك الحجر على حجره وتناول صندوقاً صغيراً وفتحة وأخرج منه ميزانا من النحاس كبير الحجم ، ووضعه على الأرض . بعد أن وزن الحجر ، فحص سطحه بدقة تحت النظارة المكبرة الخاصة بفحص المجوهرات وطرقه بخفة بشاكوش صغير خشبى ورسم شكل الحجر ،

وقام بقياس طوله وقطره ثم سجل القياسات على لوح من الأردواز وأخذ يتأمل النتائج لفترة ثم قال أخيراً : " هل تعرفان قيمته ؟ " .

قال جارو : " كلا " ، وتحركت وجنتاه لا إرادياً وتحرك في مقعده في عدم ارتياح .

عبس ميرلوك وقال : " للأسف ، أنا أيضاً لا أعرف ، لكن هذا ما توصلت إليه : العروق البيضاء مكونة من نفس السطح الأزرق حولها ، والاختلاف في اللون فقط ، لم أتمكن من معرفة هذه المادة ، وهي أكثر صلابة من صخور رأيتها ، حتى الماس . إن من شكل ونحت هذا الشكل من المؤكد أنه استخدم أدوات لم أسمع عنها من قبل ـ أو ربما بالسحر ، كما أنه حجر أجوف " .

صاح جارو : " ماذا ؟ " .

قال ميرلوك بحدة : " هل سمعت من قبل صخراً مصمتاً يصدر هذا الصوت ؟ " ، ثم أخرج الخنجر من وسادته وطرق الحجر بالجانب المسطح من النصل ، جاء صوت الطرق واضحاً وملأ الهواء ثم تلاشى ، ساور القلق إيراجون وخاف من أن يتعرضا لحجر للتدمير . أشاح ميرلوك بالحجر أمامهما وقال : " لن تجدا أى خدوش أو بقع مكان طرق الخنجر ، أشك في أن أى شيء بمقدوره ترك أى أثر فى الحجر ، حتى دق الشاكوش " .

قام جارو بعقد ساعديه وبدا التحفظ على وجهه ، وخيم الصمت لبرهة . كان إيراجون فى حيرة وقال لنفسه : *" أعرف أن الحجر ظهر فى سباين عن طريق*

السحر ، لكن هل صُنع بالسحر ؟ لماذا ولأى غرض ؟ " ثم صاح قائلاً : " لكن ما قيمة هذا الحجر ؟ " .

قال ميرلوك بصوت حزين : " لا أعرف ، لكننى متأكد من أن هناك من سيدفعون الكثير من المال مقابل الحصول عليه ، لكنهم ليسوا هنا فى كارفاهول . ستجدون مشتريًا للحجر فى المدن الجنوبية . هذا شىء يثير فضول معظم الناس - فلا يستطيع الناس شراء أى سلعة إذا كانوا بحاجة للأشياء الضرورية " .

حدق جارو فى سقف الخيمة كالمقامر الذى يحسب كل الاحتمالات ثم قال : " هل ستشتريه ؟ " .

أجاب التاجر على الفور : " الأمر لا يستحق المجازفة ، قد أجد مشتريًا ثرياً أثناء رحلاتى فى الربيع ، لكننى لست متأكداً من هذا . وحتى إن حدث ذلك ؛ فلن أدفع لكما إلا عند عودتى فى العام القادم . كلا ، عليكما أن تحاولا العثور على مشترٍ آخر . لكن يتملكنى فضول .... أريد أن أعرف لماذا أصررتما على التحدث معى على انفراد ؟ " .

أخذ إيراجون الحجر وأخفاه ونظر إلى الرجل قبل أن يجيب وهو متخوف من أن يصيح الرجل فى وجهه كما فعل سلوان : " لأننى وجدت الحجر فى منطقة سباين والناس هنا لا يحبون تلك المنطقة ويتشاءمون منها " .

نظر ميرلوك فى دهشة وفزع وقال : " هل تعلم لماذا تأخرت أنا والتجار عن موعد حضورنا هذا العام ؟ " .

هز إيراجون رأسه بالنفى .

" لقد أصاب رحلتنا سوء الحظ ، حيث سادت الفوضى حولنا ، لم نتمكن من تجنب المرض والهجمات والحظ الأسود اللعين . ولأن هجمات وحوش الأورجال قد زادت فإن جالباتوريكس أجبر المدن على إرسال المزيد من الجنود للحدود ، فنحن بحاجة للرجال لمحاربة وحوش الأورجال الذين هاجروا إلى الجهة الجنوبية الشرقية إلى صحراء هاداراك ، ولا أحد يعرف سبب ذلك ولا نهتم لمعرفته ، فيما عدا أنهم يمرون بمناطق مأهولة بالسكان . لقد تم رصدهم على الطرق وبجوار المدن . وأسوأ قصة من كل هذا هى التى ذكرت عن ذلك الكائن هلامى الظل ، على الرغم من عدم وجود ما يؤكد هذه القصص والأقاويل إلا أنه لا يوجد من يبقى على قيد الحياة بعد مواجهة وحوش الأورجال " .

صاح إيراجون : " لماذا لم نسمع عن كل ذلك ؟ " .

قال ميرلوك بكآبة : " لأن كل ذلك بدأ منذ بضعة أشهر وقد أجبر السكان على إخلاء بضع قرى بأكملها لأن الأورجال دمروا حقولهم وواجه الناس خطر المجاعات " .

صاح جارو متذمراً : " هراء ، نحن لم نر أيًّا من وحوش الأورجال ، والوحش الوحيد المتبقى منهم ، تُعْرَض قرونه معلقة على باب حانة مورون " .

رفع ميرلوك أحد حاجبيه وقال : " ربما يكون الأمر كذلك ، لكنها قرية صغيرة تقع وسط الجبال ، لا عجب أنكم لم تعرفوا بالأمر . لكنى لا أتوقع أن يدوم ذلك . لقد ذكرت لكم ذلك ؛ لأن هناك أشياء غريبة تحدث هنا ، والدليل على ذلك هو عثوركم على الحجر فى منطقة

سباين " . بتلك العبارة فتح أذهانهم على الحقيقة وودعهم بابتسامة خفيفة وانحناءة .

توجه جارو عائداً إلى كارفاهول وتبعه إيراجون وسأل قائلاً : " ما رأيك ؟ " .

" سأحاول معرفة المزيد من المعلومات قبل أن أقرر رأيي . أعد الحجر للعربة وافعل ما يحلو لك ، سوف أقابلك في موعد العشاء في منزل هورست " .

شق إيراجون طريقه وسط الزحام وعاد مسرعاً وهو سعيد إلى العربة . فعمليات المقايضة والبيع والشراء سوف تشغل عمه لساعات ، ولقد خطط جيدا لقضاء وقت ممتع . أخفى الحجر تحت الأجولة والحقائب ، ثم انطلق في اتجاه المدينة وفي ذهنه خطة سريعة مرحة .

تنقل من كشك لآخر وهو يقيم البضائع بعيني تاجرٍ خبير ؛ على الرغم من أن ما معه من عملات كان قليلا جدا . وعندما كان يتحدث مع التجار ، أكدوا له ما ذكره ميرلوك عن عدم استقرار الأحوال في آلاجزيا . تكررت نفس القصة مراراً وتكرارا : هجرنا الأمان الذى ساد العام الماضي . وظهرت أخطار جديدة ، ولا شيء آمن على الإطلاق .

بعد ذلك في نفس اليوم اشترى إيراجون ثلاثة ألواح من حلوى المولت (الشعير) وفطيرة ساخنة بالكريز . كان مذاق الطعام الساخن رائعا بعد ساعات من الوقوف في الجليد . لعق أصابعه بعد تناوله الطعام وهو يرغب في المزيد وكان يشعر بالضيق لأن الفطيرة انتهت ، ثم جلس على حافة خشبية وتناول الحلوى . كان هناك ولدان من كارفاهول

يتصارعان بالقرب منه لكنه لم يرغب فى الانضمام إليهما في مباراة المصارعة .

وعندما حلت فترة ما بعد الظهيرة ، لملم التجار أغراضهم وانتقلوا لمنازل الناس لمواصلة البيع . لم يطق إيراجون صبرًا على حلول المساء ؛ لأنه كان يتوق لمقابلة الشعراء والمغنين الجوالة الذين يسردون القصص ويؤدون العروض والحيل . كان يحب سماع القصص عن السحر والآلهة ، وإذا كان حظه رائعاً ، لوجود أحدهم ممن يسردون القصص عن راكبي التنين ، كان في مدينة كارفاهول راوى قصص خاص بها يدعى بروم - وهو أحد أصدقاء إيراجون - ولكن قصصه صارت قديمة مع مرور السنوات ، بينما قصص الشعراء الجوالة كانت دائما جديدة وكان ينصت إليها بحماس شديد .

كان إيراجون قد انتهى من كسر كتلة ثلجية كانت قد تجمعت تحت اللوح الخشبى عندما أبصر سلوان بالقرب منه ، لكنه لم ير إيراجون ، لذلك خفض إيراجون رأسه وأسرع بالتخفى في ركن ناحية حانة مورن .

كان جو الحانة من الداخل حاراً بالدخان ذى الرائحة الكريهة من الشموع السائلة المصنوعة من دهون الحيوانات . كانت هناك قرون الأورجال اللامعة المقوسة السوداء وكان طولها يمتد كذراعين ممدودتين ، وكانت معلقة علي باب الحانة ، وكان ركن تناول المشروبات طويلاً ومنخفضا ، وبه كومة من الألواح الخشبية فى أحد الجوانب لكى ينحتها الزبائن لأشكال بديعة . كان مورن هو ساقى ركن المشروبات ، وكان قميصه مرفوع الكمين حتى الكوع . كان

الجزء الأسفل من وجهه قصيراً ومشوهاً وكأن ذقنه قد تم طحنها فى عجلة طحن الحبوب . كان الناس فى الحانة يجتمعون حول الموائد الصلبة من خشب البلوط ويستمعون لتاجرين أنهيا بيع بضائعهما مبكراً وجاءا لاحتساء الجعة .

نظر مورن بينما كان ينظف أحد الأكوب وقال :

" إيراجون ! تسرنى رؤيتك ، أين خالك ؟ " .

قال إيراجون وهو يهز كتفيه دون اكتراث : " يشترى البضائع ، وسيستغرق وقتاً طويلاً " .

قال مورن وهو يمسح كوباً آخر بقطعة قماش : "وأين روران ، هل هو هنا ؟ " .

" نعم ، لن تعوقه رعاية الحيوانات المريضة عن المجىء مثل العام الماضى " .

" رائع ، رائع " .

أشار إيراجون إلى التاجرين وقال : " من هذان التاجران ؟ " .

" تاجرا حبوب اشتريا حبوب الجميع بأسعار زهيدة جداً والآن يقصان قصصاً مثيرة ويتوقعان منا تصديقها " .

فهم إيراجون سبب حزن مورن فالناس يحتاجون لهذا المال ، ولن نتمكن من الاستغناء عنه . وقال : " ما نوع هذه القصص ؟ " .

قال مورن باستياء : " يقولون إن الفاردن تحالفوا مع الأورجال ويعدون جيشاً لمهاجمتنا . ومن المفترض أنه بفضل ملكنا نحن ، كنا تحت الحماية لفترة طويلة ـ وكأن الملك جالباتوريكس سيهتم لو دمرت المدينة كلها بالنيران ...

استمع لقصص هؤلاء التجار ، فيداى مشغولتان وليس لدىّ وقت لشرح أكاذيبهم " .

كان التاجر الأول يملأ كرسيه بحجمه الضخم وكل حركة من جسده تجعل الكرسى يهتز ويئن بصوت عال . لم يكن هناك أى شعر فى وجهه ، ويده الضخمة الممتلئة كانت ناعمة كراحة الطفل الصغير وشفتاه الممتلئتان بارزتان إلى الأمام وكانت تلتوى بشدة بينما يرتشف المشروب من الكوب الكبير . أما التاجر الثانى ، فكان ذا وجه أحمر مورد والجلد حول فكه جاف ، ممتلئ ومكتنز بالدهون وكأنها زبد بارد وفاسد . وعلى العكس تماماً من رقبته الغليظة وفمه ، كان باقى جسده نحيفاً جداً بشكل غير طبيعى .

حاول التاجر الأول بدون جدوى أن ينكمش فى مقعده لكى يتمكن من الجلوس ثم قال : " كلا ، كلا ، أنتم لا تفهمون شيئاً . فقط من خلال جهود الملك المضنية التى لا تتوقف ، بالنيابة عنكم ، تتمكنون الآن من الحديث معنا بأمان . إذا رفع عنكم هذا الملك بكل حكمته هذا الدعم ، فستحل بكم اللعنة ! " .

صاح أحدهم : " حسنا ، لماذا لا تخبرنا أيضا أن راكبى التنين عادوا وأنكم قتلتم مائة من مخلوقات الإلف . هل تظنوننا أطفالا لكى نصدق حكاياتكم الخرافية ؟ يمكننا أن نحمى أنفسنا " ، ضحك الجميع على هذه العبارة الأخيرة .

همَّ التاجر الضخم بالرد ، لكن زميله النحيف تدخل ولوح بيده ، ولمعت جواهر ملونة وثمينة من على الخواتم فى أصابع يده وقال : " لقد فهمتم الموقف خطأ ، نحن على علم بأن المملكة لا يمكنها حماية كل فرد بشكل خاص كما

تريدون ، لكنها تتمكن من منع وحوش الأورجال وغيرها من المخلوقات البشعة من السيطرة على هذا ... " ، ظل يبحث عن الكلمة المناسبة ثم قال : " ... المكان " .

أكمل حواره وقال : " أنتم غالبا غاضبون من المملكة لأنها تعامل الناس بالظلم ، وهذا حق شرعى لكم لتتقلقوا بشأنه ، لكن لا يمكن أن ترضى الحكومة الجميع . لا مفر فى أنه سيكون دائمًا هناك منازعات ومشاحنات . ولكن معظمنا لا يشكو من شىء محدد . كل بلدة بها مجموعة صغيرة من الساخطين الذين لا يروق لهم توازن القوى " .

صاحت امرأة : " نعم ، إذا كنت تطلق على الفاردن مجموعة صغيرة ! " .

تنهد التاجر البدين وقال : " لقد شرحنا بالفعل أن الفاردن لا يهتمون بمساعدتكم ، تلك مجرد أكذوبة يروجها ويحافظ عليها الخونة فى محاولة لزعزعة أمن المملكة ولكى يقنعونا بأن التهديد الحقيقى داخل - وليس خارج - كل ما يريدونه هو الإطاحة بالملك وامتلاك أراضينا . لديهم جواسيس فى كل مكان وهم يتأهبون للغزو ولا يعلم المرء من يعمل لحسابهم " .

لم يتفق ايراجون معهم فى الرأى ، لكن كلمات التجار كان لها وقع مؤثر على الناس وأومأ لهم الحاضرون . تقدم إيراجون وقال : " كيف علمتما بذلك ؟ باستطاعتى أن أقول إن السحب خضراء ، لكن هذا لا يعنى أن هذا صحيح . أثبتا لنا أنكما لا تكذبان " . حدق إليه الرجلان فى غضب بينما انتظر أهل القرية فى صمت لإجابة الرجلين .

تحدث التاجر النحيل أولا وهو يتجنب النظر لعينى إيراجون : " ألا تعلمون أولادكم احترام الكبار ؟ أم أنكم تدعون الصبية يتحدون الرجال كلما أرادوا ذلك ؟ " .

تحرك المستمعون وتهامسوا فيما بينهم ثم حدقوا إلى إيراجون .

ثم قال أحد الرجال : " أجيبا عن هذا السؤال " .

قال التاجر البدين : " هذا شىء واضح يقبله العقل " ، ثم انحدرت قطرات العرق عبر شفته العليا . لكن هذا الرد أغضب أهل القرية واحتدمت المناقشة أكثر .

عاد إيراجون لركن المشروبات وشعر بالمرارة فى حلقه . لم يقابل من قبل من كان يفضل المملكة ويذكر أعداءها بالسوء ، كانت هناك كراهية متاصلة للمملكة فى كارفاهول ، وكأنها كراهية بالوراثة . لم تساعدهم المملكة أبدا أثناء السنوات العجاف القاسية فى المجاعة ، وكان جامعو الضرائب لا يرحمون . وقد شعر إيراجون أن لديه الحق فى الاختلاف مع التجار بشأن رحمة وعطف الملك ، لكنه وافقهم الرأى فى مسألة الفاردن .

كانت الفاردن عبارة عن مجموعة متمردة تغير على المملكة وتهاجمها طوال الوقت . كان أهم لغز هو هوية قائد الفاردن ومن شكل هذه المجموعة فى السنوات التالية بعد صعود جالباتوريكس للسلطة منذ قرن من الزمان . حصلت هذه المجموعة المتمردة على تعاطف الناس كثيرا ؛ لأنهم نجحوا فى الإفلات من جالباتوريكس ومحاولاته المضنية لتدميرهم . ولا يُعرف عن الفاردن سوى القليل ، وأنهم يقبلون من ينضم إليهم إذا كان هاربًا وعليه الاختباء أو كان

يكـره الملكـة ، والمشـكلة الوحيـدة كانـت فـى الوصـول لطريقهم .

مال مورن عبر المنضدة وقال لـ " إيراجون " : " شـىء لا يصدق ، أليس كذلك ؟ إنهم أسوأ من الطيور الجارحـة التـى تحوم حول حيوان يحتضر . ستحدث مشاكل إذا بقيـا أكثـر من ذلك " .

" مشاكل لهما أم لنا ؟ " .

" لهما بالطبع " . ثـم تصـاعدت الأصـوات الغاضبة فـى الحانة . غادر إيراجون الحانة عندما احتـدم الصـراع وصـار عنيفـاً ، أغلـق البـاب دونـه فلـم يـتمكن مـن سمـاع أصـوات الصياح . كان الوقت فى أول الليل وغربت الشمس سـريعًا ، والبيـوت ألقـت بظـلال طويلـة علـى الأرض . بينمـا اتجـه إيراجون نحو الطريق ، لاحظ أن روران وكاترينا كانا واقفين فى شارع صغير .

قـال روران شـيئاً لم يصـل لمسـامع إيراجـون ، ونظـرت كاترينا إلى يديها وأجابته بشىء ، ثم جرى إيراجـون نحـو روران وقال مازحاً : " هل قضيت معها وقتاً طيباً ؟ " . صاح روران بصوت يعبر عن عدم رغبته فى الإفصاح لإيراجون عن لقائه مع كاترينا وسار مسرعا .

بـادره إيراجـون بسـؤال آخـر : " هـل سمعـت أخبـار التجار " . كان معظم سكان القرية قـد دخلـوا إلى الخيـام أو عادوا لديارهم ، وهم يتحدثون للتجـار أو ينتظـرون حلـول الظلام لكى يشاهدوا أداء الشعراء المتجولين .

قال روران وكان يبدو شارد الذهن : " نعـم ، مـا رأيـك فى سلوان ؟ "

" لقد اعتقدت أن رأيي واضح " .

" سيكون هناك دم بينه وبيني عندما يكتشف ما حدث بيني وبين كاترينا " . هبطت قطع الجليد واستقرت على أنف إيراجون ، فنظر لأعلى فوجد السماء رمادية وملبدة بالغيوم . لم يتمكن من التفكير في شيء مناسب يقوله ، لكن كان روران على حق ، فضغط على كتف ابن خاله وواصلا المسير على الطريق الصغير .

كان العشاء عند هورست كالمأدبة الفاخرة ، وقد امتلأت الحجرة بالحوارات والضحكات وتم احتساء كميات كبيرة من المشروبات المحلاة ؛ مما زاد من مرح الجو العام . عندما فرغت الأطباق من الطعام ، غادر ضيوف هورست منزله وساروا نحو الحقل الذى يعسكر فيه التجار . تم رشق دائرة من العمدان مع وضع شمعة على كل عمود على الأرض الخالية لإنارة المعسكر . أضاءت نيران المعسكر الكبرى فى الخلفية مما جعل الأرض تمتلئ بالظلال الراقصة . وتجمع أهل القرية ببطء حول الدائرة وانتظروا فى البرد توقعًا لحضور المنشدين .

جاء المنشدون مسرعين من خيامهم وهم يرتدون ملابسٍ مبهرجةٍ ويتبعهم الشعراء والمنشدون الأكبر سناً ومقاماً واحتراماً ؛ حيث يعزفون الموسيقى ويروونٍ الحكايات بينما الرجال الأصغر سنا يمثلون الأحداث تمثيلا صامتاً . كانت المسرحيات الأولى للمتعة فقط : فقد كانت صاخبة ماجنة ومليئة بالنكات الخليعة والمقالب والشخصيات الهزلية ، لكن بعد ذلك عندما خفت ضوء الشموع وانضم الجميع إلى دائرة أضيق حول الرواة ، جاء الراوى العجوز بروم كانت

لديه ذقن طويلة بيضاء تمتد حتى صدره ، وكان يرتدى عباءة سوداء طويلة معقودة عند أكتافه المنحنية وتخفى جسده بالكامل . مد ذراعيه ويديه التى تبدو كالمخالب وبدأ إنشاده للرواية هكذا :

" لا يمكن إيقاف رمال الزمن ، تمر السنون سواء شئنا أم أبينا ... لكننا نتذكر الماضى . ما قد ضاع سيعيش فى الذاكرة . وما ستسمعونه ليس كاملاً وتنقصه أجزاء ، ولكن احفظوه جيداً لأنه بدونكم لن يوجد ، سأذكركم بذكرى منسية ومخفية فى متاهة حالمة تختبئ فى أعماقنا " .

فحصت عيناه الثاقبتان وجوه الحاضرين التى بدا عليها الاهتمام . واستقرت نظراته أخيرًا على إيراجون لفترة أطول .

قبل ميلاد أجداد أجدادكم ، تشكلت فرقة راكبى التنين وكانت مهمتهم الحماية والحراسة ونجحوا فى تلك المهمة لآلاف السنوات . كانت مهاراتهم الفائقة فى القتال لا يضاهيها أحد ، وكان لكل منهم قوة عشرة رجال ، وكانوا يعيشون للأبد إلا إذا قتلوا بالسيف أو بالسم . كانت قواهم تستخدم للخير فقط ، وتحت إشرافهم تم بناء مدن وأبراج من الحجارة ، وأثناء إحلالهم للسلام ازدهرت الأرض والحياة وكان هذا هو العصر الذهبى ، كانت مخلوقات الإلف هم حلفاءنا والأقزام أصدقاءنا وتدفقت الثروات لمدننا وازدهرت حياة الناس ، لكن للأسف ... لم يستمر الحال هكذا " .

أطرق بروم برأسه لأسفل فى صمت واتضح الحزن الدفين فى صوته .

أضاف قائلاً : على الرغم من عدم وجود عدو يتمكن من تدميرهم ، فإنهم لم يحترسوا من بعضهم البعض . ففى عز مجدهم وقوتهم ، وُلِدَ فتى يدعى جالباتوريكس فى منطقة أينزلبيث . التى لم يعد لها وجود الآن . عندما وصل لسنٍ العاشرة تم اختبار قوته كما جرت العادة ووجدوه قوياً جدًا ، فقبله راكبو التنين كواحد منهم .

اجتاز تدريباتهم وتفوق على الآخرين في كل المهارات ، وكان لديه عقل حاد الذكاء وجسد قوى مما جعله يحتل مكانة جليلة بين راكبى التنين . رأى البعض أن صعوده المفاجئ شيء خطير وحذروا الآخرين ، لكن راكبى التنين صاروا مغرورين بقوتهم وتجاهلوا التحذير . للأسف ، حل الحزن بدءا من ذلك اليوم .

سرعان ما انتهت فترة تدريبه وخرج جالباتوريكس فى رحلة خطرة مع صديقين . ساروا نحو الشمال البعيد ليلا ونهارا ومروا بأرض الأورجال وبحماقتهم ظنوا أن قوتهم الجديدة ستحميهم . وفى وسط بقعة مغطاة بالجليد الذى لا يذوب حتى في الصيف ، وقعوا فى كمين أثناء نومهم . على الرغم من ذبح صديقيه وكانت التنين الخاصة بهم وبالرغم من إصابة جالباتوريكس إصابات بالغة ، إلا أنه ذبح مهاجميه . ولكن ما يدعو للأسى هو أنه أثناء القتال انطلق سهم شارد واخترق قلب تنينه الذى لم يعرف فنون الشفاء ولذلك مات بين ذراعيه وحينها بدأت بذور الجنون تنمو بداخله " .

عقد الراوى يديه ونظر حوله ببطء وتراقصت الظلال عبر وجهه العجوز . وجاءت كلماته التالية كجرس تأبين للموتى :

" وحيدا ، وبعد أن فقد كثيراً من قوته وكان شبه مجنون بسبب خسارته البالغة ، هام جالباتوريكس على وجهه بلا أمل فى الأرض المقفرة البائسة وهو يسعى للموت ولم يأته الموت على الرغم من أنه كان يلقى بنفسه بلا خوف على أى كائن حى مفترس . هربت مخلوقات الأورجال والوحوش الأخرى من شكله المفزع وكأنه مسكون بالأشباح . أدرك حينها أن راكبي التنين لن يمنحوه تنينًا آخر وقاده هذا التفكير إلى رحلة شاقة محفوفة بالمخاطر سيرا على الأقدام للعودة إلى سباين والمنطقة التى عبرها سابقاً على ظهر التنين محلقاً فى الهواء بلا جهد استغرقت منه شهورا لعبورها . كان يمكنه صيد طعامه بالسحر لكن لم يكن يسير فى أرض بها حيوانات ، ثم غادر منطقة الجبال وكان على وشك الهلاك ، وجده فلاح ملقى على الطين فاستدعى راكبى التنين .

كان فاقداً للوعى . وحمله الناس لمنازلهم وعالجوا بدنه وظل نائما لمدة أربعة أيام . وعندما استيقظ حاول ألا يظهر آثار عقله المحموم . وعندما تم مثوله أمام مجلس اجتمع لإصدار حكم عليه ، طالبهم بالحصول على تنين آخر .

كان طلبه يوحى بيأسه وهذا جعل جنونه يتضح جليًا لهم وشاهده المجلس على حقيقته . عندما رفضوا طلبه ، ولقد اعتقد من خلال جنونه أن راكبى التنين هم المسئولون

عن مقتل تنينه . ليلة بعد أخرى ظل يفكر فى هذا لدرجة أنه خطط للانتقام منهم " .

اخفض بروم صوته حتى أصبح همساً جعل المستمعين وكأن على رؤوسهم الطير .

" وجد أحد راكبى التنين المتعاطفين معه وسيطر عليه بالسحر والجدال المستمر والكلمات الخفية التى تعلمها من أحد الظلال ، وبالتالى تمكن من أن يجعله ضد كبار راكبى التنين ، ومعا ، غدرا بأحد هؤلاء الكبار بخداعه وقتله ، وعندما ارتكب هذه الجريمة الشنعاء قتل جالباتوريكس حليفه بدون إنذار ، وعندما وجده راكبو التنين والدماء تقطر من يديه صاح فيهم وانطلق هاربًا فى جنح الظلام ، وكان داهية حتى فى جنونه ولم يتمكنوا من العثور عليه .

ظل هائمًا فى البرية والأرض الخربة مثل الحيوان المطارد وهو يتوخى الحذر دائما من مطارديه . لم ينس أى أحد فعلته الشنعاء ، لكنهم توقفوا عن البحث عنه . ولسوء الحظ قابل راكب تنين من الفتيان يسمى مورزان - كان قوى الجسم ولكن عقله ضعيف ، فأقنعه جالباتوريكس بترك بوابة مفتوحة فى قلعة إيليرا التي تسمى الآنٍ أوروبين حيث دخل جالباتوريكس من البوابة وسرق تنينا وليدًا .

واختفى مع تابعه الجديد فى مكان مهجور لم يجرؤ راكبو التنين على ملاحقته . وهكذا دخل مورزان تحت إمرة جالباتوريكس الذى علمه كل أسرار السحر المحظور التى لم يكن من المفترض إفشاؤها . وعندما انتهى من تلقينه كل شىء وكبر تنين جالباتوريكس الذى أسماه شرويكان ، أظهر

جالباتوريكس نفسه لكل الناس ومورزان بجواره ، وقاتلا معاً كل راكب تنين يصادف طريقهما ، ومع كل جريمة قتل كانت تشتد شوكتهما . انضم لجالباتوريكس اثنا عشر راكب تنين حباً فى القوة وطمعاً فى الانتقام من إساءات لحقت بهم فى الماضى . أصبح هؤلاء الاثنا عشر مع موزران فريق الثلاثة عشر المتحدين . لم يكن باقى راكبى التنين مستعدين فذبحوا جميعا تحت هجماتهم ، وحاربت مخلوقات الإلف ببسالة وضراوة ضد جالباتوريكس لكنه فى النهاية قضى على معظمهم وفرت فلولهم لأماكن خفية للاختباء ولم يظهروا منها حتى الآن .

تمكن فرايل قائد راكبى التنين من مقاومة جالباتوريكس وفرقته . وكان حكيما وعجوزا وكافح من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه والحفاظ على باقى مخلوقات التنين من الوقوع فى أيدى أعدائهم فى المعركة الأخيرة على أبواب مدينة دوروأريبا ، هزم فرايل جالباتوريكس فى النزال لكنه تردد فى الضربة الأخيرة ، فانتهز جالباتوريكس الفرصة وسدد له الضربة فى جانبه فأصابه إصابة بالغة فهرب إلى جبل يوتجارد حيث تمنى أن يستجمع قواه ، لكن هذا لم يحدث لأن جالباتوريكس وجده وتقاتلا معا وأثناء الصراع ركل جالباتوريكس فرايل فى مشط قدمه وبهذه الضربة السفلية سيطر عليه وأطاح برأسه بسيفه البتار .

سرت القوة فى عروق جالباتوريكس ونّصب نفسه ملكًا على كل آلاجيشيا .

ومنذ ذلك اليوم ظل حاكمًا علينا " .

مع انتهاء القصة ، غادر بروم المكان مع فرقة الممثلين ، وظن إيراجون أنه رأى دمعة تلمع على خد بروم وظل الناس يتهامسون فى هدوء لبعضهم البعض وهم يغادرون الساحة . قال جارو لـ " إيراجون " وروران : " اعتبرا نفسيكما محظوظين ، لم أسمع هذه الحكاية سوى مرتين فى حياتى ، وإذا عرف أحد فى الإمبراطورية أن بروم الراوى ألقاها على مسامعنا ؛ فلن يعيش حتى الشهر القادم .

هدية القدر

فـى نفـس الليلـة عنـدما عـادوا مـن كارفـاهول ، قـرر إيراجون فحص واختبار الحجر كما فعل ميرلـوك ، وحيـدا فى حجرته حيث وضع الحجر على فراشـه وبجـواره وضـع ثـلاث أدوات . بـدأ بالمطرقـة الخشـبية وطـرق بهـا بخفـة علـى الحجـر فأصـدر رنينـاً خافتـاً فشـعر بالرضـا والـتقط الأداة الثانيـة ، وكانـت مطرقـة جلديـة ثقيلـة ، فـترددت أصداء صوت حزين عندما طـرق الحجـر بهـا . فـى النهايـة طرق الحجر بأزميل صغير . لم يتسبب فِى كسـر أو خـدش أو جرح الحجر ، لكن الحجر أصدر صوتاً واضحًا ، وعنـدما انتهى ، ظن إيراجون أنه سمع صوت همسات خفية .

قـال ميرلـوك إن الحجـر أجـوف ، ربمـا بداخلـه شـىء ثمين ، لكـن لا أعـرف كيف أفتحه . ربما يوجد سبب قوى لتشكيل هذا الحجر ، ومن أرسله لمنطقة سباين لم يكترث لاستعادته أو لا يعرف مكانه . لكنى لا أصدق أن ساحرا لديه قوة تكفى لنقل الحجر ولن يتمكن من

استعادته وإيجاده . إذن هل كان مقصوداً أن أعثر عليه ؟
لم يتمكن الإجابة عن هذا السؤال . واستسلم للغز الذي ظل بلا حل ووضع الحجر على الرف مرة أخرى وأعاد الأدوات .

استيقظ من نومه فجأة في تلك الليلة ، وأرهف سمعه ، ووجد الهدوء يخيم على حجرته ، ولكنه شعر بعدم الارتياح فمد يده تحت المرتبة واستل سكينه وانتظر بضع دقائق ثم عاد للنوم .

جاء صوت الهمسات ليخترق الصمت مما جعله يستيقظ مرة أخرى . نهض من فراشه واستل سكينه من غمده وتحسس طريقه حتى وجد الكبريت وأشعل الشمعة . كان باب حجرة نومه مغلقا . وعلى الرغم من أن الصوت كان مرتفعاً بدرجة كبيرة تجعل من المستحيل أن يعتقد المرؤ أن يكون صوت فأر ، فإنه تحقق من عدم وجود شيء تحت الفراش . جلس في فراشه وفرك عينيه حتى يذهب عنه النوم . ولكنه سمع نفس الصوت مرة أخرى وفزع وقام بعنف .

من أين يأتي هذا الصوت ؟ لا يمكن أن يوجد شيء في الأرضية أو الحوائط المصنوعة من الخشب المتين المصمت ، ونفس الأمر بالنسبة للفراش ، فإنه كان سيلاحظ إذا زحف شيء إلى فراشه المصنوع من القش أثناء الليل . استقرت نظراته على الحجر وتناوله من على الرف وظل يضمه إلى صدره وهو يفحص الحجرة . جاء الصوت مرة أخرى وتردد صداه بين أصابعه ، لقد جاء من الحجر .

لم يجلب له الحجر سوى الغضب والإحباط والآن يحرمه من النوم ! لقد تجاهل الحجر نظراته الغاضبة وظل قابعًا

بين يديه وأصدر الصوت عدة مرات . ثم أطلق الحجر نفس الصوت أعلى هذه المرة ثم ساد الصمت ، وضع إيراجون الحجر بشك وعاد لفراشه . أيا كان سحر الحجر فسينتظره فى الصباح .

بزغ ضوء القمر من النافذة عندما استيقظ إيراجون مرة أخرى وكان الحجر يهتز بسرعة على الرف ويطرق الحائط وكان يغمره ضوء القمر الذى جعل سطحه يميل للون الأبيض ، وقفز إيراجون من فراشه وفى يده السكين . توقفت حركة الحجر لكن إيراجون ظل متوترًا ثم صدرت الأصوات من الحجر وظل يهتز بشكل أسرع من ذى قبل .

بدأ يرتدى ملابسه وهو يصب اللعنات على الحجر ، ولم يهتم بمدى قيمة الحجر وكان يعتزم دفنه والتخلص منه . ولكن توقفت حركة اهتزاز الحجر ولم يصدر أى صوت ، ثم ارتعش الحجر وتدحرج ووقع على الأرض بصوت ارتطام مدو . سار إيراجون بخطى بطيئة نحو الباب فى فزع عندما تدحًرج الحجر ناحيته .

فجأة ظهر شرخ فى سطح الحجر ، ثم ظهر شرخ آخر وغيره ، وغيره ، وتجمد إيراجون فى مكانه ثم مال إلى الأمام وهو يمسك بالسكين . فى قمة الحجر حيث تتلاقى كل الشروخ ، تحركت قطعة صغيرة وكأنها متوازنة على شيء ثم وقعت على الأرض . بعد سلسلة من الهمسات ، بزغ رأس أسود صغير من الثقب فى الحجر ، ثم تبعه جسم غريب ذو زوايا غريبة . أطبق إيراجون على مقبض السكين ولم يتحرك . سرعان ما خرج الكائن الغريب كله من

الحجر . وظل فى مكانه للحظة ثم سار مترنحًا نحـو ضـوء القمر .

تراجع إيراجون من هول الصدمة ، فقد كان يقف أمامـه تنين يلعق الغشاء الذي كان يحيط به ويغلفه داخل الحجر . لقد كان تنيناً .

الاستيقاظ

لم يكن التنين أطول من ساعد إيراجون لكنه كان يبدو نبيلاً ومن أصل كريم . كانت القشور المحيطة بجلده زرقاء غامقة مثل لون الحجر . أدرك إيراجون أنه لم يكن حجراً ؛ بل كان بيضة ، حرك التنين جناحيه وكانا هما ما جعلاه يبدو مشوهًا عندما خرج من البيضة ، كان الجناحان أطول من جسده بعدة مرات وتطوقهما أصابع رفيعة من العظام التى تمتد من حافة كل جناح مما يشكل مخالب متباعدة فى نهاية كل جناح . كان رأس التنين مثلث الشكل ، وكانت لديه أنياب بيضاء تتضح من فكه العلوى وكانت لديه أنياب حادة جدًا وكانت مخالبه بيضاء أيضا مثل العاج المصقول وكانت مشرشرة ومنحنية قليلا للداخل ، وعبر عموده الفقرى كان هناك مجموعة من الأشواك الصغيرة من قاعدة رأسه حتى نهاية ذيله . كان هناك ما يشبه الحفرة بين كتفيه ورقبته مما جعل هناك فجوة غريبة عن المعتاد بين أشواك ظهره .

تحرك إيراجون بحرص ونظر التنين نحوه وركز عليه بنظرات حادة بعينيه الزرقاوين الباردتين كالثلج . تصلب إيراجون كالتمثال ، فقد يكون التنين عدواً لا يقهر إذا بدأ إيراجون بالهجوم عليه .

فقد التنين اهتمامه بإيراجون . ثم أخذ يسير متخبطا ليستكشف الحجرة أو أية قطعة أثاث . رفرف بجناحيه وطار وقفز على الفراش وزحف تحت الوسادة وهو يصيح . فتح فمه بشكلٍ يثير الشفقة مثل الفرخ الصغير ، وكان فمه يظهر صفاً من الأسنان المدببة فجلس إيراجون بحرص على حافة سريره فاشتم التنين يده وتناول كم قميصه بأسنانه وأخذ يعبث بذراعه .

ابتسم إيراجون وهو ينظر إلى هذا الكائن الصغير . مد له يده بحرص ولمس جانب التنين ، فصعقته حزمة من الطاقة الباردة وسرت عبر ذراعه بسرعة البرق وحرقت عروقه مثل النيران السائلة ، تراجع إلى الوراء وصرخ صرخة هائلة وشعر فى أذنيه بطرق يشبه طرق الحديد وسمع صرخة غضب مكتومة . كان كل جزء فى جسمه يئن من الألم ، وحاول جاهدًا الحركة لكنه لم يتمكن ، وبعد مرور بضع دقائق كانت وكأنها بضع ساعات ، عادٍ الدفء ببطء لأطرافه التى كانت لا تزال تستشعر وخزاً من أثر البرد بشكل لاإرادى ثم نهض بالكاد وكانت يده متخدلة وأصابعه مشلولة . شعر بالتوتر البالغ وراقب منتصف راحة يده وهى تلمع ويتكون بها شكل بيضاوى أبيض اللون وغير ناعم ، أحس بالرغبة فى حك جلده وكأنه لدغة عنكبوت سام ، ودق قلبه بعنف .

لمعت عينا إيراجون وحاول فهم ما حدث ثم جال خاطر بعقله الواعي جعله يحك جلده بإصبعه بشكل لا إدارى . شعر مرة أخرى به كفكرة مجسمة بسيطة وشعر بالفضول ، وكأن حائطاً خفياً يحيط بأفكاره قد سقط وهو الآن حر فى الوصول للفكرة الذهنية . كان خائفا من ألا يتمكن من الإمساك بروحه وكأنها ستغادر جسده وتصبح مثل الأثير . شعر بالخوف وابتعد عن لمس التنين واختفى هذا الشعور الجديد وكأنه أغمض عينيه . وحدق فى ريبة إلى التنين الذى جلس بلا حراك .

حك التنين برجله المليئة بالقشور جانب إيراجون فابتعد فى حركة تدل على الفزع ، لكنه لم يشعر بالطاقة التى هزته مثلما حدث فى السابق . شعر بالحيرة وربت رأس التنين بيده اليمنى وشعر بالخدر فى ذراعه ولكن التنين حك أنفه فى يد إيراجون وحرك ظهره لأعلى كالقطة . لمس إيراجون بإصبعه غشاء الجناح وبدا ملمسه كالجلد القديم المستخدم فى الكتابة وكان ملمسه كالقطيفة الناعمة الدافئة لكنه كان مبللا قليلاً . ومن خلال الجناح كانت هناك مئات العروق تنبض بالحياة .

جاءته تلك الخاطرة فى ذهنه مرة أخرى ولكن هذه المرة لم يشعر بالفضول بل شعر بالقوة والجوع الشديد . قام وتنهد وقال لنفسه إن هذا الحيوان خطير وأنه متأكد من ذلك ، لكنه بدا غير مؤذ على فراشه ولن يضير أحداً أن يحتفظ به . صاح التنين بصوت حاد ؛ لأنه يبحث عن الطعام . حك إيراجون رأسه لكى يهدأ . *سأفكر فى الأمر لاحقًا* . ثم غادر الحجرة وأغلق الباب بحرص خلفه .

عاد للحجرة ومعه قطعتان من اللحم ووجد التنين جالسا على خشب النافذة يحدق إلى القمر . قطع إيراجون اللحم لمربعات صغيرة وقدم إحداها للتنين ، الذى شم المربع بحرص ثم مد رأسه والتقط منه قطعة اللحم كالثعبان ، وابتلعها كاملة بحركة غريبة ثم فحص يد إيراجون بحثا عن المزيد من الطعام .

قام إيراجون بإطعامه وهو يحرص على إبعاد أصابعه عن فمه . وعندما بقيت قطعة واحدة كانت معدة التنين متخمة بالطعام وعندما عرض عليه إيراجون آخر قطعة تردد التنين قليلاً ثم تناولها بتراخٍ . بعد الانتهاء من الأكل ، زحف نحو ذراع إي اجون وحك جسمه فى صدره ، ثم نفث من أنفه دخاناً أسود بكمية صغيرة . نظر إيراجون للدخان فى عجب .

وعندما ظن أن التنين نائم ، جاء صوت همهمة من حنجرته التى ظلت تهتز فحمله بلطف إلى الفراش ووضعه على الوسادة وكان التنين مغمض العينين ولف بذيله عمود السرير وهو يشعر بالرضا . جلس إيراجون بجواره ومدد يديه نحو الظلام .

كان يواجه معضلة مؤلمة : عندما يربى التنين فسيصبح بمقدوره أن يكون أحد فرسان راكبى التنين . كان يحفظ كل القصص والأساطير عنهم . وبالتالى كان يعرف أن امتلاكه لتنين سيضعه فى مصاف هؤلاء الأبطال الأسطوريين . لكن إذا اكتشفت الإمبراطورية أنه يربى تنينًا فسيتم إعدامه هو وعائلته إلا إذا انضم لفرسان الملك ولن يساعده أحد حتى لو استطاع ذلك . أسهل حل كان قتل التنين ، لكن الفكرة كانت

بشعة ولذلك طردها من ذهنه . كانت مخلوقات التنين يحبها إيراجون ومن المستحيل أن يفكر فى قتلها . قال لنفسه : *من سيفشى سر امتلاكى للتنين ؟ نحن نعيش فى منطقة بعيدة منعزلة ولا شىء نفعله يجذب انتباه الناس .*

كانت المشكلة هي إقناع جارو ورووران بالسماح له بتربية التنين . وكلاهما لن يهتم بالتنين . *سأربيه فى السر ، وفى خلال شهر أو شهرين سيكون كبير الحجم جدًا فلا يتمكن جارو من التخلص منه ، لكن هل سيقبله ؟ وحتى إذا وافق ، هل سأجد كميات طعام تكفى التنين أثناء إخفائه ؟*

إنه ليس أكبر من هرة صغيرة الآن لكنه تناول مقدار ما حملته يداى من لحم ! ربما سيصطاد طعامه بنفسه من الحيوانات فى النهاية ، لكن متى سيحدث ذلك ؟ وهل سينجو من الصقيع والبرد ؟ رغم كل شىء فهو يريد التنين . كلما فكر فى الأمر زاد اقتناعًا . لكن إذا وافق جارو فسيفعل إيراجون كل شىء لحماية التنين . شعر بالإصرار يملؤه ثم نام وفى حضنه التنين .

عند بزوغ الفجر كان التنين جالسًا على عمود السرير مثل الحارس القديم الذى يرحب بصباح يوم جديد . انبهر إيراجون بلونه الذى لم ير مثله : أزرق براق وحاد . كانت حراشيفه مثل مئات الجواهر الزرقاء الصغيرة . ولاحظ أن الشكل البيضاوى الأبيض فى راحة يده وملمس التنين له لمعان فضي . تمنى أن يتمكن من إخفائها بأن يجعل يديه متسختين .

نزل التنين من على عمود السرير وانزلق نحو الأرضية . حمله إيراجون بحماس وغادر المنزل الهادئ بعد أن التقط عدة قطع من اللحم وأحزمة جلدية وقطع قماش قديمة بكميات كبيرة قدر استطاعته . كان الجو الصحو فى الصباح رائعاً وغطت المزرعة طبقة جديدة من الثلج ، وابتسم إيراجون عندما نظر المخلوق الصغير إلى ما حوله وهو فى أمان بين ذراعى إيراجون .

أسرع إيراجون بالتنين عبر الحقول فى صمت نحو الغابة السوداء باحثا عن مكان آمن لإخفائه . فى النهاية وجد شجرة صغيرة تقف منعزلة فى تل قاحل ، وفروعها مغطاة بالثلج وتمتد إلى عنان السماء . وضع إيراجون التنين تحت جذع الشجرة ووضع تحته الأحزمة الجلدية . وبحركات رشيقة قام بصنع أنشوطة ووضعها حول رأس التنين وهو يستكشف قطع الثلج التى أحاطت بالشجرة . كان الجلد مهترئاً ، لكنه سيتحمل وزن التنين .

شاهد إيراجون التنين وهو يزحف ثم حرر رقبته من الأنشوطة وصمم لجاماً متحركا لقدميه لكيلا يشنق التنين نفسه دون قصد . بعد ذلك جمع إيراجون كمية من العيدان وقام ببناء عش متين وبدائى أعلى الشجرة فى فروعها ووضع بداخله طبقة من القماش القديم والخرق البالية ثم وضع له طعامه من اللحم . سقط الثلج على وجهه من الشجرة التى اهتزت من حركته وعلق المزيد من القماش أمام العش لكى يدفئ التنين . سُر للغاية من عمله وأخذ يراقبه ليتأكد من أن كل شىء على ما يرام .

حدثه قائلاً : " حان الوقت لكى أريك بيتك الجديد " . ثم رفعه ووضعه على الفروع فحاول الهرب والتملص وحرك جسده ، ثم دخل العش ، حيث وجد قطعة اللحم وأكلها ثم أومض بعينيه في حياء ناحية إيراجون وجلس ملتفا حول جسده . قال إيراجون : " ستكون بخير مادمت هنا " . وومضت عينا التنين مرة أخرى .

قال إيراجون لنفسه إنه بالتأكيد لم يفهمه ، لكن إيراجون أخذ يركز ذهنه حتى شعر بوعى التنين . مرة أخرى شعر بشعور رهيب بانفضاح أمره ـ كأن مكانا واسعا وفسيحا يهبط عليه كغطاء ثقيل . استجمع إيراجون شجاعته وركز على التنين وحاول طبع فكرة واحدة فى ذهنه : ابق *هنا* . توقف التنين عن الحركة ورفع رأسه ناحية إيراجون . ظل إيراجون يركز على نقل الفكرة ذهنيا : ابق *هنا* . شعر إيراجون بالرابطة الذهنية بينه وبين التنين حيث إنه فهم بالكاد ولكنه كان شعورا مذبذبا وتساءل هل فهم حقا . *على أية حال ، إنه مجرد حيوان* . ثم تراجع عن الاتصال ذهنيًا بالتنين وشعر بالراحة وشعر بالارتياح يغلف ذهنه .

ترك إيراجون الشجرة ورجع بنظراته للوراء ، حيث أخرج التنين رأسه من العش وشاهد بعينيه الكبيرتين إيراجون وهو يرحل .

بعد أن أسرع الخطى إلى المنزل ، عاد إلى حجرته لكى يتخلص من قشر البيضة الخاصة بالتنين . كان متأكدا من أن جارو وروران لن يلحظا اختفاء البيضة . لقد ذهبت عن تفكيرهما بعد أن علما أنها لن تباع . وعندما استيقظا ذكر

روران أنه سمع أصواتاً وضجيجاً أثناء الليل لكنه لم يتمادى في مناقشة الأمر مما جعل إيراجون يشعر بالارتياح .

حماس إيراجون جعل اليوم يمر سريعًا وبدا من السهل إخفاء العلامة البيضاوية في يده ، وسرعان ما كف عن القلق بشأنها . قبل مرور وقت طويل عاد إلى الشجرة وهو يحمل قطعاً من السجق التي سرقها من قبو المنزل . اقترب بحرص وترقب من الشجرة وقال لنفسه : *هل تمكن التنين من أن ينجو من الموت فى هذا الجو القارس البرودة ؟*

تأكد بعد ذلك أن مخاوفه بلا أساس . كان التنين يحط على فرع الشجرة ويقف في شيء ما بين رجليه الأماميتين وبدأ يصيح بإثارة لمجيء إيراجون الذى سُر بدوره لأنه وجده على الشجرة بعيدا عن الحيوانات المفترسة . عندما أسقط له السجق فى جذع الشجرة تزحلق التنين لأسفل والتهم الطعام بنهم بينما فحص إيراجون العش . تناول التنين كل الطعام ولكن العش ظل سليما ووجد أيضا ريش طائر متناثراً فى العش . رائع إنه يصطاد طعامه .

جال بذهنه فكرة أنه لا يعرف هل التنين ذكر أم أنثى ، فرفعه وقلب جسمه وتجاهل صياحه الذى دل على انزعاجه لكنه لم يتمكن من رؤية دلائل تشير إلى جنسه . *يبدو أنه لن يكشف عن أى سر بدون صراع .* قضى إيراجون وقتا طويلاً مع التنين وحل وثاقه ووضعه على كتفه واستكشفا الغابة معًا . كانت الأشجار المغطاة بالثلوج تخيم عليها الكآبة وكأنها أعمدة حزينة لمبنى كبير . فى هذا الجو من العزلة ، أخذ إيراجون يشرح للتنين كل ما يعرفه عن الغابة ، ولم يهتم إذا كان التنين يفهم كلامه أم لا . كان

المهم هو المشاركة البسيطة ، فظل يتحدث معه طوال الوقت . كان التنين يحدق إليه بعينيه البراقتين وكأنه يستوعب كلامه . ظل جالسا بين ذراعيه وشاهده في دهشة لفترة من الوقت واستمر في دهشته من كل هذه الأحداث . بدأ يعود للمنزل مع غروب الشمس وهو يدرك أن عيني التنين الزرقاوين تنتظران ظهوره وكان غاضبًا لأنه تركه بمفرده .

ظل طوال الليل يفكر في كل الأشياء التي قد تحدث للحيوان الصغير الذي لا يمكنه أن يحمي نفسه . فهناك عواصف ثلجية وحيوانات مفترسة قد تعذبه . نام بعد ساعات من التفكير ، وحلم بالذئاب والثعالب وهي تمزق التنين بأسنانها الدموية .

في ضوء الصباح جرى إيراجون من المنزل بالطعام وقطع القماش لإضفاء المزيد من العزلة للعش . وجد التنين مستيقظاً في أمان ويشاهد شروق الشمس من أعلى الشجرة ويعبر عن امتنانه لكل الأشياء المحيطة به . هبط التنين نحو الأرض واقترب منه وقفز نحو ذراعيه فاحتضنه وضمه إلى صدره . لم يؤذه الجو القارس البرودة لكنه بدا خائفا وأخرج من أنفه دخاناً أسود . أخذ يربت ظهره لكي يهدئه وجلس وظهره للشجرة وهمهم في أذنيه برقة . ظل جالسًا بلا حراك بينما دفن التنين رأسه في معطفه . بعد قليل خرج من حضنه وتسلق كتفه فقام بإطعامه وبلف الخرق البالية حول العش ولعبا معا لبرهة من الوقت ولكنه اضطر للعودة إلى المنزل قبل مرور وقت طويل .

تم تأسيس روتين يومى بكل سهولة . فى كل صباح يذهب إيراجون للشجرة ويعطى التنين طعام الإفطار قبل أن يسرع بالعودة إلى المنزل أثناء اليوم . وكان فى إتمام المهمة المنزلية حتى ينجزها فى وقت قياسى لكى يتمكن من زيارة التنين ثانية . لاحظ روران وجارو هذا السلوك وسألاه لماذا يقضى كل هذا الوقت بالخارج لكنه هز كتفيه دون اكتراث . ثم بدأ يتحقق من أنه لا يتبعه أحد إلى الشجرة .

بعد الأيام الأولى كف عن القلق بشأن أى أذى قد يلحق بالتنين . كان نموه مفرطاً بشكل سريع جدًا ، وسرعان ما سيكون بأمان من المخاطر . تضاعف حجمه فى أول أسبوع وبعد أربعة أيام أصبح طوله يصل حتى ركبتى إيراجون ، ولم يعد حجمه مناسباً للعيش فى الشجرة واضطر إيراجون لبناء مخبأ له على الأرض واستغرقت المهمة ثلاثة أيام لإتمامها .

عندما صار عمر التنين أسبوعين شعر إيراجون أنه مجبر على تركه يتجول بحرية لأنه يحتاج لكميات مهولة من الطعام . فى أول مرة فك وثاقه ، كانت قوة إرادة إيراجون هى التى حالت دون اتباع التنين له حتى المزرعة فى كل مرة يحاول فيها ذلك ، فقد كان يدفعه بعيدًا بذهنه حتى تعلم التنين تجنب المنزل والناس الآخرين .

لقد علمه إيراجون أهمية أن يصطاد غذاءه من الحيوانات فى منطقة سباين فقط حيث تقل فرصة أن يراه أحد . سيلاحظ الفلاحون اختفاء الطيور من وادى بالانكار ، وبالتالى سيشعر بالأمان ، ولكنه سيشعر أيضاً بالقلق لابتعاد التنين عنه .

زادت قوة الاتصال الذهنى بينه وبين التنين بمرور الأيام ، ووجد أنه على الرغم من أنه قد لا يفهم الكلمات لكنه يمكنه الاتصال عن طريق الصور أو الانفعالات . وهى طريقة غير دقيقة وأحيانا كان التنين يسيء فهم إيراجون . بعد ذلك زاد عدد المرات التى يفهمان بها أفكار بعضهما البعض . وسرعان ما تمكن إيراجون من الاتصال بالتنين فى أى مكان فى مساحة ثلاثة فراسخ ، وكلما فعل ذلك ، كان التنين ينقل أفكارا إلى ذهنه . هذه الحوارات الصامتة كانت تملأ ساعات عمله . كان هناك دائمًا جزء صغير منه مرتبط بالتنين ، أحيانا يتم تجاهله لكن لا يتم نسيانه أبدًا . عندما كان يتحدث مع الناس كان الترابط يصبح مشوشًا مثل طنين الحشرة فى أذنيه .

عندما كبر التنين واشتد عوده ، تحول صوته الرفيع إلى زئير وتحولت الهمهمة إلى صوت هدير منخفض ولكنه لم ينفث النار بعد ؛ مما أقلق إيراجون ، لكنه شاهده ينفث الدخان الأسود عندما يكون غاضبًا ، لكن لا أثر لأى نيران .

عندما انتهى الشهر ، كان كتف التنين يصل إلى كوع ذراع إيراجون . فى هذه المدة الزمنية القصيرة تحول من حيوان صغير وضعيف إلى وحش قوى . كانت حراشيفه الصلبة فى متانة الحديد الخاص بدروع الفرسان وأسنانه كالخناجر .

كان إيراجون يتمشى ليلاً مع التنين الذى يسير بجواره . وعندما يجدا منطقة واسعة وهادئة يجلس إيراجون مستندًا لإحدى الأشجار ويراقب التنين وهو يطير ويشق عنان السماء ، كان يحب مراقبته وهو يطير ويأسف

لأنه ليس كبيراً بما يكفي للركوب . وكان غالبًا ما يجلس بجانب التنين ويداعبه بتربيت عنقه وتحسس العروق والعضلات البارزة التى تتحرك تحت يديه .

وعلى الرغم من جهود إيراجون ، فقد امتلأت الغابة حول المزرعة بآثار تدل على وجود تنين . فمن المستحيل إزالة آثار أقدامه التى بها أربعة مخالب بارزة فى الثلج ، ورفض إيراجون إزالة كميات الروث الضخمة التى صارت كثيرة ومنتشرة . كما أن التنين كان يحتك بالأشجار ويقشر لحاءها وكان يسن مخالبه فى قطع الخشب الخاصة بالأشجار الميتة ، مما ينتج عنه خدوش عميقة تصل لبضع بوصات . إذا خرج جارو أو روران لمسافة بعيدة عن المزرعة فسيكتشفان التنين ، ليس هناك أسوأ من تلك الطريقة لاكتشاف الأمر بالنسبة لإيراجون ، لذلك قرر الإسراع والمبادرة بإخبارهما بكل شيء .

لكنه أراد أن يفعل شيئين مهمين : أولا سيعطى التنين اسمًا مناسبًا وأن يتعلم أكثر عن مخلوقات التنين عموماً . ولتحقيق ذلك الغرض ، سيتحدث مع بروم - خبير الملاحم والفلكلور الخاص بحيوانات التنين .

ولذلك عندما ذهب روران لإصلاح الأزميل فى كارفاهول ، تطوع إيراجون بالذهاب معه .

فى الليلة التى سبقت مغادرتهم إلى المدينة ذهب إيراجون إلى الغابة واستدعى التنين ذهنيًا وبعد لحظة رأى نقطة تطير بسرعة عبر السماء وقت الغسق . طار التنين لأسفل ناحية إيراجونٍ وتوقفٍ فجأة وطار على مستوى الأشجار وسمع صفيرا منخفضاً عبر الهواء تسببت فيه

رفرفة أجنحته في الهواء . ثم طار التنين إلى يسار إيراجون وهبط على الأرض في شكل لولبي ، ثم رفرف بأجنحته للوراء للتوازن ثم هبط بصوت ثقيل .

فتح إيراجون ذهنه وهو لا يزال يشعر بعدم الراحة بهذا الشعور الغريب وأخبر التنين أنه سيغادر ، أصدر التنين صوت استياء معبرا عن عدم ارتياحه ، فحاول إيراجون تهدئته بصورة ذهنية مريحة ، لكن التنين هز ذيله ولم يشعر بالرضا . وضع إيراجون يديه على كتفيه وحاول أن يبث في داخله السكينة والهدوء ، وتحركت الحراشيف تحت أصابعه وهو يتحسسها برفق .

ترددت أصداء كلمة واحدة في رأسه بكل عمق ووضوح ..

إيراجون .

كانت تتردد بشكل حزين وجاد وكأنها اتفاقية لا يمكن إلغاؤها ويتم الآن التأكيد عليها . حدق إلى التنين وسرت في ذراعه رجفة باردة .

إيراجون

تكونت عقدة صلبة في بطن إيراجون عندما حدقت عينا التنين الزرقاوان الغائرتان إليه . لأول مرة لا يفكر به كحيوان ، بل إنه شيء ..... مختلف . أسرع الخطى إلى المنزل لكي يهرب من التنين . *تنيني .*

إيراجون .

شاى لشخصين

ذهب إيراجون و " روران " كل منهما فى طريقه وافترقا عند ضواحى مدينة كارفاهول . سار إيراجون ببطء إلى منزل بروم وهو مستغرق فى التفكير فى أمور شتى ، توقف عند باب المنزل ورفع يديه استعدادًا لطرق الباب .

قال صوت أجش : " ماذا تريد يا فتى ؟ " .

استدار بسرعة فوجد خلفه بروم منحنيًا على عصاه المتعرجة المزينة بنقوش غريبة وكان يرتدى عباءة بنية اللون ولها غطاء للرأس مثل رجال الدين الفقراء الرحالة . كان هناك كيس جلدى معلق على الحزام الجلدى الممزق المربوط على خصره . وفوق لحيته البيضاء ، يستقر أنف طويل معقوف كالصقر ويحتل مساحة كبيرة من وجهه . حدق إلى إيراجون بعينين غائرتين تظللهما جبهة بها تجاعيد ، وانتظر الرد .

قال إيراجون : " جئت للحصول على معلومات ، ذهب روران لإصلاح الأزميل ولدىً وقت فراغ ولذلك جئت إليك سعيا وراء الإجابات لبعض الأسئلة " .

زمجر الرجل وفتح الباب ، لاحظ إيراجون وجود خاتم ذهبى فى يد بروم اليمنى وبه فص أزرق لامع يشع ضوءا على رمز غريب منحوت على الخاتم : " يمكنك الدخول ، فسوف نتحدث كثيرا ، يبدو أن أسئلتك ستمتد إلى ما لا نهاية " . داخل المنزل كان الجو معتمًا وحالك الظلام وكانت هناك رائحة نفاذة فى الجو . " سأضيىء النور " . ثم سمع إيراجون الرجل العجوز يلتفت ويلعن ويسب لأنه أسقط شيئاً على الأرض : " حسنًا ، هيا بنا " . ثم انطلق لهيب أبيض وظهر لهب أحمر فجأة أضاء المكان .

وقف بروم بالشمعة أمام مدفأة حجرية . وكانت أكوام الكتب تحيط بالمقعد ذى المسند العالى المنحوت والمصنوع من الخشب والمتلئ بالنقوش أمام المدفأة وكانت الأرجل الأربع للمقعد على شكل مخالب الصقر ، وكانت قاعدة المقعد ومسنده مبطنين بالجلد المرسوم عليه أشكال دائرية للأزهار . كانت هناك مجموعة من المقاعد الصغيرة الحجم تحمل أكواماً من اللفائف الورقية . وعلى منضدة الكتب توجد محبرة وأقلام كثيرة . " أوجد لنفسك مكاناً ، وأستحلفك بأرواح ملوكنا أن تحترس حتى لا يحدث أى شيء لتلك الأشياء الثمينة " .

تفادى إيراجون السير على الجلود المكتوب عليها بالرموز المربعة ورفع بحرص اللفائف الورقية المهترئة من على أحد المقاعد ووضعها على الأرض . وعندما جلس ،

صعدت سحابة من الغبار حوله فكتم عطسة أوشكت على الخروج من أنفه .

انحنى بروم وأشعل النار فى المدفأة بالشمعة وقال : " رائع ! لا شيء مثل الجلوس إلى النار أثناء التحاور " ، ثم خلع غطاء الرأس ليكشف عن شعر ليس أبيض بل فضى ، ثم وضع غلاية على ألسنة اللهب ثم جلس على المقعد ذى المسند العالى .

قال بصوت أجش لكنه لم ينم عن عدم التعاطف مع إيراجون : " ماذا تريد الآن ؟ " .

قال إيراجونٍ وهو يتساءل كيف يتناول الموضوع بأفضل شكل : " حسنا ، طوال الوقت أسمع عن راكبى التنين وإنجازاتهم الرائعة ومعظم الناس يريدون عودتهم ، لكنى لم أسمع قط عن كيفية نشأتهم ومن أين جاءت حيوانات التنين أو ما الذى يجعل راكبيها مميزين بوجود تلك الحيوانات معهم . "

زمجر بروم قائلا : " إنه موضوع واسع جدًا للخوض فيه " . ثم نظر إلى إيراجون محذرا إياه : " إذا أخبرتك بالقصة كاملة ، فستظل جالسًا هنا إلى الشتاء القادم . سأوجز فى حجم القصة لكى تكون مقتصرة على هذه الجلسة . لكن قبل أن أبدأ كما يجب ، فإننى أحتاج إلى الغليون الخاص بى " . انتظر إيراجون بصبر عندما طرق بروم على التبغ . كان يحب بروم على الرغم من أنه يثور غاضبًا أحيانًا ، لكنه لا يمانع من تخصيص وقت للتحدث معه . سأله إيراجون ذات مرة عن مسقط رأسه فضحك بروم وقال : " من قرية مثل كارفاهول ، لكنها ليست مثيرة مثلها " .

وعندما أثاره الفضول ، سأل خاله جارو ، لكنه أخبره أن بروم اشترى منزلا فى كارفاهول منذ ١٥ عاما وعاش به فى هدوء منذ ذلك الحين .

أشعل بروم الغليون بحجر زند ونفخ فيه عدة مرات ثم قال : " ها هو ..... لن نتوقف عن السرد سوى لتناول الشاى . والآن لنتحدث راكبى التنين أو الشورتوجال ، كما كانت تسميهم المخلوقات الإلف . من أين أبدأ ؟ كانوا يعيشون أبد الدهر لسنوات لا تحصى وفى قمة قوتهم وبأسهم يتحكمون فى أراضى ضعف مساحة الإمبراطورية اليوم . ثم سرد حكايات عديدة عنهم ، ومعظمها مجرد خرافات وإذا صدقتها لاعتبرتهم فى مصاف الآلهة فى قواهم . وقد خصص بعض العلماء كل حياتهم لتمييز الحقائق عن الخرافات بشأنهم لكنى أشك فى أنهم سينجحون فى ذلك . لكن ليس من المستحيل ذكر كل شىء طالما أن مهمتى ستكون مقصورة على ثلاث نقاط حددتها بنفسك : كيف بدأت أسطورة راكبى التنين ولماذا حظوا بكل هذا الاحترام ، ومن أين تأتى حيوانات التنين . سأبدأ بالنقطة الأخيرة " . استند إيراجون إلى الوراء واستمع للصوت الساحر لهذا الرجل .

" حيوانات التنين ليست لها بداية إلا إذا كانت قد خُلِقت يوم تأسيس بلاد آلاجزيا نفسها . وإذا كان لها نهاية فنهايتها هى عندما ينتهى هذا العالم ، لأنهم يعانون كما تعانى الأرض . كان سكان الأرض الأصليون هنا هم الأقزام وعاشوا فى هذه الأرض قبل غيرهم وكانوا أقوياء وفخورين

بأمجادهم الأولى . كان عالمهم لا يتغير حتى وصول أول فوج من مخلوقات الإلف عبر البحر فى سفنهم الفضية " .

قال إيراجون مقاطعًا : " من أين جاءت مخلوقات الإلف ؟ ولماذا يطلق عليهم أهل الجن ؟ وهل هم موجودون فى الواقع ؟ " .

عبس بروم وقال : " هل تريد الإجابة عن أسئلتك الأولى أم لا ؟ لن يتم الإجابة عنها إذا أردت استكشاف كل معلومة غريبة وجديدة عليك " .

قال إيراجون : " أنا آسف " ، . ثم نكس رأسه وتظاهر بالحزن .

قال بروم بمزاح : " كلا ، أنت لست آسفًا " . ثم حدق إلى النيران ووجد ألسنة اللهب تلعق الجانب السفلى للغلاية . وأضاف : " إذن يجب أن تعلم ، فإن الإلف ليست مخلوقات أسطورية ويعتقد الناس أنهم من الجن لأنهم أكثر رشاقة وسرعة فى الحركة مقارنة بأى أجناس أخرى . وموطنهم الأصلى مكان يسمى آلاديا . ولا أحد يعرف أين يقع هذا المكان " .

" والآن " . ثم حدق إليه بغضب من تحت حاجبيه الكثيفين لكى يتأكد من أنه لن يقاطعه ثانية وأضاف : " كانت مخلوقات الإلف أجناساً فخورة بأنفسها ، وفى ذلك الوقت كانوا أقوياء فى السحر . وفى البداية اعتبروا التنين مجرد حيوان ومن هذا المنطلق الخاطئ تم ارتكاب خطأ فادح وقاتل ، وطارد أحد شباب الإلف تنينا وكأنه يطارد غزالا وقتله . شعرت كل حيوانات التنين بالغضب فنصبوا كمينا للإلف وقتلوه . وللأسف ، فإن الحظ أن سفك الدماء لم

يتوقف عند هذا الحد . تجمعت كل مخلوقات التنين وهاجموا كل مخلوقات الإلف جمعاء . وشعرت مخلوقات الإلف بالرعب من سوء الفهم الرهيب الذى حدث فحاولوا إنهاء سلسلة القتل والهجوم ولكنهم لم يفطنوا إلى الطريقة يتفاهمون بها مع التنين .

ولذلك زاد الأمر سوءا ، واختصاراً للأحداث ، فقد اندلعت حرب ضروس امتدت لسنوات طويلة من سفك الدماء ، وكلا الجانبين ندم على ذلك لاحقا . فى البداية حاربت مخلوقات الإلف للدفاع عن أنفسهما ، وتقاعسوا عن تصعيد القتال لكن وحشية حيوانات التنين أجبرتهم فى النهاية على القتال للمحافظة على بقائهم . دام القتال لخمس سنوات وكان سيستمر لفترة أطول لولا أن هناك مخلوقاً من مخلوقات الإلف يسمى إيراجون لم يجد بيضة التنين " . برقت عينا إيراجون فى دهشة . فقال بروم له : " أرى أنك لم تكن تدرك دلالة اسمك " .

قال إيراجون : " كلا ، ثم انطلق صفير قوى من غلاية الشاى وقال إيراجون لنفسه : " *لماذا أطلق علىّ اسم إلف ؟* " .

قال بروم : " إذن ستجد هذه الحكايات مسلية ومثيرة أكثر " ، ثم أمسك بيد الغلاية ورفعها من على النار وصب الماء المغلى فى كوبين ورفع أحدهما لـ " إيراجون " وقال محذرا : " هذه الوريقات لا يجب أن تظل مغمورة بالماء المغلى لفترة طويلة وإلا ستزداد قوة النكهة فاشرب الكوب سريعًا " . ارتشف إيراجون جرعة صغيرة لكنها حرقت لسانه . وضع بروم كوبه جانبًا ودخن غليونه .

أكمل بروم قائلاً : " لا أحد يعرف لماذا ترك أحدهم البيضة . يقول البعض إن والدى هذه البيضة قد قتلا فى هجوم الإلف ، ويقول البعض الآخر إن التنين وضع بيضته هنا عن قصد ، على أية حال أدرك إيراجون قيمة تربية تنين أليف ، واعتنى به سرا ووفقا لتقاليد اللغة القديمة فقد اسماه بيدوم وعندما كبر التنين بيدوم إلى حجم مناسب جابا معًا كل البلاد وسط كل حيوانات التنين وأقنعوهم بالسلام مع الإلف وتم إبرام اتفاقيات السلام بين كلا الجانبين وللتأكد من عدم نشوب أى حرب بعد الآن قررا معًا ضرورة تكوين جماعة الفرسان من راكبى التنين .

فى البداية كان الهدف من تكوين جماعة راكبى التنين هو مجرد وسيلة للتواصل بين بنى الإلف وبنى التنين . لكن بمرور الوقت تم إدراك قيمتهم الكبرى وتم منحهم سلطة أعلى وأكثر ، فى النهاية اتخذوا جزيرة فرونجارد مسكناً لهم وبنوا بها مدينة تسمى دورو أريبا . وقبل أن يتغلب عليهم جالباتوريكس ويطيح بهم كان لهم قوة تفوق كل الملوك فى آلاجزيا . والآن أكون قد أجبت عن سؤالين من أسئلتك " .

قال إيراجون وهو شارد الذهن : " نعم " . بدت مصادفة عجيبة لا يصدقها العقل أن اسمه هو اسم أول فرسان راكبى التنين . لم يعد يشعر أن اسمه عادى بعد الآن . سأل قائلاً : " ماذا يعنى اسم *إيراجون* على وجه التحديد ؟ " .

قال بروم : " لا أعرف ، فهو اسم قديم جدا ، وأشك فى أن أحداً يتذكر معناه سوى مخلوقات الإلف . وسيكون حظك وافراً جدا إذا قابلت أحدهم وتحدثت معه . لكنه اسم جميل

لأن تحظى به ويجب أن تفخر به ، فلا يملك كل الناس اسمًا كهذا يحظى بالتبجيل والاحترام " .

طرح إيراجون الأمر من ذهنه وركز تفكيره على ما عرفه من بروم ! لكن كان هناك شيء ناقص فقال : " أنا لا أفهم ، أين كنا نحن عندما جاء راكبو التنين ؟ " .

رفع بروم حاجبه وسأل قائلا : " نحن ؟ " .

أشار إيراجون بيديه وقال : " أعني ، كلنا ، بني آدم عامة " .

ضحك بروم وقال : " نحن لسنا سكان الأرض الأصليين . كما كان حال مخلوقات الإلف ، لقد وصل أجدادنا إلى هنا بعد ثلاثة قرون وانضموا إلى راكبي التنين " .

قال إيراجون معترضًا : " لا يمكن ، نحن عشنا دائمًا في وادي بالانكار .

" هذا صحيح على مدى بضعة أجيال ، لكن قبل ذلك ، كلا . هذا لا ينطبق عليك يا إيراجون " . ثم قال بروم برقة : " على الرغم من أنك تعتبر نفسك جزءا من عائلة جارو وهذا بالطبع صحيح ، لكن والدك ليس من هنا . اسأل من حولك وستجد هناك من وفدوا حديثا إلى هنا . هذا الوادي قديم ولم يكن لبني البشر من قبل " .

قطب إيراجون جبينه وعبس وجه ، وارتشف رشفة من الشاي وكان لا يزال ساخنا بحيث يحرق حلقه . هذا هو وطنه مهما كان أبوه ! سأل قائلاً : ماذا حدث للأقزام بعد تدمير راكبي التنين ؟ " .

" لا أحد يعلم على وجه التحديد ، كانوا يحاربون مع راكبي التنين في المعارك الأولى ، ولكن عندما اتضح فوز

جالباتوريكس أغلقوا كل المداخل المعروفة للأنفاق التى تؤدى إلى منازلهم تحت الأرض واختفوا بداخلها . ووفقا لما أعرفه ، فلم يراهم أحد منذ ذلك الحين " .

" وحيوانات التنين ؟ ماذا عنها ؟ بالتأكيد لم يقتلوا جميعا " .

قال بروم بحزن : " هذا من الألغاز الكبرى فى آلاجيشيا هذه الأيام : كم عدد مخلوقات التنين التى نجت من تذبيح جالباتوريكس ؟ لقد أبقى على حياة من وافقوا على خدمته ، لكن مخلوقات التنين الخاصة بفريق الاثنى عشر المنشقين هم من وافقوه على جنونه . إذا كان هناك مخلوقات التنين بجانب التنين شرويكان لا يزالون على قيد الحياة فلقد أخفوا أنفسهم جيدًا بحيث لا تجدهم الإمبراطورية " .

تساءل إيراجون بين نفسه : "*إذن ، من أين جاء تنينى؟* " ، ثم قال : " هل كانت مخلوقات الأورجال هنا عند مجىء مخلوقات الإلف إلى آلاجيشيا .

" كلا بل طاردوا الإلف عبر البحر مثل الحشرات الماصة للدماء . وكانت أحد الأسباب أن راكبى التنين أصبحوا ذا قيمة واحترام هى مهارات القتال لديهم وقدرتهم على المحافظة على السلام ... يمكن تعلم الكثير من هذا التاريخ ، من المؤسف أن الملك يستهين بهذا الأمر " .

" سمعت روايتك فى آخر مرة كنت فيها بالمدينة " .

صاح بروم : " روايتى ! " وانطلق الشرار من عينيه وقال : " إذا كانت مجرد حكاية ! إذن فإن شائعات موتى

حقيقية وأنت الآن تتحدث إلى شبح ؟ احترم الماضى ، فإنك لا تعرف أبداً مدى تأثيره عليك " .

انتظر إيراجون حتى بدا على وجه بروم أنه هدأ قبل أن يجرؤ : " كم كان حجم التنين ؟ " .

ارتفع الدخان الأسود من غليون بروم وكأنه عاصفة رعدية صغيرة وقال : " أكبر من حجم المنزل ، حتى الصغار منهم كان يبلغ طول أجنحتها ١٠٠ قدم ، ولم يتوقفوا أبدًا عن النمو . وقد وصل حجم بعض حيوانات التنين القدامى - قبل أن تقتلهم الإمبراطورية - إلى حجم التلال .

شعر إيراجون باليأس والإحباط وقال لنفسه : " *كيف أخفى تنيناً فى السنوات القادمة ؟* " ثم كتم غضبه داخله وحافظ على هدوء صوته وقال : " متى ينضج التنين ؟ " .

قال بروم وهو يحك لحيته : " حسنا ، لا يمكنه أن ينفث النيران إلا بعد أن يصل لسن خمسة أو ستة شهور ويمكنه أن يتزاوج حينها . وكلما زادت سن التنين زاد تمكنه من أن ينفث النيران لمدة أطول .

وبعضهم يمكنه نفث النيران لبضع دقائق " . نفخ بروم حلقة من دخان الغليون وشاهدها تحلق فى الهواء حتى السقف .

" سمعت أن حراشيف التنين تلمع كالجواهر " .

مال نحوه بروم وصاح : " ما سمعته صحيح ، فحيوانات التنين تولد بكل درجة من الألوان . يقال إن هناك مجموعة منها بألوان الطيف وتلمع جلودها باستمرار . لكن من أخبرك بذلك ؟ " .

تجمد إيراجون من الخوف للحظة ثم قال كاذباً : " أحد التجار " .

قال بروم : " ما اسم هذا التـاجر ؟ " . والتقى حاجباه معا وشكلا خطاً أبيض سميكاً ، وتعمقت تجاعيد جبهته ولم يلاحظ أن نيران الغليون قد انطفأت .

تظاهر إيراجون بأنه يفكر وقـال ـ : " لا أعـرف ، كـان يتحدث فى حانة مورن ولم أعرف أبدا من هو " .

همهم بروم : " ليتك عرفت من هو " .

قال إيراجون سريعا وهو يتمنى أن تحميه فكرة التـاجر المزعوم مـن أن يكـون موضـع شـك : " قـال أيضـا إن راكبـى التنين يمكنهم قراءة أفكار التنين " .

ضاقت عينا بروم وأخرج الزند ببطء وقدحه لكى يشـعل غليونه . تصاعد الدخان عندما سحب نفسًا عميقاً من الغليون ونفثه ببطء . قال بصوت محايد : " إنه مخطئ ؛ فهذا ليس أى رواية عنهم وأنا أعرف كل القصص . هل قال هذا التاجر شيئاً آخر ؟ " .

هز كتفيه دون اكتراث وقال : " كلا " . كان بروم مهتماً جدًا بموضوع التاجر ولم يرغب إيراجون فى الاستمرار فـى تلـك الكذبـة ، فقـال بشـكل عـابر : " هـل يعـيش التـنين طويلاً " .

لم يرد بـروم سـريعًا ، بـل أطـرق برأسـه لأسـفل حتـى لامست ذقنه صدره وعبثت أصابعه بالغليون وهو يفكر . كان هناك ضـوء يـنعكس مـن خاتمـه . فقـال : " آسـف ، كنـت مشغول الذهن . نعم ، يعـيش التـنين لفـترة طويلـة ، وفـى الحقيقة يعيش للأبد طالما أنه لم يقتل وأن راكبه لم يمت " .

قال إيراجون معترضًا : " كيف يعرف أى شخص هذا ؟ إذا كان التنين يموت عندما يموت صاحبه ، فسيكون عمره ستين أو سبعين عامًا ولقد ذكرت أثناء ... سردك أن راكبى التنين يعيشون لمئات السنوات ، لكن هذا مستحيل " . لقد أزعجته فكرة أن يعيش ويفوق عمره أعمار أصدقائه وأفراد أسرته .

ابتسم بروم ابتسامة هادئة وقال بخبث : " أى شىء ممكن أن يخضع للأهواء وليس للموضوعية . يقول البعض إنه لا يمكنك السفر عبر منطقة سباين . وتظل على قيد الحياة ، ومع ذلك أنت تفعل ذلك . إن المسألة هى منظور المرء للأمور . لابد أنك حكيم جدًا لكى تعرف كل هذا فى سن مبكرة " . احمر وجه إيراجون خجلا وضحك الرجل العجوز وقال : " لا تغضب ، لا يمكن أن يتوقع أحد أن تعلم كل هذه الأمور فى مثل سنك . هل نسيت أن التنين مخلوق سحرى ، يؤثر على كل ما حوله بشكل غريب . كان راكبو التنين هم الأقرب لتلك المخلوقات وشعروا بذلك كثيرًا . لكن أكثر تأثير لاحظه الجميع هو الحياة الممتدة وطول العمر . عاش ملوكنا لفترة طويلة لكى يتضح لنا ذلك ، لكن معظم الناس يقولون إن هذا يرجع إلى قدراتهم السحرية . كما كانت هناك تغييرات أخرى ملحوظة بدرجة أقل ، حيث كان كل راكبى التنين أقوياء فى الجسم وعقلهم حاد الذكاء وبصرهم حادًا بشكل أكثر من الرجال العاديين . خلاف ذلك فإن الراكب الإنسى للتنين يتغير شكل أذنه وتصبح مدببة لكنها لا تكون كبيرة كأذن الإلف " .

منع إيراجون نفسه من أن يلمس أطراف أذنيه وقال لنفسه : " *كيف سيغير التنين حياتى بخلاف ذلك ؟ لم يدخل لذهنى فقط بل سيغير جسدى أيضا !* " " هل التنين مخلوق ذكى ؟ " .

صاح بروم : " ألم تنتبه لما قلته لك سابقاً ؟ كيف سيعقد الإلف اتفاقيات سلام مع وحوش لا تفقه شيئاً ؟ كانوا أذكياء مثلى ومثلك " .

أصر إيراجون على قول : " لكنهم حيوانات فى النهاية " .

صاح بروم : " لم يكن الحيوانات سوى نحن ! لسبب ما ظل الناس يمدحون كل شىء يفعله راكبو التنين لكنهم كانوا يتجاهلون التنين ولا يظنونه سوى حيوان غريب يستخدم كدابة للانتقال من مدينة لأخرى . لم يكن التنين مجرد دابة . كم عدد الرجال الذين يستلون سيوفهم إذا عرفوا أن سحلية عملاقة تنفث النار - إن لها ذكاء ودهاء وحكمة طبيعية بأكثر مما يتمناه ملك - ويستعدون لإيقاف العنف ؟ هاه ؟ " . ثم نفث حلقة من الدخان وراقبها تطير بعيدا ببطء .

" هل رأيت تنيناً من قبل ؟ "

قال بروم : " كلا ، كانت تعيش قبل مولدى بفترة طويلة جدا " .

قال إيراجون لنفسه : " *والآن أريد اسما لتنينى* " . ثم قال : " حاولت أن أتذكر اسم تنين محدد لكن اسمه غائب عن ذهنى ، ربما سمعته من التجار فى كارفاهول ، لكنى لست متأكداً . هلا ساعدتنى ؟ " .

هز بروم كتفيه بلا اكتراث وسرد عدة أسماء : " كانت هناك أسماء مثل جورا . هيرادور . فوندور ـ الذى حارب ثعبان البحر الضخم . وجالزرا . وبرايم . وأواهين القوى ، جريتيام و " بيرون " و " وروسلارب " . وسرد له أسماء أخرى كثيرة ، وفى النهاية قال بصوت خفيض يكاد يكون غير مسموع : " ...... وسفيرا " ، ثم أفرغ غليونه قائلاً : " هل كان من ضمن هذه الأسماء ؟ " .

قال إيراجون : " أخشى أنه ليس منهم " . لقد ذكر له بروم معلومات كثيرة يود تأملها والوقت قد تأخر الآن فقال : حسناً ، ربما يكون روران قد انتهى من إصلاح الأزميل عند هورست ويجب أن أعود ، على غير رغبتى " .

رفع بروم حاجبيه وقال : " أهذا كل شىء ؟ لقد توقعت أننى سأظل أجيب عن أسئلتك حتى يأتى خالك جارو بحثاً عنك . ألن تسألنى عن تكتيكات حروب وقتال التنين أو القتال الرهيب الجوى أثناء الطيران ؟ هل هذا كل شىء ؟ " .

ضحك إيراجون وقال : " انتهينا لهذا الوقت فقط ، لقد علمت ما كنت أريده وأكثر . " ثم وقف وتبعه بروم .

ودعه على الباب وقال : " حسنا ، احترس للطريق ، وداعًا ، ولا تنس إخبارى باسم التاجر إذا تذكرته " .

" حسنا ، شكرا وإلى اللقاء " . ثم خرج إيراجون لأشعة الشمس الشتوية وهو يغلق عينيه التى اعتادت ظلام منزل بروم . سار بخطى متثاقلة وهو يتأمل كل ما سمعه اليوم .

اسم يوحى بالقوة

في طريق العودة للمنزل قال روران : " كان هناك رجل غريب من مدينة ثيرينسفورد عند منزل هورست اليوم " .

قال إيراجون : " ما اسمه ؟ " . ثم تجنب السير على قطعة ثلج وواصل السير بخطوة سريعة وصار لون وجنتيه وعينيه أحمر من شدة البرد .

" ديمبترون . جاء إلى هنا لكى يصنع له هورست جزءاً معدنياً مهماً للطاحونة الخاصة به " . وكانت قدما روران القويتان المتلئتان تشقان الطريق لإيراجون وسط الثلج .

قال إيراجون : " ألا يوجد حداد خاص لمدينة ثيرينسفورد ؟ " .

قال روران : " نعم ، لكنه ليس ماهرًا بالقدر الكافى " . ثم نظر إلى إيراجون وقال بدون اكتراث : " يحتاج ديمبترون لتلك الأجزاء المعدنية لتوسيع الطاحونة وعرض على عملا عنده . إذا وافقت ، فسأسافر معه فى طريق عودته " .

كان الطحانون يعملون طوال العام حيث إنهم يطحنون طوال الشتاء كل ما يحضره الناس إليهم ولكن في موسم الحصاد يشترون الحبوب ويبيعونها كدقيق . كان هذا العمل شاقاً وخطيراً ؛ لأن العمال قد يفقدون أصابعهم أو أيديهم بسبب حجارة الطاحونة . قال إيراجون : " هل ستخبر جارو بذلك الأمر ؟ " .

" نعم " . ثم ابتسم روران ابتسامة تنم عن الكآبة والاستمتاع في آن واحد .

" لماذا كل هذا ؟ أنت تعرف رأيه في مسألة أن نرحل ونتركه ، سيسبب قولك هذا مشاكل جمة . انس الأمر إن أردت أن نتناول العشاء الليلة في سلام " .

" لا يمكن ذلك ، لقد قررت قبول هذا العمل " .

توقف إيراجون عن السير وقال : " لماذا ؟ " . وقفا في مواجهة بعضهما البعض وكانت أنفاسهما يمكن رؤيتها على شكل بخار ماء في الهواء . وقال إيراجون : " أعرف أنه من الصعب الحصول على المال ، لكننا نعيش الحياة ولا نجوع ، وأنت لست مضطراً إلى هناك " .

" كلا سأغادر ، والمال سأحتفظ به لنفسي " . وحاول روران مواصلة السير لكن إيراجون رفض الحركة .

صاح به قائلاً : " لماذا تريد المال ؟ " .

هز كتفيه وقال : " أريد الزواج " .

شعر إيراجون بالحيرة والدهشة الشديدين وتذكر رؤيته لروران وكاترينا وهما يقبلان بعضهما أثناء يوم التجار ، لكن الزواج ممن ؟

فسأل بضعف : " كاترينا ؟ " ، وذلك فقط لكى يتأكد ، فأومأ له روران بالإيجاب فقال له إيراجون : " هل تقدمت لخطبتها ؟ " .

" ليس بعد ، ربما فى الربيع القادم ، وعندما أتمكن من تأسيس منزل فسأتقدم لخطبتها " .

" لكن هناك عمل كثير جدًا فى انتظارك فى المزرعة ، فكيف ستغادرها الآن ؟ انتظر حتى نستعد لبذر البذور فى المزرعة " .

قال روران وهو يضحك بلطف : " كلا ، الربيع هو الوقت الذى سأحتاجه بشدة . ستحتاج الأرض للحرث وإلقاء البذور وإزالة الحشائش الضارة من المحصول ـ ناهيك عن باقى المهام " . كلا ، هذا هو الوقت المناسب للرحيل بالنسبة لى عندما يكون كل ما نفعله هو انتظار تغيير الفصول . يمكنك أنت وجارو الاستغناء عني . إذا سارت الأحوال على ما يرام فسرعان ما سأعود للعمل فى المزرعة مع زوجتي " .

اعترف إيراجون على مضض أن روران يتكلم بمنطقية وأنه على حق ، فهز رأسه لكنه لم يدرك هل من الدهشة أم من الغضب وقال : " ليس بوسعى سوى أن أتمنى لك حظاً سعيداً لكن جارو سيستاء كثيرا من هذا الأمر " .

" سوف نرى " .

واصلا المسير وساد الصمت بينهما . كان قلب إيراجون مضطرباً . سيمر الوقت قبل أن يدرك أن تطورات الأمر ستكون لصالحه وينظر إليه بعين الرضا . عندما وصلا إلى المنزل لم يخبر روران جارو بخططه لكن كان إيراجون متأكداً من أنه سرعان ما سيفعل ذلك .

ذهب إيراجون لرؤية التنين لأول مرة بعد أن تحدث له . اقترب منه وهو يتوخى الحظر وهو يدرك أنه ند له .

إيراجون .

سأل بحدة قائلاً : " هل هذا كل ما يمكنك قوله ؟ " .

نعم .

اتسعت عيناه على هذا الرد غير المتوقع ، ثم جلس بسرعة بدون تمهيد وقال لنفسه : *" إنه يحب المزاح ولديه روح الدعابة ، وماذا بعد ؟ "* . ثم كسر غصناً جافاً في الشجرة في غيظ . لقد جعله عزم روران على الرحيل في حالة مزاجية سيئة للغاية . جاءت فكرة من التنين يعرب فيها عن تساؤله عما حدث ، فأخبره إيراجون بما حدث وأثناء سرده ارتفع صوته بالتدريج حتى صار يصرخ بلا هدف في الهواء . ظل يصيح حتى أفرغ كل انفعالاته ثم ظل يدب على الأرض بلا طائل .

قال في يأس : " لا أريده أن يرحل فحسب " . راقبه التنين وهو متعاطف معه وينصت ويتعلم . أخذ إيراجون يسب ويلعن وهو ينتقي ألفاظه ويفرك عينيه ، ثم نظر للتنين وهو يفكر وقال : " يجب اختيار اسم لك ، سمعت أسماء لطيفة اليوم ، ربما سيعجبك أحدها . ثم سرد ذهنيًا القائمة الخاصة بالأسماء التي ذكرها بروم حتى وجد اسمين يوحيان بالنبل والفخر والبطولة ولهما وقع حسن على الأذن . ما رأيك في اسم فانيلور أو تابعه أريدور ؟ كلاهما اسمان لتنينين عظيمين " .

قال التنين : " كلا " ، ولكنه بدا مستمتعاً بجهود إيراجون وقال : *" إيراجون "* .

" هذا اسمي ولا يمكنني أن أدعوك به " . ثم حك ذقنه ثم قال : " إذا لم ترق هذه الأسماء لك فلديَّ المزيد " . ثم سرد باقي القائمة لكن التنين رفض كل اسم اقترحه . بدا وكأن التنين يضحك على كل شيء لم يفهمه إيراجون ، لكنه تجاهل الأمر وواصل سرد الأسماء : هناك اسم انجتولد الذى ذبح ... ثم جاءه الوحي فجأة : *هذه هي المشكلة ! أنا اختار أسماء مذكرة وأنت تنين أنثى !*

نعم . ثم رفعت جناحيها بمهارة وسعادة لأنه فهم أخيرا .

والآن عرف ما الذي يجب أن يبحث عنه ، وجاء بستة أسماء . فكر في اسم ميرميل . لكنه لم يرق لأنثى التنين . فهو اسم أنثى بنية اللون . استبعد أيضا أسماء مثل أوفيلا وليونورا . كان على وشك الاستسلام عندما تذكر آخر اسم لفظ به بروم . أعجب إيراجون بالاسم لكن هل سيعجب أنثى التنين ؟

سألها .

" هل يعجبك اسم سفيرا ؟ " . نظرت إليه بعينيها الذكيتين . فشعر في ذهنه أنه أعجبها .

نعم . شيء ما رن في ذهنه وترددت أصداء صوتها وكأنه آت من مكان بعيد . ابتسم لها بدوره . بدأت سفيرا تهمهم في سعادة .

مساعد الطحان

غربت الشمس وحل وقت تقديم العشاء ، عصفت الرياح العاتية بالخارج وهزت المنزل . ظل إيراجون ينظر إلى روران وانتظر ما لا مفر منه .

وأخيراً قال روران : " عرض عليَّ عمل فى طاحونة ثيرينسفورد .... وأعتزم قبوله " .

أنهى جارو ما كان يبتلعه من طعام ببطء متعمد ووضع الشوكة على المائدة . تراجع إلى الوراء فى مقعده ، ثم عقد أصابعه خلف رأسه وقال بجفاء : " لماذا ؟ " .

شرح روران خطته بينما تظاهر إيراجون بالتقاط الطعام وهو شارد الذهن .

قال جارو تعليقاً واحداً : " فهمت " ثم ظل صامتاً وحدق إلى السقف . لم يتحرك أحد وظلا فى انتظار الرد وأخيراً سأل جارو : " حسنا ، متى ستغادر ؟ " .

قال روران : " لماذا ؟ " .

مال جارو للأمام ، وقال بينما لمعت عيناه : " هل تظن أننى سأقف فى طريقك ؟ لطالما تمنيت أن تتزوج سريعًا ، سيسرنى رؤية أفراد جدد فى أسرتنا من حسن حظ كاترينا أنها ستحصل على زوج مثلك " ظهرت أمارات الدهشة على وجه روران ، ثم ابتسم فى ارتياح . قال جارو : " متى سترحل ؟ " .

استعاد روران صوته الطبيعى وقال : " عندما يعود ديمبرتون بعد انتهاء هورست من إعداد طلبه " . أومأ جارو وقال : " وهذا بعد كم يوم ... ؟ " .

" أسبوعان " .

" رائع ، هذا سيعطينا وقتاً كافياً للاستعداد ، سيكون الأمر مختلفاً عندما نكون فى المنزل بدونك ، لكن إذا مر كل شىء على ما يرام ، فلن يطول غيابك " ، ثم نظر عبر المائدة إلى إيراجون قائلاً : " هل كنت على علم بذلك يا إيراجون ؟ " .

قال بلا اكتراث : " لم أعرف به سوى اليوم ... إنه جنون " .

هنا مسح جارو وجهه بيديه وقال : " هذه هى سنة الحياة " ، ثم قام مسرعا من مقعده .

وقال : " سيكون كل شىء على ما يرام ، والزمن سيحل كل شىء . والآن لننظف الأطباق " . ساعده إيراجون وروران فى صمت .

كانت الأيام التالية مرهقة ومتعبة حيث كانت الحالة المزاجية لإيراجون سيئة للغاية وكان عصبياً حيث لم

يتحدث مع أحد إلا عندما كان يوجه له سؤال مباشر وكانت إجابته مقتضبة .

كان هناك أشياء صغيرة تذكر بقرب رحيل روران : عندما صنع له جارو حقيبة سفر ورحلات ، وأشياء اختفت من على الحائط ، وفراغ غريب ملأ المنزل لم يدرك إلا بعد أسبوع تلك المسافة التي صارت بينه وبين روران ، عندما تحدثا كانت الكلمات تخرج بصعوبة وكانت حواراتهما تتم بدون راحة .

كانت سفيرا بمثابة البلسم المهدئ لإحباط إيراجون . كان يتحدث معها بكل حرية وانفعالاته كلها مفتوحة لعقلها وكانت تفهمه أكثر من أى شخص آخر ، وكانت قد كبرت أثناء الأسابيع التي سبقت سفر روران . زاد طولها ١٢ بوصة عند الكتف وصارت أطول من إيراجون . وقد وجد أيضا أن الفتحة الصغيرة حيث التقاء كتفيها ورقبتها تعد مكاناً مثالياً للجلوس . جلس على ظهرها ليالى طويلة وكان يرتب على رقبتها ويحاول شرح الكلمات المختلفة لها . سرعان ما كانت تفهم كل كلمة يقولها ثم تعلق عليها .

بالنسبة لإيراجون كان هذا الجزء من حياته ممتعًا وكانت سفيرا شخصية حقيقية ومعقدة كأى شخصية . كانت شخصيتها متنوعة ، أحيانا تكون مغتربة عنه تماما لكنهما كان يفهمان بعضهما البعض على مستوى عميق . كانت أفكارها وحركاتها توحى بأشياء جديدة دائما وجوانب متجددة من شخصيتها ذات مرة اصطادت صقرا وبدلا من التهامه تركته قائلة : *"لا يجب أن ينتهى مطاف حياة من*

يصطاد جوا كفريسته ، بل يجب أن يموت وهو يطير وليس مقيدًا على الأرض " .

ذهبت خطة إيراجون لكى يرى أهله سفيرا أدراج الرياح بسبب إعلان روران لرحيله وتحذيرات سفيرا له لأنها لا تريد أن يراها أحد الآن ، ولقد وافقها بدافع الأنانية . ففى اللحظة التي سيعرف الناس بوجودها سرعان ما ستنهال عليه الصيحات والاتهامات والمخاوف ... لذلك ماطل فى حل الأمر . أخبر نفسه أن ينتظر علامة تشير إلى أنه قد حان الوقت المناسب .

فى الليلة التى كان روران سيسافر بعدها فى الصباح ذهب إيراجون للتحدث معه ، سار ببطء عبر الممر المؤدى للباب المفتوح لحجرة روران ، كان هناك مصباح يضاء بالزيت على المنضدة الصغيرة بجوار الفراش ، ويسقط على الحائط ضوء متراقص ودافئ . كانت أعمدة السرير تسقط ظلالاً طويلة على الرفوف الفارغة التى ترتفع إلى السقف . وكانت عينا روران يغطيهما الظل ورقبته تؤلمه . كان يلملم الأغطية حول ملابسه ومتعلقاته الشخصية . ثم توقف والتقط شيئاً من تحت الوسادة وهزه بين يديه . كانت صخرة مصقولة أعطاه إياها إيراجون منذ سنوات . وهم روران بوضعها فى حقيبته ، ثم توقف ووضعها على الرف . شعر إيراجون بحشرجة فى حلقه ثم غادر الحجرة .

غرباء فى كارفاهول

كان الإفطار باردًا لكن الشاى كـان ساخناً ، ذاب الـثلج داخل النافذة مع نار المدفأة في الصباح وذاب علـى الأرضـية الخشبية وتركها ببقع داكنـة مـن المـاء . نظـر إيراجـون إلى جارو وروران بجوار موقد المطبخ وتأمل حقيقة أن هذه آخـر مرة سيراهما معا لعدة شهور قادمة .

جلـس روران علـى المقعـد يعقـد ربـاط حذائـه وكانـت حقيبته الممتلئة قابعة على الأرضية بجواره . وقف بينهمـا جارو ويداه في جيبيه . كان قميصه غير مهندم وبدا شاحب الوجه . على الـرغم مـن استمالة روران لـه ، رفـض جـارو الذهاب معهما . وعندما ضغط عليه لمعرفة السـبب ، قـال إن هذا أفضل .

قال جارو لـ " روران " ، " هل معك كل شيء ؟ " .

" نعم " .

أومأ جارو برأسه وأخرج من جيبه كيساً جلدياً به نقـود معدنية رنت عندما وضـعها فـي يـد روران قـائلاً : " كنـت

أوفر هذه النقود من أجلك ، إنه ليس مبلغًا كبيرًا لكنه سيكفي لشراء أى حلية صغيرة أو تذكار " .

قال روران : " شكرا لك ، لكنى لن أبذر أموالى فى تفاهات " .

قال جارو : " افعل بها ما تريد فهى ملكك الآن . ليس لدىَّ شيء آخر أعطيك إياه سوى دعواتى الأبوية لك بالتوفيق . اقبلها إن شئت لكنها لا تساوى الكثير " .

قال روران بصوت متهدج من العاطفة : " بل يشرفنى قبولها " .

قال جارو : " ارحل إذن فى سلام " ، ثم لثم روران على جبهته . ثم استدار وقال بصوت أعلى : " لا تظن أننى نسيتك يا إيراجون . لدىَّ بعض الكلمات لكما ، لقد حان وقتها مادمتما ستخرجان إلى العالم . تفكرا وتدبرا جيداً فى هذه الكلمات وستنفعكما " ، ثم حدق إليهما بصرامة وقال : " أولا ، لا تدعا أى شخص يتحكم فى عقليكما أو جسديكما تأكدا واحرصا على ألا تكون أفكاركما مقيدة مثل العبد . اسمعا كلمات كل الناس لكن لا تعيراهم قلوبكما . اظهرا الاحترام لمن هو فى مركز القوة والسلطة ، لكن لا تتبعاه بلا هدى أو تفكير . احكما على كل شيء بالمنطق والحكمة لكن لا تعلقا على أى شيء لأحد .

لا تعبآ لمن هو أعلى منكما مكانة فى الحياة . تعاملا مع الجميع بإنصاف وإلا سعوا للانتقام منكما . احرصا على أموالكما واجعلا إيمانكما راسخاً بمعتقداتكما وهذا سيجعل الآخرين ينصتون إليكما " . ثم أردف بصوت أهدأ وسرعة أبطأ : " بالنسبة لمسائل الحب ... نصيحتى الوحيدة هى أن

تتحلى بالأمانة والصراحة ، تلك هى أقوى أداة لفتح أبـواب القلوب أو الحصول على الغفران . هذا كل ما أردت قوله " . وبدا مضطربًا إلى حد ما من خطابه لهما .

رفع حقيبة روران وقال : " يتعين عليك الذهاب الآن ، اقـترب الفجـر وسـيكون ديمـبترون فـى انتظـارك " . حمـل روران الحقيبة على ظهره واحتضن جارو قـائلا : " سـأعود بأسرع ما يمكن " .

قـــال جـــارو : " رائـــع ! لكـــن الآن اذهـــب ولا تقلـــق بشأننا " .

افترقا على مضض ثم خرج روران وإيراجون ثم اسـتدارا ولوحا مودعين جارو رفع جارو يده النحيلة الرفيعة مودعًـا إياهما ، وكان ينظر إليهما بحـزن وراقبهمـا وهمـا يسـيران بتثاقل عبر الطريق . بعد لحظة طويلة أغلق البـاب ، فنقـل الهواء البارد صوت غلق الباب فتوقف روران .

نظر إيراجون خلفه وفحص الأرض وتوقفت عينـاه عنـد المبانى الوحيدة التى بـدت تـدعو للرثـاء بحجمهـا الصـغير وكانت تبدو هشة . تصاعد خط رفيع من الدخان من مدخنـة المنزل وبدت كالدليل الوحيد على أن المزرعة المغطـاة بـالثلج ما زالت مأهولة بالسكان .

قال روران بجدية : " هذا هو كل عالمنا " .

ارتعد إيراجون وقال بعـد أن نفـد صـبره : " وهـو عـالم جيد أيضاً " . أومأ له روران ثم شد عضـلات كتفيـه وانطلـق نحو مستقبله الجديد . اختفى المنزل من الأفـق بينمـا نـزلا عبر التل .

كان الوقت لا يزال مبكرًا عندما وصلا إلى كارفاهول ، لكنهما وجدا الأبواب الخاصة بدكان الحداد مفتوحة بالفعل . كان الهواء دافئاً وممتعاً بالداخل ، كان " بالدور " يشغل أداتى تهوية الحديد الساخن المربوطتين فى فرن الحداد الحجرى على الجانبين ، وكان الفرن ممتلئاً بالفحم المشتعل . أمام الفرن كان هناك سندان أسود كبير وبرميل مغطى من الخارج بالحديد ممتلئ بالماء المالح . ومن الأعمدة البارزة فى خط على الحائط كانت تعلق مجموعة من الأدوات : ملقاط ضخم للإمساك بالحديد الساخن ومطارق من كل الأحجام والأوزان ، وإزميل وزوايا ومبرد للمعادن ومنشار أدوات قطع وتشكيل الحديد والمعادن وأعواد الحديد والفولاذ التى فى انتظار تشكيلها ، ومقصات وكماشة وملقاط صغير ومشابك وجاروف . وقف هورست وديمبترون بجوار مائدة طويلة .

اقترب ديمبترون مبتسمًا تحت شاربه الكث الأحمر وقال : " روران ! أنا سعيد لأنك حضرت ، هناك عمل بأكثر مما أتمكن من إنجازه بمفردى مع حجر الرحى الجديدة . هل أنت مستعد للسفر ؟ " .

رفع روران حقيبته وقال : " نعم ، أنرحل بهذه السرعة ؟ " .

" لدىَّ شئون بسيطة سأعتنى بها أولا ، ولكن سننطلق فى خلال ساعة " . حرك إيراجون قدميه بينما اتجه ديمبتون إليه وهو يجذب طرف شاربه : " لابد أنك إيراجون " . كنت سأعرض عليك العمل معى لكن روران

سبقك للمكان الوحيد الشاغر لدىّ . ربما تعمل معى خلال عام أو عامين ، ما رأيك ؟ " .

ابتسم إيراجون وهو لا يشعر بالارتياح وتصافح معه . كان الرجل ودودا . وتحت ظروف أخرى كان إيراجون سيعجب به لكن الآن تمنى بمرارة لو لم يحضر هذا الطحان إلى كرفاهول . قال ديمبترون : " رائع جدًا " . ثم وجه انتباهه نحو روران . وبدأ يشرح له طريقة عمل الطاحونة .

قال هورست مقاطعا : " الأدوات جاهزة " ، وأشار إلى عدة لفائف على المائدة وقال : " يمكنك أخذها فى الوقت الذى تريده " . ثم تصافحا وترك هورست دكان الحدادة وأشار لإيراجون بالخروج معه .

تبعه إيراجون باهتمام ووجد هورست الحداد يقف فى الطريق عاقدًا ذراعيه على صدره . رفع له إيراجون السبابة مشيرا إلى أنه أحسن التصرف بالخروج ثم سأل قائلاً : " ما رأيك فى هذا الرجل ؟ " .

قال هورست : " رجل طيب ، سيكون طيبًا مع روران " . ثم مسح برادة الحديد من على مريلته وهو شارد الذهن ، ثم وضع يده الضخمة على كتف إيراجون وقال : " هل تذكر المشادة بينك وبين سلوان ؟ " .

" إذا كنت تسأل عن دفع ثمن اللحم بالعمل معك ، فأنا لم أنس " .

" كلا ، فأنا أثق بك يا فتى ، بل إننى أسأل هل لا يزال لديك الحجر أم لا " .

خفق قلب إيراجون وقال لنفسه : *لماذا يريد أن يعرف ؟ هل رأى أحد* سفيرا ! ثم حاول بمشقة ألا يبدو عليه الفزع وقال : نعم ، لكن لماذا تسأل ؟

قال هورست : " بمجرد رجوعك للمنزل تخلص منه فورا " . تلك العبارة أدهشت إيراجون لأقصى حد . وأضاف هورست قائلاً : " وصل رجلان هنا بالأمس وهما من الغرباء المتشحين بالسواد ويحملان السيوف . شعرت بالخوف لرؤياهما . ليلة أمس أخذا يسألان الناس عما إذا وجد أحدهم حجرًا مثل الذى وجدته أنت . وسيحاولان البحث عنه اليوم مرة أخرى " . شحب وجه إيراجون من الخوف ، ثم واصل هورست حديثه قائلا : " لم يقل الناس العقلاء شيئا لأنهم يدركون المشكلات القادمة مع هؤلاء الأغراب ، لكن بعض الناس قد يتكلمون وهم غير مأمونين الجانب " . كان يقصد سلوان .

امتلأ قلب إيراجون بالخوف . مهما كان الذى أرسل الحجر إلى منطقة سباين فإنه يحاول الآن البحث عنه . ربما علمت الإمبراطورية بشأن سفيرا . لم يعرف أى الأمرين أسوأ . قال لنفسه : " *فكر ا فكر ا . لقد اختفت البيضة ، ومن المستحيل أن يجدوها الآن ، لكن إذا كانوا يعلمون ما هى ، فمن الواضح معرفة ما سيحدث ... سفيرا ستكون فى خطر ا* استجمع إيراجون رباطة جأشه وكل قدرته على ضبط النفس لكى يحتفظ بنبرة صوت عادية وطبيعية وقال : " شكرًا لك على إطلاعى على هذا الأمر " .

هل تعرف أين هذان الرجلان ؟ " . كان فخورًا لأن صوته بالكاد يرتعش .

" لم أحذرك لأنني اعتقدت أنك يجب أن تقابل مثل هؤلاء الرجال ! ارحل عن كارفاهول وعد إلى منزلك " .

قال إيراجون ليهدئ من روع الحداد : " حسناً ، إذا كنت تعتقد أنني يجب أن أعود ، فسوف أعود " .

" هذا هو رأيي " . ثم هدأ وجهه وقال : " قد أبالغ في رد فعلي لكن مثل هؤلاء الغرباء ينذرون بالشؤم ، من الأفضل أن تبقى في المنزل حتى رحيلهم ، سأحاول إبعادهم عن مزرعتكم على الرغم من أن هذا لن يجدى " .

نظر إليه إيراجون وهو ممتن له وتمنى لو كان في استطاعته إخباره عن سفيرا .

قال له : " سأغادر الآن " ، ثم أسرع بالعودة إلى روران وأمسك بذراعيه وودعه .

قال روران بدهشة : " ألن تبقى معى قليلاً ؟ " .

كاد إيراجون يضحك ؛ لأن السؤال بدا مضحكاً لسبب ما وقال : " لا يوجد لدىَّ ما أفعله هنا ، ولن أظل هنا حتى رحيلك " .

قال روران بشك : " حسنا ، سأراك بعد مرور عدة شهور " .

قال إيراجون سريعاً : " أنا متأكد أن المدة لن تكون طويلة ، احترس وخذ حذرك وعد لنا سريعاً . ثم احتضن روران وغادر المكان . كان هورست لا يزال في الطريق . كان إيراجون يعلم أنه يراقبه فاتجه لضواحي كارفاهول . وبمجرد أن ابتعد الحداد عن ناظريه ، اختبأ وراء أحد المنازل ثم عاد للقرية .

ظل إيراجون يسير فى الظل بينما يفتش كل شارع ، ويرهف سمعه لأقل ضوضاء . فكر فى حجرته حيث علق بها قوسه وتمنى لو كان معه الآن . ظل يسير عبر كارفاهول متجنبا الجميع حتى سمع صوت همسات من منزل قريب . وعلى الرغم من حدة سمعه ، فإنه كان بالكاد يسمع ما يقال عندما أرهف سمعه .

قال الصوت : متى حدث ذلك ؟ " جاءت الكلمات ناعمة كزجاجٍ مطليٍ بالزيت وخرجت عبر الهواء متعرجة ومصدرة فحيحا غريبا جعله يقشعر .

قال صوت آخر : " منذ ثلاثة شهور " . وحينئذ تعرف إيراجون على هذا الصوت . إنه صوت سلوان .

اللعنة ! *إنه يشى بى* .. وقرر أن يلكمه فى المرة القادمة التى يراه فيها .

تحدث شخص آخر له صوت عميق وبسببه تداعت إلى ذهن إيراجون صور التعفن والتحلل المرعبة التى لا يحب أحد لمسها لأنها لزجة : " هل أنت متأكد ؟ ستندم لو كنت مخطئاً " . تخيل إيراجون ما سيفعلانه . هل يجرؤ أحد على تهديد الناس هكذا سوى رجال الإمبراطورية ؟ ربما لا ، لكن مهما كان الذى أرسل بيضة التنين فهو قوى جدًا لكى يستخدم القوة مع الناس ويفلت من العقاب .

" نعم ، أنا متأكد ، كانت معه حينها ، وأنا لا أكذب ، الكثير من الناس يعرفون بالأمر فاسألوهم " . بدا على صوت سلوان أنه مهزوز ومضطرب ، ثم قال شيئا آخر لم يسمعه إيراجون .

قال الصوت بسخرية : " لم يكن الناس ... متعاونين " . وبعد فترة صمت قال الصوت مرة أخرى : " معلوماتك ستفيدنا ولن ننساك " . صدقهم إيراجون في ذلك .

تمتم سلوان بشيء لم يسمعه إيراجون ، ثم سمعهم يغادرون فنظر حوله ليرى ما يحدث ، وقف رجلان فارعا الطول في الشارع وكلاهما يرتدى عباءة سوداء طويلة وجراب السيف مربوط بسيقانهما ، كانت هناك علامة كبيرة مطرزة ومعقدة الشكل بالخيط الفضي على قميصيهما . وكانت أغطية الرأس تخفي وجهيهما ، وأيديهما تغطيها القفازات . كان ظهراهما محنيين بشكل غريب وكأن ملابسهما مبطنة .

تحرك إيراجون قليلاً للحصول على مجال رؤية أفضل وتصلب أحد الرجلين الغريبين في مكانه وهمهم بشكل غريب إلى رفيقه ، استدار كلاهما وانبطحا أرضا . حبس إيراجون أنفاسه وتملكه الخوف فأطبق ناظريه على وجهيهما الخفيين وشعر بقوى خانقة تتملك ذهنه . وتشل حركته وتبقيه في مكانه . حاول المقاومة وصاح لنفسه : " تحرك ! " لكن اهتزت قدماه بلا طائل . سار الغريبان ببطء ناحيته بحركة ناعمة وهادئة بلا أدنى صوت . علم أنه يمكنه رؤية وجهيهما الآن . جاءا نحوه في الركن وأيديهما تقبض على السيوف السيوف . ....

" إيراجون ! " اهتز بينما سمع من ينادى اسمه . تجمد الرجلان في مكانهما وأصدرا فحيحا . أسرع بروم إلى إيراجون من أحد الجوانب وكان مكشوف الرأس وفي يده عصا .

اختفى الغريبان من مرمى بصر الرجل العجوز . حاول إيراجون تحذيره ولكن شلت حركة لسانه وذراعيه . صرح بروم مرة أخرى : " إيراجون ! " نظر الغريبان نحو إيراجون لآخر مرة ثم اختفيا وسط المنازل .

انهار إيراجون على الأرض وهو يرتعش ، والعرق يتصبب من جبهته ويملأ راحة يده ويجعلها لزجة ، جذبه الرجل بأن مد له ذراعه القوية وقال : " تبدو مريضًا ، هل أنت بخير ؟ "

ازدرد إيراجون ريقه وأومأ بلا صوت . ونظر حوله بحثًا عن أى شىء غريب وقال : " لقد شعرت بدوار فى لحظة مفاجئة ... لكن الأمر مر بسلام . شىء غريب ... لا أعلم لماذا يحدث كل هذا " .

قال بروم : " سوف تشفى ، لكن ربما يكون من الأفضل أن تعود لمنزلك " .

قال لنفسه : *" نعم ، يجب أن أعود للمنزل ! قبل أن يصلوا إليه قبلى "* . ثم قال لبروم : " عندك حق ، ربما هذه بدايات المرض " .

" إذن ، فالمنزل أفضل مكان لك ، إنها مسافة تستغرق سيرًا طويلاً . لكنى متأكد من أنك ستشعر بتحسن وقت وصولك المنزل . دعنى أصحبك عبر الطريق . لم يعترض إيراجون بينما أخذ بروم ذراعه وقاده سريعًا مبتعدًا عن المكان " . دقت عصا بروم فى الثلج بينما مرا عبر المنازل .

" لماذا كنت تبحث عنى ؟ " .

قال بروم بلا اكتراث : " لمجرد الفضول . علمت أنك فى البلدة ، فتساءلت هل يا ترى تذكرت اسم هذا التاجر " .

تاجر؟ أى تاجر يتحدث عنه؟ ثم تحدث إليه بدون فهم ، ولاحظت نظرة بروم المتفحصة اضطرابه . قال إيراجون : " كلا " ، ثم قال مصححًا نفسه : " أخشى أننى لم أتذكر بعد " .

تنهد بروم بضيق وكأنه تأكد من شيء ما ثم حك أنفه الطويل وقال :

" حسنا . إذا تذكرته فأخبرنى . أنا مهتم بمعرفة التاجر الذى يدعى أنه يعلم الكثير عن التنين " أومأ إيراجون وهو يتظاهر بشرود الذهن ، سارانحو الطريق فى صمت لفترة ، ثم قال بروم : " أسرع بالعودة للمنزل ، لا أظن أنه يوجد داع للتلكؤ فى الطريق " ثم مد له يده العجوز مصافحًا إياه .

صافحه إيراجون وعندما ترك يده ، علق شيء ما بقفازه فمسحه وخلع قفازه من يديه فوقع على الأرض ، فالتقطه الرجل وقال : " يا لى من أخرق " . فاعتذر وأعطاه قفازه . عندما أخذ إيراجون قفازه لوى بروم بأصابعه القوية يد إيراجون بحدة ففتح راحة يده لأعلى وكشف عن العلامة الفضية البيضاوية . لمعت عينا بروم ثم ترك إيراجون يجذب يده ويرتدى قفازه سريعًا .

قال إيراجون باضطراب : " إلى اللقاء " ، وأسرع عبر الطريق وسمع خلفه بروم يدندن بلحن مرح .

الهروب من القدر

كان عقل إيراجون غارقاً في الأفكار وهو يسرع الخطى عبر الطريق . ركض بأسرع ما يمكنه ، ورفض التوقف حتى لالتقاط أنفاسه وبدأ يلهث . وبينما كان يعدو عبر الطريق البارد وبسبب الثلوج حاول استدعاء سفيرا بالتواصل الذهنى لكنها كانت بعيدة جدًا ولم يحدث اتصال . فكر فيما سيقوله لـ " جارو " . ولم يعد أمامه خيار الآن ويجب أن يخبره عن سفيرا .

وصل للمنزل وهو يلهث وقلبه يدق بعنف . وقف جارو عند مخزن الحبوب مع الخيل وتردد إيراجون فى إخباره : *" هل أتحدث معه الآن ؟ لن يصدقنى إلا إذا كانت سفيرا هنا ... من الأفضل أن أجدها أولاً "* . خرج من المزرعة إلى الغابة واستدعاها ذهنيا : " سفيرا ! " .

جاءه رد خافت : " أنا آتية " . شعر من كلماتها أنها تشعر بالقلق وانتظرها بفارغ الصبر على الرغم من أنه لم يمض وقت طويل حتى سمع جناحيها يرفرفان عبر الهواء .

هبطت وسط سحابة من الدخان وقالت له ذهنيًا : *" ماذا حدث ؟ "* .

لمس كتفها وأغلق عينيه ثم هدأ ذهنه وأخبرها فى عجالة بما حدث . عندما ذكر لها موضوع الغرباء تراجعت إلى الوراء وبدا عليها الغضب وصاحت بصوت يصم الآذان ثم هزت ذيلها فوق رأسه ، فتراجع إلى الوراء فى دهشة وانحنى بينما كانت تضرب بذيلها كتلة من الثلج . كانت تشع منها شهوة الانتقام والخوف والرغبة فى القتل على شكل موجات كبيرة مفزعة : *" نيران ! أعداء ! الموت ! قتلة ! "* .

قال لها ذهنيًا بكل ما أوتى من قوة : *" ما الخطب ؟ "* لكن أحاط بعقلها سياج حديدى حال دون وصول أفكاره لها . صاحت مرة أخرى وطرقت على الأرض وثقبتها بمخالبها وقطعت الأرضية الثلجية . *توقفى ! جارو سيسمعك !*

عهود نكثت ! أرواح قتلت ! بيض محطم ! دماء فى كل مكان ! قتلة !

وبشكل محموم ، صد إيراجون عن نفسه تيار مشاعرها وانفعالاتها المتدفقة وراقب ذيلها . عندما تحرك ذيلها بعيدًا عنه ، انطلق إلى جانبها وأمسك بقوة أحد أشواك ظهرها ورفع نفسه إلى الثغرة الصغيرة فى قاعدة عنقها ، وأمسكها بقوة وهى ترجع للوراء . صاح بأعلى صوته : " هذا يكفى يا سفيرا ! " . توقف تيار الأفكار المتدفق منها فجأة فأخذ يتحسس حراشيفها وقال : " كل شيء سيكون على ما يرام " . تكورت على جسمها داخليًا ورفعت

جناحيها عاليًا وظلت على هذا الوضع للحظة واحدة ثم انطلقت نحو السماء .

صرخ إيراجون عندما ابتعد عن الأرض ، وارتفع فوق مستوى الأشجار . ترنح من هول المفاجأة العنيفة وبسبب اضطرابه الشديد شهق ثم كتم أنفاسه . تجاهلت سفيرا الرعب الذى يشعر به و طارت نحو منطقة سباين . نظر للأسفل فوجد المزرعة ونهر أنورا ثم شعر بتقلصات فى معدته . أمسك برقبة سفيرا بكل قوة وركز على الحراشيف أمام أنفه ، وحاول ألا يتقيأ وهى تستمر فى الصعود لأعلى ، عندما طارت على مستوى واحد استجمع شجاعته ونظر حوله .

كان الهواء باردًا لدرجة أن الصقيع تكون على رموش عينيه . وصلا إلى الجبال بأسرع مما كان يظنه فى الإمكان . من المنظر العلوى عبر الهواء ، كانت تبدو قمم الجبال كأسنان حادة كشفرة الحلاقة وعملاقة وتنتظر أن تمزقهما إلى شرائح . ترنحت سفيرا بشكل غير متوقع فمال إيراجون إلى جانبها ، ثم مسح شفتيه بلسانه فذاق الطعم المر عليهما من شدة الخوف ، فدفن رأسه فى عنقها .

قال لها ذهنيًا : " *يجب أن نعود . الغرباء سيذهبون للمزرعة . يجب تحذير جارو . استديرى وارجعى !* " لم تأت أى إجابة منها . توصل لعقلها ولكنه كان مغلقاً بحاجز من الخوف والغضب المستمر . أصر إيراجون على أن يجعلها تستدير وتعود أدراجها فحاول أن يخترق غلافها الذهنى الذى كان مصفحًا كالحديد فى الأماكن الضعيفة ، وتجاهل الأجزاء القوية وصارع من أجل أن تسمعه ولكن بلا فائدة .

سرعان ما غلفتهما الجبال وأحاطت بهما من كل جانب ، وكانت مثل الحوائط الضخمة البيضاء التى يكسوها المنحدرات الجرانيتية . لكن بين القمم كانت توجد أنهار جليدية متجمدة . وبين الجبال كانت هناك أخاديد ووديان طويلة وسمع إيراجون صياح الطيور الفزعة بالأسفل عندما حلقت سفيرا فى الأفق ، ورأى قطيع الأغنام ذات الصوف الغزير يقفون من منحدر لآخر على الصخور البيضاء .

انزعج إيراجون من الرياح المندفعة الدائرية الناتجة عن رفرفة أجنحة سفيرا ، وكلما حركت عنقها كانت تلقيه من جانب لآخر ، بدت وكأنها لا تتعب أبدًا ، كان خائفًا من أن تظل طائرة طوال اليوم وحتى فى ظلام الليل . فى النهاية عندما خيم الظلام بدأت تميل لأسفل وتطير إلى أسفل ببطء .

نظر إيراجون أمامه وعلم أنهما يتجهان نحو منطقة صغيرة بلا أشجار فى الوادى ، هبطت سفيرا فى شكل لولبى إلى أسفل وببطء عبر قمم الأشجار . تراجعت للوراء بينما اقتربت من الأرض وملأت جناحيها بالهواء وهبطت على قدميها الخلفيتين أولا . تحركت عضلاتها القوية وهى تمتص صدمة تأثير الهبوط . ثم وقفت على أرجلها الأربع وفوتت خطوة للحفاظ على توازنها . قفز إيراجون من على ظهرها قبل أن ينتظر لتضم جناحيها .

عندما لمست قدماه الأرض طرقت ركبتاه بعضهما البعض ولامس خده الصقيع البارد بقسوة ، وشهق بينما سرى الألم الشديد عبر قدميه ورجليه وهذا جعله يذرف الدمع من عينيه . كانت عضلاته متقلصة ومشدودة بسبب تيبسها لفترة طويلة لأنه ظل متعلقاً بشدة بسفيرا ، وبالتالى اهتزت

وارتجفت بعنف . افترش الأرض ونام على ظهره وهو يرتعش وأخذ يمدد أطرافه قدر الإمكان . ثم أجبر نفسه على النظر إلى نفسه ، كانت هناك بقعتان كبيرتان وداكنتان فى بنطاله الصوفى من ناحية الفخذ من الداخل ، لمس قماش البنطال فكان مبللاً . شعر بالقلق فخلع بنطاله وحدق فى رعب وذهول ، كان فخذاه مجروحين والجلد مكشوط بسبب حراشيف سفيرا السميكة . أحس بآلام مبرحة للجلد المكشوط ونظر إليه وهاله ما رأى وشعر بالفزع . قرصه البرد عندما ارتدى البنطال مرة أخرى ، وصرخ من الألم عندما حك البنطال فى جروحه الحساسة . وحاول الوقوف لكن لم تستطع قدماه حمله .

زاد ظلام الليل وأرخى سدوله على المنطقة المحيطة به ، والجبال فى جنح الظلام بدت غير مألوفة . *أنا فى منطقة سباين ، لكنى لا أعرف أين أنا تحديدًا وفى منتصف الشتاء مع أنثى تنين مجنونة ، غير قادر على السير أو إيجاد مأوى ، وقد أقبل الليل ويجب أن أعود للمزرعة غدًا* . التقط نفسًا عميقًا وقال : *"أتمنى لو كانت سفيرا تستطيع أن تنفث نارا "* . التفت برأسه فوجدها بجواره منبطحة أرضًا وعندما لامس جانبها وجدها ترتعش . كان الحاجز الذى أحاط بذهنها قد اختفى ، وبدونه انتقل إليه خوفها الشديد وجعله يتألم من أجلها . بدأ يهدئها بصور ذهنية جميلة وقال : *" لماذا يخيفك الغرباء ؟ "* .

قالت بصوت كالفحيح : *" إنهم قتلة "* .

قال لها : " جارو فى خطر ، ولقد قمت باختطافى إلى هذه الرحلة السخيفة ! هل أنت غير قادرة على حمايتى ؟

صاحت بصوت عميق وحركت فكها فقال لها : " إذا كنت تظنين أنك بإمكانك حمايتى ما فلماذا الهروب ؟ " .

الموت كالسم الزعاف .

مال نحو رسغه وكظم غيظه وشعوره بالإحباط . سفيرا ، انظرى أين نحن الآن ! لقد غابت الشمس وهروبك مزق جلد ساقيّ بسهولة تنظيفى للسمكة من قشورها ! هل هذا ما أردته ؟ " .

كلا .

صاح بها : " *إذن لماذا فعلت ذلك ؟* " . من خلال الرابطة الذهنية مع سفيرا شعر بأسفها على آلامه ، لكن ليس لفعلتها . ونظرت بعيدًا ورفضت الإجابة . وكانت درجة الحرارة التى وصلت لحد التجمد مما جعل إيراجون لا يشعر بالألم فى ساقيه إلا قليلاً لكنهما بدوا وكأنهما مشلولتان ، لكنه كان يعلم أن حالته ليست جيدة . غيَّر مسار تفكيره . سأموت من البرد وأتجمد إلا إذا صنعت لى مأوى أو حفرة لكى أتدفأ ، حتى كومة من الصنوبر وفروع الأشجار ، فإنها ستفى بالغرض .

بدا عليها الارتياح لأنه توقف عن استجوابها : " لا داع لذلك . *سأحيط بك وأغطيك بجناحى . والنار بداخلى ستزيل شعورك بالبرد* " .

ترك إيراجون رأسه يسقط على الأرض وقال : " *حسنا ؛ لكن أزيلى الثلج من على الأرض لمزيد من الراحة* " .

تجاوبت معه وامتثلت لأمره وأزاحت كمية من الثلج بذيلها بضربة واحدة قوية . مسحت المنطقة مرة أخرى لإزالة آخر بوصات من الثلج المتراكم والجامد الصلب . راقب الأرض

المكشوفة ووجدها طينية فنظر إليها بامتعاض وقال : "*لا يمكننى السير عليها ، ساعدينى* " . مالت برأسها الذى هو الآن أكبر من جسمه وهى بجانبه ، فحدق إلى عينيها الزرقاوين وأمسك بيديه حول إحدى أشواك ظهرها المصنوعة من العاج . رفعت رأسها وحركته ببطء للبقعة التى أفرغتها من الثلج . *بلطف أرجوك* . رقصت النجوم فى عينيه بينما استلقى على صخرة ، لكنه تمكن من أن يتماسك . بعد أن تركها ، مالت لتجلس على جانبها وكشفت عن بطنها الدافئ فاحتضن حراشيف بطنها الناعمة ، ثم مالت بجناحها عليه فغطته فى ظلام دامس ، وكأنها خيمة حية . وعلى الفور بدأ الهواء يفقد برودته .

أخرج ذراعيه من كمى معطفه وربطهما حول عنقه . لأول مرة شعر بالجوع يقرص معدته ، لكن ذلك لم يشغل ذهنه عن القلق الرئيسى : " هل سيتمكن من العودة للمزرعة قبل أن يصل إليها الغرباء ؟ " . وإذا لم يتمكن من ذلك فماذا سيحدث ؟ *حتى لو أجبرت نفسى على ركوب سفيرا مرة أخرى ، لن أعود قبل العصر غدا على أقل تقدير سيكون الغرباء قد وصلوا قبل ذلك بكثير* . أغمض عينيه وشعر بدمعة واحدة تنحدر على خده . *ما الذى فعلته ؟*

لعنة البراءة

عندما فتح إيراجون عينيه فى الصباح ظن أن السماء قد وقعت ، وكأن طائرة زرقاء غير محطمة ممتدة فوق رأسه ، وتميل نحو الأرض . كان لا يزال نصف نائم ، ثم مد يديه بحرص ولمس الغشاء الرفيع تحت أصابعه . أدرك بعد دقيقة واحدة طويلة ما الذى يحدق إليه . ثنى رقبته بحرص قليلاً وحدق فى الفخذ المغطى بالحراشيف الناعمة التى يسند رأسه إليه . دفع قدمه ببطء إلى خارج هذا الوضع الجنينى الذى كان عليه ، فوجد شقوقاً فى جروحه بعد أن كانت قد التأمت بطبقة سطحية على الجلد . انخفض الألم مقارنة بالأمس ، لكنه ابتعد عن التفكير فى السير . وذكره الجوع الشديد أنه لم يتناول أى طعام . استجمع طاقته لكى يتحرك وهز جانب سفيرا بضعف وصاح : " هيا ! استيقظى ! " .

تحركت ببطء ثم رفعت جناحها فرأى تياراً متدفقاً من نور الشمس فأغمض عينيه وبدا له للحظة أن الثلج أعماه . جلست سفيرا بجواره ممتدة على الأرض كالقطة وتثاءبت

وكشفت عن صفوف من أسنانها البيضاء . عندما تكيفت عينا إيراجون على الضوء المبهر فحص المكان من حوله ، أحاطت بهما جبال غير مألوفة تهيمن على المكان ، وتلقى بظلالها على الأرض المكشوفة الخالية من الأشجار . نظر للجانب الآخر فسمع هديرا مكتوماً لخليج صغير .

غمغم إيراجون وتململ ثم وقف وترنح ثم مال نحو الشجرة وأمسك بقوة بأحد فروعها وألقى بكل وزنه عليه فتماسك ثم انكسر بصوت عال . نزع الأوراق من الفرع ووضع أحد طرفيه على الأرض بثبات والطرف الآخر تحت ذراعه . بمساعدة هذا العكاز البدائى الذى شكله ، سار وهو يعرج إلى الخليج المغطى بالثلج وكسر طبقة الثلج الجامدة وبدأ يعبئ الماء بيديه ، وكان مذاقه مرا على الرغم من صفائه ، شعر بالارتواء فعاد للأرض التى كان نائمًا بها وعندما ظهر من بين الأشجار ، أدرك أخيرًا المنطقة والجبال والأرض التى يتواجدفيها .

كان هذا هو المكان ذا الصوت الصاخب الذى يصم الآذان الذى وجد فيه بيضة سفيرا .

جلس ببطء ووهن على جذع شجرة خشن . إنه يعلم أنه على صواب ؛ حيث إنه وجد الأشجار الرمادية اللون التى جعلها الانفجار تفقد ثمار الصنوبر . *كيف عرفت سفيرا هذا المكان ؟ لقد كانت مجرد بيضة هنا لابد أن ذاكرتى أعطتها معلومات كافية لإيجاده . هز رأسه فى دهشة .*

كانت سفيرا تنتظره فى صبر وأناة . قال لها : *" هلا أعدتنى إلى المنزل ؟ . هزت رأسها بالنفى فقال : " أعلم أنك*

لا تريـــدين ذلـــك ، لكـــن هـــذا شـــىء ضـــرورى ضـرورى ، فهـذا واجبى نحـو جـارو ، لقـد ربـانـى ومـن ثـم اعتنيت أنا بك ، هل ستتجاهلين رد الجميل ؟ مـاذا سيقال عنـا فـى السـنوات القادمـة إذا لم نعـد ـــ أننـا اختبأنـا كالجبناء وخالى فى خطـر ؟ سيكتبون عنا قصة أكاد أسمعها الآن ، قصة راكب التنين الجبان ! " . إذا كان هناك قتال فـى انتظارنـا لنواجهه ولا نتجنبه خوفاً . أنت تنين ! حتى مخلوقات الظل ستهرب منك ! ولكنك تختبئين فى الجبال كالأرنب المذعور .

كان إيراجون يرغب فى إغضابها ، ولقد نجح فى ذلك . أطلقت صيحة من حنجرتها ومالت برأسها نحو وجهه وأصبحت على بعد بضع بوصات منه . لوحت بزعانفها وحدقت إليه فى غضب وخرج الدخان الأسود من منخارها . تمنى لو لم يكن قد تمادى فى ذلك أكثر من اللازم . وصلت له أفكارها التى كانت دموية من الغضب . الدم لا يمحى إلا بالدم . سوف أحارب ـــ القدر يتحكم بنا ، لكن لا تختبرنى ، سأصطحبك بسبب الدين الذى تدين به لخالك ، لكن من الغباء أن نعود .

صاح فى الهواء : " غباء أم لا ، لا خيار أمامنا ... يجب أن نعود " . ثم مزق قميصه إلى نصفين . ووضع كل قطعة داخل بنطاله على جروحه .رفع نفسه وهو يتأوه من الألم على ظهر سفيرا وأمسك رقبتها بشدة . قال لها : " *هذه المرة طيرى على ارتفاع منخفض وأسرعى ، فالوقت له أهمية قصوى الآن " .*

قالــت لــه محــذرة إيــاه : "*لا تتركنــى وتشــبث بــى جيدًا* " ، ثم طارت نحو السماء . طارا محلقين فوق الأشجار على مستوى ثابت وكانا ، بالكاد يلمسـان فـروع الأشـجار . ترنح بطن إيراجون وكان سعيدا لأنه فارغ وإلا كان سيتقيأ .

حثها قائلا : "*أسرعى ! أسرعى !* " ، لم تقل له شـيئًا لكن زاد خفقان أجنحتها . أغلق عينيه بشدة وخفض كتفيـه وتمنى أن تحميه بطانة القميص التى وضعها تحـت بنطالـه على الجروح لكن كل حركة كانت ترسل وخـزات الألم عـبر ساقيه . سرعان مـا سـالت الـدماء السـاخنة منهمـا . بـدأت سفيرا تعبر له عن قلقها بشأنه ، وزادت من سرعة طيرانها وشعرت بألم فى أجنحتها . ابتعدت الأرض بسرعة مهولـة أمـام عينـى إيراجـون وكأنهـا كالبسـاط يسحب سـريعًا مـن تحتهما . تخيل إيراجـون أن مـن سـينظر إليهمـا مـن علـى الأرض سيعتقد أنهما مجرد طيف عابر .

بحلول العصر اتضح أمـام مرمـى البصـر وادى بالانكـار ولكن السحب حالت دون رؤية إيراجون للجنـوب ، وكانـت كارفاهول فى الشمال . نزلت سفيرا إلى الأرض بينمـا فـتش إيراجون عن المزرعة وعندما وجدها سرى الخـوف داخلـه . كانت هناك هالـة سـوداء مـن الـدخان حولهـا ألسـنة لهـب برتقالية تتراقص وتنطلق من المزرعة .

أشار بيديه للمزرعة وصـاح : "*سفيرا ! اهبطى هناك الآن !* " .

توقفت عن خفقان جناحيها وهبطت بانحـدار واقتربـت من الأرض بسرعة مخيفـة ، ثـم عـدلت مـن هبوطهـا قلـيلاً وأسرعت نحو الغابة ، وصاح بهـا عـبر الريـاح : "*اهبطـى*

فى الحقول ! " ثم أمسك بها بكل قوته وهى تهبط . انتظرت سفيرا حتى أصبحا على بعد ١٠٠ قدم من الأرض قبل أن ترفرف بجناحيها إلى أسفل بعدة حركات وضربات قوية . هبطت بشدة وارتطمت بالأرض ؛ مما جعل إيراجون يترك قبضته المحكمة عليها رغما عنه وسقط على الأرض ثم قام مترنحاً وهو يشهق .

كان المنزل يبدو وكأنه قد تم نسفه . كانت ألواح الخشب متناثرة بعيدًا جدًا ، والتى كانت تشكل الحوائط والسقف . كان خشب الألواح يبدو وكأنه قد تم سحقه وكأن هناك مطرقة عملاقة حطمته . وكان الحصى الأسود اللون يغطى كل الحطام . تحول الموقد إلى ألواح وقطع وبقايا منثورة . وكان الجليد قد تحطم بسبب القطع المحطمة لأوانى الطهى وقوالب الحجارة الحمراء من المدخنة . ارتفع الدخان الكثيف من الحظيرة التى كانت تحترق بشدة . واختفت حيوانات المزرعة وربما تكون قد قتلت أو خافت فهربت .

" *خالى !* " جرى إيراجون نحو حطام المنزل وأخذ يبحث وسط الحجرات المحطمة عن جارو ولم يجد له أثرًا . صاح إيراجون مناديًا إياه مرات ومرات وسارت سفيرا حول المنزل ثم جاءت إلى جواره .

وقالت : " *الحزن يخيم على المكان* " .

" *لم يكن ذلك ليحدث إذا لم تهربى بى !* "

" *لم تكن لتعيش إذا بقيت هنا* " .

صرخ قائلا : " انظرى لكل ما حدث ! كان يجب أن نحذر جارو ! إنه خطؤك لأنه لم يهرب ! " ثم ضرب عمودا خشبيا بقبضة يده فجرح الجلد ما بين مفاصل أصابعه

فسالت الدماء من أصابعه بينما خرج من المنزل بخطى تدل على الغضب . وصل للطريق المؤدى للأرض . فانحنى لكى يفحص الثلج . كانت هناك عدة آثار أقدام أمامه لكن كانت قوة إبصاره زائغة وبالكاد كان يرى ما حوله . تساءل : " *هل سأفقد بصرى ؟* " . لمس وجنتيه بيده المرتعشة ووجدهما مبللتين .

وقع عليه ظل حيث حامت سفيرا فوق رأسه ، وهى تحميه وتظلله بجناحيها : " *اهدأ ، لم تفقد كل شىء* " . فنظر إليها بحثاً عن الأمل .

لفحص الأثر ، رأى زوجين من آثار الأقدام ، جارو لم يختطف من هنا . ركز على الثلج الذى يظهر آثار الأقدام فوجدها متوجهة للمنزل وهى آثار لأحذية جلدية . وعلى نفس هذه الآثار كانت آثار نفس الأحذية وهى فى طريق العودة ، مهما كان الذى تسبب فى تلك الآثار فلقد كان له نفس الوزن مثلما جاء إلى هنا . لديك الحق ، جارو أكيد لا يزال هنا ! ثم قام مسرعًا وعاد للمنزل المحطم . قالت سفيرا : " *سأبحث حول المبنى وفى الغابة* " .

بحث إيراجون فى بقايا المطبخ وأخذ يحفر بحركة محمومة فى كوم الحطام . وبدت قطع الحطام التى لم تكن لتتحرك بسهولة عادة وكأنها تتحرك وحدها من عزم وقوة إيراجون .

شك لثانية واحدة فى دولاب بدا سليمًا ، ثم دفعه بعيدًا ، وبينما كان يدفع لوحاً خشبياً سمع صوتاً خلفه فاستدار واستعد للهجوم .

امتدت يد من تحت جزء من السقف المنهار ، وكانت تتحرك بضعف ، فأمسك بها إيراجون وهو يصيح : " يا خالى هل تسمعنى ؟ لم يأت الرد " . أزاح إيراجون قطع الخشب ولم يلق بالاً لقطع الخشب الرقيقة التى وخزت يديه وأظهر بسرعة الذراع والكتف ، لكن أعاقه عمود خشبى ثقيل . حاول دفعه بكتفه وبكل خلية فى كيانه لكنه لم يتحرك متحديا جهوده . " سفيرا ! أحتاج إليك ! " .

حضرت سفيرا فى الحال ، وتحطم الخشب تحت ثقل قدميها وهى تزحف عبر الحوائط المحطمة . بدون أى كلمة عبرت بجواره ووضعت جانبها على اللوح الخشبى ، وغرزت مخالبها فيما تبقى فى الأرضية وأُنْهكت عضلاتها . رُفِع اللوح الخشبى بصوت صاخب وهرع إيراجون تحته . كان جارو مستلقيًا على بطنه ومعظم ملابسه ممزقة . سحبه إيراجون من تحت الأنقاض ، وبمجرد تخليصه تركت سفيرا اللوح يهوى على الأرض .

جر إيراجون جارو من المنزل المحطم وساعده على أن يجلس على الأرض . شعر بالرعب وهو يلمس خاله بلطف . كان جلده رماديا وبلا حياة وجافا وكأن الحمى جعلته يعرق حتى جف كل عرقه . كانت شفتاه مشقوقتين وهناك جرح غائر وطويل فى وجنته ، لكن هذا لم يكن أسوأ ما به . فقد كانت الحروق العميقة المتعرجة تغطى معظم جسده وكان لونها أبيض كالطبشور ويسيل منها سائل بلا لون وكانت رائحة جسده عفنة ــ كرائحة الفاكهة الفاسدة . جاء تنفسه على شكل أنفاس قصيرة وسريعة وكل نفس كان يوحى بسكرات الموت .

قالت سفيرا : " *قتلة !* " .

" لا تقولى هذا . ما زال فى الإمكان إنقاذه ! علينا نقله إلى جيرترود لكن لا يمكننى حمله إلى كارفاهول " .

هل يمكنك حمل كلينا ؟

يجب أن أفعل ذلك .

حفر إيراجون وسط الأنقاض حتى وجد لوحاً خشبياً وسيوراً من الجلد . جعل سفيرا تثقب ثقباً فى كل ركن من اللوح ثم وضع سيور الجلد عبر الثقوب وربطه فى قدميها الخلفيتين ، وعندما تأكد من متانة الربط دفع بجارو على اللوح وربطه به . وبينما كان يفعل ذلك سقطت من يد خاله قطعة من القماش الأسود وكانت تشبه لون قماش ملابس الغرباء الذين قابلهم فى كارفاهول . وضعها فى غضب فى جيبه وركب سفيرا وأغمض عينيه وهو يستعد جسمانيا للألم المستمر . " *طيرى الآن !* " .

قفزت لأعلى وكانت قدماها الخلفيتان تحفران فى الأرض وجناحاها يخفقان فى الهواء وهى ترتفع لأعلى ببطء . كانت عضلاتها تقاوم الجاذبية وتتقلص وتتمدد ، بعد لحظة طويلة ومؤلمة لم يحدث شىء ، لكن عندما توجهت للأمام بسرعة وقوة انطلقوا إلى أعلى . بمجرد أن طارت فوق الغابة قال لها إيراجون : " *اتبعى الطريق وسوف تحصلين على مكان كافٍ إذا اضطررت للهبوط* " .

قد يرانى أحد .

لم يعد ذلك مهمًا الآن ! كفت عن الجدال وانطلقت مع تعرجات الطريق واتجهت إلى كارفاهول . تأرجح جارو

بعنف تحتهم ، وكانت سيور الجلد الرفيع فقط هي التي أنقذته من الوقوع .

أبطأ الوزن الزائد من سرعة سفيرا ، ولم يمض وقت طويل حتى انحنت رأسها وسال اللعاب على فمها . صارعت من أجل الاستمرار لكن كان مازال هناك فرسخ بينهم وبين كارفاهول حين أطبقت جناحيها وهبطت من التعب على الطريق .

لمست قدماها الخلفيتان كمية كبيرة من الجليد . نزل إيراجون من على ظهرها وأسقط نفسه بشدة على جانبه لكي يتجنب ألم قدميه . قام بصعوبة على قدميه وفك سيور الجلد من أرجل سفيرا وملأ الهواء بلهاثه العميق وقال لها : " *عليك أن تجدى لنفسك مكانا آمنا للاختباء ، لا أعرف إلى أى مدى سأغيب ، اعتنى بنفسك لفترة من الوقت* .

" *سأنتظرك* " .

صر على أسنانه وبدأ يجر جارو عبر الطريق . تسببت الخطوات الأولى له في آلام مبرحة في كل جسده . صاح بأعلى صوته : " لن أتمكن من ذلك ! " ثم واصل الجر لخطوات أخرى ، ثم ضم شفتيه وحدق إلى الأرض تحت قدميه وأجبر نفسه على المحافظة على إيقاع ثابت في الجر . كان في صراع ضد جسده المجروح الذى يعلن العصيان . وهو صراع يرفض أن ينهزم فيه . مرت الدقائق ببطء وبمعدل مؤلم للغاية . ومع كل ياردة يقطعها كان يظن أنها أطول مما هي عليه في الحقيقة تساءل في يأس إذا ما كانت كارفاهول لا تزال موجودة أم أن الغرباء نسفوها

نسفاً . بعد برهة من الوقت سمع عبر دوامة من الألم الشديد صوتاً يصيح فنظر أمامه .

كان بروم يجرى ناحيته ـ عيناه واسعتان وشعره أشعث وجانب من وجهه ملطخ بدماء جافة . كان يلوح بذراعيه بعنف قبل أن يترك عصاه تسقط ويمسك إيراجون بقوة من كتفيه ، ونطق بشيء ما بصوت عال . حدق إليه إيراجون فى دهشة ولم يفهم ما حدث ، بدون تحذير سقط إيراجون على الأرض سريعًا . وذاق طعم الدم وسقط مغشيًا عليه .

ساعة الموت

تداخلت الأحلام فى ذهن إيراجون وتزايدت وعاشت وفقا لقوانين خاصة بها فقد رأى فيما يرى النائم مجموعة من الناس يركبون الخيل وبدا عليهم الغرور واقتربوا من نهر وحيد . كانوا ذوى شعر فضي اللون ويحملون الحراب . كانت هناك سفينة غريبة وكأنها خيالية فى انتظارهم وكانت تلمع تحت ضوء القمر الساطع . اقتربوا من السفينة ببطء وصعدوا على متنها ، وكان من بين هؤلاء الناس اثنان أطول قامة ، سارا متأبطين ذراع بعضهما . كان وجهاهما مخفيين تحت الأقنعة وأغطية الرأس ، لكن من الواضح أنهما رجل وامرأة . وقفا على متن السفينة بمواجهة الشاطئ . ووقف الرجل على الشاطئ المفروش بالحصى وكان هو الوحيد الذى لم يركب السفينة ، ونظر للخلف ثم أطلق صيحة ألم وعندما ترددت أصداؤها واختفت كانت السفينة قد سارت على سطح النهر بدون هواء يدفعها أو مجاديف . تبددت رؤياه الآن

وصارت مبهمة وقبل أن تختفى شاهد إيراجون تنيناً يطير فى السماء .

* * *

عندما استعاد إيراجون وعيه سمع صوت صرير لشىء يتحرك إلى الأمام وإلى الخلف .هذا الصوت المستمر جعله يفتح عينيه ويحدق إلى السقف المصنوع من القش فوقه . كانت تغطى إيراجون بطانية خشنة وتدثره ؛ لأنه كان عاريا تمامًا تحتها . وجد ساقيه مربوطتين بالضمادات ، وكانت هناك قطعة قماش نظيفة حول مفاصل يده .

كان فى كوخ مكون من حجرة واحدة ، وكانت هناك مائدة عليها يد الهون وإناء الطحن الخاص به وأطباق ونباتات مختلفة . وكانت هناك أعشاب مجففة فى صفوف معلقة على الحائط تملأ الجو برائحة قوية . تراقصت ألسنة النيران فى المدفأة وأمامها جلست امرأة ممتلئة على كرسى هزاز رفيع ــ لقد كانت جيرترود طبيبة البلد ، كان رأسها يتمايل وعيناها مغلقتين وعلى حجرها توجد إبرتا حياكة وبكرة من خيط الصوف .

على الرغم من أن إيراجون شعر بأنه بلا أى طاقة ، فإنه جلس على الفراش بشق الأنفس ، وهذا ساعده على تهدئة عقله وصفاء ذهنه ، ظل يقلب ذكريات ما حدث منذ يومين . وأول ما خطر فى ذهنه هو جارو ، وبعده جاءت فى ذهنه صورة سفيرا . أتمنى أن تكون فى مكان آمن . حاول الاتصال بها ذهنيًا لكنه لم يتمكن . وأينما كانت ، فمكانها بعيد جدًا عن كارفاهول ، على الأقل جاء بى

بروم إلى كارفاهول ، أتساءل ما الذى حدث له ؟ كانت الدماء تسيل منه .

اهتزت جيرترود وتململت وفتحت عينيها اللامعتين وقالت : " ياه . لقد تيقظت أخيرًا ، رائع ! كان صوتها حنوناً ودافئاً : " كيف حالك الآن ؟ " .

" جيد ، أين جارو ؟ "

جذبت جيرترود المقعد بجوار الفراش وقالت : " فى منزل هورست ، لم يكن هناك مكان لكليكما هنا . واسمح لى بأن أخبرك بشىء ؛ لقد جعلنى ذلك على أهبة الاستعداد ومتحركة دائمًا ، واضطررت للحركة جيئة وذهابا لرعايتكما " .

تناسى إيراجون قلقه لبرهة وقال : " كيف حال جارو ؟ " .

صمتت لبرهة وفحصت يديها وقالت : " إنه ليس بخير ، إنه محموم والحمى لم ترحل عن جسده بعد ، وجروحه لم تلتئم " .

يجب أن أراه . ثم حاول النهوض .

" ليس قبل أن تتناول شيئاً من الطعام " . قالت بحدة وهى تدفعه لكى يستلقى ثم أضافت : " لم أقض كل هذا الوقت جالسة بجوارك لكى تقوم وتؤذى نفسك . نصف جلد رجليك كان ممزقا وقد شفيت من الحمى ليلة أمس فقط . لا تقلق " . ثم وضعت جيرترود الغلاية على النار وبدأت تقطع اللفت من أجل الحساء .

" كم يومًا مكثته هنا ؟ " .

" يومين كاملين " .

يومان ! هذا يعنى أن آخر وجبة تناولتها كانت منذ أربعة أيام فى الصباح ! مجرد التفكير فى ذلك جعله يشعر بالضعف . لقد ظلت سفيرا بمفردها طوال هذا الوقت ، أتمنى أن تكون بخير .

" كل البلدة تريد معرفة ما حدث ، ولقد أرسلوا رجالا إلى مزرعتكم ووجدوها حطاما " . أومأ إيراجون فلقد كان يتوقع ذلك . قالت جيرترود : " ومخزن الحبوب تم إحراقه .... هل كان جارو بداخله ولذلك جُرح ؟ " .

قال إيراجون : " لا أعرف ، لم أكن هناك عندما حدث ما حدث " .

" حسنًا ، لا يهم الآن ، أنا متأكد من أن كل شىء سينكشف عاجلاً أم آجلاً " . ثم واصلت جيرترود الحياكة أثناء طهى الحساء ، وقالت : " يوجد جرح غائر فى راحة يديك " .

أطبق على يديه بحركة لاإرادية وقال : " نعم "

" كيف جرحت نفسك هكذا ؟ "

تداعت إلى ذهنه عدة إجابات محتملة لكى يكذب عليها فاختار أبسطها وقال : " منذ أن كنت طفلا كانت هذه العلامة فى يدى ولم أسأل جارو أبدًا كيف حدث لى هذا " .

" حسنا " . ساد الصمت حتى نضج الحساء ووصل لمرحلة الغليان . صبت جيرترود الحساء فى طبق وأعطته لإيراجون مع ملعقة ، فقبله شاكرا وتناول ملء ملعقة بحرص فوجد الحساء شهيًا .

عندما انتهى منه قال : " هل يمكننى زيارة جارو الآن ؟ " .

تنهدت جيرترود قائلة : " أنت عنيد للغاية ، أليس كذلك ؟ حسنا ، إذا أردت الذهاب فلن أمنعك ، ارتدِ ملابسك وسنذهب معًا " .

أعطته ظهرها لكي يرتدى ملابسه فارتدى بنطاله بصعوبة ووجهه يعتصر من الألم عندما احتك البنطال بجراحة المضمدة ، ثم ارتدى قميصه . ساعدته جيرترود على النهوضٍ وكانت قدماه ضعيفتين لكنهما لا تؤلمانه مثلما حدث سابقا .

قالت له : " تحرك بضع خطوات " . ثم أضافت بجفاء : " على الأقل لن تضطر إلى الحبو حتى هناك " .

بالخارج ، كانت هناك رياح شديدة تحمل الدخان من مداخن المبانى المجاورة إلى وجهيهما . كما أخفت سحب العواصف الثلجية منطقة سباين وغطت الوادى بينما أقبلت سحب من الثلوج إلى القرية بسرعة ؛ مما أخفى التلال الصغيرة ، استند إيراجون بكل ثقل وزنه على جيرترود فى الطريق عبر شوارع كارفاهول .

بنى هورست منزله المكون من طابقين على تل صغير لكى يستمتع بمنظر جبلي يطل عليه من النافذة ، وقد بذل كل مهاراته فى بناء هذا المنزل . كان السقف المغطى بالحصى الناعم يلقى بظله على الشرفة المعدنية الممتدة من نافذة طويلة فى الطابق الثانى ، وكان كل ميزاب على هيئة حيوان مخيف ، وكل نافذة وباب عليها إطار من الحيوانات المنحوتة كالثعابين والغزلان والغربان وعناقيد الكروم .

فتحت لهما إيلين زوجة هورست الباب ، وهى امرأة نحيلة وضعيفة البنية ولها ملامح دقيقة وشعرها ناعم

وأشقر يجتمع فى كرة خلف رأسها . كان رداؤها بسيطاً وأنيقا وحركاتها رشيقة . قالت بهدوء : " تفضلا بالدخول " . دخلا عبر عتبة الباب إلى قاعة كبيرة جيدة الإضاءة . كان هناك سلم وله درابزين مصقول ولامع يؤدى للطابق العلوى ، كانت الحوائط فى لون العسل . ابتسمت إيلين إلى إيراجون ابتسامة حزينة ، لكنها خاطبت جيرترود قائلة : " كنت على وشك الإرسال إليك طلبًا لحضورك ، لم يتحسن حتى الآن ، ويجب أن تصعدى إليه حالاً " .

قالت جيرترود : " إيلين ، عليك مساعدة إيراجون ليصعد السلم " ، ثم أسرعت فى الصعود على السلم درجتين فى كل خطوة " .

قال إيراجون : " يمكننى الصعود بمفردى " .

قالت إيلين : " هل أنت متأكد ؟ " ، أومأ برأسه فبدا عليها الشك وقالت : " حسنا ... بعد انتهائك من زيارته ، تعال للمطبخ ، لدىَّ فطائر ساخنة وطازجة لكى تستمتع بها " . وبمجرد أن ذهبت ، مال ناحية الحائط فى ضعف وهو يرحب بهذا الدعم ، ثم همّ بصعود السلم وكل خطوة مصحوبة بآلام مبرحة . وعندما وصل للطابق الثانى ، نظر إلى الممر الطويل الممتلئ بالأبواب المؤدية إلى حجرات مختلفة ، كان آخر باب مفتوحًا . التقط إيراجون نفسًا عميقًا ثم سار ببطء ناحيته .

كانت كاترينا تقف بجوار المدفأة تغلى خرق القماش ، ثم نظرت إلى إيراجون وهمست له بكلمات الأسف والعزاء لما أصابه ثم عادت لعملها . كانت جيرترود تقف بجوارها

وتطحن الأعشاب لعمل دهان طبى . وكان بجوار قدميها دلو من الثلج الذى بدأ يذوبٍ .

كان جارو مستلقيا على فراش ومدثراً بأغطية كثيرة وثقيلة . كان العرق يغطى جبهته وعيناه تتحركان بشكل لاإرادي تحت جفنيه . كان جلد وجهه منكمشا مثل جلد جثة رجل ميت . وكان مستلقيًا بلا حراك عدا الاهتزازات الخفيفة نتيجة تنفسه غير العميق . لمس إيراجون جبهة خاله وشعر بأن ما يراه غير معقول . كانت جبهته ساخنة ، ورفع الغطاء بترقب ورأى الخرق تغطى كل جروح جسد جارو . وبالنسبة للجروح التى يتم تغيير الضمادات بها كانت الحروق معرضة للهواء ، ولم تلتئمٍ بعد ، نظر إلى جيرترود بعينين يملؤهما اليأس وسأل قائلا : " هل يمكنك أن تفعلى شيئاً حيال ذلك ؟ " .

وضعت خرقة فى دلو الماء المثلج ثم وضعتها على رأس جارو وقالت : " جربت كل شىء : الدهانات والمراهم والدواء المذاب فى الكحول ، لكن لم تفلح كل هذه العلاجات . إذا التأمت الجروح فستزيد فرصة نجاته . لكن مع ذلك قد يتحسن الوضع ، فهو قوى البنية " .

تحرك إيراجون إلى أحد الأركان وانهار على الأرض جالسا . ليست هذه هي الحال التى ينبغى أن يكون عليها كل شىء ! ابتلع الصمت أفكاره ، ثم حدق بلا اكتراث إلى الفراش ، ثم بعد قليل لاحظ أن كاترينا تنحنى بجواره وتطوقه بذراعيها ، لكن عندما لم يتجاوب معها تركته فى خجل .

بعـد ذلـك فُـتِحَ البـاب ودخـل هورسـت وتحـدث إلى جيرترود بصوت خفيض ثـم اقـترب مـن إيراجـون قـائلاً : " هيا بنا ، يجب أن تخـرج مـن هنـا " . وقبـل أن يعـترض إيراجـون ، جـره هورسـت مـن يديـه لكـي يقـف ثـم قـاده كالماشية عبر الباب .

صاح معترضًا : " أريد البقاء هنا " .

" بل أنت بحاجة إلى الراحـة والهـواء النقـى ، لا تقلـق ستعود إليه بعد قليل " .

على مضض ، تـرك إيراجـون هورسـت الحـداد يسـاعده على نزول السلم وحتى المطبخ . كانت تفوح فى الهواء روائح شهية لعدة أصـناف مليئـة بالتوابـل والأعشـاب يسـيل لهـا اللعاب وتجعل المرء يصاب بالدوار من فرط اللذة . كـان ابنـا هورسـت : أولـبريش وبالـدور فـى المطـبخ يتحـدثان مـع والدتهما وهى تعجن الخبز ، لكنهمـا صـمتا عنـدما شـاهدا إيراجون ، لكنه سمع ما يكفى لمعرفة أنهم كـانوا يتناقشـون فى مسألة جارو .

مد له هورست مقعدًا وقال : " اجلس هنا " .

ألقى إيراجون بنفسه على المقعـد وهـو يشـعر بالامتنـان قائلاً : " شـكرا لـك " ، كانـت يـداه ترتعشـان قلـيلاً لـذلك ضمهما معًا على حجره . ثم وضع أمامه طبقًا مليئـاً بالطعـام المتنوع .

قالت إيلين : " لسـت مضطراً لإنهـاء كـل تلـك الكميـة لكنها متاحـة إن أردت " . ثـم عـادت للطهـي بينمـا أمسـك بالشوكة وتناول بالكاد بضع لقيمات .

قال له هورست : " كيف حالك الآن ؟ " .

" فظيع " .

انتظر الحداد للحظة ثم قال : " أعرف أن الوقت ليس مناسباً لسؤال كهذا ... لكننا نريد أن نعرف .... ماذا حدث بالضبط ؟ " .

" لا أتذكر حقاً " .

مال هورست ناحيته وقال : " إيراجون ، لقد كنت أحد من ذهبوا لرؤية مزرعتكم ، والمنزل لم يتهاوى بل انفجر إلى قطع متناثرة . كانت تحيط به آثار أقدام وحش ضخم لم أره أو أسمع عنه من قبل ، لقد رآها الآخرون أيضًا . إذا كان هناك وحش أو ظل يحوم فى الغابة فيجب أن نعرف ، أنت الوحيد الذى ستخبرنا " .

عرف إيراجون أن عليه أن يكذب فقال : " عندما غادرت كارفاهول ..." ، وعد على أصابعه : " منذ أربعة أيام ، كان هناك .. غرباء فى المدينة يسألون عن الحجر الأزرق الذى وجدته " . ثم أشار إلى هورست وأردف قائلاً : " أنت من حدثتنى عنهم ، وبالتالي أسرعت نحو المنزل " .

كانت كل العيون ترمقه وهو يسرد ما حدث فلعق شفتيه وقال : " لم يحدث شيء فى هذه الليلة ، فى صباح اليوم التالي ، انتهيت من الأعمال المنزلية المعتادة وذهبت للتنزه فى الغابة ، ولم يمض وقت طويل حتى سمعت دوى الانفجار ورأيت دخانا أسود عبر الأشجار . ركضت نحو المنزل بأسرع ما يمكنني ، ولكن أيا كان الفاعل فلقد اختفى بالفعل . حفرت الحطام والأنقاض .... ووجدت جارو " .

قال أولبريش : " ثم وضعته على لوح الخشب وجررته لمسافة ما ؟ " .

قال إيراجون : " نعم ، وقبل أن أتحرك نظرت إلى الطريق وكانت هناك آثار أقدام للرجلين " ، ثم وضع يده فى جيبه وأخرج قطعة القماش السوداء وقال : " كان جارو يمسك بهذه ، وأظنها تنتمي للغريبين حيث كانا يرتديان نفس النوع من القماش " . ثم وضع القطعة على المائدة .

قال هورست : " أوافقك الرأى " . ثم بدا عليه التفكير والغضب وقال : " وماذا عن رجليك ؟ كيف جرحتا ؟ " .

قال إيراجون : " لست متأكداً " ، وهز رأسه بالنفي وقال : " أعتقد أن ذلك حدث عندما كنت أخرج جارو من تحت الأنقاض ، لكنى لست متأكدًا ، لم أدرك ما حدث إلا عندما اكتشفت الدماء تقطر من قدميّ " .

صاحت إيلين : " شيء بشع ! " .

قال أولبريش بحماس : " يجب أن نطارد هذين الرجلين ، لن يفلتا بما اقترفاه من فعلة نكراء ! سنلحق بهما غداً بخيولنا ونعيدهما إلى هنا " .

قال هورست : " دعك من هذه الحماقات ، بوسعهما أن يحملاك كطفل رضيع ويلقيا بك على شجرة . هل تتذكر ما حدث للمنزل ؟ لا يجب اعتراض طريق مثل هؤلاء الناس ، كما أنهم حصلوا على ما يريدون " ، ثم نظر إلى إيراجون وقال : " لقد أخذا الحجر الأزرق ، أليس كذلك ؟ " .

" لم يكن بالمنزل " .

" ليس لديهما سبب للعودة بما أنهما قد حصلا عليه " .

ونظر هورست نظرة ثاقبة إلى إيراجون وقال : " لم تذكر لنا سبب الآثار الغريبة ، هل تعرف من أين أتت ؟ " .

هز إيراجون رأسه بالنفي وقال : " لم أرها " .

قال بالدور سريعًا : " لا يروق لى ذلك ، هذا ينم عن حركات السحر . من هؤلاء الناس ؟ هل هما من مخلوقات الظلال ؟ لماذا أرادا الحصول على الحجر ، وكيف دمرا المنزل باستخدام قوى السحر الأسود ، ربما تكون على حق يا أبي ، ربما يكون الحجر هو كل ما أرادا الحصول عليه ، لكننى أظن أننا سنراهما مجددًا .

خيم الصمت لبرهة من الوقت ، لقد تم إغفال شيء ما ، لكن إيراجون لا يعرف ما هو ، ثم خطر بباله فجأة ، فقال والشك يملأ صوته وقلبه يتوجس خيفة : " لا يعرف روران ما حدث أليس كذلك ؟ " ثم قال لنفسه : " كيف نسيته ؟ " .

هز هورست رأسه بالنفي وقال : " رحل مع ديمبتون بعد برهة من رحيلك . وإذا لم يكونا قد صادفا مشكلات على الطريق ، فهما الآن فى مدينة ثيرينسفورد . منذ يومين كنا سنرسل له رسالة ، لكن الجو كان باردًا جدًا بالأمس وأول أمس " .

قال أولبريش : " لقد كنت على وشك الرحيل مع بالدور للذهاب إليه عندما استيقظت " .

تحسس هورست لحيته وقال : " اذهبا وسأساعدكما فى إعداد الخيل " .

قال بالدور لـ " إيراجون " : " سأطلعه على ما حدث بلطف " . ثم خرج مع هورست وأولبريش من المطبخ .

ظل إيراجون على المائدة وركز ببصره على عقدة فى الخشب ، كانت كل التفاصيل واضحة له : " العقدة ذات المركز المتقوس والنتوءات البارزة غير المنتظمة ، والعروق

الخشبية الصغيرة ذات اللون الباهت . كانـت العقـدة مليئـة بتفاصيل لا نهاية لهـا ، وكلمـا حـدق إليهـا واقـترب منهـا لاحظ المزيد من التفاصيل ، بحث عن إجابات لأسئلته ولكـن حتـى وإن كانـت هنـاك إجابـات ، فلابـد أن تكـون غـير كافيـة " .

جاء هاتف قطع حبل أفكاره المتضاربة وبدا كصرخـة مـن الخارج . تجاهل هذا الهاتف . لندع شخصا آخر يتولى هـذا الأمر . جاءه الهاتف مرة أخرى وأعلى من المـرة السابقة إلا أنه نهره بعنف وغضب وقال في نفسـه : " جـارو يسـتريح الآن " . ثم نظر خلسة إلى إيلين ، لكنها لم تبد منزعجة من أي ضوضاء .

جـاءت صـيحة هائلـة في ذهنـه قائلـة : " إيراجـون " لدرجة أنه كاد يسقط من على مقعده . نظر حولـه في فـزع ، لكن لم يتغير أي شيء . أدرك في النهاية فجـأة أن الصياح كان داخل رأسه فقط .

قـال بقلـق : " سـفيرا " بعـد برهـة مـن الصـمت سمـع صوتًا : " نعم ياذا الأذن الحجرية " .

بدا عليه الارتياح وقال : " أين أنت ؟ "

أرسلت له صورة لمنطقة صغيرة بها عدد مـن الأشـجار : " حاولت الاتصـال بـك عـدة مـرات لكنـك كنـت بعيـدًا عـن المجـال " .

" كنت مريضًا ... لكنـي بخـير الآن ، لمـاذا لـم أتمكـن من الشعور بك مبكـرا ؟ " .

" بعـد ليلـتين مـن الانتظـار تضـورت جوعًـا واضـطررت للصيد " .

" هل أصطدت شيئاً ؟ "

" ظبي صغير ، كان بارعًا فى الاحتراس من الحيوانات المفترسة البرية ولم يضع فى حسبانه هجومًا جويًا . عندما التقطته بين فكي ظل يركل بكل قوة وحاول الهرب ، لكنى كنت الأقوى وعندما أيقن بالهزيمة استسلم للموت ، هل جارو يقاوم الموت ؟ " .

" لا أعرف " . وعندئذ أخبرها بالتفاصيل ، ثم قال لها : " سيطول الوقت حتى نعود للمنزل ، لن أتمكن من رؤيتك ليومين على الأقل ، ولذا عليك أن ترتاحى الآن " .

قالت وهى غير سعيدة : " سأفعل ما تريد لكن لا تتأخر عليّ " .

أنهيا الاتصال على مضض ، نظر إيراجون من النافذة واندهش لأنه وجد الشمس مشرقة . شعر بالتعب فسار وهو يعرج نحو إيلين ، التى كانت تلف قطع اللحم بشطائر مغموسة فى الزيت وقال : " سأعود لمنزل جيرترود لكى أنام " .

أنهت إيلين تغليف الفطائر وقالت : " لماذا لا تبقى معنا ؟ ستكون أقرب لخالك وتستعيد جيرترود فراشها " .

قال لها وهو يرتجف : " هل لديك حجرات كافية ؟ " .

قالت له وهى تمسح يديها : " بالطبع ، تعال معى ، سأعد كل شيء . ثم اصطحبته إلى الطابق العلوى إلى حجرة فارغة ، وجلس على طرف الفراش فقالت : " هل تحتاج لشيء آخر ؟ " فهز إيراجون رأسه بالنفي ، فقالت : " فى هذه الحالة سأكون بالأسفل ، نادنى عندما تحتاج للمساعدة . سمع صوت خطوات نزولها على السلم . ثم فتح

الباب وتسلل عبر الممر لحجرة جارو . ابتسمت له جيرترود عندما دخل وهى تحيك بأدوات الحياكة .

قال لها : " كيف حاله الآن ؟ " .

قالت بصوت بدا عليه الإجهاد : " إنه ضعيف ؛ لكن الحمى ذهبت عنه قليلا ، وهذا قد يعنى أنه بدأ يتماثل للشفاء " .

هذا خفف من الحالة المزاجية السيئة لإيراجون ، ثم عاد إلى حجرته . بدا الظلام غير مريح وهو يتدثر بالأغطية ، ولكنه فى النهاية نام بعمق لكى يعالج جروح البدن والروح التى عانى منها .

جنون الحياة

استيقظ إيراجون وقام فزعًا من فراشه فى الظلام ، وكان يتنفس بصعوبة ، كانت الحجرة باردة واقشعر بدنه وظهرت نتوءات على ذراعيه وكتفيه من الخوف والبرد ، كان الوقت قبل الفجر بساعات قليلة . وقت لا يتحرك فيه أي شىء وكانت الحياة تنتظر أولى لمسات أشعة الشمس الدافئة .

دق قلبه بعنف وتوجس خيفة وشعر أن ثمة شيئاً ما حدث . بدا وكأن هناك كفناً غطى العالم كله ، وأن أكثر مكان به ظلام دامس هو حجرته . قام بهدوء من فراشه وارتدى ملابسه . سار بترقب عبر الممرٍ بسرعة وشعر بالفزع عندما رأى باب حجرة جارو مفتوحاً وتجمع كل الناس بالداخل .

كان جارو مستلقيًا فى سلام على الفراش وكان يرتدى ملابس نظيفة وتم تسريح شعره إلى الخلف ، وكان وجهه يبدو هادئاً . كان يخيل للمرء أنه نائم ، لو لم تكن هناك

حول رقبته تميمة فضية ووريقة من نبات الهيملوك الجاف على صدره ، وهى آخر هدايا ممن هم على قيد الحياة إلى الأموات .

وقفت كاترينا إلى جواره وكان وجهها شاحبًا وعيناها منكستين لأسفل وسمعها تهمس قائلة : " كنت أتمنى أن أدعوه أبى فى يوم من الأيام ... " .

قال إيراجون لنفسه فى مرارة : " أن تدعوه أباها ، إنه حق لم أحصل أنا عليه " . ثم شعر وكأنه شبح ذهبت عنه الحيوية وبدا كل شيء هلاميًا وغير مرئى وغير ذا أهمية عدا وجه جارو ، ترقرقت الدموع على خد إيراجون وظل واقفاً فى مكانه وكتفاه تهتزان لكنه لم يصرخ أو يبكى بصوت عال . لقد فقد كل من يعرفهم - الأم وزوجة الخال والآن الخال . كان الحزن يكاد يطبق على أنفاسه بقوة ووحشية جعلته يترنح . قاده أحدهم إلى حجرته وهو يهمس بكلمات العزاء .

سقط متهاويًا على الفراش ووضع ذراعيه حول رأسه وبكى وانتحب بشكل لا إرادى . شعر بـ " سفيرا " تحاول الاتصال به ، لكنه نحى اتصالها جانبًا وترك نفسه يبكى وتملكه الحزن . لم يتمكن من قبول حقيقة موت جارو . إذا كان قد مات فماذا تبقى له لكى يؤمن به ؟ فقط ، عالم بلا رحمة أو شفقة ، يحصد الأرواح كما تطفأ الشموع بواسطة الرياح .

شعر بالإحباط والخوف ووجه وجهه الذى بللته الدموع للسماء وصاح : " لماذا حدث ذلك ؟ لم يكن يستحق ما حدث له ! " هرع جميع من فى المنزل إليه فى حجرته .

لسته أيدى الناس الحنونة لكى يهدئوا من روعه وشعر إيراجون بـ " إيلين " تجلس بجواره واحتضنته وهو يبكى ، وفى النهاية شعر بالإرهاق ونام رغمًا عنه .

نصل راكب التنين

غلف الحزن والألم إيراجون وهو يستيقظ . وعلى الرغم من أنه لم يفتح عينيه بعد إلا أنه لم يتمكن من منع انهمار الدموع مرة أخرى . حاول أن يبحث ليجد فكرة أخرى أو أملاً آخر لكى يساعده على الحفاظ على عقله حتى لا يندفع إلى حافة الجنون .

صاح لنفسه فى ألم : " لن يمكننى العيش مع هذه الذكريات الأليمة " .

تردد صدى صوت سفيرا فى رأسه : " أنت لست مضطراً لقبول ذلك " .

" كيف ؟ لقد ذهب جارو إلى الأبد ! وبمرور الوقت ، سألقى نفس المصير . الحب ، العائلة ، الإنجازات . كلها تمزقت إربًا ، ولم يبق لها أثر ، ما قيمة أى شىء نفعله ؟ "

" القيمة فى الفعل . تتوقف قيمتك عندما تتنازل عن الرغبة فى تغيير الحياة وخوض غمار تجاربها . لكن هناك

خيارات متاحة أمامك ؟ اختر أحدها وكرس حياتك له . الفعل سيعطيك هدفاً وأملاً جديداً " .

" ماذا بإمكانى أن أفعل ؟ "

" اجعل قلبك دليلك الصادق . لن يساعدك شىء سوى أن تنصت لرغباته " .

تركته يتأمل عباراتها ، فأخذ يتبين انفعالاته ، وفوجئ أنها ليست مجرد حزن بل غضب حانق صاح قائلاً : " ماذا تريدين منى ... أن أتتبع الغرباء ؟ " .

" نعم " .

حيرته إجابتها الصريحة ، فالتقط نفسًا عميقًا وهو يرتعد قائلا : " لماذا ؟ " .

" هل تذكر ما قلته لى فى سباين ؟ كيف ذكرتنى بواجبى كتنين ، واستعدت معك رغبتى الدفينة فى غريزتى ؟ إذن يجب أن تتحلى بضبط النفس والتحكم بها لقد ظللت أفكر بعمق طوال الأيام الماضية وأدركت معنى التنين وراكبه : " إنه قدرنا أن نحاول إنجاز المستحيل ، بل وإنجاز أعمال عظيمة بغض النظر عن الخوف . إنها مسئوليتنا فى المستقبل " .

صرخ إيراجون قائلاً : " لا أهتم بما تقولين ، ليست تلك أسبابًا مقنعة للرحيل من هنا ! " .

" توجد أسباب أخرى ، لقد شاهد الناس آثارى وعلموا بوجودى ، وفى النهاية سوف ينكشف أمرى ، كما أنه لم يبق شىء لك هنا . لا مزرعة ولا عائلة ولا .....

قال لها بقوة : " روران لم يمت بعد ! "

" لكنك لو بقيت هنا ستضطر لشرح كل ما حدث له ، لديه الحق لمعرفة كيف قتل والده ولماذا ، ثم ماذا سيفعله بمجرد أن يعلم بوجودى ؟ " .

دارت مناقشتها فى رأسه ، لكنه ارتعد من فكرة أن يهجر وادى بالانكار ، فهو موطنه ، لكن مسألة الانتقام من الغرباء كانت تريحه بشدة . *هل أنا قوى بالقدر الكافى للانتقام منهم ؟*

أنا معك .

انتابه الشك ، فهذا شىء خطير ويائس وعنيف . شعر بالاحتقار لعدم قدرته على اتخاذ القرار ، ثم ابتسم ابتسامة قاسية وقال لنفسه إن سفيرا على حق . لا شىء يهم الآن سوى الأفعال لا الأقوال . الفعل هو الحقيقة . لن يرضيه سوى مطاردة الغرباء . بدأت الطاقة تدب وتسرى فى أوصاله واستحوذت على انفعالاته وجعلته كتلة واحدة من الغضب ومصكوك عليها كلمة واحدة : " الانتقام ! " شعر بالفكرة تسيطر على عقله وهو يقول بثبات وإيمان راسخ : " سأفعلها " .

قطع اتصاله بـ " سفيرا " ونهض من فراشه ، وكان جسده متوترا كالزنبرك المضغوط ، كان الوقت هو الصباح الباكر ، لقد نام فقط بضع ساعات . *ليس هناك ما هو أخطر من عدو لا يخشى الخسارة ، وهذا هو ما أصبح عليه الآن .*

كان بالأمس لا يستطيع سوى المشى بصعوبة ولكنه الآن يتحرك بثقة ، وهذا بسبب إرادته الحديدية . الألم الذى شعر به جسده تم تجاهله فى تحد .

بينما تسلل خارج المنزل ، سمع همهمة شخصين يتحدثان ، شعر بالفضول فتوقف وسمع . كانت إيلين تقول بصوت رقيق : " ... مكان للبقاء هنا . لدينا حجرة له " ، أجابها هورست كالهدير المنخفض بصوت غير مسموع ، ثم سمع إيلين تقول : " نعم ، يا له من ولد مسكين " .

أول ما سمعه إيراجون من هورست هو : " ربما ... " ثم توقف لبرهة ثم قال : " كنت أفكر فيما قاله إيراجون ، ولست متأكدًا ما إذا كان قد أخبرنا بكل شيء أم لا " .

قالت إيلين : " ماذا تعنى ؟ " ، وكان القلق يبدو واضحاً في صوتها .

" عندما ذهبنا للمزرعة ، كان الطريق مكشوطًا بسبب اللوح الذى دفع جارو إلى هنا . ثم وصلنا لمكان ممتلئ بالثلوج التى غطت كل الآثار ، ثم توقفت الآثار عند ذلك لكننا رأينا آثار أقدام عملاقة آتية من المزرعة . وماذا أيضاً عن أرجل إيراجون ؟ لا أصدق أنه لم يلاحظ كل الجلد المجروح . لم أرغب فى الإصرار على الحصول على إجابات منه فى السابق ، لكننى أحتاج إلى ذلك الآن بشدة " .

قالت إيلين : " ربما رأى ما يفزعه لدرجة أنه لا يريد التحدث عنه ، هل رأيت كم هو شارد الذهن ؟ " .

" هذا لا يفسر كيف نجح فى نقل جارو طوال هذه المسافة بدون ترك أى أثر

قال إيراجون لنفسه : " سفيرا على حق ، حان وقت الرحيل . توجد أسئلة كثيرة وأناس كثيرون يتساءلون . عاجلاً أو آجلاً . سيعرفون الإجابات " . وسار نحو باب

الخروج وهو يشعر بالقلق كلما أحدثت الأرضية الخشبية صريرًا تحت قدميه .

كانت الشوارع تخلو من المارة ، وقليل جدًا من الناس كانوا مستيقظين فى هذا الوقت من اليوم . توقف لمدة دقيقة وأجبر نفسه على التفكير بتركيز : " لا أحتاج إلى حصان فمعى سفيرا لكى أمتطيها ، لكنها تحتاج إلى سرج . ويمكنها الصيد لكلينا ، ولن أقلق بشأن الطعام ... لكنى سأحصل على بعض منه الآن على أية حال . وأى شىء آخر سأحتاج إليه سأجده مدفونًا تحت أنقاض المنزل " .

ذهب إلى متجر جيدريك حيث توجد أوانى دبغ الجلود فى ضواحى كارفاهول . كانت رائحة الدباغة منفرة وجعلته يتراجع للوراء فى تقزز ، لكنه بعد ذلك واصل المسير واتجه لكوخ بجوار تل حيث يخزن فيه جيدريك الجلود المدبوغة . أخذ إيراجون ٣ قطع جلد ثور من القطع المعلقة على السقف .

شعر بالذنب من السرقة لكنه برر لنفسه ما حدث كالتالى : " أنا لا أسرق ، سأدفع لـ " جيدريك " ثمن ما أخذته لاحقًا ، وكذلك هورست " . ثم قام بلف الجلد السميك ووضعه بين فروع أشجار فى مكان خفى خارج القرية ثم عاد إلى كارفاهول .

الآن حان وقت الحصول على الطعام . ذهب لمطعم مغلق وهو يعتزم سرقته ، ثم ابتسم بحماس وعكس اتجاه سيره . إذا كان عليه أن يسرق ، فيجب أن يسرق سلوان . تسلل إلى منزل الجزار سلوان . وكان الباب الأمامى محكم الغلق فى حالة عدم وجود الجزار لكن الباب الجانبى كان مغلقا

بسلسلة رفيعة يمكن كسرها بسهولة . كانت الغرفة مظلمة من الداخل ، فظل يتحسس طريقه في الظلام حتى وجدت يداه أكوام اللحم الملفوف في القماش ، فوضع أكبر كمية منها تحت قميصه ، ثم أسرع بالعودة للشارع وأغلق الباب بسرعة محمومة .

صاحت امرأة باسمه من مكان قريب منه .

أمسك بطرف قميصه لكيلا تقع أكوام اللحم ، ثم أسرع بالاختفاء خلف ركن من الأركان . ثم ارتعد عندما رأى هورست يمشي بين منزلين ويبعد عنه بمسافة ١٠ أقدام .

ركض إيراجون بمجرد أن ابتعد هورست . آلمته قدماه وهو يعدو عبر الحارات وعاد للأشجار ، اختبأ عند الأشجار ثم استدار ليرى هل يتبعه أحد أم لا . لم يكن هناك أحد . شعر بالارتياح وتنفس الصعداء وهم بأخذ الجلود من الأشجار لكنها اختفت !

" هل ستذهب إلى مكان ما ؟ "

استدار إيراجون في سرعة البرق ووجد بروم ينظر إليه في غضب وكان هناك جرح غائر في جانب من رأسه ، كان هناك سيف قصير معلق في حزامه في غمد لونه بني . وكانت الجلود في يديه أيضا .

ضاقت عينا إيراجون من الغضب والضيق . كيف تمكن هذا العجوز من التسلل ومفاجأته ؟ كان كل شيءٍ هادئاً من حوله ، ويمكنه القسم على ذلك . صرخ قائلا : " أعطني الجلود " .

" لماذا ؟ هل ستهرب قبل دفن جارو ؟ " . كان الاتهام حاداً .

صاح بغضب : " ليس هذا من شأنك ! لماذا تتبعتني ؟ " .

" لم أتتبعك ، بل كنت في انتظارك هنا . والآن إلى أين أنت ذاهب ؟ " .

" لن أذهب لأي مكان " ، ثم قفز مهاجمًا عليه وانتزع من يده الجلود ولم يقاومه بروم .

" أتمنى لو كان معك لحم بكم كافٍ لإطعام التنين " .

تجمد إيراجون في مكانه وقال : " ما الذى تتحدث عنه ؟ " .

عقد بروم ذراعيه وقال : " لا تراوغني ، أعرف تلك العلامة على يديك *راحة اليد اللامعة* . وأعرف مصدرها : لقد لمست تنينا بعد أن خرج من بيضته إنني أعرف لماذا جئتني بأسئلتك ، وأعرف أن عهد راكبي التنين سيعود .

وقع اللحم والجلود من إيراجون وقال لنفسه : *"لقد وقع الأمر أخيرا ..." لابد أن أهرب ! لن أتمكن من الركض سريعًا مع جروح قدميّ لكن إذا .... سفيرا ! حاول استدعاءها ذهنيًا .*

مرت ثوان ثقيلة ولم يأت ردها ، وفي النهاية جاءه صوتها : *"نعم"* .

"لقد تم اكتشاف أمرنا ! أنا بحاجة إليك ! ثم أرسل لها صورة ذهنية عن مكانه فانطلقت على الفور . والآن عليه فقط تعطيل بروم ، فقال له بصوت أجش : " كيف علمت بالأمر ؟ " .

حدق بروم إلى الأفق وتحدث بلا صوت مع تحريك الشفاه وكأنه يحدث شخصاً آخر ثم قال : " كانت هناك آثار في كل

مكان ، كل ما فعلته هو الانتباه لها . إذا كان هناك من لديه المعلومات اللازمة كان سيفعل ما فعلت . كيف حال تنينك ؟ أخبرنى " .

قال إيراجون : " إنها بخير . لم نكن فى المزرعة عندما جاء الغرباء " .

" ياه ، قدماك . هل كنت تطير بالتنين ؟ "

قال لنفسه : " كيف علم بروم بذلك ؟ هل أجبره الغرباء على أن يفعل ذلك ؟ ربما يريدونه أن يستكشف وجهتى لكى ينصب لى كمينًا . وأين سفيرا ؟ " . وعندما ركز ذهنياً ، وجدها ترفرف وتطير فى دوائر فوقهما . تعالى !

كلا ، سأراقب المكان لفترة .

لماذا ؟

بسبب المذبحة التى وقعت فى دورو أريبا .

ماذا ؟

استند بروم إلى شجرة قريبة وابتسم ابتسامة خفيفة وقال : " لقد تحدثت معها ، ووافقت على البقاء فوقنا لكى نصل إلى اتفاق معا ونسوى خلافاتنا " . كما ترى ، ليس لديك خيار سوى أن تجيب عن أسئلتى . والآن ، إلى أين وجهتك ؟ " .

شعر إيراجون بالحيرة ، فحك جبهته وقال لنفسه : " *كيف تحدث بروم مع سفيرا* " ، ؟ ثم ترددت وتلاطمت الأفكار داخل ذهنه ووصل لنتيجة واحدة : سيخبر الرجل العجوز بشيء فقال : " سأجد مكاناً آمناً للاختباء أثناء التئام جروحى " .

" وماذا ستفعل بعد ذلك ؟ " .

لم يتمكن من تجاهل هذا السؤال . طن رأسه بشكل مزعجٍ أكثر . من المستحيل أن يفكر ، لم يعد أى شىء واضحا . لقد كان كل ما أراده هو ألا يخبر أحدًا بأحداث الشهر السابق . روحه تتمزق لأن السر تسبب فى موت جارو . وأخيراً استسلم وقال وهو يرتعد : " كنت سأقتفى أثر الغرباء وأقتلهم " .

" مهمة قوية وصعبة على من فى مثل سنك " ، كانٍ بروم يتحدث بنبرة عادية وكأن إيراجون قال للتو شيئاً مناسباً وواضحاً ويجب القيام به ثم أردف قائلا : " بالتأكيد محاولة تستحق المجهود وأنت الشخص المناسب لتنفيذها ، لكن مساعدتى لن ترفضها بالطبع " . ثم مد يده وسط الشجيرات وأخرج حقيبة كبيرة ثم قال بفظاظة : " على أية حال ، لن أجلس وهناك فتى صغير يتجول مع تنين " .

قال إيراجون لنفسه : " *هل يعرض المساعدة بالفعل أم أن هذا فخ ؟* كان خائفا مما قد يفعله الأعداء الغامضون . لكن بروم أقنع سفيرا بأن تثق فيه وتواصلا معا ذهنيًا . إذا لم تقلق هى .....

قرر إبعاد الشكوك عن ذهنه فى تلك اللحظة الراهنة ثم قال : " لا أحتاج إلى المساعدة " ، ثم أضاف بغيظ وعلى مضض : " لكن يمكنك المجىء " .

" إذن من الأفضل الإسراع بالرحيل " . ثم بدا وجهه ساكنًا للحظة ثم قال : " أعتقد أن تنينك سيسمعك الآن مرة أخرى " .

سأل إيراجون : " سفيرا " ؟

نعم .

قاوم رغبته فى سؤالها عن بروم وقال : " هلا قابلتنا فى المزرعة ؟ " .

نعم ، هل توصلتما إلى اتفاق ؟

أظن ذلك . ثم انتهى التواصل وحلقت بعيدا . نظر إيراجون نحو كارفاهول ورأى الناس يركضون من منزل لآخر . فقال " ربما يبحثون عنى " .

رفع بروم أحد حاجبيه وقال : " ربما ، هل نذهب ؟ " .

تردد إيراجون ثم قال : " كنت أود ترك رسالة إلى روران ، ليس من الصواب الهروب بدون ذكر السبب له " .

قال له بروم : " لقد رتبت الأمر ، لقد تركت له خطاباً عند جيرترود وشرحت بضعة أمور وحذرته لكى يحترس من الأخطار المحدقة به . هل هذا يرضيك ؟ " .

أومأ إيراجون ثم لف الجلود حول اللحم وبدأ فى المسير مع بروم ، حرصا على الاختفاء عن العيون حتى وصلا إلى الطريق ، ثم أسرعا فى إيقاع السير وهما متحمسان للابتعاد عن كارفاهول . سار إيراجون بإصرار وكانت آلام ساقيه مبرحة وحارقة . كما أن إيقاع السير المنتظم بلا شىء يدعو للقلق جعله يفكر بحرية . *بمجرد أن أصل لمنزلى ، لن أسافر مع بروم حتى أحصل على بعض الإجابات منه أولا . وأتمنى أن يخبرنى بالمزيد عن الفرسان راكبى التنين وعن الغرباء الذين سأحاربهم .*

ظهرت فى الأفق أنقاض المزرعة والتقى حاجبا بروم فى غضب . كان إيراجون حزينا بسبب سرعة الطبيعة فى إخفاء

المزرعة . فقد تجمعت أكوام الثلج والقاذورات داخل حطام المنزل وغطت وأخفت عنف هجمة الغرباء ، وكان كل ما تبقى من مخزن الحبوب هو مستطيلاً أسود فاحماً من السخام يتآكل بسرعة .

تحرك رأس بروم إلى أعلى عندما سمع صوت خفقان أجنحة سفيرا عبر الأشجار . هبطت وراءهما وكادت تلمس رأسيهما .

ترنحا عندما هب عليهما الهواء الناتج عن طيرانها فجأة . لمعت حراشيف سفيرا وهي تهبط ببطء وبرشاقة على المزرعة .

تقدم بروم للأمام وعلى وجهه تعبير يدل على الجدية والسعادة في نفس الوقت وكانت عيناه تلمعان وتلمع دمعة على خده قبل أن تختفي في لحيته الكثة . وقف لمدة طويلة يتنفس بصوت مسموع وهو يراقب سفيرا ، وهي أيضا كانت تشاهده . سمعه إيراجون يهمهم واقترب منه لكي يسمع .

" إذن ... بدأ مرة أخرى . لكن كيف وأين سينتهي ؟ لا يمكنني الرؤيا ولم يكشف الحجاب عن الغيب في المستقبل ، لا أعرف هل هذه مأساة أم ملهاة ، فعناصرهما متوفران . معا ... مهما كان الأمر ، لن أغير موقفي وأنا ... "

مهما كان ما قاله فلقد ضاع صوته مع الرياح عندما كانت سفيرا تقترب منهما بكل فخرٍ . تخطى إيراجون بروم وتظاهر وكأنه لم يسمع شيئاً وحياها ، بدا وكأن شيئا مختلفاً بينهما الآن ، وكأنهما يعرفان بعضهما أكثر عن قرب ، لكنهما مازالا غريبين عن بعضهما البعض . تحسس

عنقها وشعر برعشة تسرى فى راحة يده بينما تتلامس أذهانهما . نقلت له شعورها بالفضول .

لم أر من بنى الإنسان سواك أنت وجارو ، وكانت المصائب فادحة " .

لقد رأيت الناس يطاردوننى .

لكن المشاهدة بالعين تختلف . اقتربت وانحنت برقبتها لكى تفحص بروم بعينيها الزرقاوين الكبيرتين وقالت: " أنتم أيها البشر مخلوقات غريبة " هكذا قالت سفيرا منتقدة بنى البشر ، واستمرت فى التحديق إلى بروم .

وقف بروم بلا حراك وهى تشم الهواء ثم مد لها يده حنت سفيرا رأسها ببطء وسمحت له بلمس حاجبيها ، ثم أطلقت زفرة ثم عادت لمكانها خلف إيراجون . وكانت تعبث بذيلها على الأرض .

قال لها إيراجون : " *ما الأمر ؟* " .

لم ترد عليه .

قال بروم له بصوت منخفض : " ما اسمها ؟ " .

" سفيرا " . كان تعبير وجه بروم غريباً جدا وواجماً ، ودق الأرض بعصاه بقوة لدرجة أن مفاصل يده ابيض لونها . قال إيراجون : " من بين الأسماء التى ذكرتها لى اخترت هذا الاسم ؛ لأنه الوحيد الذى أحبته ، وهو يناسبها فى رأيى " .

قال بروم : " إنه مناسب تماماً " . كان هناك شىء ما فى نبرة صوته لم يتمكن من تحديده . هل كان شعوره بالخسارة أم بالدهشة . أم بالخوف أم بالحسد ؟ لم يكن متأكدًا ، ربما شىء آخر غير ما سبق . رفع بروم صوته

قائلاً : " تحياتى لك يا سفيرا ، لقد تشرفت بمقابلتك . ثم حرك يده حركه غريبة ثم انحنى .

قالت سفيرا بهدوء : " *هذا الرجل يروق لى* " .

لمسها إيراجون على كتفها وقال : " *بالطبع أروق لك . الجميع يحبون الإطراء* " . ثم اتجهوا للمنزل المحطم ، سارت سفيرا خلف إيراجون مع بروم وبدا العجوز مفعماً بالحيوية .

صعد إيراجون على حطام المنزل وزحف تحت الباب للوصول إلى بقايا الحجرة الخاصة به . أدركها بالكاد تحت أكوام الخشب المحطم . أرشدته الذاكرة فبحث داخل مكان الحائط ووجد حقيبته الفارغة التى كسرت جزئيًا لكن يمكن إصلاحها بسهولة . ظل يفتش بين الحطام والأنقاض حتى عثر على طرف قوسه فى النهاية والذى كان لا يزال فى جعبة من جلد الغزال .

على الرغم من أن الجلد تهرأ وتعرض لخدوش ، فإنه كان سعيدًا لأن خشب القوس كان سليمًا ومصقولاً بالزيت . *صادفت أخيرا حظًا سعيدًا* . ثم شد وتر القوس لاختبار متانته فوجده يتمتع بمرونة عالية بدون أى ارتخاء . شعر بالرضا وبحث عن جعبة سهامه ، ووجدها مدفونة فى مكان قريب وكان هناك الكثير من السهام مكسورة .

فك وتر القوس وأعطاه مع السهام لـ " بروم " ، الذى قال بدوره : " يحتاج المرء لذراع قوية لاستخدام قوس كهذا " ، تقبل إيراجون المديح فى صمت ، ظل يبحث فى كل أرجاء المنزل المحطم عن أى أدوات مفيدة ووضع كل ما جمعه بجوار بروم ، وكانت كومة صغيرة من الأدوات . قال

بروم : " ماذا سنفعل الآن ؟ " كانت عيناه حادتين وتنمان عن التساؤل ، فابتعد إيراجون عن النظر إليهما .

" سنجد مكاناً للاختباء " .

" هل تعرف مكاناً ؟ " .

" نعم " .

ربط كل الأدوات والطعام ـ عدا القوس ـ في صرة كبيرة محكمة الغلق ، ثم رفعها على ظهره وقال : " اتجه لهذا الطريق " وأشار نحو الغابة . *سفيرا ، اتبعينا طيراناً في الهواء ، فآثار أقدامك من السهل تتبعها* " .

حسناً ، وبدأت في الطيران خلفهما .

كان مكان وصولهم قريبًا ولكن إيراجون سار في طريق دائرى في محاولة منه لتضليل من يحاول اتباعهم . بعد ساعة وصل إلى منطقة شجيرات تصلح للاختباء . وكان المكان الخالى غير المنتظم في المركز يكفي لشخصين حول النار ومعهما التنين . تسلقت السناجب الصغيرة الحمراء الأشجار وهي تصيح اعتراضًا على هؤلاء الدخلاء . خلص بروم نفسه من أغصان الشجر وفحص المكان حوله باهتمام وسأل قائلاً : " هل يعرف أحد هذا المكان ؟ " .

" كلا ، لقد وجدت هذا المكان عندما انتقلنا للعيش في الغابة لأول مرة . لقد استغرق منى الأمر أسبوعاً لحفر هذا المكان في المنتصف وأسبوعاً آخر للتخلص من كل الأشجار الميتة والحطب اليابس . هبطت سفيرا بجوارهما وثنت أجنحتها وهي حريصة على عدم لمس الأشواك ، ثم تكورت حول جسدها وحركت الأغصان بحراشيفها الجامدة ووضعت

رأسها على الأرض لتستريح ، كانت عيناها اللتان لا تنمان عن أى شيء تتبعهما عن كثب .

مال بروم على عصاه وحدق إليهما ، وكان فحصه لها بدقة يجعل إيراجون متوترا .

راقبهما إيراجون حتى أجبره الجوع على الحركة ، فأشعل النار وملأ الإناء بالثلج ثم وضعه على النار لكى يذوب . وعندما غلى الماء ، قطع اللحم فى الإناء مع بعض الملح . قال لنفسه : *" ليست وجبة بمعنى الكلمة لكنها ستفى بالغرض ، غالبا سأتناول نفس الطعام للأيام القادمة ، ولذلك سأعتاد عليها "* .

نضج الحساء ببطء وملأت رائحته الذكية المنطقة . لعقت سفيرا بلسانها الهواء . وعندما نضج اللحم ، جاء بروم وقدم إيراجون الطعام . تناولا الطعام فى صمت مع تجنب النظر لعيون بعضهم البعض . بعد ذلك أخرج بروم غليونه وأشعله على مهل .

سأله إيراجون قائلاً : " لماذا أردت أن ترحل معى ؟ " .

نفث بروم الدخان من فمه وصعد الدخان بشكل لولبى عبر الأشجار حتى اختفى . وقال : " أنا مهتم جدا بالمحافظة على حياتك " .

صاح إيراجون : " ماذا تعنى ؟ " .

" فى الحقيقة ، أنا راوى قصص وأعتقد أنك ستكون قصة جديدة ورائعة لى . أنت أول فارس من راكبى التنين خارج تحكم الملك منذ مائة عام . ماذا سيحدث ؟ هل ستقتل؟ هل ستنضم إلى فاردن ؟ هل ستقتل الملك جالباتوريكس ؟ كلها

أسئلة مذهلة وسأحضر الأحداث كلها بنفسي ، مهما كلفني الأمر " .

شعر إيراجون بألم فى معدته . لم ير فى نفسه القدرة على القيام بأى شيء مما ذكره الراوى العجوز ، ولا يجب أن يقتل . قال لنفسه : *"أنا أريد الانتقام لكن الباقى .... ليس لدىَّ طموح* . ثم قال لبروم : " قد يحدث ذلك ، لكن أخبرنى ، كيف تحدثت مع سفيرا ؟ " .

تمهل بروم فى وضع المزيد من التبغ فى الغليون وعندما أشعله مرة أخرى ووضعه فى فمه بإحكام قال : " حسناً ، إن أردت الإجابات فستحصل عليها ، لكنها لن تروق لك " . ثم قام وأحضر حقيبته بجوار النار واستخرج منها شيئاً بدا طويلاً وملفوفاً بالقماش . كان هذا الشيء طوله حوالى ثلاث بوصات ونصف ويبدو ثقيلاً من طريقة حمله له .

أخذ يفك القماش من على هذا الشيء قطعة قطعة وكأنه مومياء ملفوفة بشاش ويتم فكها . حدق إيراجون وهو متصلب كالتمثال عندما اتضح أن هذا الشيء هو سيف . كانت رمانة السيف الذهبية فى حجم قطرة الدموع وجانباها مقطوعين لإظهار ياقوتة بحجم البيضة الصغيرة . كان مقبض السيف من الفضة وكانت مصقولة لدرجة أنها تلمع كنجوم السماء . كان الغمد فى لون الدم الأحمر وناعماً كالزجاج ومزيناً برمز وحيد غريب أسود اللون وملتصق به . بجوار السيف ، كان هناك حزام جلدى وبه إبزيم ثقيل . عندما أزاح بروم آخر قطعة قماش ، أعطى السلاح لإيراجون . كان المقبض يناسب يد إيراجون تمامًا وكأن السيف مصنوع له خصيصًا . أخرج السيف ببطء من غمده ولقد خرج معه بلا

أدنى صوت ، كان النصل ذا لون أحمر له بريق لامع وكان يلمع في ضوء النار . كانت له حافة حادة جدًا وتنحنى برشاقة إلى نقطة حادة . كان الرمز الأسود مطبوعا بنفس الحجم بالضبط على النصل المعدنى . كان توازن السيف مثاليا وكأنه جزء من ذراع من يحمله ؛على عكس أدوات المزرعة البدائية التى كان يستخدمها إيراجون . شعر بالقوة تسرى فى السيف وتتملكه وكأن هناك قوى تسكن قلبه ولا سبيل لإيقافها . لقد صُنع خصيصاً للمعارك العنيفة وأوزارها ، ولكى يقتل الرجال . ومع ذلك كان جميلا بشكل أخاذ .

قال بروم بكل جدية : " كان هذا السيف لأحد الفرسان راكبى التنين ، عندما كان أحدهم ينهى تدريبه كانت مخلوقات الإلف تقدم له السيف . وقد ظلت طريقة صناعتهم للسيوف سرًا حتى الآن ، لكن سيوفهم تظل حادة إلى الأبد ولا تصدأ أبدًا . كانت التقاليد تقتضى بأن يكون لون السيف يتماشى مع لون التنين ، لكن أظن أنه فى هذه الحالة سيكون هناك استثناء . هذا السيف اسمه زاروك ، ولكن لا أعرف معنى الاسم ، ربما معناه شىء شخصى لمالكه من الفرسان راكبى التنين " . راقب بروم إيراجون وهو يحرك السيف فى الهواء .

قال إيراجون : " من أين حصلت عليه ؟ " ، ثم وضع على غير رغبة منه السيف فى غمده وحاول إعطاءه لبروم ، لكن بروم لم يتحرك ويأخذه .

قال بروم : " لا يهم ، سأقول فقط إننى خضت سلسلة مغامرات خطيرة وشرسة لكى أحصل عليه . اعتبره ملكك .

لديك حق فيه أكثر منى ، وقبل أن يحدث كل شىء ، أعتقد أنك سوف تحتاج إليه " .

فاجأ هذا العرض المغرى إيراجون وقال : " إنها هدية غالية تليق بمقام أمير ، شكرا لك " .

ولم يدر ماذا يقول بعد ذلك لكنه قال بعد أن أشار إلى الغمد : " ما هذا الرمز ؟ " .

" كان هذا الرمز شارة خاصة براكب التنين " . حاول إيراجون مقاطعته ، لكن بروم نظر إليه بغضب حتى سكت وهدأ ثم أردف قائلاً : " والآن ، إذا أردت أن تعرف ، فإن أى شخص يمكنه أن يتعلم كيف يتحدث مع التنين إذا حصل على التدريب الجيد " . ثم رفع إصبعه للتأكيد وقال : " لكن لو تمكن الجميع من ذلك فهذا لا يهم ، أنا أعلم كل شىء عن التنين وقدراته ، أكثر من أى شخص على قيد الحياة . قد يستغرق الأمر منك سنوات إذا حاولت أن تتعلم كل ما سأعلمه لك بمفردك ، لكنى سأوفر لك معلوماتى كطريق مختصر ، لكن بالنسبة لكيفية معرفتى بكل هذا ، فسأحتفظ *بتلك المعلومة* لنفسى " .

قامت سفيرا بينما أنهى بروم كلامه وزحفت حتى وصلت إلى إيراجون . أخرج إيراجون السيف من غمده وجعلها تراه ، فقالت له : " إنه سيف قوى . ولمست أعلى نقطة به بأنفها ، ثم رفعت رأسها فى رضا . كان اللون اللامع يتموج كالماء عندما لمس حراشيفها وبعد أن ابتعدت استعاد لونه الطبيعى ومظهره المعتاد فوضعه إيراجون فى الغمد وهو مضطرب .

رفع بروم أحد حاجبيه وقال : " هذا هو نوع الأمور التي أتحدث عنها ، ستدهشك سفيرا طوال الوقت . تحدث .... أشياء حولنا ، وهى أشياء غامضة ومن المستحيل أن تحدث في أى مكان آخر . على الرغم من القرون الممتدة بين الفرسان وحيوانات التنين ، لكنهم لم يفهموا بالكامل كل قدرات التنين . يقول البعض إن التنين حتى لا يعرف المدى الكامل لقواه الخارقة . إن حيوانات التنين مرتبطة بهذه الأرض بطريقة تجعلهم يتغلبون على أى عوائق كبرى . ما فعلته سفيرا يوضح ما قلته لك : هناك الكثير لا تعرفه بعد " .

ساد الصمت لفترة طويلة ، ثم قال إيراجون : " ربما يكون هذا صحيحاً ، لكنى سأتعلم . والغرباء هم أهم شيء أريد معرفته الآن . هل تعرفهم ؟ " .

سحب بروم نفسًا عميقا وقال : " إنهم يُدْعون " رازاك " ولا أحد يعرف هل هذا اسم جنسهم أم اسم اختاروه لأنفسهم . على أية حال ، إذا كان لديهم أسماء خاصة فهم يخفونها . هؤلاء الرازاك لم نشاهدهم من قبل إلا عندما تولى جالباتوريكس الحكم . لابد أنه وجدهم أثناء رحلاته وسخرهم لخدمته ولا نعرف عنهم إلا القليل . لكنى سأخبرك بهذا : إنهم ليسوا من البشر . عندما رأيت رأس أحدهم ، بدت وكأنها بها منقار وعيون سوداء بحجم قبضة اليد ... لكن لا أعرف كيف يتحدثون لغتنا . لا شك في أن باقي أجسامهم مشوهة أيضا ، لذلك يغطون أنفسهم بالعباءات طوال الوقت بغض النظر عن الحالة الجوية .

أما بالنسبة لقواهم ، فهم أقوى من أى إنسان ويمكنهم القفز لمسافات عالية لا يصدقها عقل ، لكنهم لا يستخدمون السحر . كن شاكراً من أجل ذلك ، لأنهم لو كانوا يستخدمون السحر لوقعت فى أيديهم الآن . أعلم أيضا أنهم يكرهون نور الشمس ، لكن لن يوقفهم إذا أصروا على مطاردة أحد . ولا تخطئ بالتقليل من شأن رازاك . فهم واسعو الحيلة وكلهم مكر ودهاء " .

" كم عددهم ؟ " ، هكذا تساءل إيراجون وهو يتعجب كيف تسنى لبروم معرفة كل هذا .

" وفقا لمعلوماتى ، هذان الاثنان اللذان رأيتهما فقط ، لكن ربما كان هناك المزيد من تلك المخلوقات ، لكنى لم أسمع بذلك ، ربما كان هذان الاثنان هما آخر من تبقى من جنسهم المنقرض . وكما ترى فهما التابعان الخاصان بالملك لتتبع التنين . كلما وصلت للملك جالباتوريكس إشاعة بأن هناك تنيناً فى البلاد يرسل هؤلاء الرازاك . لتفقد الأمر . كلما ساروا يخلفون وراءهم الموت فى كل مكان " . نفث بروم حلقات متعددة من الدخان وشاهدها تطير عبر فروع الأشجار ، تجاهل إيراجون الحلقات حتى لاحظ أنها تغير ألوانها وتلف بشكل دائرة . غمز بروم بعينيه بخبث .

كان إيراجون متأكداً من أنه لم ير أحد سفيرا ، فكيف علم جالباتوريكس بوجودها ؟ وعندما ذكر اعتراضاته قال بروم : " عندك حق ، ليس من المحتمل أن يخبره أحد من أهل كارفاهول . لماذا لا تخبرنى كيف وجدت البيضة وكيف اعتنيت بسفيرا ـ فهذا سيوضح الأمر " .

تردد إيراجون ، ثم ذكر له كل الأحداث منذ أن وجد البيضة فى منطقة سباين . كان شعورًا رائعًا أن يفضى بكل ما حدث لشخص يثق به . وسأله بروم بضعة أسئلة لكنه لمعظم الوقت كان ينصت باهتمام . كانت الشمس تميل للمغيب عندما انتهى إيراجون من سرد قصته . ثم ساد الصمت بينهما واكتست السحب بلون أحمر فاتح . كسر إيراجون حاجز الصمت فى النهاية وقال : " أتمنى فقط لو علمت من أين جاءت سفيرا لكنها لا تتذكر " .

رفع بروم رأسه وقال : " لا أعلم ... لكنك وضحت لى الكثير من الأمور . أنا متأكد من أنه لم ير أحد سفيرا سوانا . لابد أن الرازاك علموا من مصدر معلومات خارج البلدة وخارج الوادى ، ومن المؤكد أن هذا المصدر قد قتل الآن ... لقد واجهت وقتا عصيبًا وفعلت الكثير ، أنا منبهر بك " .

حدق إيراجون بلا هدف فى الأفق ثم سأل بروم : " ماذا حدث لرأسك ؟ هل ارتطمت بصخرة ؟ " .

" كلا ، لكن تخمينك جيد " . ثم سحب نفسا عميقا من الغليون وقال : " كنت أتسلل حول معسكر الرازاك بعد أن حل الظلام لأعلم عنهما كل ما أستطيع معرفته لكنهما فاجآني فى الظلال ، وكان فخاً جيداً ، لكنهما قللا من شأني ولذلك تمكنت من إبعادهما ، لكنهما أصاباني وشعرت بالغباء . ذهلت لما حدث ثم وقعت على الأرض مغشيا على ثم استعدت وعيى فى اليوم التالى . لكن بحلول هذا الوقت كانا قد وصلا إلى مزرعتكم وفات أوان إيقافهما ، لكن

أسرعت وراءهما على أية حال . ثم تقابلت معك فى الطريق " .

تساءل إيراجون لنفسه : *" هل كان يظن أنه سيغلب الرازاك بمفرده ؟ لقد نصبا له كميناً وكل ما حدث له هو أنه شعر بالذهول ؟ "* شعر إيراجون بعدم الراحه وقال بحدة : " عندما رأيت العلامة الفضية على يدى لماذا لم تخبرنى عن الرازاك ؟ كنت سأحذر جارو بدلا من الذهاب إلى سفيرا أولا ثم يهرب ثلاثتنا " .

تنهد بروم وقال : " لم أكن متأكدا مما يجب أن أفعله . وقتها اعتقدت أننى سأبعدهما عنك وعندما يرحلان أواجهك بشأن سفيرا . لكنهما تغلبا على ذكائي وهذا خطأ وقعت فيه وأندم عليه للغاية ، فلقد كلفنا كثيراً " .

صاح إيراجون بحرقه مفاجئة : " من أنت ؟ وكيف حصلت على سيف الفرسان راكبى التنين وأنت مجرد راوى قصص فى القرية . كيف علمت بأمر رازاك ؟ " .

طرق بروم على الغليون وقال : " لقد اعتقدت أننى وضحت لك أننى لن أتطرق لذلك الموضوع " .

صاح إيراجون وهو يلوح بيده فى الهواء : " خالى مات بسبب ذلك ! مات ! لقد وثقت بك إلى هذا الحد لأن سفيرا تحترمك ، لكنى لن أستمر فى ذلك ! أنت لست من عرفته فى كارفاهول طوال هذه السنوات . عرف نفسك ! .

حدق بروم لوقت طويل فى الدخان الذى يدور حولهما وتجعدت جبهته فى خطوط عميقة وغائرة . وعندما تحرك كان فقط ينفث غليونه ، وأخيراً قال : " ربما لم يخطر ببالك أبدا أننى عشت معظم حياتى خارج وادى بالانكار .

لقد عملت كراوٍ قصص فى كارفاهول فقط كنوع من التنكر . لقد لعبت أدوارًا مختلفة طوال حياتى - لدى ماض معقد . لقد فعلت هذا لكى أهرب منه ، وهذا جزء من الأسباب لمجيئى هنا ، لذلك لست الرجل الذى تظن أنك تعرفه " .

صاح إيراجون : " إذن من أنت ؟ " .

ابتسم بروم بلطف وقال : " أنا هنا لمساعدتك . ولا تسخر أو تزدرى تلك الكلمات - فهذا أصدق حديث قلته فى حياتى ، لكنى لن أجيب عن أسئلتك . فى هذه المرحلة لست بحاجة لمعرفة تاريخ حياتى . كما أنك لم تكتسب هذا الحق بعد . لدىَّ معلومات بأكثر مما يعرف بروم الراوى لأننى لست مجرد هذه الشخصية فقط . تعلم أن تتعايش مع حقيقة أننى لا أحكى قصة حياتى لأى شخص يطلبها ! " .

حدق إليه إيراجون فى غضب مكتوم وقال : " سوف أنام " ثم غادر نار المعسكر .

لم يظهر الاندهاش على وجه بروم ، لكن بدا الحزن واضحًا فى عينيه ، ثم مد فراشه بجوار النار بينما استلقى إيراجون بجوار سفيرا . خيم الصمت والبرد على المعسكر لباقى الليلة .

صناعة السرج

عندما فتح إيراجون عينيه ـ داهمته ذكرى موت جارو . مد الغطاء على وجهه وبكى بدون صوت تحت الظلام الدافئ للغطاء . بدا له من المريح الاستلقاء هنا للاختباء من العالم الخارجى . فى النهاية توقف عن ذرف الدموع . ثم صب اللعنات على بروم ، ثم مسح خديه على مضض ونهض من فراشه .

كان بروم يعد طعام الإفطار وقال : " صباح الخير " ، رد عليه إيراجون بزمجرة ، ثم وضع أصابعه الباردة تحت إبطيه وتكوم جالسًا عند النيران حتى تم إعداد الطعام . تناولا الطعام فى صمت وحاولا تناول كل الكمية قبل أن تفقد سخونتها . وعندما فرغا من تناول الطعام ، غسل طبقه بالثلج ثم فرش الجلد المسروق على الأرض .

قال بروم : " ماذا ستفعل بها ، لن نتمكن من حملها معنا " .

" سأصنع سرجا لكى أتمكن من امتطاء سفيرا " .

قـال بـرومٍ : " هكـذا إذن " ، ثـم تقـدم للأمـام وأردف قائلا : " حسنا ، كان لكل تنين نوعـان مـن السـرج ، الأول كان جامدا ويتم تشكيله كسرج الحصان ، لكنهـا تحتـاج إلى وقت وأدوات لكي نصنعها وليس لدينا الوقتٍ أو الأدوات .

أما السرج الآخر فكان رفيعًا ومبطناً قليلاً ، وهو مجـرد طبقة زائدة بين التنين وراكبه .

وكانـت تلـك السـروج تسـتخدم كلمـا صـارت السـرعة والمرونة في غاية الأهمية لكنهـا لم تكـن مريحـة كالسـروج المعدنية " .

قال إيراجون : " هل تعرف كيف كان شكلها ؟ "

" بل أعرف كيف أصنعها أيضًا " .

انتحى إيراجون جانبًا وقـال : " اصـنع لهـا سـرجًا مـن فضلك " .

" حسنًا . لكن انتبـه جيـدًا ، فـي يـوم مـا سـتفعل هـذا بنفسك " . سمحت سفيرا لبروم بقياس رقبتها وصدرها . ثم قطع خمس قطع من الجلد وخطط عـدة أشـكال علـى الجلـود الأخرى . وبمجـرد تقطيـع تلـك القطـع مـن الجلـود ، قطـع الباقي منها على شكل حبال طويلة .

استخدم بروم الحبال لربط كل أجزاء الجلود معًا ، لكـن لكل غرزة كان يتم عمل ثقبين في الجلود ، وساعده إيراجون في ذلك ، ثم عمل عقد كبيرة معقدة بدلا من فكرة الإبزيم ، وكل حبل كان يصْنَع أطول من اللازم لكي يلائم التغيير فـي الشهور القادمة أيضًا . كان الجزء الأساسي للسرج هو الجزء المجمع من ثلاثة أجزاء متشابهة تمامًا وتم حياكتها معًا مع وجود بطانة بينهما . كان أمام السرج حلقـة سميكـة مثبتـة

لكى توضع حول أحد أشواك سفيرا على رقبتها ، مع وجـود حبال جلدية تم حياكتها على الجانبين لربطها حول بطنها من أسفل . وبدلا من موضع القدم المعتاد فى سرج الخيل ، تم صـنع عـدد مـن الحلقـات المعدنيـة تتـدلى مـن الحبـال علـى الجانبين ، وبالتالى يستطيع إيراجـون أن يضـع قدميـه فـى توازن . ثم عمل حـبلاً طـويلا لكـى يمـر بـين قـدمى سـفيرا الأماميتين وهو منقسم لجزءين ثم يمتد حتى خلف قـدميها الأماميتين لكى يربط بالسـرج . وبينمـا كـان بـروم يعمـل ، أصـلح إيراجـون حقيبتـه ونظـم المـؤن والأدوات . وبانتهـاء مهامهما انتهى اليوم أيضـا ، تعـب بـروم مـن كثـرة العمـل ووضع السرج على سفيرا وتحقق من أن الحبال مناسبة ، ثم قام بعدة تعديلات قليلة ثم خلعه عنها وشعر بالرضا .

قال إيراجون على مضضٍ : " لقد قمت بعمل رائع " .

خفض بروم رأسه قائلاً : " يحاول المرء قـدر اسـتطاعته أداء أفضل مـا لديـه ، سـيفيدك هـذا السـرج ، الجلـد قـوى جدًا " .

قالت سفيرا : " ألن تجربه ؟ " قال إيراجون : .

" ربما غدًا " ، ثـم وضـع السـرج بـين الأغطيـة وقـال : " الوقـت تـأخر الآن " . وفـى الحقيقـة فإنـه لم يـتحمس للطيران مرة أخرى خاصة بعـد النتـائج الرهيبـة لمحاولتـه السابقة .

تم إعداد العشاء سريعاً . كان مذاقه أفضل على الرغم من أنه كان عبارة عن وجبة بسيطة . أثناء تناول الطعام ، نظـر بروم عبر النار إلى إيراجون وقال : " هل سنرحل ؟ "

" لم يعد هناك سبب يدعو للبقاء " .

قال : أظن أنك محق ... إيراجون ، يجب أن أعتذر لـك عما وصلتِ وتطورت إليه الأمور . لم أتمن قط أن يحـدث مـا حدث . لم تستحق أسرتك هـذه المأسـاة . ليتنـى أتمكـن مـن تلافى ما حدث ، لو كان بمقدورى ذلك . إنه موقف بشع لنا جميعًا " . جلس إيراجون فى صمت وهـو يتجنـب تحـديق بروم إليه ، ثم واصل بروم حديثه قائلا : " سوف نحتاج إلى خيل " .

" ربما تحتاجها أنت ، أما أنا فمعى سفيرا " .

هز بروم رأسه بالنفي وقال : " لا يوجد حصـان يمكنـه سباق تنين طائر ، وسفيرا مازالت صغيرة ولن تتحمل كلينـا معًا . كمـا أنـه لـدواع أمنيـة ؛ مـن الأفضـل أن نظـل معًـا ، وركوب الخيل أسرع من المشى " .

قال إيراجون معترضًا : " لكن هذا سيجعل مـن الصـعب اللحاق بالرازاك " . أما على ظهر سفيرا ، فسنجدهم خـلال يوم أو يومين . على ظهر الخيل سيستغرق الأمر مده أطول . وقد يصبح من المستحيل اللحاق بهم على الأرض ! " .

قال بـروم ببطء : " هذه فرصة يجب أن تقبلها إذا كنـت سأرافقك " .

فكر إيراجون فى الأمر مليًا ثم قال بضجر : " حسـنًا ، سنحصل على الخيل ، لكن عليـك شـراءها فأنـا لا أملـك أى مال ، ولا أريد أن أسرق مرة أخرى فهذا خطأ " .

قال بروم مفسـراً للأمـور بابتسامة خفيفـة : " قبـل أن تنطلق فى هذه المغامرة تـذكر أن أعـداءك الـرازاك هـم خـدم الملـك ، وغالبـا يحصـلون علـى الحمايـة أينمـا ذهبـوا . لـن يمنعهم أى قانون . وفى أى مدينة سيحصلون على كم كـبير

من الموارد والخدم والأتباع المخلصين ، وضع في اعتبارك أيضا أنه لا شيء مهم للملك جالباتوريكس أكثر من تجنيدك أو قتلك على الرغم من أنه ربما لم يعرف بعد بوجودك . سيعرف أنك كلما تجنبت الرازاك لوقت أطول سيزيد يأسهم من العثور عليك وسيعرفون أنك ستزيد قوتك كل يوم وفي كل لحظة ستتاح لك الفرصة للانضمام لأعداء الملكة . احترس لأنك قد تتحول بسهولة من الفريسة إلى الصياد " .

سكت إيراجون من ثقل وهول كلمات بروم القوية وظل يطرق مفكرًا وهو يعبث بغصن شجرة بين أصابعه . قال بروم : " لنكتف بهذا القدر من الحديث ، لقد تأخر الوقت وأشعر بالألم في عظامي المسنة . لنكمل حديثنا غدا " . أومأ إيراجون ثم أطفأ نار المعسكر .

ثيرينسفورد

كـان الجـو فـى الفجـر رماديـاً وملبـداً بـالغيوم والريـاح العاتية ، كانت الغابة هادئة . بعد تناول إفطـار خفيـف ، أطفـأ بـروم وإيراجـون النـار الخاصـة بمعسـكرهما وألقيـا بأمتعتهما على أكتافهما استعداداً للرحيـل . علـق إيراجـون القوس وجعبة السهام بجانب حقيبتـه بحيـث يصـل إليهـا بسهولة ، وارتدت سفيرا السرج وكان عليها ارتـداؤه حتـى يجدا الخيل وقد ربـط إيراجـون السيـف المسمى " زاروك " على ظهرها بإحكام أيضاً ؛ لأنـه لم يرغـب فـى حمـل وزن زائد . كما أن فى يديه كان يبدو السيف بلا فائـدة ، وكأنـه عصا غليظة .

كان إيراجون يشعـر بالأمـان داخـل منطقـة الشـجيرات وبالتـالى عنـدما خـرج كـان يتحـرك وهـو يتـوخى الحـذر . انطلقت سفيرا وطارت فى الهـواء وكانـت تطـير فـى دوائـر فوقهمـا وقـد قـل عـدد وكثافـة الأشـجار كلمـا سـارا نحـو المزرعة .

قـال إيراجـون لنفسـه بإصـرار وهـو ينظـر للمزرعـة المحطمـة : *" سـوف أعـود لهذا المكـان مـرة أخـرى . لـن يكـون منفاى دائمًا ، وفـى يوم ما عندما أكون فـى أمـان ، سأعود ... "* ، رفع كتفيه للوراء واتجه نحو الجنوب وواجه الأراضى الغريبة البربرية التى توجد هناك .

وبينما كانا يواصلان المسير ، كانت سـفيرا تتجـه نحـو الغرب ناحية الجبال واختفت عن الأنظار ، شعر إيراجـون بعدم الارتياح عندما وجدها تختفى عن ناظريه . حتـى فـى الوقت الحالى ، وعلى الرغم من عدم وجود أحد فلـن يـتمكن من قضاء وقته معها ، كان عليها الاختباء خشـية أن يقـابلا أحد المسافرين على الطريق .

كانت آثار أقدام الرازاك لا تكاد تكون واضحة فى الـثلج المتآكل ولكن إيراجون لم يقلق بشأن ذلـك ، فغالبـا لم يتركـا هذا الطريق ؛ لأنه أسهل طريق يؤدى لخـارج الـوادى ، أى إلى البرية . لكن بمجرد الخروج من الوادى يتشعب الطريـق فـى عـدة أمـاكن ، ومـن الصـعب تحديـد أى طريـق سـلكه " الرازارك "

سـارا فـى صـمت وركـزا علـى السـرعة ، نزفـت قـدما إيراجـون فـى الأمـاكن التـى تشـققت بهـا جراحـه . ولكـى يصرف تفكيره عن الألم قال لبروم : " ما الذى يتمكن التنين بالضبط من فعله ؟ لقد قلـت إنـك تعـرف شـيئا عـن قـدرات التنين " .

ضحك بروم وأشار بيـده ولمـع الفص الأزرق فـى خاتمـه وقـال : " للأسـف ، معلومـاتى قليلـة بشـكل يـدعو للرثـاء مقارنـة بما أود معرفتـه عـن هـذا الأمـر . سـؤالك هـو الـذى

حاول الناس إيجاد إجابة عنه طوال القرون الماضية ، ولذلك عليك أن تتفهم أن ما سأخبرك به ناقص بطبيعته ، لقد ظل التنين مخلوقاً غامضاً دائماً ، لكنه لا يكون غامضاً عن قصد " .

" قبل أن أجيب عن سؤالك حقاً ، يجب أن تتعلم المعلومات الأساسية عن موضوع التنين ، فمن المحير جداً أن تبدأ من المنتصف فى موضوع جديد بدون فهم الأساسيات التى يستند إليها ، وسأبدأ بدورة حياة التنين وإذا لم يرهقك هذا فسنواصل الحديث عن الموضوع التالى " .

شرح له بروم كيفية تزاوج التنين وكيفية فقس البيض ثم قال : " كما ترى ، عندما يبيض التنين يكون الصغير مستعداً للخروج من البيضة ، لكنه ينتظر لمدة قد تصل لسنوات لكى تتهيأ الظروف المناسبة . عندما كانت حيوانات التنين تعيش فى الغابات والبرارى ، كانت عادة الظروف المناسبة هى توافر الطعام فقط ، لكن عندما عقدوا التحالف مع مخلوقات الإلف كان هناك عدد محدد من البيض ، عادة بيضة أو اثنتان ، تمنح للفرسان راكبى التنين كل عام . وهذا البيض ـ أو بالأحرى الصغار بداخله ـ لا يفقس إلا إذا حضر الشخص الذى يختاره القدر ليكون راكب هذا التنين ـ لكننا لا نعرف كيف يشعر صغير التنين بذلك داخل البيضة . لقد اعتاد الناس على الوقوف فى طابور للمس البيضة وكل منهم يتمنى أن يتم اختياره من جانب التنين " .

" هل تقصد أن سفيرا كان من الممكن ألا تفقس لى ؟ " .

محتمل ، إذا لم تكن قد أعجبت بك لما خرجت لك من البيضة " .

شعر إيراجون بالفخر ؛ لأنها اختارته من بين كل سكان آلاجيشيا . وتساءل عن كم المدة التى انتظرتها سفيرا ثم ارتعد من فكرة أن يظل المرء حبيس بيضة يحيط به ظلام دامس .

استمر بروم فى محاضرته عن التنين ، وشرح موعد تناول التنين للطعام وما نوع غذائه ، فالتنين المكتمل النمو القليل الحركة يمكنه أن يبقى شهوراً دون طعام ، لكن فى موسم التزاوج يجب أن يتناول التنين الطعام كل أسبوع . بعض النباتات تشفى التنين من الأمراض والبعض الآخر تجعله مريضاً . وتوجد طرق عديدة للعناية بالمخالب وتنظيف الحراشيف .

شرح له الأساليب التى يجب أن يستخدمها عندما يهاجم وهو يمتطى التنين وماذا يفعل عندما يحارب تنيناً آخر . كما وضح له أن بطن التنين مصفح كالحديد ، لكن الإبط ليس كذلك . كان إيراجون يقاطع بروم كثيراً بالأسئلة وكان بروم يبدو سعيدا بتساؤلاته ، وقد مرت الساعات بسرعة ولم يشعرا بالوقت أثناء الحوار .

عندما أرخى الليل سدوله ، كان قد اقتربا من مدينة ثيرينسفورد . أظلمت السماء ، بينما بحثا عن مكان لإعداد المعسكر للمبيت . قال إيراجون : " من هو فارس التنين الذى كان يملك السيف زاروك ؟ " .

قال بروم : " محارب قوى ، كان يخشاه الناس فى ذلك العهد وكانت له قوى عظيمة " .

" ما اسمه ؟ " .

" لن أخبركٍ به " . حاول إيراجون الاعتراض ، لكن بروم كان حازماً : " ليس غرضى أن أخفى عنك شيئاً ، بل على العكس ، لكن هناك نوع محدد من المعلومات ثبتت خطورتها عليك وسوف تشتت تفكيرك الآن ، لا يوجد سبب يدعو لإزعاجك بأمور كهذه حتى يأتى الوقت المناسب وتكون لديك القوة لكى تتعامل معها ، كل ما أريده فقط هو حمايتك ممن قد يستغلك فى الشر " .

نظر إيراجون إليه في غضب وقال : " أتعرف ؟ أعتقد أنك تتمتع بالتحدث بالألغاز ، يراودنى عقلى أن أتركك هنا لكيلا تزعجنيِ بألغازك . إذا أردت قول أى شىء فأطلعنى عليه الآن بدلاً من أن تتشدق بالعبارات الغامضة ! " .

" اهدأ . كل شىء ستعرفه عندما يحين الوقت المناسب " . كان بروم يتحدث بلطف لكن إيراجون صاح فى ضجر ولم يقتنع .

وجدا بعد ذلك مكاناً مريحاً لقضاء الليلة وإعداد المعسكر للمبيت ، انضمت لهما سفيرا بينما وضع طعام العشاء على النار . سألها إيراجون : *" هل كان لديك وقت للصيد من أجل طعامك ؟ "* .

نفثت في استمتاع وقالت : *" لو كنتما أبطأ ، فإنه كان سيتوفر لى وقت للطيران عبر البحر والعودة بدون التأخر عنكما "* .

" لا داعى للسخرية ، كما أننا سنسير أسرع بمجرد أن نحصل على الخيل " .

أخرجت من فمها سحابة دخان وقالت : " ربما ، لكن هل ستكون السرعة كافية للحاق بالرازاك ؟ إنهم يسبقوننا بعدة أيام وعدة فراسخ . وأخشى أن يشكوا فى أننا نتبعهم ، وهل هناك سبب لتدمير المزرعة بشكل لافت للنظر سوى أنهم يريدون إثارة غضبك لكى تتبعهم وتطاردهم ؟ "

قال إيراجون : " لا أعرف " وشعر بالاضطراب . تكورت سفيرا بجسدها وقام إيراجون بتحيتها مرحباً بالدفء ، وجلس بروم على الجانب الآخر من النار وهو يشحذ عصوين طويلتين . وفجأة ألقى إحداهما على إيراجون ، الذى التقطها بحركة تلقائية وهى تطير عبر ألسنة اللهب .

صاح بروم واقفاً : " دافع عن نفسك ! " .

نظر إيراجون للعصا فى يده حيث كانت مسنونة وتم تشكيلها بحيث تشبه السيف . هل يريد بروم النزال معى ؟ هل لديه فرصة لتحمل النزال ؟ حسناً إذا أراد اللعب ، فلا بأس ، فليكن ما يكون ولكن إذا كان يظن أنه سيهزمنى فسوف يحصل على مفاجأة .

قام إيراجون بينما دار بروم حول النار ، واجها بعضهما البعض للحظة ثم هاجمه بروم ملوحاً بالعصا . حاول إيراجون صد الهجوم لكنه كان بطىء الحركة وصرخ عندما وخزه بروم فى ضلوعه وتقهقر إلى الوراء .

بدون تفكير هجم إيراجون إلى الأمام على بروم لكنه تفادى الضربة بسهولة . هوى إيراجون بالعصا على رأس بروم لكنه تفاداها فى آخر لحظة ، ثم حاول ضربه فى

جانبه . دوت أصداء صوت اصطدام الخشب فـى المعسـكر . صاح بروم : " ارتجال رائع ! " ، وكانت عيناه تلمعان مـن فرط الإثارة .

حرك ذراعه في حركـات سريعة ، ثـم شعر إيراجـون بآلام حادة في جانب رأسه ثم هوى كـالجوال الفـارغ وشـعر بالدوار .

أفاق عندما رش عليه بروم ماءً مثلجاً فقام وهـو يزمجـر ويسب ويلعن . كان هنـاك رنـين فـي رأسـه ودم جـاف فـي وجهه . وقف بـروم فوقـه ومعـه إنـاء مـن المـاء المذاب مـن الثلوج . صاح إيراجون في غضب : " لم يكن عليك أن تفعـل ذلك ! " ، ثم قام بصعوبة وشعر بعدمٍ الثبات والدوار .

رفع بروم حاجبيه وقال : " حقاً ؟ العـدو الحقيقـى لـن يخفف ضرباته الموجهة إليـك ، وأنـا لـن أفعـل ذلـك . هـل أستسلم وأذعن لـ ... لعدم كفاءتك لكـى تشـعر بتحسـن ؟ لا أظن ذلك " ، ثم التقط العصا التى أسقطها إيراجـون وقـال : " والآن دافع عن نفسك " .

قال إيراجون وهو يحدق بشرود إلى قطعة الخشب ويهـز رأسـه : " انـس الأمـر ؛ لقـد نلـت كفـايتى " ، ثـم ابتعـد واستدار وعندئذٍ وقع عندما شعر بالضربة ذات الصوت العالى تهوى على ظهره . استدار فجأة وهو يصرخ .

صاح بروم : " لا تدر ظهرك للعدو أبدا " ، ثم قذف إليه بالعصا وهاجمه . تراجع إيراجون حول النـار تحـت تـأثير الهجوم . صاح بروم : " اجذب ذراعيك ، اثن ركبتيك أثناء الهجوم " ثم واصل إعطاء التعليمات ثـم توقـفَ لكـى يظهـر لإيراجون بالضبط كيف يبدأ خطوة محـددة ، " هيـا افعلـها

مرة أخرى لكن ببطء هذه المرة ! " ثم قاما معاً بأداء حركات القتال ببطء مبالغ فيه قبل العودة للمعركة الحامية الوطيس . تعلم إيراجون بسرعة لكن مهما حاول لم يكن يتفادى إلا أقل القليل من ضربات بروم .

عندما انتهى الأمر سقط إيراجون على أغطيته وزمجر غاضباً ، كان مجروحاً في كل مكان في جسده ـ لم يكن بروم لطيفاً في استخدام العصا . صاحت سفيرا في صوت طويل كالسعال ثم انفرجت شفتاها حتى ظهرت صفوف أسنانها المرعبة .

صاح إيراجون بحنق : "*ما الأمر؟* " .

قالت له : "*لا شيء ، من المضحك أن أرى فتى مثلك يضربه رجل طاعن في السن* " . ثم أصدرت نفس الصوت مرة أخرى فاحمر وجه إيراجون عندما أدرك أنها تضحك . حاول المحافظة على بقايا كرامته المهدرة ، فمال على جانبيه ونام .

في اليوم التالي زاد الأمر سوءاً . كانت الجروح والكدمات تغطي ذراعيه وكان يشعر بألم شديد يمنعه من الحركة . نظر إليه بروم من فوق الحبوب المهروسة التي كان يعدها للإفطار وقال له : " كيف حالك الآن ؟ " ، زمجر إيراجون وانكب على إفطاره يلتهمه التهاماً .

بمجرد استئناف سيرهما على الطريق أسرعا الخطى للوصول إلى ثيرينسفورد قبل الظهر . بعد أن سارا لمسافة فرسخ اتسع عرض الطريق وشاهدا دخاناً في الأفق ، قال له بروم : " من الأفضل أن تخبر سفيرا أن تطير وتسبقنا ثم

تنتظرنا فى الجانب الآخر من المدينة ، وعليها أن تحترس هنا لكيلا يلاحظها أحد " .

قال له إيراجون فى تحدٍ : " لماذا لا تخبرها بنفسك ؟ " .

" يعتبر من سوء الأخلاق أن تتدخل فى حياة تنين يخص شخصًا آخر " .

" لم تجد مشكلة فى هذا فى كارفاهول " .

ابتسم بروم وحرك شفتيه وقال : " فعلت ذلك مضطراً لضرورة ملحة " .

نظر إليه إيراجون شزراً ثم نقل التعليمات إلى سفيرا التى حذرته قائلة : *" احترس ؛ لأن خدم الإمبراطورية قد يختبئون فى أى مكان "* .

بينما تعمقت الأخاديد التى تشكلها العربات التى تجرها الخيول على الطريق ، لاحظ إيراجون المزيد من آثار الأقدام . وقد أوضحت تلك الآثار أنهما اقتربا من ثيرينسفورد . كانت البلدة أكبر من كارفاهول ، لكنها كانت مصممة بشكل عشوائى ولم تكن المنازل منتظمة فى إطار محدد .

قال إيراجون : " يالها من فوضى " . لم ير طاحونة ديمبترون وقال لنفسه : *" لابد أن بالدور وأولبريش يبحثان عن روران فى هذا الوقت "* . على أية حال لم يكن إيراجون يرغب فى مقابلة ابن خاله .

قال بروم : " إنها مدينة لا توصف إلا بالقبح " ، كان نهر أنورا يفصل الآن بينهما وبين المدينة ويجب عبور جسر قوى للوصول إليها . عندما اقتربا من الجسد ظهر فجأة من

خلف الشجيرات رجل عليه آثار شحم وقذارة وسد الطريق عليهما . كان قميصه قصيراً ويكشف عن بطنه القذر المربوط بحبل كحزام . خلف شفتيه المشقوقتين ظهرت أسنانه التي بدت كشواهد قبور متهالكة : " توقفا هنا ، هذا الجسر ملكي ويجب عليكما دفع رسوم عبوره " .

قال بروم بصوت يبدو عليه الاستسلام : " كم تريد ؟ " ، ثم أخرج كيس نقوده فأشرق وجه حارس الجسر .

" خمس كرونات " ثم ابتسم ابتسامة واسعة . شعر إيراجون بالغضب من هذا السعر الباهظ ، وهم بالتذمر والشكوى بغضب لكن بروم أسكته بنظرة سريعة . أعطاه بروم النقود في صمت ثم قال ساخرًا : " شكراً لك " ، فابتعد الرجل عن الطريق ليفسح لهما المجال .

عندما تقدم بروم للأمام كاد يسقط فأمسك بذراع حارس الجسر لكي يتفادى السقوط . صاح الحارس المغطى بالقذارة : " احترس أثناء سيرك " ، ثم ابتعد عن طريقه .

قال بروم : " أنا آسف " ، ثم سار فوق الجسر مع إيراجون .

صاح إيراجون بعد أن ابتعدا عن مرمى سمع الرجل : " لماذا لم تساومه ؟ هل أصابك بالذعر ؟ ! فهو غالباً لا يملك الجسر ، كان بإمكاننا دفعه جانباً ونعبر دون مقابل " .

قال بروم : " ربما يكون ذلك صحيحاً " .

" إذن لماذا دفعت له ؟ " .

" لأنك لا يمكنك العراك مع كل الحمقى في العالم . من الأسهل أن تسايرهم فيما يريدون ثم تخدعهم وهم غير

منتبهين " ، وفتح بروم يديه ولمعت فى يديه كومة من العملات فى ضوء الشمس .

قال إيراجون وهو لا يكاد يصدق : " هل مزقت كيس النقود ؟ " .

وضع بروم المال فى جيبه وغمز إلى إيراجون وقال : " وكان به كم كبير ومدهش من المال . كان يجدر به أن يكون أذكى من أن يضع كل المال فى مكان واحد ".

كانت هناك صيحة ألم وحسرة سمعاها فجأة من الجانب الآخر من النهر قال بروم : " لابد أن صديقنا اكتشف خسارته . إذا رأيت من يراقبنا أخبرنى " ثم أمسك بكتف فتى صغير يجرى بين الخيول وقال : " هل تعلم من أين يمكننا شراء الخيل ؟ " حدق إليهما الطفل بعينين حادتين ثم أشار إلى إسطبل كبير بجوار حدود المدينة ، فقال له بروم وهو يعطيه عملة معدنية صغيرة : " شكراً لك " .

كانت أبواب الإسطبل المزدوجة مفتوحة وتكشف وراءها عن صفين من حظائر الخيل . كان الحائط البعيد مغطى بالسروج واللجام وما شابه من الأدوات والآلات . كان هناك رجل مفتول العضلات يقف فى نهاية الإسطبل ويمشط شعر حصان أبيض كبير . وعندما رآهما رفع يده وأشار لهما بالدخول .

عندما اقتربا قال له بروم : " إنه لحصان جميل " .

" نعم ، حقاً ، إن اسمه سنوفاير واسمى هو هابيرث " ثم مد يده لهما مصافحاً وكانت يده خشنة الملمس وصافحهما بقوة . ثم سكت فى أدب انتظاراً لأن يخبراه باسميهما

وعندما لم يجد رغبة بداخلهما للحديث قال لهما : " هل من خدمة أقدمها لكما ؟ " .

أومأ له بروم : " نحتاج لشراء حصانين وملحقاتهما بالكامل ، ويجب أن تكون خيول قوية وسريعة حيث إننا سنسافر لمسافة بعيدة " .

وقف هابيرث يفكر لبرهة ثم قال : " ليس لدىّ العديد من الخيول كما تريان حيث أبيعها بسعر غير مرتفع " . تحرك الحصان الأبيض باهتياج فهدأه الرجل بأن تحسسه بأصابعه .

قال بروم : " السعر لن نختلف فيه ، سأحصل على أفضل ما لديك من خيل " . أومأ هابيرث برأسه وربط الحصان الأبيض في صمت في حظيرته . ثم ذهب إلى الحائط وأنزل السروج وباقي عدة الخيل . وسرعان ما كوم كومتين متشابهتين من الأدوات . بعد ذلك أحضر حصانين من الإسطبل ، أحدهما كبير والآخر صغير ، والذى كان يقاوم ربطه بالحبل .

قال هابيرث : " إنه مرح ومشاكس لكن في حالة وجود سيطرة قوية لن تصادفكما مشاكل معه " ثم أعطى الحبل لبروم .

جعل بروم الحصان يشم يده وسمح له الحصان بتحسس رقبته ، قال بروم : " سنأخذ هذا الحصان ، لكنني لست متأكداً من أننا سنبتاع الآخر " .

" لديه أرجل قوية " .

" حسناً ... بكم تبيعنا حصانك سنوفاير ؟ " .

نظر هابيرث بحب تجاه سنوفاير وقال : " لا أرغب فى بيعه ؛ فهو أفضل حصان قمت برعايته ـ وأتمنى أن أحصل على خيل قوية من نسله " .

" إذا كنت ستبيعه مثلاً ، فكم سيكون ثمنه ؟ " .

حاول إيراجون أن يضع يده على الحصان الآخر مثلما فعل بروم لكنه ابتعد عن إيراجون ، حاول إيراجون بشكل تلقائى أن يصل لعقل الحصان لكى يطمئنه ، وتجمد من الدهشة عندما تواصل مع وعى الحصان . لم يكن التواصل واضحاً أو حاداً مثل تواصله مع سفيرا . لكنه استطاع التواصل مع الحصان لدرجة محدودة . حاول بترقب أن يجعله يفهم أنه صديق ، فهدأ الحصان ونظر إليه بعينيه البنيتين اللامعتين .

عد هابيرث على أصابعه ليحسب الثمن الذى أراده ثم قال مبتسماً : " مائتا كرونة " وكان واثقاً أنه لن يوجد من سيدفع هذا المبلغ ، لكن فتح بروم حقيبة نقوده الجلدية واستخرج المبلغ المطلوب وسأل : " هل هذا يكفى ؟ " .

ساد الصمت لفترة بينما انتقل هابيرث بنظره بين سنوفاير والنقود ، ثم تنهد وقال : " إنه لك ، لكن على غير رغبة منى " .

قال بروم : " إننى سأرعاه وكأنه من نسل الحصان الأسطورى العظيم " جيلدنتور " .

قال هابيرث : " كلماتك تسعدنى " ، ثم حنى رأسه قليلاً . بعد ذلك ساعدهما على وضع السرج على الخيول ، وعندما تأهبا للرحيل قال : " وداعاً . أتمنى لكما عدم الوقوع فى سوء الحظ من أجل سنوفاير " .

قـال بـروم : " لا تخـف ، سـأعتنى بـه جيـداً " . ثـم رحلا . أعطى بروم لجام سنوفاير إلى إيراجـون وقـال لـه : " اذهب إلى الطرف الآخر من المدينة وانتظرنى " .

قال إيراجون : " لمـاذا ؟ " ، لكـن بـروم كـان قـد ذهـب بالفعل . شعر إيراجون بالضيق وخرج مـن المدينـة مـع زوج الخيولٍ واستقر على قارعة الطريـق . رأى ناحيـةٍ الجنـوب حدوداً مهزوزة لجبل يوتجارد ، كان يبدو جبلاً شامخاً مـن كتلة واحدة فى نهاية الوادى . كانت قمته تخترق السحاب وتختفى عن العيون وكان الجبل أعلـىٍ مـن الجبـال الأخـرى المحيطة به ، كان منظر الجبل مظلماً ويبـدو كنـذير الشـؤم وجعل إيراجون يشعر بقشعريرة فى جسده .

عاد بروم بعد فترة وجيزة وأشار إلى إيراجون باتباعـه . سارا حتى اختفت المدينة عن مرمى البصر بسبب الأشجار ، ثم قال بروم : " لابد أن الرازاك مرٍوا من هنا وتوقفوا لشراء الخيول كمـا فعلنـا . وجـدت رجـلاً رآهـم ووصـفهم لى وهـو يرتعش أنهم هربوا على الخيول كالشياطين " .

" لقد ترك الرازاك للناس انطباعاً واضحاً "

" بالتأكيد " .

تحسس إيراجون الخيل وقال : " عندما كنا فى الإسطبل تواصلت مع ذهن الحصان بالمصادفة ، لم أكن أعلـم أن القيـام بذلك ممكن " .

قطب بروم جبينه وقال : " من غيـر المـألوف لفتـى فـى سنك أن يحظى بهذه القدرة . معظم الفرسـان راكبـى التـنين يتدربون لسنوات قبل أن تتاح لهم القوة الكافية للتواصل مع أى حيوانات أخرى غير التنين " . كان وجهـه يدل على أنه

يفكر وهو يفحص الحصان سنوفاير ، ثم قال : " استخرج كل محتويات حقيبتك وضعها على الأجولة الملحقة بالسرج واربط الحقيبة بالأعلى " . فعل إيراجون كل هذا بينما امتطى بروم صهوة سنوفاير .

حدق إيراجون بشكٍ وريبة في الحصان الآخر ، كان أصغر من سفيرا كثيراً لدرجة أنه تساءل بسخرية هل سيتحمل وزنه أم لا . تنهد إيراجون وامتطى الحصان على السرج بحركة خرقاء حيث كان معتادا على ركوب الخيل بدون سرج وليس لمسافات طويلة . قال لبروم : " هل سيجرح ساقيّ كما حدث لي عندما امتطيت سفيرا ؟ " .

" كيف حال ساقيك الآن ؟ " .

قال إيراجون : " ليس سيئاً للغاية ، ولكنني أعتقد أن أية مشاكل في الركوب قد تؤذيهما " .

قال بروم : " سنسير على مهل " ، ثم أعطى إيراجون بعض التوجيهات والإرشادات ثم انطلقا بسرعة معتدلة . قبل مرور وقت طويل ، تغير منظر الريف من حقول مزروعة إلى الأراضي البرية . وعلى جانبي الطريق بدأت تظهر الشجيرات والحشائش المتشابكة . كانت الأرض مليئة بالصخور الطويلة الهائلة البارزة ـ كشهود رمادية على وجودهم . كان هناك جو كئيب يسود في المكان ، وشعور بالعدائية يخيم على الجو ولا يرحب بالدخلاء .

كان فوقهما يلوح في الأفق جبل يوتجارد ويبدو كأنه يكبر في كل خطوة ، والأخاديد الصخرية العميقة مليئة بأخاديد من الثلوج داخلها وكانت الصخور السوداء بالجبل تمتص الضوء كالإسفنج وتجعل المنطقة المحيطة معتمة .

بين يوتجارد وسلسلة الجبال التى تشكل الجانب الشرقى من وادى بالانكار كان هناك شق عميق لجرف هار . كان هذا هو الطريق الوحيد العملى المؤدى إلى خارج الوادى وكان طريق سفرهما يؤدى للمنطقة الجبلية .

كانت حوافر الخيل تصدر صوتاً حاداً عندما ترتطم بالحصى ، ثم تضاءل عرض الطريق حتى صار أكثر ضيقاً وهو يلتف حول قاعدة جبل يوتجارد . حدق إيراجون إلى قمة الجبلِ التى تلوح فى الأفق حولهما واندهش عندما وجد برجاً عالياً أعلى من قمة الجبل . كان البرج يتهاوىٍ وحالته سيئة وبحاجة إلى إصلاح ، لكنه مازال حارساً وشاهداً صارمًا يطل على الوادى . أشار إليه إيراجون وقال : " ما هذا البناء ؟ " .

لم ينظر إليه بروم وقال بحزن مرير : " برج علامة للفرسان راكبى التنين ـ وهو الوحيد القائم حتى الآن منذ تأسيس جماعة الفرسانٍ راكبى التنين . هنا الملاذ الذى لجأ إليه فرايل ، وهنا أيضاً تعرض للغدر ووجده جالباتوريكس وقتله . وعندما سقط فرايل ولقى حتفه ، تلوثت المنطقة . كان اسم هذه القلعة هو " القلعة التى لا تقهر " لأن الجبال شديدة الانحدار ولا يتمكن أحد من الوصول للقمة إلا إذا كان يتمكن من الطيران . بعد مقتل فرايل أطلق العامة على هذا الجبل اسم يوتجاردٍ ، لكن له اسم آخر : " مكان الأحزان " ، وكان معروفاً بهذا الاسم لآخر الفرسان راكبى التنين قبل أن يقتلهم الملك " .

حدق إليه إيراجون فى رهبة . كان هذا أثر باق وملموس لمجد الفرسان راكبى التنين ، وعلى الرغم من أنه مطموس

الآن لكنه صامد أمام الزمن . هبطت عليه فكرة مدى قدم الفرسان راكبي التنين ، لقد رأى الآن إرثاً تاريخياً من التقاليد والبطولة التي تمتد للعصور القديمة ؛ مما جعله يشعر بالهيبة والرهبة .

سافرا لساعات طويلة حول جبل يوتجارد ، كان له جانب جامد كالحائط على يمينهم وهما يدخلان إلى الفتحة التي تقسم السلسلة الجبلية . وقف إيراجون على الحلقات المعدنية المثبتة أسفل السرج وكان لا يصبر ويتحرق شوقاً وفضولاً لرؤية ما هو خارج وادي بالانكار لكن المسافة كانت بعيدة جدًا . ظلا لفترة طويلة في طريق منحدر ويدوران حول التلال والأخاديد ويتبعون نهر أنورا ، مالت الشمس للمغيب وراء ظهريهما ، ثم صعدا على تل صغير وشاهدا ما وراء الأشجار .

شهق إيراجون . فعلى الجانبين وجد جبالاً ، لكن تحتهما كان يوجد سهل واسع وكبير ممتد على مرمى البصر ويتلاحم مع السماء . كان السهل يبدو كبقعة كبيرة سوداء مثل لون الحشائش الميتة . كانت السحب تمتد في شرائط طويلة متعرجة عبر الأفق وتشكلها الرياح الشديدة .

فهم إيراجون لماذا أصر بروم على الخيول . كانا سيستغرقان أسابيع وشهوراً في السير على الأقدام لعبور كل هذه المسافة الشاسعة . وفوقهما بمسافة كبيرة رأى إيراجون سفيرا تطير في دوائر في مسافة مأمونة بحيث من يراها يظنها طائراً .

قال بروم : " سننتظر حتى الغد قبل الهبوط ، فهذا سيستغرق معظم اليوم ، لنعد إلى المعسكر الآن " .

قال إيراجون في ذهول : " كم يستغرق المرء من الوقت لكي يعبر هذا السهل ؟ "

" من يومين أو ثلاثة أيام وحتى أسبوعين ، وفقاً للاتجاه الذي سوف نسلكه ، بجانب قبائل البدو التي تتجول في هذا الجزء من السهول ، فإن الجانب الشرقي ليس مأهولا بالسكان مثل صحراء هاداراك ، لذلك لن نجد قرى كثيرة ، لكن الجو في جنوب السهول ليس حارا قاحلاً وهو شديد الكثافة السكانية " .

تركا الطريق وترجلا عن الخيل بجوار نهر أنورا وقاما بحلِ السرج عن الخيل ، ثم قال بروم : " يجب أن تطلق اسما على حصانك " .

فكر إيراجون في الأمر وهو يربط الحصان في عمود خشبي وقال : " ليس معي حصان أصيل ونبيل مثل سنوفاير ، لكني أعرف اسماً مناسباً " . ثم وضع يده على الحصان وقال : " سأطلق عليك اسم كادوك فهو اسم جدي ، أحافظ عليه جيداً " . أومأ بروم موافقاً على ذلك لكن إيراجون شعر بحماقة الأمر برمته .

عندما هبطت سفيرا سألها : " *كيف يبدو السهل ؟* " .

" *ممل ، لا يوجد سوى الأرانب والشجيرات في كل مكان* " .

بعد العشاء وقف بروم وصاح : " امسك ! " . بالكاد كان هناك وقت لإيراجون لكي يلتقط العصي بذراعه قبل أن تصيب رأسه ثم صاح في ضيق وحنق عندما وجدها على شكل سيف .

صاح به : " لا ليس من جديد ! " ، لكن بروم ابتسم وأشار له بيده ، قام إيراجون على مضض وتقاتلا ودوى صوت قرقعة الخشب ثم تراجع إيراجون لإصابته المؤلمة في ذراعه .

كانت حصة التدريب هذه أقصر من السابقة ، لكنها طالت لوقت كاف حتى إن إيراجون قد جُرح كثيراً وأصيب بالعديد من الكدمات عندما انتهى النزال بالعصي ، فألقى العصا في تقزز وسار بخطى بطيئة مبتعداً عن النار ليضمد جراحه .

هدير الرعد والبرق

فـى صـباح اليـوم التـالى تجنـب إيراجـون استحضـار الأحداث التى حدثت مؤخرًا فى ذهنـه ؛ كـان مـن المؤلم أن يتذكرها . لذلك فإنه بدلاً من ذلك ركز كـل جهـوده وطاقتـه على التفكير فى كيفية إيجاد وقتل الرازاك ، وقال لنفسه : " *سأفعلها بقوسى* " ، ثم تخيل أشكالهم المغطاة بالعبـاءات السوداء والسهام مرشوقة فى أجسادهم .

شعر بعدم القدرة على النهوض ، كانت عضلاته تتقلص مـن أقـل حركـة ، وأحـد أصـابعه متورمًـا ويؤلمـه . وعنـدما استعدا لمواصلة المسير ، امتطى صـهوة جـواده كـادوك وقـال بمرارة : " إذا استمر الأمر على هذا الحال فسوف تمزقنـى إربا " .

" لم أكـن لأتعامـل معـك بخشـونة إن لم أظنـك بـالقوة الكافية "

غمغم إيراجون قائلاً : " هذه أول مرة ولن أمـانع فـى أن تظننى أقل قوة " .

قفز كادوك بعصبية عندما اقتربت سفيرا التى نظرت إليه بنظرة أقرب للتقزز وقالت : " لا يوجد مكان للاختباء في السهول ، لذلك لن أحاول الاختفاء عن العيون . سأحلق فوقكما من الآن فصاعداً " .

ثم طارت وبدءا النزول على الأرض شديدة الانحدار . كان الطريق يختفى فى معظم الأماكن ، مما جعلهما يحاولان إيجاد الطريق لأنفسهما . أحياناً كان عليهما النزول من على ظهر الجوادين واقتيادهما سيراً على الأقدام ، مع الإمساك بالأشجار حتى لا يقعا من على المنحدر . كانت الأرض مفروشة بالصخور الصغيرة المتحركة مما جعل النزول عبر المنحدر يمثل خطراً كبيراً . كما أن المجهود الشاق جعلهما يشعران بارتفاع درجة حرارة جسديهما . وشعرا بالضيق على الرغم من الجو قارس البرودة .

توقفا طلباً للراحة عندما وصلا لسفح المنحدر فى منتصف النهار . كان نهر " أنورا " يجنح ويتدفق ناحية الشمال . كانت الرياح العاتية تجتاح الأرض وكأنها تضربهما بالسياط بلا رحمة ، وكانت التربة جافة ومشققة ؛ مما جعل القذارة والطين والتراب يدخل في عيونهما .

كان ما يثير أعصاب إيراجون كيف أن كل الأرض من حوله مستوية ومسطحة ، لم يكن في السهول أى مرتفعات أو تلال صغيرة . لقد عاش طوال حياته والجبال والتلال تحيط به ، وبدونهما فإنه يشعر بأنه مكشوف وعرضة للخطر ، مثل الفأر تحت عينى الصقر الحادتين .

انقسم الطريق إلى ثلاث شعب بمجرد أن وصلا للسهول . كانت الشعبة الأولى تتجه لأكبر مدن الشمال " سونون " ،

والشعبة الثانية تؤدى مباشرة عبر السهول ، والثالثة تؤدى إلى الجنوب . قاما بفحص الشعب الثلاث بحثاً عن آثار الرازاك ، وفى النهاية وجدا آثار أقدام تؤدى مباشرة إلى الأراضى المزروعة بالحشائش .

قال بروم فى حيرة : " يبدو أنهم ذهبوا إلى يازواك " .

" وأين تقع ؟ " .

" إلى الشرق على مسافة أربعة أيام إذا كان الطريق يسيراً ، إنها بلدة صغيرة تقع على نهر نينور ، ثم أشار إلى نهر أنورا الذى يتجه نحو الشمال وقال : " هذا هو مصدر الماء الوحيد لنا هنا ، يجب إعادة ملء قرب الماء قبل محاولة عبور السهول ، ليس هناك برك مياه أو جداول بين النهر وين يازواك .

بدأ إيراجون يشعر بالإثارة الناتجة عن البحث وتقفى الأثر ؛ فى خلال أيام ، ربما أقل من أسبوع ، سيستخدم سهامه للانتقام من الرازاك لمقتل جارو . وبعد ذلك ...

رفض أن يفكر فيما قد يحدث بعد ذلك .

ملأ كل منهما قرب الماء وانتهيا من سقاية الخيل وشربا قدر استطاعتهما من النهر . انضمت إليهما سفيرا وشربت عدة جرعات كبيرة من الماء . شعر جميعهم بالقوة ثم اتجهوا إلى الشرق عبر السهول .

حدد إيراجون أن سبب انزعاجه إلى حد الجنون هو الرياح ، كان كل شيء من حوله يجعله بائسًا : شفتاه المتشققتان ولسانه الجاف وعيناه الملتهبتان ـ كلها أسباب شعوره بالبؤس ، كما أن الرياح العاتية كانت تهب بدون

توقف طوال اليوم ، حتى الليل كانت تشتد فيه الرياح بدلا من تهدئتها .

بما أنه لا يوجد مأوى ، فإنهما كانا مضطرين لإقامة المعسكر فى العراء ، وقد وجد إيراجون شجيرات شوكية من النوع الخشن الذى ينمو فى الظروف الصعبة فى الصحراء القاحلة وانتزعه وجمعه فى كومة وحاول إشعال النار به ، لكن الفروع الخشبية أصدرت دخاناً ولم تشتعل وخرجت منها رائحة كريهة ونفاذة ، فشعر إيراجون بالإحباط فألقى حجر الزند لبروم قائلاً : " لا يمكننى إشعالها ، خاصة فى وجود هذه الرياح اللعينة . حاول إشعال النار وإلا سنتناول العشاء بارداً " .

جثا بروم على ركبتيه ونظر إلى الفروع وفحصها بعين الخبير الناقد ، ثم أعاد ترتيب بعض الفروع ثم قدح الزناد الذى أطلق شرارة النار على الفروع . أصدرت الفروع دخاناً بلا نار . عبس بروم وحاول مرة أخرى لكن حظه لم يكن أفضل من حظ إيراجون ، صاح بروم غاضباً : " بريزينجر ! " . وكانت تبدو كلعنة ، ثم قدح الزناد مرة أخرى فظهرت ألسنة اللهب فجأة ، ثم تراجع للوراء وبدت عليه أمارات الرضا . " ها قد انتهى الأمر ، لابد أنها كانت تشتعل داخلياً " .

تبارزا بالسيوف الخشبية أثناء طهى الطعام ، ولقد نال منهما الإرهاق بشدة مما جعل النزال صعباً فجعلا التدريب لفترة قصيرة . وبعد أن تناولا الطعام ، استلقيا بجوار سفيرا وناما وهما يشعران بالامتنان لها كستار يحميهما .

لم تتغير الرياح الباردة فى الصباح ، بل ظلت تهب على المساحة المسطحة الجرداء البشعة . لقد تشققت شفتا إيراجون أثناء الليل ؛ وفى كل مرة يبتسم أو يتحدث كانت قطرات الدماء تغطى شفتيه ولعقهما كان يزيد الأمر سوءاً . نفس الشىء حدث لبروم . لقد جعلا الجوادين يشربان بكميات قليلة من مخزون الماء قبل امتطاء صهوتيهما . وكانا طوال اليوم يسمعان الصوت الممل على وتيرة واحدة لقرقعة أرجلهما على الطريق المليء بالصخور والحصباء .

فى اليوم الثالث استيقظ إيراجون وقد شعر بأنه نال قسطاً وافراً من الراحة ، ومع توقف الرياح أصبح إيراجون فى حالة مزاجية جيدة ولكن روحه المعنوية المرتفعة انخفضت عندما رأى السماء مبلدة بالغيوم الداكنة التى تنذر بالمطر والرعد والبرق .

نظر بروم نحو السحب وعبس بوجهه وقال : " فى الأحوال العادية لن نسير فى عاصفة كهذه ، لكنها ستصيبنا مهما فعلنا ، لذلك سنواصل المسير مهما حدث " .

كان الجو لا يزال هادئاً عندما وصلا لمقدمة العاصفة . وعندما دخلا فى ظلها الداكن نظر إيراجون لأعلى ، كانت السحابة المحملة بالرعد والبرق لها هيئة غريبة ومثيرة ، وكأنها مبنى طبيعى له سقف ضخم من القباب . مع بعض الخيال رأى إيراجون العمدان والنوافذ والأبراج الشاهقة ومزراب المطر الضخم على شكل حيوانات مرعبة . لقد كان جزءاً من جمال الطبيعة .

وعندما خفض إيراجون ناظريه مرت موجة ضخمة عبر الحشائش ناحيتهما جعلت الحشائش تسوى بالأرض . أدرك خلال ثانية واحدة أن الموجة كانت رياحًا عاتية تهب على شكل موجات . رآها بروم أيضاً لذلك فقد خفضا رأسيهما استعداداً للعاصفة .

هبت العاصفة عليهما وجالت ببال إيراجون فكرة مريعة جعلته يهتز في السرج فصاح بصوته وفي ذهنه *" اهبطي يا سفيرا ! "* . شحب وجه بروم وشاهدا فوق رأسيهما سفيرا وهي تحاول الهبوط *" لن تنجح في ذلك ! "*

حاولت سفيرا الطيران في الطريق الذى كانا به قبل العاصفة لكي تكسب وقتاً إضافياً وشاهدا غضب العاصفة التى أصابتهما كضربة المطرقة . شهق إيراجون لكي يتنفس وأمسك بالسرج بكل قوته بينما ملأت أذنيه أصوات عواء الرياح بجنون . تأرجح الحصان " كادوك " وحفر الأرض بحوافره وكان شعر رأسه ورقبته يهتز بعنف في الرياح ، كادت الرياح أن تمزق ملابسهما بأصابعها الخفية كما أن الجو بدا مظلماً بسبب سحب التراب الضخمة .

ضاقت عينا إيراجون إمعاناً في البحث عن سفيرا ثم رآها تهبط بصعوبة ثم تحط على الأرض وتحاول الإمساك بالأرض بمخالبها بكل ما أوتيت من قوة . نالت منها الرياح عندما حاولت ثنى وضم جناحيها .

كانت الرياح العاتية تقوم بفرد الجناحين ودفع سفيرا في الهواء . وللحظة تركت نفسها لقوة الرياح العاتية فانقلبت ووقعت على ظهرها بعنف . استدار إيراجون بالحصان كادوك وأسرع الخطى إلى الخلف عبر الطريق وهو

يحثه على الإسراع وبذهنه صاح : *"سفيرا ! "* ثم قال بذهنه : *" حاولى البقاء على الأرض ، أنا قادم إليك ! "* ثم شعر بأنها تقول له إنها سمعته ولكنها تشعر بالخوف . وعندما اقترب منها مع الحصان كادوك ، خاف الحصان وتراجع ، فقفز إيراجون من عليه وجرى ناحيتها .

اهتز قوسه على رأسه وهو يجرى ، والرياح العاتية جرفته بعيداً وأفقدته التوازن وارتد للأمام وسقط على صدره ، زحف على الأرض ثم قام وهو غاضب وعابس الوجه وتجاهل جروح جلده الغائرة .

كانت سفيرا على بعد ثلاث يارادت منه ولم يتمكن من الاقتراب منها بسبب أجنحتها التى تخفق رغماً عنها بسبب الرياح . قاومت سفيرا وحاولت ثنى وضم جناحيها على الرغم من العاصفة القوية . هرع إيراجون للجناح الأيمن وهو ينوى الإمساك به لكيلا يتحرك ، لكن الرياح تلاعبت بسفيرا وسارت على يدها أمامه رغماً عنها وطارت فوقه وهى تدور وتتأرجح رغماً عنها . كان بين أشواك ظهرها ورأسه بضع بوصات وإلا لكانت أصابته . أمسكت سفيرا الأرض بمخالبها وحاولت البقاء على الأرض .

بدأ جناحاها يرفعانها أيضاً مرة أخرى ولكن قبل أن تحرك جناحيها ألقى إيراجون بنفسه على الجناح الأيسر ، فانغلق الجناح فى المفاصل وانثنى وأغلقته سفيرا وضمته بجسدها بإحكام . وعلى حين غرة وبدون إنذار أو تمهيد انفتح الجناح الآخر بعد أن مر إيراجون بظهرها وألقى بنفسه عليه ، مما جعل إيراجون يطير فى الهواء ويسقط على الأرض ، لكنه كسر حدة السقطة بأن تدحرج على

الأرض ثم قفز لأعلى وقام وأمسك بجناحها مرة أخرى.
بدأت سفيرا تمسك جناحها وهو يدفعه بكل قوته وقاومتهم الرياح العاتية للحظة أخرى لكنٍ مع الدفعة الأخيرة لإيراجون للجناح تم ضمه وتغلبا معاً على الرياح .

مال إيراجون ناحية سفيرا وهو يشهق وقال لها ذهنياً : *" هل أنت بخير؟ "*

شعر بأنها ترتعش ، بعد دقيقة قالت له : *" أعتقد أننى بخير "* ثم بدأت ترتعد وقالت : *" لم تكسر عظامى . لم أتمكن من فعل شىء ، لم تدعنى الرياح وشأنى . كنت بلا مساعدة "* ثم ارتعشت ولاذت بالصمت .

نظر إليها بقلق وقال : " لا تقلقى ، فأنت فى أمان ثم رأى كادوك قريباً منه وهو يقف موليًا دبره للرياح . قال إيراجون ذهنياً للحصان أن يعود لبروم ، ثم امتطى إيراجون سفيرا التى زحفت عبر الطريق فى اتجاه معاكس للعاصفة بينما أمسك إيراجون بظهرها وخفض رأسه .

عندما وصلا لبروم صاح بهما قائلاً : " هل جُرحت سفيرا ؟ " .

هز إيراجون رأسه بالنفى وترجل من على ظهرها ، سار كادوك نحو إيراجون وهو يصهل وبينما تحسس إيراجون جبهة الحصان ، أشار بروم إلى ستار أسود من المطر يقترب بسرعة نحوهما على شكل موجات رمادية كبيرة . صاح إيراجون : " ماذا سيحدث لنا غير ذلك ؟ ! " ثم أمسك ملابسه لكى تلتصق بجسده ، ثم نظر فى فزع إلى السيل المنهمر من المطر الذى وصل إليها . كان ماء المطر يلسع

بسبب برودته التى كانت فى برودة الثلج . ولم يمض وقت طويل حتى بللتهما الأمطار تماما وبدءا يرتعشان .

ظهر البرق فى السماء على شكل رماح طويلة متجهة لأسفل وكان يأتى بشكل متقطع . كانت صواعق البرق الزرقاء على بعد ميل واحد فى السماء وتخترق الأفق ، وبعدها يأتى صوت هدير الرعد الذى يهز الأرض من تحتهما . كان مشهداً جميلا على الرغم من الخطر المحدق بهما . وانتشرت حرائق الحشاش الصغيرة بسبب البرق لكن سرعان ما كان يطفئها المطر .

كانت عناصر الطبيعة تهدأ ببطء شديد لكن بمرور اليوم اتجهت العاصفة بعيداً ، وصفت السماء مرة أخرى وظهرت شمس المغيب اللامعة المتألقة ، وأشعة الشمس أعطت للسحب ألواناً مبهرة ولامعة فتلون كل شىء بألوان متضاربة ومتناقضة : فهناك جانب مضىء وساطع والآخر مظلم للغاية . وبالتالى أصبح كل شىء يعطى إحساسًا بالكتلة ، وحتى أعواد الحشائش بدت كالعمدان المصنوعة من الرخام . الأشياء المألوفة بدا لها جمال غير مألوف على سطح الأرض ، وشعر إيراجون كأنه داخل لوحة زيتية .

والأرض التى دبت فيها الحياة مرة أخرى كانت رائحتها منعشة ورفعت روحهم المعنوية وجعلت أذهانهم صافية . تمددت سفيرا ورفعت رقبتها وصاحت من فرط السعادة . وجرت الخيل بعيدة عنها ولكن إيراجون وبروم ابتسما لتعبيرها عن الفرحة .

قبل المغيب واختفاء النور ، توقفا لقضاء الليلة فى حالة اكتئاب بسيطة ، وشعرا بأنهما مجهدان لدرجة لا تسمح لهما بالقتال التدريبى بالعصى ، فناما على الفور .

انكشاف الأمر فى يازواك

على الرغم من أنهما تمكنا من ملء قِرَب الماء جزئياً أثناء العاصفة ، فإنهما شربا كل الماء هذا الصباح . قال إيراجون : " أتمنى أن نسير فى الاتجاه الصحيح " ثم هز قربة الماء الفارغة وأردف قائلاً : " لأننا سنكون فى مشكلة كبرى إذا لم نصل إلى يازواك اليوم " .

لم يبد الاضطراب على بروم وقال : " لقد سافرت عبر هذا الطريق ، وستظهر يازاوك فى الأفق قبل المغيب " .

ضحك إيراجون وهو يشك فى كلامه وقال : " ربما ترى ما لا أراه ، كيف تعرف ذلك بينما كل ما حولنا متشابه لمسافة عشرات الأميال ؟ " .

" لأننى لا أتبع علامات أرضية لإرشادى بل بالنجوم والشمس ولن نضل الطريق أبداً بهما . هيا لنواصل السير . من الحماقة أن تستدعى المصائب قبل حدوثها ، إن يازواك فى هذا الاتجاه " .

لقد تم إثبات صحة كلامه ؛ حيث لاحظت سفيرا القرية أولاً لكن لاحقاً فى نفس اليوم شاهد كلاهما القرية كنتوء بارز وداكن فى الأفق ، لم تزل يا زواك بعيداً جدًا ، لكنها على مرمى البصر بسبب استواء السهل وانبساطه ، وبينما تقدما بالخيل ظهر خط منحن وداكن على جانبى المدينة واختفى فى الأفق .

قال بروم مشيراً للخط : " إنه نهر نينور " . أوقف إيراجون كادوك وقال : " سيرى الناس سفيرا إذا ظلت معنا لوقت أطول " .

" هل يجب أن تختبئ أثناء دخولنا إلى يازواك ؟ " .

حك بروم ذقنه ونظر للبلدة وقال : " هل ترى ذلك الانحناء فى النهر ؟ اجعلها تنتظر هناك ، فهذا مكان بعيد عن يازواك ولن يجدها أحد وفى نفس الوقت لن تكون بعيدة عنا ، سندخل للمدينة للحصول على ما نريد ثم نقابلها " .

عندما شرح إيراجون الخطة لسفيرا قالت : *"لا أفضل ذلك ، من المزعج أن أضطر للاختباء طوال الوقت وكأننى من المجرمين "* .

" لكنك تعرفين ماذا قد يحدث إذا رآك الناس " ، صاحت فى ضجر ثم استسلمت وطارت بعيدة وهى مقتربة من الأرض .

أسرعا الخطى ترقباً للطعام والشراب الذى سيستمتعان به قريباً . وعندما اقتربا من المنازل الصغيرة ، شاهدا دخان عدة مداخن لكن لم يكن هناك أحد فى الطرقات ، ساد صمت غير معتاد وغير طبيعى فى كل أنحاء القرية . توقفا بدون

كلام معاً عند أول منزل ، وقال إيراجون فجأة : " ألا توجد كلاب تنبح ؟ " .

" كلا " .

" ألا يعنى ذلك شيئاً ؟ " .

" . . . كلا "

توقف إيراجون لبرهة عن الكلام ثم قال : " لابد أن أحداً رآنا الآن " .

" نعم " .

" إذن لماذا لم يظهر أحد حتى الآن ؟ " .

حدق بروم وهو يغلق عينيه نحو قرص الشمس وقال : " من الممكن أن يكونوا خائفين منا ؟ "

قال إيراجون : " ربما " ، ثم صمت لبرهة ثم قال : " وماذا لو كان فى الأمر فخ ؟ قد يكون الرازاك فى انتظارنا " .

" نحتاج للمؤن وللماء " .

" سنجد الماء عند نهر نينور "

" مازلنا بحاجة إلى المؤنِ والطعام " .

قال إيراجون : " حقاً ، هل ندخل الآن ؟ " ثم نظر حوله .

جذب بروم لجام الحصان وقال : " نعم ، لكن ليس كالأغبياء ، هذا هو المدخل الرئيسى للمدينة . إذا كان هناك كمين فسيكون هنا ، لن يتوقع أحد وصولنا من اتجاه مختلف " .

قال إيراجون : " هل ندخلها من الجانب الآخر إذن ؟ " . أومأ بروم وجذب سيفه من غمده ووضعه على

السرج ، وجذب إيراجون قوسه ووضع سهمه فى وضع الإطلاق .

سارا بالخيل ببطء حول البلدة ودخلا بحرص إليهما ، وكانت الشوارع فارغة عدا وجود ثعلب صغير ابتعد عنهما عندما اقتربا . كانت المنازل مظلمة وتبدو منذرة بالشؤم ونوافذها مكسورة ومحطمة . وكانت معظم الأبواب مخلوعة وتتأرجح على المفاصل المكسورة . كان الجوادان يحركان عيونهما في عصبية وتوتر ، سرت قشعريرة فى راحة يد إيراجون ، لكنه قاوم رغبته فحك يده . وعندما سارا بالجوادين حتى منتصف البلدة ، أطبق إيراجون يده على قوسه وشحب وجهه وقال : " فليحمنا الله " .

كان أمامهما كومة من الجثث المتيبسة ذات الوجوه الكالحة المرعبة وكانت ملابس الضحايا مغطاة بالدماء والأرض ملطخة بالدماء والتربة مقلبة ، وجثث الرجال القتلى على جثث النساء حيث حاولوا حمايتهن وكانت الأمهات مازلن ممسكات بأطفالهن والعشاق الذين حاولوا حماية بعضهم البعض أصابهم سهام الموت البارد . كانت الأسهم السوداء تغطى أجساد جميع الضحايا . ولم يبق أى أحد من الكبار أو الصغار . لكن أسوأ شيء كان الرمح المغطى بالأشواك على قمة كومة الجثث وكان يخترق جسد طفل رضيع .

حالت الدموع دون أن يرى إيراجون الطريق أمامه جيداً ، وحاول إبعاد نظره لكن الوجوه الميتة لفتت انتباهه أكثر . حدق فى عيونهم المفتوحة وتساءل كيف غادرت

أجسادهم الحياة بهذه السهولة . " *ما معنى حياتنا إذا كنا سنموت وتنتهي حياتنا* هكذا ؟ " ثم تملكه إحساس باليأس .

ظهر من السماء فجأة غراب كالظل الأسود وحط على الرمح ، ومال برأسه وحدق بطمع على جثة الطفل . صاح إيراجون : " كلا ؛ لن تلتهمه " ، ثم أطلق سهماً على الغراب الذى مات على الفور بعد أن أصاب السهم صدره . وضع إيراجون سهمًا آخر على القوس لكن القيء غلبه وأخذ يتقيأ على جانب الحصان كادوك .

ربت بروم ظهر إيراجون وعندما انتهى من التقيؤ ، قال بروم برقة : " هل تريد انتظارى خارج يازواك ؟ " .

قال إيراجون وهو يرتعد : " كلا . .. . سأظل هنا " ثم مسح فمه وتجنب النظر إلى المشهد أمامهما . ثم قال : " من يمكنه ارتكاب مثل .... " ذابت الكلمات فى فمه من هول الصدمة .

حنى بروم رأسه وقال : " من يحب رؤية آلام ومعاناة الآخرين . كلهم يرتدون أقنعة وملابس مختلفة ، لكن لهم اسم واحد : الشر المطلق ، لا سبيل لفهم ذلك ، كل ما يمكننا فعله هو الشعور بالشفقة على الضحايا وتكريمهم "

ثم ترجل بروم عن حصانه سنوفاير وسار حول المكان وهو يفحص الأرض المكشوطة بدقة ، ثم قال : " لقد مر الرازاك من هنا ، لكنهم لم يفعلوا ذلك هذا عمل مخلوقات الأورجال ؛ فتلك الرماح من صنعهم . جاءت مجموعة منهم هنا ، ربما مائة منهم ، شيء غريب ، لا أعرف سوى مرات قليلة احتشدوا فيها بهذا العدد ... " ثم جثا على ركبتيه

وفحص آثار الأقدام بدقة . تفوه بروم بلعنة ثم جرى نحو سنوفاير وامتطاه .

قال بروم بحرقة : " أركب حصانك ! مازال هناك أورجال هنا ! " ثم قاد سنوفاير بسرعة للأمام . ركب إيراجون كادوك وقاده بسرعة خلف سنوفاير . مرا عبر المنازل بسرعة حتى كادا يصلان لحدود مدينة يازواك ، وحينها شعر إبراجون برعشة راحة يده . لاحظ حركة سريعة جداً في جانبه الأيمن ثم قبضة ضخمة أزاحته من على السرج فطار جسده من على كادوك ووقع على حائط ، لكنه أمسك قوسه بالغريزة وقام مترنحاً وأمسك بجانبه الذى يؤلمه وشعر بالدهشة لما رآه .

وقف أحد وحوش الأورجال أمامه على مسافة قصيرة وكان وجهه عليه تعبير شرير وهو يحدق بشدة إلى إيراجون . كان وحش الأورجال طويلا وضخم الجثة عريض المنكبين إلى حد كبير وجلده رمادى وله عينان شديدتا الصفار . كانت هناك خوذة حديدية تغطى رأسه وقرونه التى تشبه قرنى الكبش وتتدلى من صدغيه ، وكانت إحدى ذراعيه مغطاة بدرع مستديرة ويده القوية تحمل سيفاً قصيراً منه الشر .

رأى إيراجون خلف وحش الأورجال بروم وهو يوقف سنوفاير ويعود إليه ووقف أورجال آخر يحمل بلطة . صاح بروم لإيراجون : " أسرع يا أحمق " ، ثم هاجم الأورجال . لكن الأورجال الذى كان يحمل السيف أمام إيراجون صاح وهاجمه بسيفه بكل قوة قفز إيراجون إلى الخلف فى فزع

ومر السلاح بالقرب من خديه مصدراً صوتاً خاطفاً . استدار إيراجون وهرب إلى وسط البلدة وكان قلبه يدق بعنف .

طارده وحش الأورجال وكان يدب على الأرض بحذائه الثقيل . أرسل إيراجون صيحة استغاثة يائسة إلى سفيرا ثم أجبر نفسه على الإسراع فى الركض . كاد الأورجال يلحق به على الرغم من جهود إيراجون ؛ ثم كشر الأورجال عن أنيابه بلا صوت . كانت بينهما مسافة بسيطة ، لكن إيراجون استخرج سهماً من جعبة السهام واستدار متوقفاً عن الركض وحدد هدفه وأطلق السهم على الأورجال الذى رفع ذراعه وصد السهم الطائر بدرعه ، اصطدم الوحش بإيراجون قبل أن يتمكن من إطلاق سهم آخر ووقعا على الأرض وكأنهما كتلة واحدة .

قام ايراجوان فى لمح البصر وأسرع راكضاً نحو بروم ، الذى كان ينازل وحشى الأورجال بضربات السيوف وهو يمتطى الحصان سنوفاير . تساءل إيراجون فى خوف محموم : " أين باقى الأورجال ؟ هل هذان هما الوحيدان فى كل يازواك ؟ " .

جاء صوت ضربة قوية وتراجع سنوفاير إلى الخلف وهو يصهل . وقع بروم من على السرج وتدفق الدم من ذراعه . صاح وحش الأورجال الذى وقف بجواره صيحة النصر ورفع بلطته لكى يضرب بروم الضربة القاضية .

أطلق إيراجون صرخة تصم الآذان بينهما هاجم وحش الأورجال مندفعا برأسه . توقف وحش الأورجال فى دهشة ثم واجهه باحتقار ملوحا ببلطته فى الهواء . انحنى إيراجون لكى يتجنب الضربة التى وجهها له الأورجال ،

ثم غرس إيراجون أظافره في جانب جسد الأورجال فجرحه وأدماه . تلوى وجه الأورجال من الغضب ، وهاجم إيراجون ببلطته مرة أخرى لكنه لم يصب إيراجون الذى طار بجسده إلى جانب آخر وجرى نحو شارع ضيق .

كان إيراجون يركز على إبعاد الأورجال عن بروم ، فركض إلى طريق صغير وضيق بين منزلين ، فوجده مسدوداً فوقف فجأة . حاول التراجع لكن وحشا الأورجال كانا بالفعل على المدخل يسدان طريق الخروج . اقتربا منه وهما يلعنانه بصوت أجش . نظر إيراجون إلى يمينه ويساره بحثاً عن مخرج ، لكن لم يكن هناك مهرب .

وبينما كان يواجه الأورجال طافت في ذهنه صور متعددة : أكوام القرويين الموتى المتجمعة حول الرمح والرضيع البرىء الذى لن يكبر أبداً . عندما فكر فى مصيرهم ، فجأة شعر بقوة حارقة خفية تتجمع من كل جزء في جسده . لم تكن مجرد رغبة في العدالة ؛ بل كان كل كيانه يتمرد على فكرة الموت ـ بأنه سينتهى من هذا الوجود . زادت القوة الداخلية حتى شعر أنه مستعد للانفجار من شدة القوة الكامنة بداخله .

وقف مستقيماً وقد ذهب عنه الخوف ، ورفع القوس برشاقة فضحك وحشا الأورجال ورفعا الدروع . أخرج إيراجون سهمه كما فعل مئات المرات من قبل ثم حدد رأس السهم على الهدف . كانت الطاقة بداخله تحترق على مستوى لا يحتمل وكأن عليه إخراجها وإلا أحرقته . فجأة وجد الكلمة الغريبة تأتى على شفتيه بدون سابق إنذار ، ثم ألقى السهم وهو يصيح : " بريزنجر " !

انطلق السهم فى الهواء بصوت فحيح ، وكان يلمع بضوء أزرق لامع كـالنيران . أصـاب وحـش الأورجـال الأول علـى جبهته فدوى صوت انفجار فـى الهـواء . انفجـرت خـارج رأس الـوحش أضـواء زرقـاء قتلـت الأورجـال الثـانى فـى الحال ، ثم وصل الضوء الأزرق لإيراجون فى الحال قبـل أن يصدر عنه أى رد فعل ثم دخلت الأشعة الزرقاء إليـه بـدون ضرر وتبددت وسط المنازل .

وقف إيراجون وهو يلهث ثم نظـر إلى راحـة يـده التـى كانت باردة كالثلج . كانت العلامة البيضاوية على يده تلمع كالمعـدن السـاخن للغايـة لكـن عنـدما حـدق إليهـا عـادت لطبيعتها . كور يده علـى شـكل قبضـة ثـم شـعر بالإرهـاق يتملكه ويتمكن منه . شعر بشعور غريـب وشـعر بالضـعف وكأنه لم يأكل منـذ أيـام ، ارتجفـت ركبتـاه ثـم سـقط علـى الحائط وقد خارت قواه .

تحذيرات

بمجرد أن استعاد جزءاً ضئيلاً من قوته ، سار إيراجون مترنحاً خارج الشارع الضيق متجنباً لمس الوحوش المقتولة . لم يسر لمسافة بعيدة حتى وصل كادوك إليه من جانبيه . قال له إيراجون هامساً : " شيء جيد أنك لم تجرح " ، ولاحظ أن يديه ترتعشان في عنف لكنه لم يكترث ، كما كانت حركاته بها تشنج لاإرادى وشعر وكأنه ينفصل عن جسده ذهنياً وكأن كل ما يراه يحدث لشخص آخر .

وجد إيراجون سنوفاير ينفث الهواء ساخنًا من منخاره وأذنه ملتصقة برأسه ، وكان يتبختر حول ركن من أركان أحد المنازل ، وكان مستعداً للهجوم . كان بروم محنى الظهر وجالساً بلا حراك على السرج . تواصل إيراجون ذهنياً مع الحصان وقام بتهدئته ، وبمجرد أن هدأ سنوفاير ذهب إيراجون لبروم .

كان هناك جرح غائر ملطخ بالدماء على الذراع اليمنى للرجل العجوز . كانت الدماء تتدفق منها بغزارة ، لم يكن

جرحاً عميقاً أو كبيراً ، لكن إيراجون كان يعلم أنه يجب ربط الجرح قبل أن يفقد بروم الكثير من الدماء . تحسس جبهة سنوفاير للحظة ثم حمل بروم من على السرج وكان ثقيل الوزن وبالتالى سقط منه بروم على الأرض بشدة ، واندهش إيراجون من ضعفه الشديد .

انطلقت فى رأسه صرخة غضب ؛ هبطت سفيرا من السماء على الأرض بشدة أمامه وظلت أجنحتها صاعدة لأعلى وصاحت فى غضب وانطلق الشرر من عينيها وهزت ذيلها بعنف فنظر إليها إيراجون بخوف وهى تقترب منه فى بطء وقالت له : " *هل جُرحت* " وكان الغضب يسيطر على صوتها الهادر .

طمأنها وقال : " *كلا* " ثم رفع بروم على ظهره .

صاحت وزمجرت ثم قالت : " *أيًا من فعل هذا . فسأمزقه إرباً !* "

أشار ببطء ووهن فى اتجاه الحارة وقال : " *لن يفيد ذلك ، فهم فى عداد الموتى الآن* " .

قالت سفيرا فى دهشة : " *من قتلهم ؟* " .

قال لها بعد أن أومأ برأسه : " *سأشرح لك ما حدث* " ثم شرح لها فى كلمات مقتضبة ما قد حدث ، عندما كان يبحث فى الحقائب المربوطة على السرج عن الخرقة البالية التى ربط بها بروم السيف زاروك .

قالت سفيرا بصوت يملؤه الجدية : " *لقد كبرت حقاً* " .

صاح لها معبراً عن ارتياحه ثم وجد الخرقة البالية الطويلة ولفها بحرص على ذراع بروم . وببعض الحركات

السريعة المتقنة نظف وطهر جرح بروم وضمده جيدًا ثم قال لسفيرا : " أتمنى لو بقينا فى وادى بالانكار ، هناك كنت أعرف النباتات الصالحة للعلاج ، وهنا لا أعرف ما سيساعده " . ثم استعاد سيف بروم من الأرض ومسحه وأعاده لغمده على حزام بروم .

قالت سفيرا : " لماذا لا نرحل ؟ ربما هناك المزيد من الأورجال المختبئين هنا " .

" هل يمكنك حمل بروم فى السرج ليكون فى أمان ويمكنك حمايته " .

" نعم ، لكن لن أتركك وحدك " .

" حسناً ، طيرى فوقى بالقرب منى ، لكن دعينا نخرج من هنا " . ثم وضع السرج عليها وربطه جيداً ثم حاول رفع بروم لكن قواه المنهكة خذلته . " سفيرا - ساعدينى " .

وضعت رأسها تحت بروم ورفعته من ردائه من الخلف بأسنانها ، ورفعت العجوز وهى تقوس رقبتها من على الأرض كما تفعل القطة بأبنائها ، ثم وضعته على ظهرها ، بعد ذلك وضع إيراجون قدمى بروم عبر حبال السرج وقيده حتى لا يقع من على ظهر سفيرا ، ثم نظر إلى العجوز عندما تأوه وتحرك .

رمش بروم بعينيه فى تعب ببطء ، ثم وضع يده على رأسه وحدق إلى إيراجون فى قلق وقال : " هل وصلت سفيرا فى الوقت المناسب ؟ " .

هز إيراجون رأسه بالنفى وقـال : " سأوضـح لـك الأمـر لاحقاً ، ذراعـك مجروحـة ولقـد ضـمدتـها بقـدر المستطاع ، لكنك بحاجة لمكان آمن للراحة "

قال بروم وهو يلمس ذراعه بألم : " نعم ، هل تعلم أين سيفى .... ياه ، لقد وجدته بالفعل " .

انتهى إيراجون مـن ربـط الحبـال حولـه جيـداً وقـال : " ستطير بك سفيرا وتتبعنى " .

سأل بروم : " هل أنت متأكد أنك تريدنى أن أمتطيها ، يمكننى قيادة سنوفاير " .

" لن تتمكن من ذلك بسبب ذراعك المجروحة ، لكن هنا إذا فقدت وعيك فلن تسقط " .

أومأ بروم وقال : " لقد نلت شرف امتطائها " ، ثم لف ذراعيه حول عنق سفيرا فطـارت علـى الفـور وشـقت عنـان السماء . تراجع إيراجون للخلف وتأرجح من جانـب لآخـر بسبب موجات الهـواء الناتجـة مـن جناحيهـا ، وعـاد هـو للجوادين .

ربط سنوفاير خلف كادوك ثم غادر يازواك وعاد للطريق متبعـاً جهـة الجنـوب ، وأدى الطريـق إلى منطقـة صـخرية فجنح إلى اليسار واستمر إلى السير بمحاذاة نهر نينور . كان جانبـا الطريـق مغطـيين بالشـجيرات الصـغيرة والنباتـات الفطرية ونبات الفيرن علـى مسـافات متفرقـة . كـان الجـو بارداً ومنعشاً تحـت ظـلال الأشـجار لكـن إيراجـون لم يـدع الهواء اللطيف يخدره لكى يشـعر بالأمـان . توقـف لبرهـة لملء قرب الماء وسقاية الخيل ثم لمح تحته آثار الرازاك فقـال

لنفسه : " على الأقل نحن نسير فى الاتجاه الصحيح " .
حامت سفيرا فوقه وهى تحرسه ولا تغفل عنه .

لقد انزعج عندما رأى وحشين من الأروجال فقط . لقد قُتل أهل القرية ولقد تم تدمير وسرقة يازواك من جانب عدد كبير منهم ، لكن أين الباقون ؟ " ربما من قابلناهم حرس خلفى أو أفراد الكمين للإيقاع بمن يحاول تتبع القوة الرئيسية " .

ظل يفكر فى كيفية قتله لوحشى الأورجال ثم جالت بخاطره فكرة كالوحى وتسللت فى دفء إلى ذهنه . إيراجون ذلك الفتى من المزرعة فى وادى بالانكار استخدم السحر . السحر ! كانت الكلمة الوحيدة لتفسير ما حدث . بدا ذلك مستحيلاً ، لكن لم ينكر ما رآه بعينيه . " ربما بطريقة أو بأخرى أصبح ساحرا ! " لكنه لم يكن يعرف كيف يستخدم قوته الجديدة مرة أخرى ، ولا يعرف مداها وخطورتها . " *كيف جاءتنى هذه القدرة ؟ هل كانت متاحة لكل الفرسان راكبى التنين ؟ وإذا كان يعلم بروم بها ، فلماذا لم يخبرنى ؟* " ثم هز رأسه فى دهشة وحيرة .

تحدث مع سفيرا للتحقق من حالة بروم ولكى يقول لها ما يجول بخاطره . كانت حائرة مثله بشأن السحر . " *هل يمكنك يا سفيرا أن تجدى لنا مكاناً للراحة ؟ لا يمكننى الرؤية لمسافة بعيدة* " وبينما طارت باحثة عن مكان مناسب استمر هو فى السير بمحاذاة نهر نينور .

جاءه استدعاء سفيرا أثناء ميل الشمس للمغيب . أرسلت له سفيرا صورة مكان معزول بين الأشجار بجوار النهر . وجه إيراجون الجوادين للاتجاه الجديد وحثهما على

المسير . كان من السهل العثور على هذا الأمان بمساعدة سفيرا ، لكنه كان معزولاً وخفياً عن الأنظار لدرجة أنه شك في أن أحداً لم يلاحظه من قبل .

عندما دخل بين الأشجار وجد النار مشتعلة بالفعل في مساحة صغيرة وبلا دخان . كان بروم جالساً إلى جوار النار ويضمد الجراح في ذراعه الذى كان يرفعه في زاوية غريبة . كانت سفيرا متكورة بجواره وجسدها متوتر ومشدود . نظرت إلى إيراجون بعمق وقالت : " *هل أنت متأكد من أنك لم تجرح ؟* " .

" *لم يحدث لى شىء خارجياً ، أما داخلياً ، فأنا لست متأكداً* " .

كان لابد أن آتى إليك قبل ما حدث " .

"*لا تبتئسى ، كلنا أخطأنا اليوم* . وقد كان خطئى هو عدم البقاء بجوارك " . شعر بالامتنان الذى نقلته له إزاء هذا التعليق يغمره . ونظر إلى بروم وقال : " كيف حالك الآن ؟ " .

نظر العجوز إلى ذراعه وقال : " إنه خدش كبير ويؤلمنى بشدة ، لكنه سيشفى سريعاً . أحتاج لضمادة جديدة ، لم تصمد هذه الضمادة للمدة التى توقعتها " . قام بغلى الماء لكى يغسل جروح بروم ثم ربط بروم ضمادة جديدة على ذراعه وقال : " يجب أن أتناول شيئًا ، وأنت أيضاً يبدو عليك الجوع . لنتناول العشاء أولاً ثم نتحدث " .

عندما امتلأت البطون من الشبع والدفء ، أشعل بروم غليونه وقال : " والآن حان الوقت لكى تخبرنى بما حدث عندما فقدت وعيى ؛ يملؤنى الفضول لمعرفته " . ثم انعكس

ضوء النار المتراقص على وجهه وبرز حاجباه الكثيفان بشكل يوحى بالشراسة .

عقد إيراجون يديه معاً فى توتر ظاهر وأخبره بكل ما حدث دون إسهاب أو نقص للحقائق . ظل بروم صامتاً أثناء استماعه لكل هذا وكان وجهه لا يوحى بأى شىء أو يوضح أى تعبير . عندما فرغ إيراجون من سرد قصته نظر بروم إلى الأرض وساد الصمت لفترة فيما عدا صوت النار . فى النهاية قال بروم : " هل استخدمت هذه القوة من قبل ؟ " .

" كلا ، هل تعرف أى شىء عنها ؟ " .

" أعرف القليل " ، ثم بدا التفكير على وجه بروم ثم أردف قائلاً : " أنا مدين لك بحياتى وسأرد لك الدين يوما ما . لك الحق أن تفخر بنفسك ؛ قليل جداً من الرجال يقتلون وحوش الأورجال لأول مرة ولا يصابون بخدش . لكن الوسيلة التى قتلتهم بها خطيرة للغاية ، ربما قد تدمر المدينة أو تدمر نفسك " .

قال إيراجون مدافعاً عن نفسه : " وكأن الخيار كان متروكاً لى ، لقد كانا على مقربة منى للغاية وكانا سينالان منى . إذا كنت قد انتظرت ، لكانا قد مزقانى إرباً ! " .

ضغط بروم على الغليون بأسنانه بشدة وقال : " لم يكن لديك أدنى فكرة عما فعلته ".

قال له إيراجون متحدياً : " إذن أخبرنى ، لقد بحثنا عن حل لهذا اللغز ولكنى عجزت عن فهمه . ماذا حدث ؟ كيف استخدمت السحر ؟ لم يعلمنى أحد السحر أو التعاويذ السحرية " .

لمعت عينا بروم وقال : " هذا شيء لا يجب أن تعلمه ـ فما بالك باستخدامه ؟ ! " .

" حسناً ، لقد استخدمته ، وقد أحتاج إليه للقتال مرة أخرى . لكن لن أتمكن من ذلك إذا لم تساعدني . ما الخطب ؟ هل هناك سر لا ينبغي لي أن أعرفه إلا عندما تكبر سني وأصبح أكثر حكمة ؟ أم أنك ربما لا تعلم شيئاً عن السحر ! " .

صاح بروم : " أيها الفتى ! أنت تطلب الإجابات بوقاحة غير معهودة ، إذا كنت أعرف ما تسأل عنه ، فلِمَ أسرعت بالسؤال هكذا . لا تحاول اختباري " ، ثم توقف وظهر على وجهه أنه قد هدأت أعصابه ثم أردف قائلاً : " المعلومات التي تطلبها معقدة كثيراً ويصعب فهمها " .

قال إيراجون في اعتراض وحنق : " أشعر أنني تم وضعي في عالم من القواعد الغريبة التي لن يشرحها لي أحد " .

قال بروم : " أتفهم شعورك " ، ثم عبث بالحشائش وقال : " لقد تأخر الوقت ويجب أن ننام ، لكنني سأطلعك على بعض الأمور الآن لكي تتوقف عن التذمر . هذا السحر ـ لأنه سحر بالفعل ـ له قواعد مثل أي شيء في العالم . إذا انتهكت هذه القواعد ، يكون جزاؤك الموت بدون أي استثناءات ، أفعالك محدودة ومرهونة بقوتك ، والكلمات التي تعرفها وخيالك " .

قال إيراجون : " ماذا تعني بالكلمات ؟ " .

صاح بروم : " كلا ، لا مزيد من الأسئلة ؟ ! للحظة اعتقدت أنك لن تسأل . لكن لديك حق فى هذا السؤال . عندما أطلقت الأشعة على الأورجال ألم تقل شيئاً ؟ " .

" نعم ، ذكرت كلمة بريزنجر ، وحينئذ زادت النار اشتعالاً " وسرت رجفة فى جسد إيراجون . هناك شىء ما فى هذه الكلمة جعله يشعر أنه فى قمة الحيوية والعنفوان .

" لقد خمنت ذلك ، فكلمة " بريزنجر " تأتى من لغة قديمة كانت كل المخلوقات تتحدثها فيما مضى ، لكن تم نسيانها على مر الزمان ولم يعد يتحدث بها أحد لعصور طويلة فى " آلاجيشيا " حتى جاء بها مخلوقات الإلف عبر البحر وعلموها لباقى الأجناس ، الذين استخدموها للقيام بأشياء خارقة . لهذه اللغة اسم لكل شىء إذا تمكنت من العثور عليه " .

قال إيراجون مقاطعاً : " لكن ما علاقة هذه اللغة بالسحر ؟ " .

" كل شىء ! فهى أساس كل القوة . تلك اللغة تصف الطبيعة الحقيقية للأشخاص وليس الجوانب السطحية التى يراها الجميع ؛ على سبيل المثال كلمة " ريزنج " تعنى " النار " ، لكنه ليس مجرد اسم لها ، بل هو اسمها الفعلى الحقيقى منذ الأزل . وإذا كنت تتمتع بالقوة الكافية فإنه يمكنك استخدام هذه العبارة لتوجيه النار لكى تفعل ما تريد . وهذا ما حدث اليوم " .

فكر إيراجون فى الأمر لبرهة ثم قال : " لماذا كانت النيران زرقاء ؟ كيف فعلت ما أريده بالضبط إذا كان كل ما قلته هو كلمة النار ؟ "

" يختلف اللون من شخص لآخر ، وهذا يعتمد على من يقول الكلمة . بالنسبة لحقيقة أن النيران فعلت ما أردت ، فهذه مسألة ممارسة ، وعلى معظم المبتدئين ذكر ما يريدون حدوثه بالضبط وعندما يكتسبون الخبرة لا يكون هذا ضرورياً ، قد يقول الخبير المتمرس كلمة " ماء " ويتسبب في حدوث شيء لا علاقة له بها ، مثل الجوهرة . لن تفهم كيف يفعلها ، لكن الخبير يرى العلاقة بين الماء والجوهرة ، وهذا السر الرئيسي لاستخدام القوة . الممارسة أكثر من مجرد مهارة أو فن ، وما فعلته صعب جداً " .

قطعت سفيرا أفكار إيراجون وقالت : " *بروم ساحر ! لذلك تمكن من إشعال النار عندما كنتما فى السهل . إنه لا يعرف كل شيء عن السحر فقط بل يمكنه استخدامه ؟ " .*

اتسعت عينا إيراجون وقال لها ذهنياً : " *لديك كل الحق ! "*

اسأله عن هذه القوة لكن احترس ما تقوله ، ليس من الحكمة أن تعبث مع من يملك تلك القدرات ، إذا كان ساحراً حقاً ، فلا أحد يعرف ما دوافعه للاختفاء فى كارفاهول .

ظل إيراجون يفكر في هذا وقال بحرص : " سفيرا وأنا أدركنا شيئاً للتو ؛ يمكنك استخدام السحر ، أليس كذلك ؟ لذلك استطعت إشعال النار فى أول يوم لنا في السهول " .

مال بروم برأسه قليلا وقال : " لدىَّ خبرة وكفاءة إلى حد ما " .

" إذن لماذا لم تحارب الأورجال بالسحر . كانت هناك مرات كثيرة كان يمكنك فيها الاستفادة منه ـ كان يجدر بك حمايتنا من العاصفة وإبعاد التراب عن عيوننا " .

بعد أن أعاد بروم ملء غليونه قال : " توجد أسباب بسيطة حقاً ، أنا لست من الفرسان راكبى التنين وهذا يعنى أنه فى أضعف لحظاتك تكون أنت أقوى منى ، لقد ولى زمن شبابى ولست قوياً كما كنت سابقاً ، وكل مرة أحاول اللجوء للسحر يكون من الصعب الرجوع إليه " .

خفض إيراجون عينيه وهو خجل وقال : " أنا آسف " .

قال بروم : " لا داعى للأسف " ، ثم حرك ذراعه وقال : " هذا يحدث للجميع " .

" أين تعلمت استخدام السحر ؟ " .

" سأحتفظ بهذه المعلومة لنفسى ... يكفى القول بأن هذا كان فى مكان بعيد ومن معلم ممتاز . يمكننى على الأقل نقل دروسه إليك " .

ثم أطفأ بروم الغليون بقطعة من الصخور وقال : " أعرف أن لديك أسئلة أخرى ، لكننى سأجيبها غدًا ويمكنك الانتظار للصباح " .

ثم مال ولمعت عيناه وقال : " حتى ذلك الحين سأقول لك ما يلى لكى أمنعك من أى تجارب : السحر يتطلب طاقة كبيرة وكأنك تستخدم ذراعك وظهرك . لذلك شعرت أنت بالتعب عندما قتلت الأورجال . وهذا سبب غضبى . لقد كانت مجازفة خطرة منك . إذا استهلك السحر طاقة أقوى مما بداخل جسدك لكنت فى عداد الموتى الآن ، استخدم

السحر فقط للمهام التى لا يمكنك إنجازها بالطرق العادية " .

قال إيراجون بخوف : " كيف تعرف أن التعويذة ستستهلك كل طاقتك ؟ " . رفع بروم يديه وقال : " لمعظم الوقت لا يحدث ذلك ، لذلك يجب على السحرة معرفة حدودهم جيداً ويحترسون جداً أيضاً ، فبمجرد إكمال مهمة ما وتخرج السحر ، قد لا تتمكن من إنهاء تلك المهمة، وهذا تحذير : لا تجرب أى شىء حتى تتعلم المزيد ، والآن يكفى هذا الحوار الليلة " .

فرشا أغطية النوم وقالت سفيرا برضا : " *كلانا يا إيراجون يصير أقوى ، وسرعان ما يحدث ألا يتمكن أحد من الوقوف فى طريقنا* " .

" *نعم ، لكن أى الطرق نختار ؟* " .

" *أى طريق نريده* " . كانت تتكلم وهى واثقة من مهارتها ، ثم استلقت وذهبت فى سبات عميق .

السحر هو أبسط الأشياء

قال إيراجون لبروم بعد أن سارا على طريق السفر لفترة : " لماذا كنت تعتقد أن وحشى الأورجال مازالا فى يازواك ؟ لم يكن هناك سبب لتخلفهما بها " .

" أشك فى أنهما تركا زملاءهما فى المجموعة الرئيسية لكى يسرقا الغنائم من المدينة . لكن الشيء الغريب هو أنه - وفقاً لمعلوماتى - لم يجتمع الأورجال بتلك القوة والعدد إلا مرتين أو ثلاثة فى التاريخ . شيء يدعو للقلق عندما يفعلون ذلك الآن " .

" هل تظن أن الرازاك سبب الهجوم ؟ "

" لا أعرف . الأفضل أن نبتعد عن يازواك بأسرع ما يمكن . كما أن هذا هو الاتجاه الذى رحل منه الرازاك : إلى الجنوب " .

وافقه إيراجون فى الرأى وقال : " لكننا مازلنا بحاجة إلى المؤن ؛ فهل توجد بلدة قريبة ؟ " .

هز بروم رأسه بالنفى وقال : " كلا ، لكن سفيرا ، ستصيد لنا إذا كنا سنعيش على اللحوم فقط . قد يبدو امتداد الأشجار هناك صغيراً بالنسبة لك لكنه ملىء بالحيوانات ، والنهر هو المصدر الوحيد للماء فى هذه الأميال الطويلة حولنا ، لذلك فإن معظم الحيوانات فى السهل تأتى هنا للشرب ، فلن نموت جوعاً " .

ظل إيراجون صامتاً وشعر بالرضا عن جواب بروم . وعندما انطلقا بالخيل ، كانت الطيور التى تصيح تحوم حولهما والنهر يتدفق وينساب فى هدوء وسلام . كان المكان يعج بالأصوات والحياة والطاقة . قال إيراجون : " كيف تمكن وحشا الأروجال من جرحك ؟ لقد حدثت الأمور بسرعة ولم أنتبه " .

قال بروم بضجر : " حظ سيئ حقاً ، لقد كنت أقوى من هذا الأورجال فى النزال ولذلك ركلت حصانى سنوفاير ، وهذا الحصان الأحمق تقهقر للوراء وأفقدنى توازنى فسقطت ، وكان هذا كل ما يريده وحش الأورجال لكى يجرحنى " ، ثم حك ذقنه وقال : " أعلم أنك مازلت تتعجب من السحر . وذلك يمثل لى مشكلة شائكة . القليل جداً يعلمون أن كل فرسان التنين يتمكنون من استخدام السحر ، لكن بدرجات قوة متفاوتة . لقد أخفوا قدراتهم هذه سراً حتى فى أوج قوتهم ؛ لأنها تعطيهم ميزة للتغلب على الأعداء . إذا علم الجميع بها ، حينئذٍ كان التعامل مع العامة سيمثل عبئاً ، الكثيرون يعتقدون أن القوى السحرية للملك تأتى من حقيقة أنه ساحر ، لكن هذا ليس حقيقياً ، بل لأنه أحد الفرسان راكبى التنين " .

" ما الفارقٍ في ذلك ؟ هل حقيقة أننى أستخدم السحر لا يجعلنى ساحراً ؟ " .

" كلا البتة ! الساحر مثل أحد وحوش الظل ، يستخدم الأرواحٍ الشريرة لتنفيذ رغباته وهذا يختلف عن قواك كثيرا ، وهناك سحرة يستخدمون الأرواح والتنين وآخرون يستخدمون التعاويذ والوسائل السحرية .

هذا يعيدنا للنقطة الأساسية . المشكلة أنك عرفت بشأنٍ السحرٍ الآن . الفرسان الصغار مثلك كانوا يتبعون نظاماً قاسياً لتقوية أجسادهم وتحكمهم الذهنى فى عقولهم . كان النظام يستمر لشهور طويلة وربما لسنوات عدة ، حتى يتمكن راكبو التنين من تحمل مسئولية السحر واستخدامه . حتى ذلك الحين ، لم يكن يتم إخبار أى طالب بقواه الخارقة المتوقعة . إذا اكتشف أحدهم قواه السحرية بالصدفة ، كان يتم إرساله على الفور للتدريب الخاص . كان من النادر أن يكتشف أحد قواه السحرية بمفرده " ، ثم مال برأسه ناحية إيراجون وأردف قائلاً : " على الرغم من أنهم لم يتعرضوا قط للضغط الذى تعرضت أنت له " .

قال إيراجون : " إذن كيف كانوا يتدربون على استخدام السحر ؟ لا أعرف كيف يمكن أن يتعلمه أى شخص ، إذا حاولت شرحه لى منذ يومين لما فهمت شيئاً " .

" كان الطلاب يتعرضون لسلسلة من التمرينات بلا هدف مصممة لكى يصابوا بالإحباط . على سبيل المثال : كان يطلب منهم تحريك كومة من الحجارة باستخدام أقدامهم فقط وملء قرب ماء مثقوبة وغيرها من المهام المستحيلة . وبعد مرور بعض الوقت كانوا يشعرون بالغضب العارم بالقدر

الكافى لاستخدام السحر ، ولمعظم الوقت كانت تلك الحيلة تنجح " .

أكمل بروم حديثه قائلاً : " هذا يعنى أنه ليس فى صالحك مواجهة عدو اجتاز تلك التدريبات . يوجد هناك من يعيشون حتى الآن وشهدوا ذلك : مثل الملك وأيضاً مخلوقات الإلف . أى منهم قد يزقك رباً بكل سهولة " .

" ما الذى يمكننى أن أفعله حينها " .

" لا يوجد وقت للتدريب الرسمى ، لكننا سنفعل الكثير أثناء ترحالنا ، وأعرف بعض الطرق التى يمكنك التدريب عليها وستعطيك القوة والتحكم ولكن لا يمكنك اكتساب النظام الذى تلقاه راكبو التنين ما بين يوم وليلة " ، ثم نظر لإيراجون ضاحكاً وقال بمرح : " عليك تجميع كل هذه التعاليم على الطريقٍ ، سيكون الأمر صعباً فى البداية ، لكن العائد سيكون عظيماً ، وقد يرضيك أن تعرف أنه لم يكن هناك راكب تنين فى مثل سنك يستخدم السحر كما فعلت بالأمس مع الأورجال " .

ابتسم إيراجون لمديح بروم وقال : " شكراً لك ، لكن هل اللغة السحرية لها اسم ؟ " .

ضحك بروم وقال : " نعم ، لكن لا يعرفه أحد ، لابد أنها كلمة ذات قوى لا يصدقها عقل ، شىء يمكنك به التحكم فى اللغة كلها ومن يستخدمونها . بحث الكثيرون عن اسم هذه اللغة لكن لم يجده أحد " .

" مازلت لا أفهم كيف يعمل السحر ، وكيف أستخدمه بالضبط ؟ " .

بـدت الدهشـة علـى وجـه بـروم : " ألم أوضـح لـك الأمور ؟ " .

" كلا " .

التقط بروم نفساً عميقاً وقال : " لكـى تعمـل بالسـحر ، يجب أن تكون لديك قوة داخلية ، وهى نادرة الوجود لـدى الناس هذه الأيام ، ويجب أن تتمكن من استدعاء واستحضار هذه القوة بمحض إرادتك . وبمجرد استدعائها يجب عليـك استخدامها أو تتركها تزول من تلقاء نفسها . هل فهمـت ؟ إذا كنت تتمنى اسـتخدامها ، فيجـب أن تنطـق بالكلمـة أو العبارة من اللغة القديمة التى تصـف نوايـاك . علـى سـبيل المثال ، لـو لم تقـل كلمـة " بريزنجـر " بـالأمس لمـا حـدث شىء " .

" إذن أنا قدراتى محدودة بمعرفتى لهذه اللغة " .

صاح بروم : " بالضبط ، وأيضاً أثنـاء التحـدث بهـا مـن المستحيل أن تكذب أو تخدع أحداً " .

هز إيراجون رأسه بالنفى وقال : " هذا مستحيل ، فكل الناس يكذبون وأصوات اللغة القديمة لن تمنعهم من ذلك " .

رفع بروم حاجبه وقال باللغة القديمة : " فتهر بلاكا ، إيكا ووهناتانيات هاين أونو ، بلا كأيوم إيت لام " . وفجـأة ظهر عصفور طار من على الفرع وحط على يد بـروم ثـم غـرد بصوت منخفض ونظر إليهما بعينيه البارزتين ثم قال بـروم بعد لحظة " إيثا " فطار العصفور مبتعداً عنهم .

قال إيراجون فى دهشة : " كيف فعلت ذلك ؟ "

" وعدتـه ألا أؤذيه ، ربما لم يفهم كـل مـا قلتـه بالضـبط لكن فى لغة القوة معنى كلماتى واضح . لقد وثق الطائر بى ؛

لأنه يعرف مثله مثل باقى الحيوانات أن من يتحدث بهذه الكلمات سوف يلتزم بكلماته ووعوده "

" وهل تتحدث مخلوقات الإلف بهذه اللغة ؟ " .

" نعم " .

" وبالتالى لا يكذبون أبداً ؟ " .

قال بروم : " ليس تماماً ، فهم يقولون إنهم لا يكذبون ، لكن فى الحقيقة هذا صحيح جزئيا ، لكنهم يتقنون فن الخداع بالكلمات بحيث يقولون الشىء ويكون المعنى المقصود شيئاً آخر . لا يعرف المرء أبداً المعنى الحقيقى لكلامهم ، وتحتاج للتخمين لكى تعرف الحقيقة . أحيانا يظهرون جزءاً من الحقيقة وليس كلها ، ويحتاج المرء لعقل ذكى ولماح وواعٍ للتعامل مع ثقافتهم "

فكر إيراجون قليلا ثم قال : " ماذا تعنى الأسماء الشخصية فى لغتهم ؟ هل الأسماء تمنح القوى لأصحابها ؟ " .

لمعت عينا بروم مؤمناً على كلام إيراجون : " نعم بكل تأكيد ، كل من يتحدث هذه اللغة له اسمان . الأول للاستخدام اليومى وليس له أى قوى أو سلطة . لكن الاسم الثانى هو الاسم الحقيقى ولا يعرفه سوى قلة من الموثوق بهم . وفى الزمان البعيد لم يكن أحد يخفى اسمه الحقيقى ، لكن الزمن تغير . الآن من يعرف الاسم الحقيقى لأحد قد يتحكم فيه ويخضعه لإرادته ، وكأنك تضع حياتك بين يدى شخص آخر . لذلك فإن كل واحد له اسم خفى لكن القليل جداً يعرفونه " .

قال إيراجون : " كيف يعرف المرء اسمه الحقيقى ؟ "

" يعرف الآلف أسماءهم بالفطرة ، لا أحد يملك هذه الموهبة من البشر . وراكبو التنين من البشر عادة يسعون فى رحلات محفوفة بالمخاطر لمعرفة الاسم الحقيقى - أو يجدون إلفاً يخبرهم ، وكان هذا نادراً ما يحدث ، لأن الإلف لا يظهرون تلك المعلومات مجاناً " .

قال إيراجون بإصرار : " أريد معرفة اسمى " .

عقد بروم حاجبيه وقال : " احترس ، قد تكون معلومة رهيبة . لا أحد يجتاز خبرة معرفة اسمه الحقيقى بلا خداع أو تعاطف فى لحظة ما بدون أن يصاب بأذى . لقد جن بعض الفرسان راكبى التنين بسبب الحقيقة الصارخة ، وكان البعض الآخر يحاول نسيانه . لكن الاسم مثلما يمنح البعض القوة ، قد تتحكم فى قوتك بنفسك إذا لم تكشف حقيقة اسمك للآخرين " .

قالت سفيرا : " *وأنا متأكدة من أن ذلك لن يحدث* "

قال إيراجون بإصرار : " *مازلت أتمنى معرفة اسمى الحقيقى* " .

" ليس من السهل إثناؤك عن عزمك وهذا جيد ، فالمرء يجب أن يكون مثابرا لكى يعرف حقيقة هويته ، لكنى لن أتمكن من مساعدتك فى هذا . إنه بحث ستضطر للقيام به بنفسك " ، ثم حرك بروم ذراعه اليمنى فتلوى وجهه من الألم .

قال إيراجون : " لماذا لا تعالج نفسك أو تدعنى أعالجك بالسحر ؟ " .

غمز بروم بعينيه وقال : " لا داعى لذلك ـ لم أفكر فى ذلك لأنه بعيد عن مجال قوتى ، يمكنك أن تفعلها باستخدام الكلمة المناسبة لكن لا أريدك أن تجهد نفسك " .

" لكن سأوفر عليك الكثير من المتاعب والألم " .

قال بروم بصوت هادئ : " سأتعايش مع الألم ، إن استخدام السحر لعلاج جرح سيستنزف طاقة كبيرة . لا أريدك أن تصاب بالتعب للأيام القادمة ، ولا تحاول القيام بمهمة صعبة كهذه الآن " .

" لكن لو كان من الممكن ذلك ، فهل يمكننى استحضار أرواح الموتى ؟ "

فاجأ السؤال بروم لكنه أجاب سريعاً : " هل تتذكر ما قلته لك عن المهام الجسيمة التى قد تقتلك إحداها . من الممنوع والمحرم على الفرسان راكبى التنين محاولة استدعاء أرواح الموتى ، لضمان سلامتهم الشخصية . توجد هوة سحيقة ما بعد الحياة لا يصلح معها السحر . إذا وصلت لها ستخور قواك وتفارق روحك جسدك . حاول الكثير من راكبى التنين والسحرة أن يفعلوا ذلك لكنهم لقوا حتفهم على أعتاب مملكة الموت المظلمة الخفية . الزم ما هو ممكن ـ الجروح والأورام والعظام المكسورة ـ لكن لا تحاول استدعاء أرواح الموتى " .

عبس إيراجون وقال : " الأمر أشد تعقيدًا مما تخيلت " .

قال بروم : " بالضبط ! وإذا لم تفهم ما تفعله ستحاول القيام بشىء كبير وتموت " ، ثم حرك السرج فوق الحصان وترجل وأحضر مجموعة من الحصى ملء يديه من على

الأرض . واعتدل في قيامه بتمهل ثم تخلص من كل الصخور عدا واحدة وقال : " هل ترى هذه الحصاة ؟ " .

" نعم " .

" تناولها بيدك " ، أخذها إيراجون وحدق فيها فلم يجد بها شيئاً غير عادى . كان هناك عدد لا حصر له من الحصى مثلها على الطريق . كانت حصاة مصمتة وسوداء وناعمة وحجمها مثل عقلة الإصبع . قال بروم : " هذا هو تدريبك " .

نظر إليه إيراجون وشعر بالحيرة وقال : " لا أفهم شيئاً " .

قال بروم وقد نفد صبره : " بالطبع إنك لا تفهم ، لذلك سأعلمك ولن تعلمنى أنت . والآن توقف عن الحديث وإلا فلن تتعلم شيئاً . ما أريدك أن تفعله هو أن ترفع الحصاة بقوة براحة يدك وترفعها في الهواء وتتركها معلقة لأطول وقت ممكن . الكلمات التى ستستخدمها هى : " ستنر ريزا " ، قلها الآن "

" ستنر ريزا "

" رائع ، هيا حاول الآن " .

ركز إيراجون بكل انتباهه على الحصاة وبحث داخل ذهنه عن أى إشارة للطاقة التى احترقت بداخله بالأمس . ظلت الحصاة بلا حراك وهو يحدق إليها كيف يفترض بي أن أفعل ذلك ؟ " في النهاية ، عقد ذراعيه وصاح قائلاً : هذا مستحيل ! "

قال بروم بوقاحة : " كلا ، أنا من يقول ، هل هذا مستحيل أم لا ، حارب من أجل ذلك ! لا تستسلم بسهولة . حاول مرة أخرى " .

عبس إيراجون وأغمض عينيه وحاول إبعاد كل الأفكار التى تشتت انتباهه ، ثم سحب نفساً عميقا ، ووصل لأعماق عقله الواعى وحاول أن يجد القوة الكامنة . أثناء البحث وجد فقط أفكاراً وذكريات حتى وجد شيئاً مختلفاً فى نفس الوقت ، فشعر بالإثارة وحفر فى هذا الجزء وسعى نحو ما يخفيه . شعر بالمقاومة ، وكأن هناك حاجزاً فى عقله ، لكنه كان يعلم أن القوة توجد فى الجانب الآخر من الحاجز . عندما حاول اختراق الحاجز بكل قوته تحطم كأنه مصنوع من الزجاج ، وامتلأ عقله بفيض من النور .

صاح وهو يشهق : " ستنر ريزا فتحركت الحصاة ببطء إلى أعلى على راحة يده التى كانت تلمع فى ضوء خافت . حاول بكل ما أوتى من قوة لكى تظل فى الهواء ، لكن الطاقة خفتت واختفت خلف الحاجز ، ووقعت الحصاة على يده مصدرة صوتاً خفيضاً وعادت راحة يده لشكلها الطبيعى . شعر بالتعب قليلاً لكنه ابتسم لنجاحه .

قال بروم : " ليس سيئاً بالنسبة لأول مرة " .

" لماذا تصبح يدى هكذا ؟ إنها تشبه المصباح "

قال بروم : " لا أحد متأكد من السبب ، لكن الفرسان راكبى التنين يفضلون توجيه قوتهم عبر اليد التى تحمل العلامة البيضاء . يمكنك استخدام اليد الأخرى أيضاً لكن الأمر ليس بنفس السهولة " ونظر إلى إيراجون للحظة ثم قال : " سأشترى لك قفازاً من المدينة القادمة إن لم تكن قد

تـدمرت هـى الأخـرى . احـرص علـى أن تخفـى العلامـة بنفسك ، لا نريـد أن يراهـا أحـد مصـادفة ، كمـا أنـك لـن تريدها أن تلمع لتحذر الأعداء فى وقت المواجهات " .

" هل لديك علامة مثلها ؟ " .

" كلا ، فهى للفرسان راكبى التـنين فقـط ، ويجـب أن تعرف أيضاً أن السحر يتأثر بالمسافة مثل السهم أو الـرمح . فإذا حاولت تحريك أو رفع شيء من على بعدٍ ميل ، تحتاج لطاقـة أكـبر ممـا لـو كنـت أقـرب . فمـثلاً لـو كـان أعـداؤك يطاردونك على بعد فرسخ ، دعهم يقتربون قبل أن تستخدم السـحر ، والآن لنعـد للتـدريب! حـاول رفـع الحصـاة مـرة أخرى " .

قـال إيراجـون بضـعف : " مـرة أخـرى ؟ " وفكـر فـى المجهود الذى بذله للقيام بذلك مرة واحدة

" نعم ! لكن هذه المرة أسرع ! "

استمرا فـى التـدريبات طـوال اليـوم ، وعنـدما توقـف إيراجون فى النهاية كان منهك القـوى ومعتـل المـزاج . فـى تلك الساعات بدأ يكره الحصاة وكل شـيء يتعلـق بهـا . هـم بإلقاها لكن بروم قال : " لا تفعل ، احتفظ بها " . ثـم نظـر إليـه فـى غضـب فوضـع إيراجـون الحصـاة فـى جيبـه علـى مضض .

قال بروم محذراً إيراجون : " لم تنتـه بعـد ، لـذلك لـن ترتاح الآن " . ثم أشار إلى نبات صغير وقال : هـذا النبـات اسمـه ديلـواس " ، ثـم أخـذ يعلمـه بعـض مفـردات اللغـة القديمة لكى يحفظهـا مثـل " فونـدر " وتعنـى عصـا رفيعـة مستقيمة و " إيديل " وتعنى نجم الصباح .

تبارزا بالعصى حول النار هذه الليلة وعلى الرغم من أن بروم حارب بيده اليسرى لكن ذلك لم يقلل من مهارته فى النزال .

سارت الأيام التالية على نفس المنوال . أولاً يعانى إيراجون فى تعلم كلمات اللغة القديمة ويحاول رفع الحصاة كما حدث بالأمس ، ثم يأتى الليل فيتحارب مع بروم بالعصى على شكل سيوف . كان إيراجون فى حالة مستمرة من عدم الارتياح ، لكنه بالتدريج تغير بدون أن يلاحظ ذلك . وسرعان ما تمكن من رفع الحصاة دون أن تهتز ، كما أنه أتقن أول التدريبات التى أعطاها له بروم وانتقل لمهام أصعب ونمت مفرداته فى اللغة القديمة .

أما بالنسبة للنزال بالعصى ، فقد اكتسب إيراجون الثقة بالنفس والسرعة ، وكان يتسلل ويوجه ضرباته كالثعبان وصارت ضرباته أثقل ولم يعد ذراعاه يرتعشان عندما يصد ضربات بروم . كان كل نزال يستمر لوقت أطول بينما تعلم كيف يتقى ضربات بروم . والآن عندما كانا يتأهبان للنوم ، لم يكن إيراجون الوحيد الذى يمتلئ جسده بالكدمات .

استمرت سفيرا فى النمو أيضاً لكن ببطء أكثر مما سبق . وقد جعلتها رحلات طيرانها الممتدة مع مرات الصيد المتكررة تتمتع بصحة جيدة . كانت أطول من الخيول الآن وأكبر حجماً . وبسبب حجمها ولمعان حراشيفها ، كانت ملحوظة جداً وتلفت الأنظار . قلق إيراجون وبروم من ذلك ، ولكنهما لم يتمكنا من إقناعها بإخفاء لمعان جلدها البراق بالطين .

سارا نحو الجنوب مقتفين آثار الرازاك ، لكن ما جعل إيراجون يشعر بالإحباط هو أنه مهما كانت سرعة المسير ، كان الرازاك يسبقوهما بمسافة أيام . أحياناً كان يريد الاستسلام ، لكن كلما وجد آثارهم أو علامات تدل على مرورهم من أحد الطرق كان الأمل يتجدد بداخله .

لم تكن هناك آثار للسكان على طول جانبي نهر نينور أو على السهول ، مما جعل الرفاق الثلاثة لا ينزعجون بمرور الأيام . وفي النهاية اقتربوا من قرية داريت وهي أول قرية بعد يازواك .

فى الليلة التى سبقت وصولهم للقرية كانت أحلام إيراجون أثناء نومه تقترب من الحقيقة .

رأى جارو وروران فى المنزل جالسين فى المطعم المحطم . طلبا منه المساعدة لإعادة بناء المزرعة ، لكنه هز رأسه وهو يخالجه ألم الحنين فى قلبه وهمس لخاله : " أنا فى أعقاب قاتلك " .

نظر إليه جارو بشك وصاح : " هل أبدو لك ميتاً ؟ "

قال إيراجون بلطف : " لا يمكنني مساعدتك " واغرورقت عيناه بالدموع

كان هناك صوت زئير مفاجئ ، وتحول جارو إلى رازاك وقال : " فلتمت إذن ! " ، ثم قفز مهاجماً إيراجون .

استيقظ إيراجون وهو منزعج ويشعر بالإرهاق وشاهد النجوم وهى تتلألأ فى السماء .

قالت له سفيرا بلطف : *" سيكون كل شىء على ما يرام يا فتى " .*

داريت

تقع قرية داريت على ضفاف نهر نينور ـ لكى تستمد منه الحياة ، كانت قرية صغيرة تبدو عليها آثار الحياة البرية ، بدون أى أثر لسكانها . اقترب منها بروم وإيراجون بحرص كبير واختبأت سفيرا بالقرب من القرية هذه المرة ؛ بحيث لو نشبت مشاكل تكون بجوارهما فى غضون ثوان .

سارا بالخيل داخل قرية داريت ، وحاولا جاهدين عدم إصدار أى صوت . أمسك بروم بالسيف بيده السليمة اليسرى وكانت عيناه تجولان فى كل أرجاء المكان ، سحب إيراجون قوسه جزئياً عندما مرا بالبيوت المهجورة ، ونظرا لبعضهما البعض فى ترقب وهما يتوجسان خيفة . قال إيراجون لسفيرا : " *هذا لا يبدو جيداً* " لم تجبه لكنه شعر أنها تستعد للإسراع خلفهما . نظر إلى الأرض واطمأن عندما وجد آثار أقدام حديثة لأطفال " *لكن أين هم ؟* "

تجمد بروم عندما دخلا مركز القرية ووجداه خالياً .
هبت الرياح عبر القرية المهجورة وكانت الأتربة تغلف مناطق متعددة في الجو . حرك بروم لجام سنوفاير وقال :
" لنخرج من هنا ، لا أشعر بالأمان هنا "
ثم انطلق على ظهر الحصان وتبعه إيراجون على ظهر كادوك .
سارا بضع خطوات قبل أن تظهر عربات يجرها خيول أمامهما من خلف المنازل وسدت عليهما الطريق ، نفر كادوك وحفر الأرض بحوافره وتوقف بجوار سنوفاير . جاء رجل أسمر من إحدى العربات وانطلق ناحيتهما ثم وقف أمامهما . أمسك إيراجون بقوسه وصوب نحو الغريب الذى قال له : " توقف ! اترك سلاحك ! أنت محاصر بستين راميًا للأسهم وسيصوبون نحوك سهامهم إذا تحركت ، وفجأة وكأنها كانت إشارة ، ظهر صف من الرجال الذين يقفون على أسطح المنازل المحيطة بهما .
صاح إيراجون ذهنياً لسفيرا : "*ابقى بعيداً ! هناك الكثير من الرجال وقد يطلقون سهامهم عليك وأنت فى السماء . ابقى بعيداً* ! " . سمعته لكنها لم تعرف هل تطيعه أم لا . استعد إيراجون لاستخدام السحر " يجب إيقاف السهام قبل أن تصيبنى أو تصيب بروم " .
قال بروم للرجل الأسمر بهدوء : " ماذا تريد ؟ " .
صاح الرجل : " لماذا جئتما إلى هنا ؟ "
" لشراء المؤن وسماع الأخبار ، لا أكثر ولا أقل ، نحن فى طريقنا لمنزل ابن عمى فى مدينة " دراس ـ ليونا " .
" لكنك مدجج بالسلاح " .

" وأنت أيضا ، هذا الوقت من أوقات الخطر " .

" نعم " ، نظر الرجل إليهما بدقة وقـال : " لا أظـن أن لديكما نوايا سيئة لنا . لقد قابلنا وصارعنا الأورجال كـثيراً واللصوص أيضاً ، لذلك لا نثق في أحد بمجرد الكلام " .

اعترض بروم قائلاً : " إذا كان مـا نقولـه لا يهـم . فمـا الذى يحدث الآن ؟ " ، لم يتحـرك الرجـال مـن علـى سطح المنازل . واتضح لإيراجون أنهم إما أن يكونوا مـنظمين جـداً فـي القتـال أو .... خـائفين علـى حيـاتهم جـداً . تمنـى أن يكونوا خائفين .

" تقول إنكما جئتما طلباً للمؤن فقط ، هل توافقـان علـى البقاء هنا ريثما نحضر لكم ما تريدون ، ثم ادفعوا لنا ثمنـه وترحلون على الفور " .

" نعم " .

قال الرجل : " حسناً " ، ثم خفض قوسه لكنه ظل على وضع الاستعداد للهجوم ، ثم أشار للرمـاة فنزلـوا مـن علـى أسطح المنازل وتجمعوا حوله ، قال الرجل لبروم : " أخبرنا بما تريد شراءه " .

سرد بروم قائمة قصيرة باحتياجاتهما ثم قال : " وأيضاً إذا كان لديكم قفاز إضافى مناسب لحجـم ابـن اخـى فسـوف أشتريه أيضاً " . أومأ له الرجل ثم ابتعد لإحضار الأشياء " .

قال الرجل الذى يقف أمامها : اسمى تريفور ، وفى العـادة أصـافح المسـافرين لكـن تحـت هـذه الظـروف سـأحافظ علـى المسافة بيننا . من أين أنتما ؟ " .

قال بروم : " من الشمال ، لكننا لم نستقر في مكان واحد لفترة طويلة ليكون هناك وطن لنا . ولكن هل الأورجال أجبروكم على هذه الإجراءات ؟ " .

قال تريفور : " نعم إنهمٍ أسوأ الوحوش . هل لديكما أخبار عن باقي القرى ؟ نادرا ما تصلنا أخبار منهم ، لكن هناك أخبار تفيد بأنهم تعرضوا لهجمات " .

قال بروم بكل جدية : " أتمنى لو لم يكن من حظنا نقل أخبار سيئة لكم ، لكن منذ أسبوعين مررنا بـ " يازواك " ووجدناها قد تدمرت ، ولقد قتل كل سكانها عن بكرة أبيهم وجثثهم متكومة معاً . كنا سندفنهم بما يليق لكن وحشين من الأورجال هاجمانا " .

شعر تريفور بالصدمة وتراجع بضع خطوات وأطرق والدموع في عينيه : " واأسفاه ، إنها لأيام عصيبة حقاً ، كيف دمر وحشا أورجال فقط كل القرية ، الناس هناك محاربون أقوياء ـ بعضهم كان من أصدقائي " .

" كان هناك آثار تدل على أن الأورجال دمروا البلدة ، وأعتقد أن الوحشين اللذين هاجمانا كانا متخلفين عن باقي جيش الأورجال " .

" كم كان يبلغ عددهم بالتقريب ؟ "

هز بروم الحقائب الجلدية لدقيقة ثم قال : " عدد كبير يكفي لمسح يازواك من الوجود ، لكنه ليس عددًا كبيرًا بحيث لا يلاحظه أحد في الريف . لم يزيدوا على المائة ولم يقلوا عن خمسين وحشاً إذا لم أكن مخطئاً ، كلا الأمرين خطر عليكم " . وافقه تريفور الرأى بشك ثم قال بروم :

" فكروا فى الرحيل من هنا ، لقد صارت المنطقة خطيرة جداً ولن تعيشوا فى سلام " .

" أعرف ذلك ، لكن الناس هنا ترفض أن تفكر فى الرحيل . هذا موطنهم ـ وأنا أيضاً على الرغم من عدم بقائى هنا إلا منذ عامين ـ وقيمته لهم أهم من حياتهم " ، ثم نظر إليه تريفور فى جدية وقال : " لقد طاردنا وحوش الأوزجال فرادى وهذا أعطى للناس إحساساً زائفاً بالثقة يفوق قدراتهم . أخشى أن يذبحونا جميعاً ونحن نيام " .

جاء أحد الرجال وهو يحمل كومة البضائع بين ذراعيه ، ووضعها بجوار الخيل ودفع له بروم الثمن ، وعندما غادر الرجل قال بروم لتريفور : " لماذا اخترت الدفاع عن بلدة داريت ؟ " .

هز تريفور كتفيه دون اكتراث وقال : " كنت فى خدمة الملك فى الجيش لسنوات عديدة " .

فحص بروم المشتريات وأعطى إيراجون القفاز ووضع باقى المؤن فى الحقائب الجلدية على سرجى الجوادين . ارتدى إيراجون القفاز وهو يحرص على أن تكون راحة يده لأسفل ثم ترك يده فوجد الملمس الجلدى للقفاز جيداً وقوياً لكنه كان غير ناعم ومخدوش من كثرة الاستخدام . قال بروم : " حسناً ، سأرحل الآن كما وعدتكم " .

أومأ له تريفور ثم قال : " عندما تدخل قرية " دراس ليونا " هلا أسديت لنا معروفاً ؟ أخبر الإمبراطورية بمصيبتنا وعما حدث للمدن الأخرى . إذا لم يعرف الملك بالأمر الآن ، فهذا سبب يدعو للقلق ، وإذا كان يعرف واختار ألا يفعل شيئاً فتلك مصيبة كبرى " .

" سننقل رسالتك ، أتمنى أن تظل سيوفكم حادة " .

" أتمنى لك نفس الشيء " .

بعد أن أزاح الرجال العربات من الطريق وخرجا من داريت عبر الأشجار الكثيفة على جانبى نهر نينور ، قال إيراجون لسفيرا ذهنياً : " نحن فى طريق العودة الآن ، كل شيء أصبح على ما يرام " كان ردها الوحيد هو الغضب المتوقد .

تحسس بروم ذقنه وقال : " الإمبراطورية فى حالة أسوأ مما توقعت . عندما زار التجار كارفاهول ، قالوا لنا أخباراً تدعو للقلق لكن لم أعتقد قط أن الأمر بهذا الانتشار . مع انتشار وحوش الأورجال ، يبدو أن المملكة تتعرض للهجوم ، لكن لم يتم إرسال قوات من الجنود ، وكأن الملك لا يهتم بالدفاع عن منطقة نفوذه " .

قال إيراجون : " إنه لشيء غريب حقاً "

خفض بروم جسده ليتجنب الاصطدام بفرع شجرة منخفض وقال : " هل استخدمت قواك عندما كنا فى داريت ؟ " .

" لم يكن هناك ما يدعو لذلك " .

قال بروم : " خطأ ، كان يمكنك أن تشعر بنوايا تريفور . حتى بقدراتى المحدودة ، تمكنت من ذلك . إذا كان فى نية أهل القرية قتلنا لما بقيت هنا . لكن شعرت بأن هناك فرصة جيدة للتحدث والخروج بسلام والحصول على المؤن ، وهذا ما فعلته " .

قال إيراجون : " كيف كان بإمكانى معرفة أفكار تريفور ؟ هل من المفترض أن أتمكن من قراءة أذهان الناس ؟ "

قال بروم موبخاً : " هيا ، يجب أن تعرف الإجابة عن هذا السؤال . لقد كان بمقدورك اكتشاف غرض تريفور كما كان الأمر عندما تواصلت ذهنياً مع كادوك وسفيرا ، أذهان الرجال ليست مختلفة كثيراً عن ذهنى الحصان أو التنين ، إنه لأمر بسيط ، لكنها قوة يجب استخدامها بحرص وتأن وبدون إفراط وبحذر شديد . إن ذهن أى شخص هو ملاذه الأخير ، لذا لا تخترقه أبداً إلا إذا أجبرتك الظروف ، لدى الفرسان راكبى التنين قواعد صارمة إزاء ذلك الأمر . إذا انتهكت القواعد بلا مبرر فسوف يكون هناك عقاب شديد " .

قال إيراجون : " هل يمكنك القيام بذلك على الرغم من أنك لست من فرسان التنين ؟ " .

" كما ذكرت لك من قبل ، مع التدريب المناسب يتمكن أى فرد من التواصل مع أذهان الآخرين ، لكن بدرجات مختلفة من النجاح ، لكن من الصعب أن نعرف هل هذا جزء من السحر أم لا . القدرات السحرية بالتأكيد تحفز هذه المهارة ـ أو ترتبط بالتنين ـ لكن عرفت الكثيرين ممن تعلموا هذه القدرة بمفردهم . فكر فى الأمر : يمكنك التواصل مع أى كائن لديه حواس ، حتى لو لم يحدث التواصل بشكل واضح جداً . اقض يومك كله فى سماع أفكار طائر أو مشاعر حشرة أثناء عاصفة ممطرة ، ولكنى لست مهتماً بالطيور ، بل أبدأ بالقطط ؛ فهى مخلوقات لها شخصية غير عادية " .

حرك إيراجون لجام كادوك فى يديه وهو يفكر فى تداعيات كلام بروم : " لكن إذا كان بإمكانى قراءة ما يدور في ذهن الآخرين ، ألا يعنى ذلك أن الآخرين سيفعلون نفس الشيء معى ؛ كيف أعرف متى يكون هناك من يحاول التسلل لعقلي ؟ وهل توجد طريقة لمنع ذلك ؟ " قال إيراجون لنفسه : " *هل يا ترى بروم يقرأ أفكارى الآن ؟* " .

" نعم ، ألم تصد سفيرًا من قبل تواصلك مع عقلها ؟ " .

اعترف إيراجون قائلا : " أحيانا ، عندما طارت بى نحو منطقة سباين ، لم أستطع التحدث إليها قط ، لم تكن تتجاهلنى ؛ بل لا أظن أنها سمعتنى ، وكأن هناك حائطا يسد عقلها ويحول دون وصول أفكارى لها " .

عبث بروم فى ضمادات ذراعه ثم رفعها لأعلى وقال : " قليل جدا من الناس يشعرون بمن يحاول أن يقرأ أفكارهم ، وأقل منهم يتمكن من منع الآخرين من التسلل لأفكارهم ، المسألة مسألة تدريب بالإضافة إلى طريقة التفكير ، وبسبب قواك السحرية ستعرف دائما إذا كان هناك من يحاول قراءة أفكارك من خلال ذهنك أم لا . وبمجرد إحساسك بهذا ، فمن السهل منعهم بالتركيز على شيء واحد واستبعاد باقى الأشياء ، على سبيل المثال ، إذا فكرت فى حائط من الطوب ، فهذا كل ما سيجده عدوك فى عقلك . لكن الأمر يستلزم كمًّا كبيراً من الطاقة والتدريب لمنع أحدهم من اختراق عقلك لأى فترة من الوقت . فإذا تم تشتيت انتباهك بسبب أقل شيء فسيهتز الحائط وينفذ عدوك من نقطة ضعفك " .

سأل إيراجون قائلاً : " كيف سأتعلم ذلك ؟ " .

" هناك طريقة واحدة لذلك : التدريب والممارسة ولا شيء غيرهما . فكر في شيء ما ذهنياً ولا تفكر في سواه لأطول فترةٍ زمنية ممكنة ، إنها قدرات متقدمة جداً ؛ والقليل جداً من الناس يبرعون فيها " .

" إننى لا أنشد الوصول للكمال ، بل الأمان فقط " ، ثم قال إيراجون لنفسه : *" إذا تمكنت من قراءة عقل أى شخص ، فهل يمكننى تغيير طريقة تفكيره ؟ فى كل مرة أتعلم شيئاً جديداً عن السحر أرتاب فيه أكثر "* .

عندما وصلوا إلى سفيرا فاجأتهم برفع رأسها عليهم . تراجعت الخيل بعصبية ، وحدقت سفيرا إلى إيراجون بشدة ونفثت مصدرة صوتاً كالفحيح وكانت عيناها تلمعان ويتطاير منهما الشرر . نظر إيراجونٍ إلى بروم فى قلق - لم ير سفيرا غاضبة إلى هذا الحد مطلقاً من قبل - فسألها : *" ما الخطب ؟ "* .

صاحت : " أنت المشكلة ! " .

قطب إيراجون جبينه وترجل عن فرسه كادوك . وبمجرد أن لامست قدماه الأرض طرحته سفيرا أرضاً بذيلها وأطبقت عليه بمخالبها ، صاح بها : " ما الذى تفعلينه ؟ " . وحاول التملص منها بكل ما أوتى من قوة ، لكنها بالطبع كانت أقوى منه . شاهد بروم بكل انتباه ما يحدث وهو على ظهر الحصان سنوفاير .

طأطأت سفيرا رأسها على إيراجون حتى تلاقت عيونهما . اهتز جسده تحت نظرتها الغاضبة التى لم تتحرك بعيداً عنه . *أنت فى كل مرة تغيب عن ناظرىّ تقع فى مشاكل . أنت مثل الفرخ الصغير ، تدس أنفك فى*

كل شيء . ماذا لو دسست أنفك في شيء سيلدغك ؟ كيف ستنجو ؟ لن أتمكن من مساعدتك وأنا على بعد أميال منك . لقد ظللت مختبئة لكيلا يراني أحد ، لكني لن أستمر في ذلك ! لن أنتظر حتى تفقد حياتك بسبب أنني لم أتمكن من مساعدتك .

قال إيراجون : *" إنني أتفهم سبب حزنك ، لكني أكبر منك بكثير ويمكنني العناية بنفسي . إذا كان هناك من هو بحاجة إلى الحماية فهو أنت " .*

نظرت إليه في غضب وهمست في أذنه : *" هل تصدق ذلك ؟ غداً ستركب على ظهري . وليس على تلك الحيوانات الهزيلة التي تسميها خيولاً . وإلا سأحملك بمخالبي . هل أنت من الفرسان راكبي التنين أم لا ؟ ألا تهتم بي ؟ " .*

شعر إيراجون بالحرج الكبير من هذا السؤال فوجه نظره بعيدًا عنها وكان يعلم أنها على حق ، لكنه كان يخشى ركوبها وامتطاء ظهرها . لقد كانت رحلاته معها في الجو أسوأ المحن المؤلمة التي تحملها .

قال بروم بغضب : " ما الأمر ؟ " .

قال إيراجون بضعف : " تريدني أن أمتطي ظهرها غداً " .

فكر بروم في الأمر ولمعت عيناه : " حسناً لديك السرج جاهز ، وأعتقد أنه إذا اختفى كلاكما عن الأنظار فلن تكون هناك مشكلة " . نظرت سفيرا إلى بروم ثم عادت للنظر إلى إيراجون .

" لكن ماذا لو تعرضت لهجوم أو حادث ؟ لن أتمكن من الوصول إليك فى الوقت المناسب و ـــ " .

ضغطت سفيرا على صدره وقالت لكى تمنعه من إكمال العبارة : *" هذا بالضبط مقصدى أيها الفتى "* .

أخفى بروم ابتسامته وقال : " الأمر يستحق المخاطرة ، فأنت بحاجة إلى تعلم كيفية قيادتها على أية حال ، فكر فى الأمر كالتالى : عندما تسبقنى بالطيران فستراقب الجو لتكشف عن أى فخ أو كمين أو أية مفاجآت أخرى غير سارة " .

قال إيراجون لسفيرا : " حسناً سأفعلها غداً ، لكن اتركينى أنهض " .

" عدنى أولاً " .

قال لها : " هل هذا ضرورى حقاً ؟ " . غمزت بعينيها ، فقال لها : " حسنا ، أعدك بأننى سأمتطيك غداً ، هل يرضيك ذلك ؟ " .

" أنا راضية " .

تركته سفيرا ينهض وبدفعة من قدميها طارت فى الهواء ، سرت رجفة فى جسد إيراجون عندما شاهدها تطير . زمجر غاضباً ثم عاد إلى كادوك واتبع بروم .

فى وقت الغروب ، أعد المعسكر للمبيت ، وكالعادة تبارزا معاً قبل تناول العشاء ، وفى وسط النزال وجه إيراجون ضربة قوية حطمت كلتا العصوين وكأنهما غصنان ضعيفان ، تحطمت العصوان وتناثرت أجزاؤهما الخشبية محدثة صوتًا كالصفير فى الظلام ، وألقى بروم باقى العصا فى النار وقال : " يكفى هذا ، ألقِ عصاك أيضا فى النار ،

لقد تدربت جيداً ولكنك استنفدت مدة التدريب بالعصى ، لن تكتسب مهارات جديدة بها . حان الوقت لاستخدام السيوف " . ثم أخرج السيف زاروك من حقيبة إيراجون وأعطاه إياه .

صاح إيراجون معترضاً : " قد نمزق أجساد بعضنا البعض " .

قال بروم : " لن يحدث ذلك ، هل نسيت السحر مرة أخرى " ، ثم رفع سيفه وجعل النار تمس حافة النصل ، ثم وضع إصبعه على جانبى النصل وركز بحدة وتعمقت تجاعيد جبهته . للحظة ، لم يحدث شيء ، ثم قال : " جيولوث دوكنفير ! " فجاء شعاع أحمر من بين أصابعه ثم مرر أصابعه على النصل على الجانبين وهو يضيء بلون أحمر متحرك . وبمجرد أن ترك إصبعه النصل ، اختفى الضوء المبهر من المعدن .

فتح بروم يده وكانت راحة يده لأعلى ثم ضرب راحة يده بالسيف ، قفز إيراجون للأمام لكى يمنعه لكنه كان أبطأ منٍ أن يوقفه . اندهش إيراجون عندما رفع بروم يده مبتسماً وكانت سليمة ، سأل إيراجون : " ماذا فعلت ؟ " .

قال له بروم : " تحسس حافة النصل " لمسه إيراجون وشعر بالسطح غير المرئى تحت أصابعه ، كان سُمك الحاجز حوالى ربع بوصة وكان زلقاً للغاية . قال بروم : " الآن افعل نفس الشيء مع زاروك ، سوف يختلف حد سيفك عن حد سيفى لكنه سوف يؤدى الغرض " .

أخبر بروم إيراجون بالكلمات التى يجب أن يقولها وعلمه كيف يفعل مثله . حاول إيراجون عدة محاولات

فاشلة لكنه سرعان ما تمكن من تغليف السيف زاروك بحاجز مثلما فعل بروم بسيفه . شعر إيراجون بالثقة فاتخذ وضع الاستعداد للقتال ، لكن قبل أن يبدأ النزال ، حذره بروم : " لن تمزق أجسادنا السيوف لكنها قد تكسر عظامنا . أريد تجنب هذا ، لذلك لا تتحرك في دوائر كما كنت تفعل . كما أن الضرب في الرقبة قد يفضى إلى الموت " .

أومأ إيراجون ثم ضرب بروم بلا تحذير مسبق ، وتطاير الشرر من النصل أثناء تضارب السيوف بصوت ملأ الفضاء ، بينما كان بروم يتفادى ضربات إيراجون ويتقيها بسيفه . بدا السيف لإيراجون ثقيلا وبطيء الحركة ، مقارنة بالنزال بالعصى لفترة طويلة . لم يتمكن إيراجون من تحريك زاروك بالسرعة الكافية ، فتلقى ضربة حادة على ركبته .

بعد أن توقفا ، كانا قد أصيبا بجراح كثيرة وكانت جروح إيراجون أكثر من جراح بروم . فاندهش إيراجون من عدم تعرض السيف زاروك لأى خدوش أو انثناءات على الرغم من كثرة تلقيه للضربات القوية عليه من سيف بروم .

من خلال عين التنين

في صباح اليوم التالى ، استيقظ إيراجون وهو يشعر بتيبس في أطرافه وكانت جروحه وندباته قد اكتست بلون أرجواني . شاهد بروم وهو يحمل السرج إلى ظهر سفيرا وحاول تهدئة شعوره بالقلق ، وبحلول موعد الإفطار كان الطعام جاهزاً ، وكان بروم قد تمكن من ربط السرج على ظهر سفيرا ، وعلق عليها حقائب إيراجون .

عندما انتهى إيراجون من تناول إفطاره ، التقط قوسه في صمت وذهب إلى سفيرا . قال بروم : " تذكر الآن أن تضغط بركبتيك عليها وأن توجهها بأفكارك ، ولن تسوء الأمور إذا لم تفزع . أومأ إيراجون ووضع قوسه غير المشدود في جعبته الجلدية ورفعه بروم ووضعه على السرج .

انتظرت سفيرا وقد نفد صبرها ، بينما ربط إيراجون الأحزمة الجلدية حول قدميه ، فقالت له : " *هل أنت مستعد ؟* " .

سحب نفساً عميقاً من هواء الصباح النقى ، وقال : " *كلا ، لكن هيا نقم بالأمر !* " ، وافقته بحماس وشعر هو بالخوف بينما استعدت هى للانطلاق وكورت جسدها ودفعت نفسها بقدميها القويتين ووجد إيراجون الهواء يندفع بسرعة حوله وخطف منه نفسه الذى أخرجه ، مما أعاقه عن التنفس للحظة وبضربات سريعة ومتلاحقة من جناحيها طارت فى السماء وصعدت بسرعة .

فى آخر مرة امتطى إيراجون سفيرا كانت كل ضربة من جناحيها فى الهواء تتم بجهد كبير ، لكنها الآن تطير بثبات وبلا جهد . أمسك إيراجون برقبتها بكل ما أوتى من قوة بذراعيه عندما هبطت قليلاً ثم ارتفعت ولقد بدا النهر من هذا الارتفاع مجرد خط رمادى رفيع تحتهما ، وتطايرت السحب حولهما .

عندما طارت سفيرا فى مستوى واحد أعلى السهول ، بدت الأشجار تحتهما لا تزيد على مجرد نقاط مبعثرة ، كان الهواء بارداً والجو هادئاً والرؤية واضحة . فأراد أن يقول : " هذا رائع — " لكن ضاعت كلماته بينما مالت سفيرا وتحركت فى دائرة كاملة أثناء الطيران . شعر إيراجون بالأرض تدور وشعر بالدوار الذى تملكه وكأنه فى دوامة ثم صاح بها : " لا تفعلى ذلك ! أشعر أننى سأسقط ! " .

قالت له : " *يجب أن تعتاد على ذلك ، إذا تعرضت لهجوم أثناء الطيران ، فتلك أبسط مناورة سأقوم بها* " . لم يتمكن من الرد ، ولذلك ركز على التحكم فى معدته حتى لا

يتقيأ ، هبطت سفيرا بزاوية منخفضة واقتربت من الأرض ببطء .

على الرغم من أن معدة إيراجون تحركت من جانب لآخر مع كل حركة ، لكنه بدأ يستمتع بوقته وأرخى ذراعيه قليلاً ورفع ظهره ورقبته لأعلى واستمتع بالمناظر الطبيعية من حوله ، تركته سفيرا يستمتع بالمناظر لفترة ثم قالت : *" دعنى أُرِك الطيران الحقيقى "* .

سألها قائلاً : " كيف ؟ "

" استرخ ولا تخف " .

تواصل ذهنها مع ذهنه وبدا له وكأن ذهنه ينفصل عن جسده ، قاوم إيراجون فى البداية ثم استسلم لهذا التحكم . تشوشت الرؤية لديه ثم وجد نفسه يرى ما حوله بعينى سفيرا . كان كل شيء يبدو مشوهاً : الألوان صارت غريبة ودرجات الألوان صارت عجيبة ؛ درجات اللون الأزرق كانت ظاهرة أكثر وبهتت درجات ألوان الأحمر والأخضر . حاول إيراجون تحريك رأسه وجسده لكنه لم يستطع ، وشعر وكأنه شبح خرج من العالم الأثيرى .

شعرت سفيرا بالمتعة والسعادة الغامرة وهى تصعد وتشق عنان السماء . كانت تحب الحرية والتجوال فى أى مكان وعندما صارا فوق الأرض على ارتفاع كبير نظرت إلى إيراجون ورأى إيراجون نفسه عندما فعلت ذلك ووجد نفسه معلقاً بها وتعلو وجهه نظرة شاردة . شعر بجسدها يقاوم الهواء ويرتفع أكثر وكأن كل عضلاتها تخصه وكأنها جزء من جسده . شعر بجسدها يهتز ويتأرجح عبر الهواء كدفة

ضخمة لكى تصحح مسار طيرانها . لقد أدهشته كيفية اعتمادها على ذيلها .

زاد الترابط بين ذهنيهما حتى لم يعد هناك أى فرق أو تمييز بين هويتيهما . وهكذا رفرفا بجناحيهما معاً وهبطا لأسفل مثل رمح ملقى من أعلى . لم يشعر إيراجون بأى رعب هذه المرة ، بل كان يغمره إحساس سفيرا بالسعادة الكبرى . اندفع الهواء فى وجهيهما وضرب ذيلهما الهواء ، وشعر ذهناهما بمدى روعة التجربة .

وحتى عندما هبطا عموديًّا نحو الأرض لم يكن هناك خوف من التصادم ، وحركا وفتحا جناحيهما فى اللحظة المناسبة وهبطا بزاوية بقوتهما المجتمعة ، ومالا ناحية السماء واستمرا فى الدوران فى دائرة ضخمة .

عندما وصلا لمستوى ثابت انفصل ذهناهما عن بعضهما البعض وصار لكل منهما شخصية مستقلة مرة أخرى . فى جزء من الثانية شعر إيراجون بأن جسده انفصل عن سفيرا . ثم زاغ بصره ثم جلس على ظهرها مرة أخرى ، ثم شهق وانهار على السرج . مرت دقائق قبل أن يتوقف قلبه عن الخفقان بعنف وهدأت أنفاسه ، وبمجرد أن استعاد هدوءه ، صاح : *" هذا رائع ! شىء لا يصدقه عقل ! كيف تتحملين البقاء على الأرض وأنت تستمتعين بالطيران إلى هذا الحد ؟ "* .

قالت وهى تشعر بالمتعة : *" يجب أن أتناول الطعام ، لكنى سعيدة لأنك استمتعت "* .

" لا أعرف ماذا أقول إزاء هذه التجربة المدهشة لكن آسف أننى لم أطر معك من قبل ، لم أفكر من قبل أن

الأمر سيكون ممتعاً لهذه الدرجة . هل ترين دائماً كل شىء غارقاً فى اللون الأزرق ؟ " .

" أنا أرى الأشياء هكذا دائماً ، هل سنطير كثيراً معاً ؟ " .

" نعم ، فى كل فرصة ممكنة " .

قالت برضا : " رائع ! " .

تبادلا العديد من الأفكار أثناء طيرانهما ، وتحدثا كما لم يفعلا منذ أسابيع ، وأظهرت سفيرا لإيراجون كيف كانت تستخدم التلال والأشجار للاختباء وكيف كانت تخفي نفسها في ظل سحابة . بحثا معاً عبر الطريق لكى يجدا بروم ، وكانت مهمة شاقة أكثر مما توقع إيراجون ولم يتمكنا من رؤية الطريق إلا عندما صارت سفيرا بالقرب منه جداً مما كان يعرضها لمخاطرة أن يراها أحد .

قرب منتصف النهار ، سمع إيراجون صوت أزيز مرتفعٍ ملأ أذنيه وشعر بضغط غريب على ذهنه . هز رأسه محاولاً التخلص من هذا الشعور ، لكن التوتر زاد أكثر ، جال فى خاطره كلام بروم عن الذين يحاولون اختراق أذهان الآخرين ، وحاول بكل جهد أن يخرج كل أفكاره من ذهنه ، وركز على حراشيف سفيرا وأجبر نفسه على تجاهل أى شيء آخر . نقص الضغط قليلاً للحظة ثم عاد بقوة غير معهودة ، لكن جاء تيار هواء قوى على سفيرا فأفقد إيراجون تركيزه ، وقبل أن يتخذ أى وضع دفاعى ، اخترقت القوة المقتحمة ذهنه ، لكنه وجدها مجرد كلمات وليست اقتحامًا لذهن آخر عنوة : " ماذا تظن أنك فاعل ؟ انزل حالاً ، وجدت شيئًا مهمًا " .

تساءل إيراجون : " بروم ؟ "

قال العجوز بغضب : " نعم ! اهبط على سحليتك المتضخمة ! أنا هنا " . ثم أرسل له صورة موقعه فأخبر سفيرا على الفور إلى أين تتجه ، فمالت ناحية النهر تحتها ، وفي أثناء ذلك شد حبل قوسه وسحب عدة أسهم .

إذا كانت هناك مشاكل فأنا مستعد لها .

قالت سفيرا : " *وأنا أيضاً* " .

عندما وصلا إلى بروم وجده إيراجون واقفاً في منطقة خالية من الأشجار ويلوح إليهما بذراعيه ، هبطت سفيرا وقفز إيراجون من على ظهرها وبحث عن مصدر الخطر . كانت الخيل مربوطة في شجرة على حافة النهر وغير ذلك كان بروم وحده ، فجرى إيراجون ناحيته وسأله قائلاً : " ما الخطب ؟ "

حك بروم ذقنه واستنزل اللعنات بصوت خفيض : " لا تصدني كما فعلت مرة أخرى . من الصعب الوصول لذهنك مع الاضطرار للمعاناة للوصول إليك " .

" آسف " .

صاح في ضجر : " كنت أسير بمحاذاة النهر عندما لاحظت أن آثار الرازاك قد اختفت ، فأخذت أسير جيئة وذهاباً حتى وجدت أين اختفت الآثار . انظر إلى الأرض وأخبرني بما تراه " .

انحنى إيراجون وفحص الطين ووجد آثارًا متداخلة من الصعب التعرف عليها . كانت عبارة عن آثار كثيرة لأقدام رازاك مختلطة ومتداخلة . خمن إيراجون أن الآثار عمرها بضعة أيام ، لكن الآثار التي تغطيها كانت عميقة وغائرة

فى التربة . بدت الآثار مألوفة لكن إيراجون لم يتمكن من التعرف عليها .

وقف وهز رأسه بالنفى وقال : " ليست لدىّ أدنى فكرة ... " ، لكن عينيه وقعت على سفيرا وأدرك من أين جاءت الآثار العميقة الغائرة ؛ ففى كل مرة تنطلق سفيرا فى الهواء كانت مخالبها تحفر مثل هذه الآثار فقال " هذا لا يعطينا أى معنى سوى أن الرازاك امتطوا حيوانات التنين أيضاً ، أو ركبوا طيورًا عملاقة واختفوا فى السماء . أخبرنى إذا كان لديك تفسير أفضل " .

هز بروم كتفيه بلا اكتراث وقال : " لقد سمعت أخبارًا من قبل عن الرازاك بأنهم ينتقلون من مكان لمكان بسرعة كبيرة لا يصدقها عقل ، لكن هذا أول دليل أراه على ذلك . من المستحيل أن نجدهم إذا كانوا يطيرون بخيل طيارةٍ ، لكنهم لم يرحلوا علىٍ ظهر التنين ـ أعرف ذلك جيداً . فالتنين لا يوافق أبداً على حمل الرازاك " .

" ماذا سنفعل ؟ لن تتمكن سفيرا من ملاحقة آثارهم عبر السماء ، وحتى إذا فعلت ذلك ، فستتأخر أنت عنا " .

قال بروم : " هذا اللغز يصعب حله ، هيا نتناول الغداء ونحن نفكر فى الحل ، ربما يأتينا الإلهام بينما نأكل " . ذهب إيراجون لإحضار حقائب الطعام وهو يشعر بالكآبة ، تناولا الطعام فى صمت وهما يحدقان إلى السماء الصافية .

مرة أخرى فكر إيراجون فى وطنه وتساءل عما يفعله روران الآن . ظهرت أمامه مشاهد للمنزل والمزرعة المحترقين وشعر بالحزن يغمره وحدث نفسه قائلا : " *ماذا سأفعل لو لم نجد الرازاك ؟ ما هدفى بعد ذلك ؟ هل أعود*

لكارفاهول " ـ ثم التقط فرعًا أخضر من الأرض وقطعه بين إصبعيه ـ ثم أضاف : *"أم أسافر مع بروم واستمر فى التدريب "* حدق إيراجون إلى السهول وتمنى أن يهدئ ذلك من أفكاره .

عندما انتهى بروم من الأكل وقف وأزاح غطاء رأسه وقال : " لقد فكرت فى كل حيلة أعرفها ، وكل كلمة سحرية أعرفها وبمقدورى استخدامها وكل المهارات لدينا ، لكن مازلت لا أعرف كيف نجد الرازاك " . انحنى إيراجون ناحية سفيرا فى أسى . قال بروم : " يمكن أن تظهر سفيرا نفسها فى إحدى المدن وهذا سيجذب انتباه الرازاك كما ينجذب الذباب للعسل ، لكن هذه محاولة خطيرة . قد يأتى الرازاك مع الجنود وقد يهتم الملك بنفسه ويأتى أيضاً وهذا يعنى الموت المؤكد لك ولى " .

قال إيراجون : " ماذا سنفعل الآن ؟ " ، ورفع يديه وقال لسفيرا : *" هل لديك أية أفكار يا سفيرا ؟ "* .

" كلا " .

قال بروم : " الأمر متروك لك ، فهذه غزوتك " .

صر إيراجون على أسنانه فى غضب وسار مبتعداً فى خطى متثاقلة عن بروم وسفيرا . وعندما كان على وشك الدخول وسط الأشجار ارتطمت قدماه بشىء صلب ، حيث كانت ملقاة على الأرض زجاجة معدنية لها حزام جلدى لحملها وكان طوله مناسبًا لتعليقها على الكتف . كانت هناك علامة فضية على الزجاجة وأدرك إيراجون أنها رمز الرازاك .

شعر إيراجون بالإثارة والتقط الزجاجة المعدنية وفتح غطاءها ، فامتلأ الهواء برائحة عفنة ـ نفس الرائحة التى شمها عندما وجد جسد جارو فى حطام المنزل ، قام إيراجون بقلب الزجاجة المعدنية فانسابت قطرة من سائل لامع ورائق على إصبعه . فى الحال شعر بحرقان فى إصبعه وكأنه أضرمت فيه النيران . قفز وصاح وحك يده فى الأرض . بعد لحظة زال الألم وأصبح مجرد خفقان بسيط كان يشعر به بالكاد ، ولقد تآكلت رقعة من جلد أصبعه .

التوت قسمات وجهه من الألم فركض إلى بروم وقال له : " انظر ما الذى وجدته " تناول بروم الزجاجة المعدنية وفحصها ثم صب جزءًا من السائل فى الغطاء . هم إيراجون بتحذيره : " احترس قد تحرق ــــ " .

قال بروم : " جلدى ، أعرف ، وأعتقد أنك سكبت السائل على يديك ، أم على إصبعك ؟ حسناً ، على الأقل أظهرت أنك تتحلى بالعقل ولم تتناول السائل ، وإلا كان ما سيتبقى منك مجرد بركة دماء " .

سأل إيراجون : " ما هذا ؟ " .

" زيت من بتلات نبات سيثر ، الذى ينمو على جزيرة صغيرة فى البحار المتجمدة الشمالية ، وفى حالته العادية يتم استخدامه لحفظ اللؤلؤ ـ حيث يجعلها لامعة وقوية . لكن عندما يتم التلفظ بكلمات محددة على الزيت مع أضحية من اللحم ، تتبدل خواص الزيت ويمكنه أن يجعل الأجساد تتآكل . هذا ما يجعله زيتًا خاصًا ـ فهناك زيوت وأحماض كثيرة لديها القدرة على إذابة العظام والعروق ـ فقط دون أى شىء آخر حيث يمكنك وضع أى شىء فى الزيت فلا يؤذيه

إلا إذا كان جزءًا من الإنسان أو الحيوان . وهذا ما جعل الزيت السلاح المفضل للتعذيب وعمليات الاغتيال . ويمكن تخزينه في الخشب أو دهنه على سن الرماح أو دهنه على الألواح لكي يحترق أول من يلمسه ، وهناك العديد من الاستخدامات له ولكن تحددها عبقرية من يستخدمه . وأية جروح يسببها فإنها تعالج ببطء شديد ، إنه زيت نادر وغالى الثمن خاصة فى شكله المتحول " .

تذكر إيراجون الحروق الرهيبة التى كانت تغطى جسد جارو وحدث نفسه فى رعب : " *هذا ما استخدموه معه* " . ثم قال لبروم : " أتساءل لماذا ترك الرازاك هذه الزجاجة مادامت قيّمة إلى هذا الحد " .

" ربما سقطت من أحدهم عندما طاروا "

" لكن لماذا لم يعودوا لأخذها ؟ أشك فى أن الملك لن يسعده خبر فقدانها " .

قال بروم : " لن يسعد ، لكنه سيكون أشد غضبًا إذا تأخروا عنه فى إخباره بكل شىء عنك . فى الواقع بحلول هذا الوقت ، لقد وصلوا للملك بالفعل ويجب أن تتأكد من أن الملك عرف اسمك الآن ، وهذا يعنى أننا سنزيد من حرصنا عندما ندخل للمدن ، سوف نجد هناك إخطارات وإعلانات وتحذيرات عنك معلقة فى كل أرجاء الإمبراطورية " .

توقف إيراجون برهة للتفكير ، ثم قال : " إلى أى حد يعد هذا الزيت نادرًا ؟ " .

قال بروم : " مثل الماس فى الإناء الخشبى الخاص بشرب الحيوانات " ، ثم قال بعد أن تريث لبرهة : " فى

الحقيقة ، إن الزيت العادى يستخدمه بائعو المجوهرات القادرون على ثمنه فقط " .

" هل هناك إذن من يبيعه ؟ " .

" ربما تاجر أو اثنان " .

قال إيراجون : " رائع ، والآن المدن الواقعة على شاطىء النهر تحتفظ بسجلات الشحن ، أليس كذلك ؟ " .

لمعت عينا بروم وقال : " بالطبع ، إذا وصلنا لتلك السجلات ، سنعرف من الذى أحضر الزيت إلى الجنوب ومن أين جاء ؟ " .

استنتج إيراجون قائلاً : " وسجلات مبيعاتالإمبراطورية ستخبرنا أين يعيش الرازاك ! لا أعرف عدد الناس الذين يمكنهم تحمل نفقات شراء هذا الزيت ، لكن لن يكون من الصعب تخمين من لا يعملون لحساب الإمبراطورية .

صاح بروم مبتسماً : " يا لك من عبقرى ، أتمنى لو فكرت فى هذا منذ سنوات ، فإننى كنت سأوفر علىّ أيامًا عديدة من الصداع المزمن . الساحل النهرى ملىء بالمدن الصغيرة والكبيرة حيث ترسو السفن . أعتقد أن بلدة تيرم هى المكان المناسب للبداية لأنها تتحكم فى طرق التجارة " ثم تريث بروم وقال : " آخر ما أعرفه هو أن صديقى القديم جيود يعيش هناك إننى لم أره منذ سنوات لكنه قد يساعدنا . ولأنه تاجر ، فإنه من الممكن أن يساعدنا فى الوصول إلى السجلات " .

" كيف سنصل لمدينة تيرم ؟ " .

" سنسير في الجنوب الغربى حتى نصل إلى ممر مرتفع في منطقة سباين . وبمجرد الوصول للجانب الآخر سنكون على شاطىء تيرم" . هزت الرياح شعر بروم .

" هل يمكننا الوصول للممر خلال أسبوع ؟ " .

" بكل سهولة . إذا جنحنا عن طريق نهر نينور واتجهنا جهة اليمين ، وعندئذ سيمكننا الوصول إلى الجبال غداً " .

امتطى إيراجون سفيرا وقال : *" أراك في موعد العشاء إذن" ، وعندما طارا على ارتفاع جيد قال لها :" سأركب كادوك غداً ، وقبل أن تعترضى ، اعلمى أننى سأفعل ذلك فقط ؛ لأننى أريد التحدث مع بروم " .*

" يمكنك الركوب معه يومًا ومعى يوم . وهكذا يمكنك مواصلة تدريبك ويكون لدىّ وقت للصيد من أجل الطعام " .

" ألن تنزعجى ؟ " .

" هذا أمر ضرورى " .

عندما هبطا في نهاية اليوم شعر إيراجون بالسعادة ؛ لأن قدميه لم تصب بأية جروح ؛ فلقد حماه السرج جيداً من حراشيف سفيرا .

تنازل بروم وإيراجون بالسيوف كالعادة قبل العشاء ، لكنها كانت معركة بلا طاقة لأن كليهما كان مشغول الذهن بأحداث اليوم . ومع انتهاء النزال شعر إيراجون باحتراق ذراعيه تحت وزن وثقل السيف زاروك الذى لم يعتد عليه .

أغنية للطريق

فـى اليـوم التـالى أثنـاء ركـوب الخيـل ، قـال إيراجـون لبروم : " ما شكل البحر ؟ " .

قال بروم : " لابد أنك سمعت عن وصفه من قبل " .

" نعم ، لكن ما شكله حقاً ؟ " .

زاغت عينا بروم وكأنه يتأمل مشـهداً بعيـداً ثـم قـال : " البحر تجسيد للانفعالات ؛ إنه يحب ويكره ويبكي . إنه يتحدى كل محاولات وصـفه بالكلمـات ويصـد كـل القيـود . مهما قال الناس عنـه ، فهنـاك المزيـد مما لا تعرفـه . هـل تتذكر ما قلته لك عن حكاية مخلوقات الإلف الـذين جـاءوا عن طريق البحر ؟ " .

" نعم " .

" على الرغم من أنهم يعيشون بعيداً عن الشاطئ ، فإنهم يكنون قدرًا كبيرًا من الانبهار والإعجاب والعشق للمحـيط . أصوات أمواجه الهادرة ورائحة الهـواء المـالح تـؤثر علـيهم

بعمق ، وقد أوحت لهم بأجمل الأغاني ، وهناك أغنية تتحدث عن هذا الحب إذا أردت سماعها " .

قال إيراجون باهتمام : " أرغب في ذلك جداً " .

تنحنح بروم وقال : " سأترجم الأغنية من اللغة القديمة بقدر استطاعتي ، لن تكون الترجمة دقيقة للغاية ، لكن ربما سأعطيك فكرة عامة عن الأصوات الأصلية " . ثم أوقف بروم سنوفاير وأغمض عينيه ثم ظل صامتاً لبرهة ثم أنشد بصوت رخيم :

" يا أيتها الفاتنة السائلة تحت السماء اللازوردية
اتساعك الذهبي يناديني دوماً ،
فأنا أريد الإبحار إلى الأبد على سطحك ،
لولا حبيبتي الجميلة التي تناديني ،
فهي تربط قلبي برباط من زهور الليلي البيضاء
لن ينكسر هذا الرباط أبداً إلا بسبب البحر
وسيظل قلبي معلقاً بين الأشجار والأمواج " .

ترددت أصداء الكلمات في رأس إيراجون بشكل يدعو للقلق . قال بروم : هناك المزيد في هذه الأغنية ، فهي تسمي " دو سيلبينا داتيا " وأنا أنشدت بعضاً من أبياتها ؛ فهي أغنية طويلة جدا تروى في قصة حزينة لعاشقين يدعيان أكلاما ، ونوادا وقد فرق بينهما حب البحر والشوق إليه ، والإلف يجدون مغزى عظيماً لهذه القصة " .

قال إيراجون ببساطة : " إنها رائعة " .

وكانت منطقة سِباين تبدو كخط رفيع على الأفق عندما توقفا عن المسير ليلاً .

عندما وصلا إلى تلال منطقة سباين ، استدارا وتابعا السير فى الجبال إلى جهة الجنوب . كان إيراجون سعيدًا ؛ لأنه اقترب من الجبال مرة أخرى ؛ فلقد كانت تمثل له حدودًا مريحة لعالمه وما حوله . وبعد ثلاثة أيام وصلا لطريق عريض ممتلئ بآثار عجلات العربات التى تجرها الخيول . قال بروم : " هذا هو الطريق الرئيسى بين العاصمة أوروباين ومدينة تيرم ، وهو يستخدم بكثرة وهو الطريق المفضل للتجار . يجب أن نحترس أكثر ، فعلى الرغم من أن هذا الوقت ليس مزدحماً بالتجارة من العام ، فإننا بالتأكيد سنصادف أناساً على الطريق " .

مرت الأيام سريعاً واستمرا فى المسير على طريق منطقة سباين بحثاً عن المر الجبلى ، لم يستطع إيراجون أن يشكو من الملل لأنه عندما لم يكن يتعلم اللغة الخاصة بالإلف كان إما يتعلم العناية بسفيرا أو يتدرب على السحر ، أو يتعلم صيد الحيوانات والطيور بالسحر ، مما وفر عليهما الكثير من الوقت . كان يحمل صخرة صغيرة فى يديه ويقذف بها الفريسة ومن المستحيل ألا تصيبها . وكان حصاد يده يشوى بالنار كل ليلة . وبعد العشاء كان بروم وإيراجون ينازلان بعضهما البعض بالسيوف وأحياناً يتلاكمان .

إلا أن الأيام الطويلة والعمل الشاق المضنى جعل جسد إيراجون يتخلص من الدهون الزائدة وصار مفتول عضلات الذراعين واكتسب جلده سمرة من الشمس وأصبحت له

عضلات فى كل أجزاء جسده . فقال لنفسه بجفاء : *"لقد صار كل شىء بداخلى صلبًا "* .

وعندما وصلا للممر الجبلى فى النهاية ، رأى إيراجون النهر الذى يتدفق منه ويقطع الطريق بالعرض . قال بروم : " هذا نهر توارك وسنسير بمحاذاته إلى البحر " .

قال إيراجون ضاحكا : " كيف نتمكن من ذلك إذا كان يجرى من سباين فى هذا الاتجاه ؟ لن ينتهى به المصب إلى المحيط إلا إذا كان يعود تياره إلى الوراء " .

أدار بروم الخاتم فى إصبعه وقال : " لأن فى وسط الجبال توجد بحيرة تسمى وودراك ويشقها نهر توارك . أنت ترى الجانب الشرقى من النهر الآن ، فهو يتدفق ناحية الجنوب ويسير فى طريق متعرج حتى يصب فى بحيرة ليونا . والجانب الآخر من النهر يصب فى البحر " .

بعد مسيرة يومين فى منطقة سباين ، سارا على حافة صخرية شاهدا أعلاها منطقة الجبال كلها بكل وضوح . لاحظ إيراجون أن الأرض منبسطة على مرمى البصر ، وزمجر غاضباً بسبب الفراسخ التى سيضطران لقطعها . أشار له بروم قائلاً : " هناك فى الشمال تقع مدينة تيرم ، وهى مدينة قديمة ويقال إنها أول مكان وطئت فيه مخلوقات الإلف بأقدامهم فى آلاجيشيا ، وحصونها لم تسقط أبداً ، ولم يهزم محاربوها قط " . تقدم بروم بسنوفاير إلى الأمام وترك الحافة الصخرية .

نزلا منحدرات سفح الجبال فى ظهر اليوم التالى ووصلا للجانب الآخر من منطقة سباين حيث الأرض المنبسطة

للغابات . ولعدم وجود الجبال للاختباء خلفها ، اضطرت سفيرا للطيران بالقرب من الأرض وكانت تستخدم كل حفرة في الأرض لإخفاء نفسها .

بعد أن اجتازا الغابة لاحظا تغييرًا واضحًا ؛ فقد كانت تربة الريف مغطاة بالأعشاب الناعمة وغاصت أقدام الخيل فيها وكل حجر كان مغطى بالعثة وكذلك فروع الأشجار وعلى الجانبين كانت تصطف جداول الماء ، وكانت الأرض مغطاة ببرك طينية طوال الطريق حيث وطئتها الخيل ولم يمض وقت طويل حتى غطى الطين والقذارة ملابس إيراجون وبروم .

قال إيراجون : " لماذا كل شيء أخضر هنا ؟ ألا يحل الشتاء هنا ؟ " .

" بل يأتي لكنه معتدل ، ويأتي الضباب وبخار الماء من البحر ويجعل كل شيء حيًا . والبعض يروق لهم ذلك لكن بالنسبة لى فهذا أمر مخيف يدعو للكآبة".

عندما أرخى الليل سدوله ، قاما بإعداد المعسكر في أكثر البقاع جفافا تمكنا من العثور عليها . وبينما كانا يتناولان العشاء ، قال بروم : " استمر في ركوب كادوك حتى نصل إلى بلدة تيرم ، فغالباً سنقابل مسافرين آخرين الآن وقد خرجنا من منطقة سباين ومن الأفضل أن تبقى معي . رجل عجوز مثلي يسافر وحده سيثير الشكوك ، لكن مع بقائك بجواري ، فلن يسأل أحد أية أسئلة . كما أنني لا أريد أن أظهر في المدينة وأجد أحدًا ممن رآني على الطريق ويتساءل من أين ظهر الفتى الذي بصحبتي فجأة " .

قال إيراجون : " هل سنستخدم أسماءنا الحقيقية ؟ " .

فكر بروم قليلاً ثم قال : " لن نتمكن من خداع صديقى جيود ؛ فهو يعرف اسمى ، وأعتقد أننى يمكننى الوثوق به وإطلاعه على اسمك . لكن بالنسبة لباقى الناس ، فاسمى سيكون نيال وأنت ابن أخى إيفان . وإذا أوقعت بنا ألسنتنا لن يحدث أى فرق ، لكن لا أريد لأسمائنا أن تعلق فى ذهن أحد . لدى الناس عادة سيئة ومزعجة وهى تذكر الأشياء التى لا يجب أن يتذكروها " .

التعرف على مدينة تيرم

بعد يومين من السفر إلى الشمال ناحية المحيط ، رأت سفيرا مدينة تيرم . كان هناك ضباب كثيف يغطى الأرض ولا يظهر أى شىء بالنسبة لبروم وإيراجون حتى هب النسيم من الغرب ودفع بالضباب بعيدا . حدق إيراجون عندما ظهرت مدينة تيرم أمامهما فجأة وكانت تقع على شاطئ البحر اللامع ، حيث السفن الضخمة راسية على الشاطئ وأشرعتها مضمومة ، أما هدير البحر فقد كان يمكن سماعه من على بعد مسافة كبيرة .

كانت المدينة محاطة بسور كبير أبيض ـ طوله ١٠٠ قدم وسمكه ثلاثون قدمًا ـ وكانت هناك صفوف من الفتحات المستطيلة الشكل لإطلاق السهام بطول السور وكان هناك ممر أعلاه للجنود والحراس ، أما السطح الأملس للسور فكان عبارة عن بوابتين من الحديد تفتحان من فوق إلى تحت بسلاسل عملاقة كما فى القلاع القديمة ، إحداهما تواجه البحر الغربى والأخرى فى الجنوب تطل على الطريق .

أعلى السور ـ من الجانب الغربى ـ ترتفع قلعة شامخة مبنية من الحجارة الضخمة وبها أبراج ، وفى أعلى برج كان هناك فنار به فانوس ضخم كان يلمع بوهج شديد . كانت القلعة هى أعلى شىء يمكن النظر إليه فوق التحصينات الأخرى .

كان الحراس والجنود يحرسون البوابة الجنوبية ولكنهم كانوا يحملون الرماح بإهمال واضح . قال بروم : " هذا هو الاختبار الأول لنا ، لنأمل ألا يكون قد وصلتهم أخبار عنا من الإمبراطورية فيعتقلونا . مهما حدث فلا تفزع أو تتصرف بشكل يدعو للريبة " .

قال إيراجون لسفيرا : *" اهبطى فى أى مكان الآن واختبئى لأننا سندخل المدينة "* .

قالت سفيرا فى مرارة : *" ستدس أنفك فى أمور غير مهمة مرة أخرى "* .

" أعرف ذلك ، لكنى أنا وبروم لدينا ميزات لا يملكها معظم الناس ، وسنكون بخير " .

" إذا حدث أى شىء فسأحملك على ظهرى وأربطك ولن أتركك أبداً " .

" أنا أيضاً أحبك " .

" سأضيق عليك الرباط إذن " .

قاد بروم وإيراجون الخيل ناحية البوابة وحاولا الظهور بشكل عابر . كان على البوابة علم يرفرف أصفر اللون يحمل شكل أسد يزأر وله ذراع تحمل زهرة الليلى . عندما اقتربا من الحائط ، تساءل إيراجون فى دهشة : " كم تبلغ مساحة هذه المدينة ؟ " .

قال بروم : " أكبر من أى مدينة رأيتها فى حياتك " .

وعند مدخل مدينة تيرم كان يقف الحراس بكل حزم وكانوا يسدون المدخل برماحهم . قال أحدهم في ملل : " ما اسمك ؟ " .

" أنا نيال " ، وهكذا تحدث بروم بصوت كالصفير وانحنى على أحد جانبيه وكان على وجهه تعبير يدل على الغباء والمرح .

قال الحارس : " ومن الآخر ؟ " .

" حسناً ، كنت على وشك أن أقول لك ، هذا ابن اختى إيفان وهو .... "

قال الحارس بعد أن نفد صبره : " حسناً حسناً ، وماذا تريد من هنا ؟ " .

قال إيراجون : " إنه يزور صديقه القديم " ، وجعل إيراجون صوته أجش ثم أردف قائلاً : " أنا معه للتأكد من أنه لن يضل الطريق ، إذا كنت تفهمنى ، فهو لم يعد شاباً ، لقد لفحت الشمس عقله عندما كان صغيراً . لقد أصابته حمى فى المخ " . هز بروم رأسه فى مرح .

قال الحارس : " حسناً ، ادخلا " ، وأشار بيده ورفع الرماح وقال : " تأكد من أنه لن يتسبب فى أى مشكلات " .

قال إيراجون : " لن يفعل ذلك ، أعدك " . ثم قاد كادوك للأمام ودخلا مدينة تيرم . كان الشارع مرصوفا بالحصى التى قرقعت تحت حوافر الخيل .

وبمجرد ابتعادهما عن الحرس اعتدل بروم فى جلسته على ظهر الحصان وصاح : " أصابته حمى فى المخ ؟ ! " .

قال إيراجون مازحًا : " لم أكن لأدعك تنال كل المتعة وحدك " .

صاح بروم فى ضجر ثم نظر فى اتجاه آخر وهو مشمئز . كانت المنازل تبدو كئيبة وتنذر بالشؤم . النوافذ كانت صغيرة وغائرة وتسمح بدخول كم قليل من أشعة الشمس ، والأبواب الضيقة كانت محفورة فى المبانى . كانت أسطح المنازل مسطحة ـ عدا الأسوار الحديدية القصيرة ـ وكلها كانت مغطاة بالحصى وقطع من حجارة الأردواز . لاحظ إيراجون أن المنازل الأقرب للسور المحيط بمدينة تيرم كانت مكونة من طابق واحد ، لكن المبانى كانت تعلو طوابقها بالتدريج كلما دخلا إلى المدينة ، والمبانى بجوار القلعة كانت أعلى المبانى ولكن طولها لا يضاهى بطول القلعة الحصينة .

قال إيراجون : " تبدو المدينة على استعداد للحرب " .

أومأ بروم برأسه وقال : " لدى المدينة تاريخ طويل حيث تعرضت مرارا لهجمات من القراصنة والأورجال والأعداء الآخرين . كانت منذ زمن طويل ومازالت مركز التجارة . ودائماً ستكون هناك صراعات حيث توجد الثروات الطائلة . الناس هنا تم إجبارهم على اتخاذ إجراءات غير عادية لحماية أنفسهم من الهجوم والهزيمة . وما يساعدهم أيضاً هو أن جالباتوريكس يمدهم بالجنود للدفاع عن المدينة " .

" لماذا توجد منازل ومبانى أعلى من الأخرى ؟ " .

قال بروم مشيرا بيده : " انظر للقلعة ، إنها تطل على منظر عام للمدينة ولا يعوقها شيء ، فإذا تم اختراق السور

الخارجى سيتخذ رماة الأسهم أماكنهم على كلٍ أسقف المنازل ولكن المنازل المجاورة للسور أقل ارتفاعاً ، حيث سيتمكن الرجال من خلفهمٍ من إطلاق سهامهم بدون الخوف من إصابة إخوانهم . وأيضاً إذا استولى العدو على المبانى الصغيرة ووضع رماته عليها فمن السهل إسقاطهم بسهام الرماة فى المبانى الأعلى " .

قال إيراجون فى تعجب : " إننى لم أر فى حياتى مدينة مخططة بهذا الشكل من قبل " .

علق بروم قائلاً : " نعم لكن هذا التخطيط تم بعد أن تم تدمير تيرم بواسطة إحدى هجمات القراصنة " . وعندما واصلا المسير عبر الشارع نظر إليهما الناس بنظرات تنم عن القلق ، لكن لم يكن هناك كم أكثر من اللازم من الفضول .

قال إيراجون لنفسه : " *مقارنة بالاستقبال الذى حصلنا عليه فى مدينة داريت ، فلقد تم الترحيب بنا هنا . ربما لم يهاجم الأورجال مدينة تيرم* " لكنه غيَّر رأيه عندما مر بجوارهما رجل ضخم الجثة ومعلق على حزامه سيف . كانت هناك آثار وعلامات أخرى خفية تدل على أنهم فى وقت حرب : فليس هناك أطفال يلعبون فى الشوارع وكانت وجوه الناس واجمة وكالحة وكانت البيوت مهجورة ، والأعشاب تنمو من بين الشقوق فى الحدائق المغطاة بالحجارة . قال إيراجون : " يبدو أنهم مروا بمحنة ما " .

قال بروم بحزن : " المكان هنا مثل الأماكن التى مررنا بها ، يجب أن نجد صديقى جيود . قادا الخيول عبر الشارع إلى حانة وربطا الخيل فى عمود مخصص لذلك . قال بروم :

" اسم الحانة هو ذا جرين تشيسنوت ... رائع " ، ونظر للافتة القديمة فوقهما ودخل هو وإيراجون الحانة .

كانت الحجرة قذرة ولها رائحة سيئة وبدت غير آمنة . وكانت هناك نيران تضرم فى المدفأة ولكن لم يكترث أحد لإلقاء المزيد من الحطب فيها . كان هناك أناس فرادى يجلسون فى الأركان ، كلٌ مع مشروبه وكان كلَ منهم يعلو وجهه تعبير كئيب وجامد . كان هناك رجل فقد أصابعه يجلس فى آخر الطاولة وبدا وكأنه يراقب مكان أصابعه المفقودة وهو يرتعش . كان الساقى يبتسم فى ازدراء لما حوله وكانت فى يده كأس فارغة يلمعها طوال الوقت على الرغم من أنها كانت مكسورة .

استند بروم على الطاولة وقال : " هل تعرف أين نجد رجلاً يدعى جيود ؟ " كان إيراجون يقف بجوار بروم ويعبث بقوسه المعلق على حزامه وكان معلقاً بناحية ظهره لكنه تمنى الآن أن يكون فى يديه .

قال الساقى بصوت عال : " والآن ، لماذا ينبغى أن أعرف شيئًا كهذا ؟ هل تظنان أننى أتابع الحثالة والأوغاد فى هذه المدينة المهجورة ؟ " ، نظر إيراجون فى قلق بينما اتجهت كل العيون إليهما .

ظل بروم يتحدث بهدوء : " هل يمكن استمالتك لكى تتذكر ؟ " ووضع بعض العملات على الطاولة .

انبهر الرجل ووضع الكأس على الطاولة وقال : " ربما " ، ثم أضاف بصوت خفيض : " لكن ذاكرتى تحتاج لكثير من البحث " . نظر إليه بروم بغضب ولكنه أعطاه

المزيد من العملات على الطاولة . حك الساقى خده وقال بتردد : " حسنا " ، وهمّ بأخذ العملات .

قبل أن يلمسها صاح الرجل ذو الأصابع المقطوعة : " جاريث ، ماذا تظن أنك ستفعل بحق الجحيم ، أى شخص فى الشارع يمكنه إخباركما بمكان جيود ، فلماذا تعطيانه المال ؟ " .

وضع بروم سريعاً المال فى حافظة نقوده ورمق جاريث الرجل الجالس على آخر المائدة بنظرة عدوانية وأعطاهم ظهره وانهمك فى مسح الكأس المكسورة مرة أخرى . ذهب بروم للرجل الغريب وقال : " شكراً لك ، اسمى نيال وهذا هو إيفان " .

رفع الرجل كأسه لهما كنوع من التحية : " وأنا مارتين ، وبالطبع تعرفتما على جاريث " . كان صوته عميقاً وأجش . أشار لهما مارتين نحو المقاعد الفارغة وقال : " تفضلا بالجلوس ، فأنا لا أمانع " . سحب إيراجون مقعدًا وعدل من وضعه بحيث يكون ظهره للحائط المواجه للباب . رفع مارتين حاجبه متعجبا من هذا السلوك لكنه لم يعلق عليه .

قال له بروم : " وفرت لى بضع كرونات "

" يسرنى ذلك ، لكننى لا ألوم جاريث ، فالعمل كان سيئاً للغاية مؤخراً " . ثم حك مارتين ذقنه وقال : " يسكن جيود فى الجانب الغربى من المدينة ، بجوار أنجيلا ؛ المعالجة طبيبة الأعشاب . هل ستعقدان صفقة معه ؟ " .

قال بروم : " نوعاً ما " .

حسناً ، لن يهتم بشراء أى شيء منكما ، لقد فقد سفينة أخرى منذ بضعة أيام " .

اهتم بروم بهذه الأخبار جداً وقال : " ماذا حدث ؟ هل كان هجوما من الأورجال ؟ " .

قال مارتين : " كلا ، لقد غادروا المنطقة ، لم يرهم أحد منذ عام ، لابد أنهم غادروا جميعا إلى الشمال أو إلى الشرق . لكنهم لا يمثلون لنا أية مشكلة ، فإن معظم تجارتنا عن طريق البحر كما تعرفون بالتأكيد " . ثم توقف لكى يشرب من كأسه وأضاف : " منذ بضعة شهور ، بدأ أحدهم بمهاجمة سفننا . ليس القراصنة المعهودين ؛ لأن سفن بضائع تجار محددين بالاسم هى التى يتم الهجوم عليها . وأحدهم هو جيود . وقد سار الأمر من سيئ لأسوأ لدرجة أنه لا يوجد قبطان يقبل نقل بضائع هؤلاء التجار ، مما يصعب الأمور هنا ، وخاصة أن بعض هؤلاء التجار يديرون أكبر شركات الشحن الخاصة بالإمبراطورية . والظروف تجبرهم علي نقل البضائع عن طريق البر ، مما يرفع سعر التكلفة جداً والقوافل لا تعود سالمة فى معظم الأحيان " .

قال بروم : " هل لديك فكرة عن المسئول عما يحدث ؟ لابد أن هناك شهودًا " .

هز الرجل رأسه بالنفى وقال : " لا أحد ينجو من تلك الهجمات ، فالسفن ترحل ولا تعود وتختفى ؛ ولا نراها مرة أخرى " ، ثم مال ناحيتهما وقال بصوت ينم على أنه سيخبرهما بسر : " يقول البحارة إن فى الأمر سحرًا " ، ثم أومأ وغمز لهما وعاد لجلسته الأولى متكئاً للوراء .

بدا القلق على وجه بروم وقال : " ما رأيك أنت ؟ "

هز مارتين كتفيه دون اكتراث وقال بلا اهتمام : " لا أعرف ، ولكنى لا أظن أننى سأعرف إلا إذا كنت سيئ الحظ للغاية لدرجة أننى سأكون أحد بحارة إحدى السفن المنهوبة ".

قال إيراجون : " هل أنت بحار ؟ " .

قال مارتين بضجر : " كلا ، هل أبدو كبحار ؟ القبطان يستعين بخدماتى لحماية السفن ضد القراصنة ، وهؤلاء الحثالة الأوغاد اللصوص لم ينشطوا مؤخراً لكن العمل جيد بالنسبة لى " .

قال بروم : " إنه لعمل خطير " . هز مارتين كتفيه بلا اكتراث وشرب كأسه حتى الثمالة . ألقى بروم وإيراجون عليه تحية الوداع ثم اتجها غرب المدينة وهو جانب جيد من مدينة تيرم ، وكانت المنازل نظيفة ومزينة وواسعة . كان الناس فى الشوارع يرتدون ملابس فاخرة ويسيرون فى أبهة وخيلاء . شعر إيراجون أنه يبدو واضحًا بينهم بقوة لأنه يختلف عنهم ، وشعر أيضًا أنه لا ينتمى لهذا المكان .

صديق قديم

كانت هناك فى متجر طبيبة الأعشاب لافتة تبعث على المرح ومن السهل العثور عليها . كانت هناك امرأة قصيرة جالسة عند الباب وشعرها يتدلى فى خصلات مستديرة . كانت تمسك ضفدعاً فى إحدى يديها وتكتب باليد الأخرى . خمن إيراجون أنها هى أنجيلا إخصائية التداوى بالأعشاب وكان هناك على جانبى المتجر منزلان فقال إيراجون : " أيهما تظن أنه منزل صديقك ؟ " .

فكر بروم قليلاً ثم قال : " هيا نعرف حالاً " ، ثم اقترب من السيدة وقال بأدب : " هل يمكنك إخبارنا أين مسكن " جيود " ؟ " .

قالت وهى تواصل الكتابة : " يمكننى ذلك " .

" هل ستخبريننا ؟ " .

" نعم " ، ثم صمتت وظلت تكتب بأسرع ما يمكن ، والضفدع فى يدها يصيح وينظر إليهما بعيون تنذر بالشر ، انتظر إيراجون وبروم وهما يشعران بعدم الراحة ، لكنها لم

تقل أى شيء . همَّ إيراجون بأن يقول شيئاً لقطع هذا الصمت ، لكن أنجيلا نظرت إليهما وقالت : " بالطبع سأخبركما ! كل ما عليكما فعله هو أن تسألانى . كان السؤال الأول هل *بإمكانى* أن أخبركما والثانى هل *سأخبركما* أم لا . لكنكما لم تسألانى حقاً " .

قال بروم مبتسماً : " اسمحى لى بأن أطرح السؤال كما يجب : أيهما منزل جيود ؟ ولماذا تمسكين ضفدعاً ؟ " .

صاحت قائلة : " هكذا يكون الحوار ، بيت جيود فى الجانب الأيمن ، وهذا ليس ضفدعاً بل علجوم ، وأنا أحاول إثبات أنه لا يوجد حيوان يسمى علجوم ـ فهناك ضفادع فقط " .

قال إيراجون : " كيف تقولين إنه لا يوجد حيوان بهذا الاسم ومعك واحد فى يدك اليمنى الآن ؟ وبالإضافة إلى ذلك ، فما الفائدة التى ستعود عليك من إثبات أنه مجرد ضفدع " .

هزت المرأة رأسها فى نفى بكل عنف مما جعل خصلات شعرها الداكن تتراقص وقالت : " كلا ، كلا ، أنت لا تفهم . إذا أثبت أنها مجرد ضفادع وأنه لا يوجد حيوان يسمى العلجوم ، فهذا يعنى أننى أمسك ضفدعاً ، وبالتالى فإن العلجوم لن يضر أحداً ـ مثل أن يجعل الأسنان تسقط أو يصيب الجلد بالتورم أو يسمم ويقتل الناس ، كما أن الساحرات لن يتمكن من استخدامه فى تعاويذهن السحرية لأن هذا الحيوان لن يكون له وجود " .

قال بروم برقة : " فهمت ، يبدو ذلك مثيراً وكنت أود أن أسمع المزيد لكن يجب أن أقابل جيود " .

قالت : " بالطبع " ، ثم لوحت بيدها وعادت للكتابة .

وبمجرد أن ابتعدا عن مرمى سمعها ، قال إيراجون : " إنها مجنونة ! " .

قال بروم : " هذا الاحتمال قائم لكن لا أحد يعرف ، فقد تكتشف شيئاً مفيداً ، لذلك لا تنتقدها ، ومن يعرف فربما تكون حيوانات العلجوم حقاً مجرد ضفادع ! " .

قال إيراجون متهكماً : " وحذائي من الذهب الخالص " .

توقفا أمام الباب الذى كانت به مطرقة حديدية مستديرة لقرع الباب وبه عتبة من الرخام . دق بروم الباب ثلاث مرات ولم يجب أحد . شعر إيراجون بالغباء وقال : " ربما لا يكون هذا هو المنزل ، لنطرق باب المنزل الآخر " ، تجاهله بروم وطرق الباب مرة أخرى بصوت طرق مرتفع .

مرة أخرى لم يجب أحد . ابتعد إيراجون وهو مغتاظ ، لكنهما سمعا خطوات شخص يقترب من الباب . فتح الباب بصوت مميز وكان من فتحه امرأة شابة لها وجه شاحب وشعر أشقر فاتح . كانت عيناها ممتلئتين بالدموع وكأنها كانت تبكى بحرقة منذ فترة ، لكن كان صوتها هادئاً ورزيناً : " نعم ، ماذا تريدان ؟ " .

قال بروم برقة : " هل يعيش جيود هنا ؟ " .

طأطأت المرأة رأسها قليلاً وقالت : " نعم ، أنه زوجى ، هل يتوقع زيارتكما ؟ " ، لكنها لم تفتح الباب أكثر .

" كلا ، لكننا نريد التحدث معه " .

" إنه مشغول للغاية " .

" لقد قطعنا مسافة طويلة وصعبة للغاية ، ومن المهم جداً أن نقابله " .

تصلبت قسمات وجهها وقالت مرة أخرى : " إنه مشغول للغاية " .

شعر بروم بالضيق لكن صوته ظل هادئاً : " بما أنه غير متاح أن نقابله ، هلا تفضلت بتوصيل رسالة له ؟ " ، اهتزت شفتاها لكنها وافقت ، فقال : " أخبريه أن صديقاً من جيلياد فى انتظاره بالخارج " .

نظرت إليهما المرأة بشك وريبة لكنها قالت : " حسناً " ، ثم أغلقت الباب فجأة ، سمع إيراجون صوت تراجع خطواتها بالداخل ثم علق قائلاً : " لم يكن هذا من الذوق " .

قال بروم : " احتفظ بآرائك لنفسك ، ولا تقل شيئاً ودعنى أتول الحديث هنا " ، ثم قام بروم بعقد ذراعيه وطرق بأصابعه ، وصر إيراجون على أسنانه ونظر فى اتجاه آخر .

فتح الباب فجأة وخرج من المنزل رجل طويل يرتدى ملابس غالية ولكنها مجعدة وشعره رمادى خفيف وكان يبدو على وجهه الحزن ولديه حاجبان رفيعان ، وهناك جرح غائر يمتد من فروة رأسه إلى صدغه .

عندما رآهما الرجل حدق فى دهشة وانحنى إلى الباب ولم ينبس ببنت شفة ، وفغر فاه وأغلقه عدة مرات مثل السمكة التى تشهق ، ثم سأل بصوت خفيض وهو يكاد لا يصدق : " بروم .... ؟ " .

أشار له بروم بالسكوت وأمسك بذراعى الرجل وقال : " تسرنى رؤيتك يا جيود ! أنا سعيد لأنك تذكرتنى ، لكن لا تستخدم اسمى فليس من مصلحتى أن يعرف أحد أننى كنت هنا " .

نظر جيود حوله بذهول والصدمة واضحة على وجهه ثم همس قائلاً : " ظننتك قد توفيت ، ماذا حدث ؟ لماذا لم تحاول الاتصال بى طيلة الوقت الماضى ؟ " .

" سأشرح لك كل شىء ، هل لديك مكان مناسب نتحدث فيه معاً فى أمان ؟ " .

تردد جيود ونقل نظره بين إيراجون وبروم ولم يتمكنا من فهم تعابير وجهه وفى النهاية قال : " لا يمكننا التحدث هنا ، لكن إذا انتظرتما لحظة فسآخذكما لمكان آمن نستطيع التحدث فيه " .

قال بروم : " لا بأس " . أومأ جيود واختفى خلف الباب . قال إيراجون لنفسه : *" أتمنى معرفة أى شىء عن ماضى بروم "* .

عندما عاد جيود كان هناك سيف معلق على حزامه وسترة موشاة ومطرزة معلقة على كتفيه وقبعة من نفس اللون ولها ريشة تزينها . نظر بروم بعين ناقدة إلى هذا الزى الفخم ، ولكن جيود هز كتفيه دون اكتراث وكان على وعى من أن شكله غريب أمام بروم .

سار معهما عبر طرقات تيرم حتى وصلوا للقلعة . كان إيراجون يقود الخيل وراء الرجلين . أشار لهما جيود إلى مكان الوصول وقال : إن ريزثارت حاكم مدينة تيرم أصدر أمراً بأن كل التجار يجب أن يديروا تجارتهم فى قلعته ،

وعلى الرغم من أن معظمنا يدير تجارته في مكان آخر ، لكن مازال يجب علينا استئجار الغرف هنا . هذا شيء سخيف لكننا نلتزم به على أية حال لتهدئته واتقاءً لغضبه . سنكون هنا بمأمن من مسترقي السمع ؛ والحوائط هنا سميكة " .

اجتازوا البوابة الرئيسية للقلعة ودخلوا البرج . دخل جيود من باب جانبي وأشار إلى حلقة معدنية وقال : " يمكنكم ربط الخيول هنا ، ولن يزعجها أحد " . عندما ربط إيراجون سنوفاير وكادوك بأمان ، فتح جيود لهما باب غرفته بمفتاح حديدي وسمح لهما بالدخول .

كان بالداخل ممر طويل خال مضاء بالمشاعل المثبتة على الحائط واندهش إيراجون من رطوبة وبرودة المكان وعندما لمس الحائط وجده مغطى بطبقة من الهباب الأسود ، فارتعد .

تناول جيود مشعلاً من على الحامل الخاص به وقادهما عبر القاعة في آخر الممر . توقفوا أمام باب خشبي متين ، فتحه جيود وأشار لهما بالدخول حيث توجد حجرة مليئة بالسجاد المصنوع من جلود وفرو الدببة وبها مقاعد محشوة . كانت الرفوف على الحائط مكدسة بالكتب الضخمة المغلفة بالجلد وكانت رفوف الكتب تغطي كل الحوائط .

وضع جيود الحطب في المدفأة ثم أشعلها بالمشعل ، ثم قال لبروم : " أيها العجوز ، اشرح لي كل شيء " .

ابتسم بروم وتجعد وجهه وقال : " من الذي تسميه الرجل العجوز ؟ في آخر مرة رأيتك لم يكن شعرك رمادياً ، الآن يبدو أن شعرك في المرحلة الأخيرة للتحلل " .

" وأنت لم يتغير شكلك منذ رأيتك آخر مرة منذ عشرين عاماً ، لابد أن الزمن يحفظك كعجوز سريع الغضب لكى تعلم الحكمة للأجيال الجديدة التاليةٍ فى تهريج ! هيا أخبرنى بقصتك ، فهذا ما تجيده دائماً " . كان جيود يصيح وقد نفد صبره . وأرهف إيراجون السمع وانتظر بشغف لسماع ما سيقوله بروم .

جلس بروم على مقعد وتناول غليونه ، ونفث ببطء حلقة من الدخان لونها أخضرٍ تسللت إلى المدفأة وانطلقت لأعلى عبر المدخنة وسأل قائلاً : " هل تتذكر ما كنا نفعله فى جيلياد ؟ " .

قال جيود : " بالطبع ، من الصعب نسيان ذلك " .

قال بروم : " عندما ... انفصلنا لم أتمكن من العثور عليك ، فى وسط المعمعة دخلت مصادفة إلى حجرة صغيرة عادية لم يكن بها شيء غير عادى - مجرد صناديق - لكن من باب الفضول أخذت أبحث فيها عن أى حل ، وابتسم لى الحظ فى تلك الساعة ، لأننى وجدت ما كنا نبحث عنه " . شعر جيود بالصدمة وظهرت آثارها على وجهه ، فأردف بروم قائلاً : " بمجرد وقوعه فى يدى لم أتمكن من انتظارك ، فقد يكتشف أحد أمرى فى أى لحظة فيضيع كل شيء ولقد تنكرت بقدر المستطاع ثم هربت من المدينة وذهبت إلى .... " تردد بروم ونظر سريعا إلى إيراجون ثم قال لـ " جيود " : " ذهبت إلى أصدقائنا فأخفوا الشيء فى سرداب تحت الأرض ثم جعلونى أعدهم بحماية أى شخص سيحصل عليه . وحتى يأتى اليوم الذى يحتاج الأمر إلى مهاراتى ، كان يجب أن أختبئ وأختفى . لم يعرف أحد

أننى على قيد الحياة ـ حتى أنت ـ على الرغم من أننى حزنت لأنك شعرت بالألم علىّ بدون داع ، لذلك ذهبت للشمال واختبأت فى كارفاهول " .

صر إيراجون على أسنانه لأنه كان فى قمة الغضب لأن بروم كان يتعمد إخفاء الحقيقة عنه .

عبس وجه جيود وقال : " إذن فإن .... أصدقاءنا كانوا يعلمون أنك كنت على قيد الحياة طوال هذه المدة ؟ " .

" نعم " .

تنهد جيود وقال : " ربما كانت هذه الخدعة لا مفر منها ، لكن كنت أتمنى أن تخبرنى بها حينئذٍ . أليست كارفاهول هى هذه المدينة البعيدة فى الشمال على الجانب الآخر من سباين ؟ " ، أومأ بروم برأسه . ولأول مرة فحص جيودٍ إيراجون بالتفصيل بعينيه الرماديتين ثم رفع حاجبيه قائلا : " أعتقد أنك تتم مهمتك الآن " .

هز بروم رأسه بالنفى وقال : " كلا ، فالأمر ليس بهذه السهولة . كان الشيء مسروقاً منذ فترة ـ على الأقل هذا ما أفترضه ؛ لأننى لم أتلق أى خبر من أصدقائنا وأشك فى أن رسلهم تعرضوا للهجوم ـ لذلك قررت أن أحاول معرفة كل شيء بنفسى على قدر استطاعتى . وكانٍ إيراجون يسافر مصادفة فى نفس الاتجاه . لقد رحلنا معاً وبقينا لوقت طويل معاً " .

بدت الحيرة على وجه جيود : " لكن إذا لم يرسلوا أية رسالة ، فكيف عرفت أن ــ " .

باغته بروم بسرعة بقوله : " قُتِل خال إيراجون بوحشية من قبل الرازاك وحرقوا منزله وكادوا يمسكون به

أثناء كل هذا ، وهو يريد الانتقام ، لكنهم رحلوا دون ترك أية آثار لكى نتتبعهم ، ولذلك نحتاج للمساعدة لكى نجدهم " .

بدا على وجه جيود الهدوء وقال : " فهمت .... لكن لماذا جئتم إلى هنا ؟ إننى لا أعرف مكان اختباء الرازاك ، ومن يعرف لن يخبركم " .

وقف بروم واستخرج من بين طيات ملابسه الزجاجة المعدنية الخاصة بالرازاك وأعطاها لجيود قائلاً : " كان بها زيت سيثر - من النوع الخطير ، وكان يحملها الرازاك ، وفقدوها على الطريق ، ووجدناها مصادفة . نريد الاطلاع على سجلات الشحن فى تيرم لكى نرى مشتريات الإمبراطورية من الزيت وهذا سيدلنا على مخبأ الرازاك " .

أمعن جيود فى التفكير وظهرت التجاعيد على وجهه ثم أشار للكتب على الرفوف وقال : " هل ترى تلك الكتب ؟ إنها تحوى سجلات كل أعمالى . أعمالى وحدى . لقد أقحمت نفسك فى مهمة ستستغرق شهوراً ، وهناك مشكلة أخطر ؛ السجلات التى تريد البحث فيها محفوظة فى هذه القلعة ، ومن يراها باستمرار شخص واحد يُدعى براند وهو وزير المالية لحاكم المدينة ريزثارت . والتجار مثلى ليس لديهم الحق فى الاطلاع عليها حتى لا يزوروا السجلات ويحتالان على الضرائب الباهظة التى يدفعونها إلى الإمبراطورية " .

قال بروم : " سأتعامل مع هذا الأمر عندما يحين الوقت المناسب ، لكننا بحاجة إلى بضعة أيام من الراحة قبل أن نفكر فى القيام بأى شىء " .

ابتسم جيود قائلاً : " يبدو أنه حان دوري لمساعدتك وبيتي هو بيتكما بالطبع ، هل تريدان تغيير اسميكما هنا ؟ " .

" نعم أنا اسمي نيال والولد إيفان "

قال جيود بعد تفكير : " إيراجون اسم مميز ؛ قليل جداً من الناس يطلق عليهم اسم أول فارس من راكبي التنين . وأنا في حياتي لم أر سوى ثلاثة رجال يحملون نفس الاسم " . اندهش إيراجون لمعرفة الرجل بأصل اسمه .

نظر بروم إلى إيراجون وقال له : " هلا تفقدت الخيل ؟ لا أظنني ربطت سنوفاير جيدا " .

قال إيراجون لنفسه : *" إنه يحاول إخفاء شيء ما عني ، وبمجرد ذهابي سيتحدث عنه "* . قام إيراجون من مقعده ببطء وغادر الحجرة وأغلق الباب وراءه . لم يتحرك سنوفاير ؛ والحبل الخاص به كان مربوطا جيداً . تحسس إيراجون رقبة الخيل ومال على حائط القلعة وهو يتميز غيظا .

قال لنفسه : *" هذا ليس عدلاً ، آه لو تمكنت من سماعهما .... "* ثم وقف مستقيما فجأة كمن أصابته صاعقة كهربية وتذكر أن بروم قد علمه ذات مرة كلمات من اللغة القديمة تحسن حاسة السمع وتجعلها قوية جداً . *" ربما لا أحتاج بالضبط لأذن خارقة القدرة ، لكنني سأجعل الكلمات السحرية تعمل ، فلقد صنعت الأعاجيب بكلمة " بريزنجر " من قبل ! "* .

ركز بكل ما أوتي من قوة وتوصل للقوة الداخلية وبمجرد أن أصبحت طوع بنانه قال الصيغة السحرية : " ثفير ستنر

أون أترا أيكا هورنا ! " ، وأخضع الكلمات لرغبته . وعندما تملكته القوة سمع صوتاً خافتاً يصل لأذنيه لا أكثر . شعر بالإحباط وتراجع للخلف ثم شعر بالفزع عندما سمع جيود يقول : " ولقد فعلت ذلك طيلة ثمانية أعوام إلى الآن " .

نظر إيراجون حوله فلم ير أحداً سوى بعض الحراس الواقفين في آخر الممر ، فابتسم وجلس في الساحة وأغلق عينيه واستمع لحوارهما .

قال بروم : " لم أتوقع أبداً أن تصبح تاجراً ، بعد كل الوقت الذى قضيته مع الكتب ، وبعد أن تجد الممر بتلك الطريقة ! ما الذى جعلك تتخذ التجارة كمهنة بدلاً من أن تظل عالماً ؟ " .

" بعد ما حدث في جيلياد لم يرق لى الجلوس في حجرات عفنة وقراءة الصحائف المطوية ، فقررت مساعدة أجيهاد بأفضل ما في وسعي ، لكنى لست محارباً . كان أبى تاجراً أيضاً ـ كما تذكر ، فساعدنى على البداية ، لكن عملى كتاجر كان مجرد ستار لنقل البضائع إلى سوردا " .

قال بروم : " لكنى سمعت أن أحوال التجارة سيئة منذ فترة " .

" نعم ، لم تصل أية شحنة تابعة لى مؤخراً ، والموارد بدأت تنضب في ترونجهيم ولقد اكتشف الإمبراطور على الأقل في اعتقادى ـ أن هناك أمثالنا ممن يساندون ترونجهيم ، لكن لازلت غير مقتنع بأن رجال الإمبراطورية هم من يفعلون ذلك ، لا يرى أحد جنودهم ، ولذلك فإن الأمر يكتنفه الغموض ، ربما قام جالباتوريكس باستئجار جنود مرتزقة لكى يضايقنا " .

" سمعت أنك فقدت سفينة مؤخراً " .

قال جيود بمرارة : " كانت آخر سفينة أمتلكها وكل من بها من طاقم كان من الرجال الشجعان المخلصين ، وأشك فى أننى سأراهم ثانية ...... الخيار الوحيد المتاح لى هو إرسال قوافل إلى سوردا أو جيلياد ـ لكنها لن تصل مهما كان عدد الحراس الذين سأستأجرهم لحراستها ـ أو أؤجر سفينة شخص آخر لحمل البضائع لكن لن يوافق أحد على هذا العرض فى هذه الفترة " .

سأل بروم قائلاً : " كم عدد التجار الذين يساعدونك ؟ " .

" عدد كبير على امتداد ساحل البحر ، وكلهم يعانون مثلى من نفس المشكلة . أعرف ما تفكر فيه ، لقد فكرت فى الأمر ليالى طويلة أيضاً لكنى لا أتحمل فكرة وجود خائن لديه كل هذه القوة والمعلومات . وإذا كان هناك خائن فكلنا فى خطر . يجب أن تعود إلى ترونجهيم " .

صاح بروم : " وهل سأصطحب إيراجون معى ؟ قد يمزقونه إربا . هذا هو أسوأ مكان له حاليا ، ربما يذهب إلى هناك بعد مرور بضعة شهور أو بعد عام ، هل تتخيل رد فعل الأقزام ؟ سيحاول الجميع السيطرة عليه وخاصة إيسلانزادى . لن تكون سفيرا وإيراجون فى مأمن فى ترونجهيم حتى يعبرا تحت إشرافى من " تواثا دو أورثريم " .

صاح إيراجون لنفسه : *" أقزام ؟ أين تقع ترونجهيم هذه ؟ ولماذا أخبره عن سفيرا بحق الجحيم ! كيف يفعل ذلك دون أن يستأذننى ! " .*

قال جيود : " لذا ، فإننى لا أزال أعتقد أنهما بحاجة إلى قوتك وحكمتك " .

صاح بروم : " حكمة ! إننى كما ذكرت أنت سابقاً ـ رجل عجوز سريع الغضب " .

" يخالفك الكثيرون فى هذا الرأى " .

" دعهم يقولوا ما يشاءون ، لست مضطراً لتوضيح موقفى . سوف تضطر أجيهاد للاستمرار بدونى ، فما أفعله الآن أهم بكثير ، لكن احتمال وجود خائن يثير تساؤلات تدعو للقلق . وهل تعرف الإمبراطورية أين يمكن ..... " ثم اختفى صوته تدريجيا .

قال جيود : " أتساءل لماذا لم يطلعنى أحد على ذلك " .

قال بروم : " ربما حاولوا لكن لو كان هناك خائن .... " ، توقف بروم ثم قال : " سأضطر لإرسال رسالة إلى أجيهاد ، هل لديك مرسال يمكنك الوثوق فيه ؟ " .

قال جيود : " نعم ، لكن هذا يعتمد على وجهته " .

قال بروم :" لا أعلم ، لقد ظللت منعزلا لفترة طويلة ، والرجال الذين كنت على اتصال بهم ربما ماتوا أو نسونى . هل يمكنك إرساله لمن يتلقى شحنات بضائعك ؟ " .

" نعم ، لكن فى الأمر مجازفة " .

" ما الذى لا ينطوى على مجازفة هذه الأيام ؟ متى يمكنك إرساله ؟ " .

" يمكنه ذلك فى الصباح ، سأرسله إلى جيلياد ليكون أسرع ، لكن ما الذى سيقنع أجيهاد أن الرسالة تأتى منك ؟ " .

قال بروم : " هذا هو خاتمي . أعطه لرجلك ، وأخبره بأنه إذا فقده سأمزقه إربا بنفسي ، فلقد أعطته لى الملكة " .

قال جيود : " ألست متفائلا ؟ " .

صاح بروم في ضجر ، وبعد فترة صمت طويلة قال : " من الأفضل أن نخرج ونعود لإيرجوان ، فإن القلق ينتابنى عندما أتركه بمفرده ، فلديه نزعة غير طبيعية للوقوع فى المشاكل " .

" هل أنت مندهش ؟ " .

" ليس تمامًا " .

سمع إيراجون صوت إبعاد المقاعد فسحب عقله بعيداً عنهما وفتح عينيه وتمتم لنفسه قائلاً : " ما الذى يحدث ؟ جيود وتجار آخرون فى مشكلة لأنهم يساعدون قوماً لا يرضى عنهم رجال الامبراطورية . وقد وجد بروم شيئاً ما فى جيلياد وذهب للاختباء فى كارفاهول . ما الذى يعتبر بهذه الأهمية لدرجة أنه يدع صديقه يظنه ميتاً لمدة عشرين عاماً ؟ لقد ذكر ملكة ـ لا يوجد أى ملكات فى الممالك المعروفة ـ والأقزام أسمع أنهم اختفوا تحت الأرض منذ زمن بعيد " .

كان يريد إجابات على تساؤلاته ! لكنه لن يواجه بروم الآن ويعرض مهمتهما للخطر . كلا ، سينتظر حتى يغادرا المدينة ثم يصر على أن يشرح له الرجل العجوز كل شىء ويبوح له بكل الأسرار ، كانت كل تلك الأفكار تدور داخل رأسه عندما فتح الباب .

قال بروم : " هل الخيول بخير ؟ " .

قال إيراجون : " نعم " . ثم حلا رباط الخيل وغادرا القلعة .

عندما دخلا مرة أخرى وسط مدينة تيرم ، قال بروم : " لقد تزوجت في النهاية يا جيود " ثم غمز له بخبث وقال : " ومن شابة جميلة ، تهانئي " .

لم يبد جيود سعيداً بهذه المجاملة ، بل هز كتفيه وحدق إلى الشارع وقال : " لا أعرف إذا ما كانت التهنئة مناسبة أم لا ، فزوجتي هيلين ليست سعيدة معي " .

قال بروم : " لماذا ؟ ماذا تريد ؟ " .

قال جيود بلا اكتراث : " كالمعتاد ، تريد منزلاً رائعاً وأطفالاً سعداء وطعاماً على المائدة والصحبة الجيدة . المشكلة أنها تنحدر من عائلة ثرية ، وأبوها استثمر الكثير من الأموال في تجارتي . وإذا ظلت خسارتي تتفاقم ، لن تكفي الأموال لكي تعيش في المستوى الذي اعتادت عليه " .

أردف جيود قائلاً : " لكنني لا داعي للخوض في مشاكلي ، لا تهتم بها فإنها مشاكلي وليست مشاكلك ، لا يجب على المضيف إزعاج ضيوفه بالمشاكل الشخصية ، وأنتما في منزلي لن تشكوا من شيء سوى معدتكما الممتلئة بالطعام " .

قال بروم : " شكراً لك ، نحن نقدر كرم ضيافتك ، فرحلة سفرنا لم تكن بها وسائل راحة من أي نوع . هل تعرف مكان متجر رخيص لشراء الملابس ؟ فإن السفر على الخيل أبلى ملابسنا " .

" بالطبع ، فهذا عملي " ، وتهلل وجه جيود وتحدث بحماس عن المتاجر والأسعار حتى وصلا لمنزله . قال

جيود : " هل تمانعان في تناول الطعام في مكان آخر ؟ قد يكون هناك حرج إذا دخلنا الآن " .

قال بروم : " لتفعل أى شىء يروق لك " .

بدا الارتياح على وجه جيود وقال : " شكرا لكما ، لنترك الخيل في الإسطبل " .

فعلا ذلك بناء على اقتراحه ثم تبعاه للهى كبير . وعلى عكس ملهى ذا جرين تشيسنوت ، كان هذا الملهى كبيرًا وصاخبًا ونظيفًا ويعج بالناس المرحين . وعندما وصل الطبق الرئيسى ـ لحم مشوى ـ هجم إيراجون على اللحم ولكنه استمتع أكثر بالخضراوات مثل البطاطس والجزر واللفت والتفاح الحلو المصاحب للحم المشوى وذلك لأنه لم يكن لفترة طويلة يتناول سوى الطيور البرية التى يصطادها .

استغرقوا ساعات في تناول الوجبة وذلك لأن جيود وبروم كانا يتبادلان الحكايات، ولم يمانع إيراجون ، فقد كان يشعر بالدفء وكانت هناك موسيقى لطيفة في المكان ، ويوجد طعام وفير ، وكان المكان يعج بالثرثرة التى يملؤها الحماس ولها وقع كالموسيقى في أذنيه .

عندما خرجوا من الملهى في النهاية مالت الشمس نحو المغيب وقال إيراجون : " اذهبا واسبقانى وسوف أنتظر ، وسأتحقق من شىء ثم أوافيكما لاحقاً " . كان يريد رؤية سفيرا والتأكد من أنها في أمان في مخبئها الجديد .

وافق بروم وهو شارد الذهن وقال : " احترس ، لا تتأخر " .

قال جيود : " انتظر ، هل ستخرج من المدينة ؟ " .

تردد إيراجون لكنه أجاب موافقًا على مضض ، فقال

جيود : " تأكد من أنك داخل أسوار المدينة قبل حلول المغيب ؛ لأن هذا موعد إغلاق البوابات ولن يفتح لك الحراس إلا في الصباح " .

وعدهما إيراجون قائلاً : " لن أتأخر " ، ثم استدار وركض عبر شارع جانبي ناحية السور الخارجي لمدينة تيرم . وبمجرد خروجه من المدينة سحب نفساً عميقاً واستمتع بالهواء النقي لبرهة ثم صاح : *"سفيرا أين أنت ؟ "* . أرشدته لخارج الطريق إلى قاعدة منحدر ملىء بالعثة ومحاط بأشجار القيقب ، وشاهدها تطل برأسها من فوق الأشجار وأشارت له فقال لها : *" كيف سأصعد إليك ؟ "* .

" إذا وجدت مكاناً خالياً من الأشجار ، فسأنزل لمقابلتك " .

قال لها : " كلا " ، ثم نظر للتل الصغير ، وقال :" ليس ذلك ضرورياً ، سأصعد إليك " .

" لكن ذلك خطر عليك " .

" لا تقلقى أكثر من اللازم ، دعينى أستمتع "

خلع إيراجون قفازيه وبدأ في التسلق ، واستمتع بالتحدى لقدراته البدنية وكان هناك الكثير من الأماكن للإمساك بها على التل أثناء التسلق ؛ مما جعل الصعود سهلاً . وسرعان ما تسلق أعلى إحدى الشجرات ، ثم توقف في منتصف الطريق على حافة صخرية لالتقاط أنفاسه .

وبمجرد أن استعاد قوته مد عضلاته لكي يواصل الصعود لكن النتوء التالى كان أعلى من ذراعيه وشعر بالعجز فبحث عن فتحة أخرى أو حافة صخرية لكي يمسك بها لكنه لم

يجد . حاول النزول لكن قدميه لم تصل للنتوء الأسفل . راقبته سفيرا ولم تغفل عيناها عنه . استسلم وقال : *" ساعدينى ! "* .

" هذا خطؤك أنت " .

" نعم ! أعرف ذلك ، هل ستساعديننى على النزول أم لا ؟ " .

" لو لم أكن هنا لكنت قد أصبحت فى مأزق شديد " .

زاغ بصره ودارت عيناه وقال : *" لست مضطرة لإخبارى بذلك "* .

" حسناً عندك حق ، هل من المتوقع من تنين أن يخبر رجلاً مثلك بما يجب أن يفعله ؟ فى الواقع ، الكل يعجب جدا ببراعتك فقط فى الوقوع فى المشاكل . على مسافة بضع أقدام إلى الاتجاه الآخر سيكون طريق الصعود للقمة أكثر وضوحاً " . رفعت رأسها ناحيته وبرقت عيناها .

قال لها متوسلاً : *" حسناً لقد أخطأت ، والآن أنقذينى وأخرجينى من هنا "* . ابتعدت برأسها من حافة التل وبعد لحظات صاح بها : *" سفيرا ! عودى إلى هنا ! "* لكنه لم ير سوى اهتزاز الأشجار .

بصوت عال تدحرجت سفيرا من قمة التل واستدارت وهى فى الهواء وطارت نحو إيراجون كالخفاش الضخم وأمسكت بقميصه بمخالبها ، وحكت ظهره . ترك الصخور عندما رفعته فى الهواء . وبعد جولة طيران سريعة وضعته برفق على قمة التل وتركت قميصه عن مخالبها .

قالت له برقة : *" يا للحماقة "* .

أبعد إيراجون ناظريه عنها وظل يدرس الطبيعة من حوله ، كان التل قد أوضح له منظراً رائعاً ومبهراً للطبيعة من حوله وخاصة للبحر وزبد البحر ، كما أن التل يحمى سفيرا من عيون المتطفلين فهذا مكان مثالى ولن يرى أحد سفيرا سوى الطيور .

قالت : *" هل صديق بروم أهل للثقة ؟ "* .

" لا أعرف " ، **ثم سرد لها إيراجون كل أحداث اليوم وقال :** *" هناك قوى تحيط بنا لا أعرف عنها شيئاً . أحياناً أتساءل هل نفهم حقاً الدوافع الحقيقية لمن حولنا . كل الناس لديهم آبار من الأسرار .*

هكذا العالم من حولنا تجاهل أى خطط ، وثق فى طبيعة كل شخص . بروم شخص طيب ، ولا ينوى أن يؤذينا ولا يجب أن نخشى خططه " .

نظر إلى يديه وقال : *" أتمنى ذلك "* .

قالت له : " إن إيجاد الرازاك فى السجلات طريقة غريبة فى اقتفاء الأثر ، هل يمكن استخدام السحر برؤية السجلات دون دخول الحجرة التى تحويها ؟ "

" لست متأكداً ، ربما نجمع بين كلمات الرؤية والمسافة .... أو الضوء والمسافة .... لكن بكلتا الطريقتين الأمر يبدو صعباً ، سأسأل بروم " .

" هذا سيكون تصرفاً حكيماً منك " . **ثم ساد الصمت والهدوء لفترة بينهما .**

" كما تعلمين ، سنبقى هنا لفترة طويلة " .

قالت بحرقة : *" كالعادة ، ستتركنى أنتظر بالخارج " .*

"لا أريد الأمر هكذا ، فسرعان ما سنسافر معاً مرة أخرى " .

"أتمنى أن يأتى هذا اليوم سريعاً " .

ابتسم إيراجون واحتضنها ولاحظ ميل الشمس نحو المغيب : *"يجب أن أعود قبل إغلاق باب المدينة دونى ، قومى بالصيد غداً وسأراك ليلاً "* .

فردت جناحيها وقالت : *"هيا ، سوف أحملك إلى أسفل "* ، ركب على ظهرها المغطى بالحراشيف وأمسك برقبتها جيداً عندما طارت من علىٍ التل وهبطت عبر الأشجار ثم نزلت تلاً أصغر حجماً وارتفاعاً . شكرها إيراجون وجرى مسرعاً إلى مدينة تيرم .

ظهر عند السور بينما كان الحراس على وشك رفع الأبواب الحديدية ذات السلاسل . نادى إيراجون عليهم لكى ينتظروه وأسرع الخطى ودخل عبر البوابة قبل إغلاقها بثوان . قال أحد الحراس : " نجوت بأعجوبة " .

قال إيراجون : " لن يحدث هذا مرة أخرى ، لن أتأخر بعد الآن " . ثم مال لكى يلتقط أنفاسه ثم سار فى طريق متعرج عبر المدينة التى يكتنفها الظلام حتى وصل إلى مسكن جيود وكان معلقاً على بابه مصباح يبدو كالفنار .

عندما دق الباب فتح له خادم بدين وأشار له بالدخول بدون أن يتكلم . كانت الحوائط الحجرية مغطاة باللوحات المرسومة على القماش . والسجاجيد الكبيرة المزركشة تغطى الأرضية الخشبية اللامعة ، وكانت تلمع بسبب قطع الشمعدان الثلاث الذهبية المعلقة على الحائط . كان الدخان يرتفع عبر الهواء ويتجمع عند السقف .

" من هذا الطريق يا سيدى ، صديقك فى حجرة المكتب " .

اجتازا عشرات الأبواب حتى فتح له الخادم باباً يكشف وراءه عن حجرة مكتب . كانت الحوائط مغطاة بالكتب . لكن على عكس الكتب التى كانت فى مكتب جيود فى القلعة ، فإن تلك الكتب كانت ذات أحجام وأشكال مختلفة . وكانت المدفأة مليئة بالحطب المشتعل وكانت الحجرة دافئة . كان بروم وجيود جالسين أمام مائدة الكتابة البيضاوية الشكل ، ويتحدثان بكل مودة وحميمية . رفع بروم غليونه وقال بصوت مرح : " ها قد جئت الآن ، لقد كنا قلقين بشأنك ، كيف كانت جولتك ؟ " .

قال إيراجون لنفسه : *" أتساءل ما الذى جعله فى حالة مزاجية رائعة إلى هذا الحد ؟ لماذا لم يسألنى عن سفيرا مباشرة "* ، وقال له : " جيدة ، لكن الحراس كادوا يغلقون الباب دونى وكنت سأظل خارج المدينة ، إن تيرم مدينة كبيرة حقاً ، لم أجد المنزل إلا بصعوبة " .

ضحك جيود وقال : " عندما ترى مدناً مثل دراسليونا أو جيلياد أو حتى كواستا ، ولن تنبهر بهذه المدينة الصغيرة المطلة على المحيط ، لكننى أحب هذه المدينة ، وعندما لا تمطر السماء تكون تيرم مدينة جميلة حقاً " .

قال إيراجون لبروم : " إلى أى مدى سنظل هنا ؟ " .

رفع بروم كفيه وقال : " من الصعب معرفة ذلك الآن ، فهذا يعتمد على التوصل للسجلات والمدة الزمنية التى سنستغرقها للعثور على ما نريد . إنها مهمة ضخمة

وسنتشارك فيها كلنا ، وسوف أتحدث مع براند غداً لكى يسمح لنا بالاطلاع على السجلات " .

تحرك إيراجون فى عدم ارتياح وقال : " لا أظن أننى سأتمكن من مساعدتكما " .

قال بروم : " ولِمَ لا ؟ سيكون لديك عمل كثير " .

طأطأ إيراجون رأسه وقال : " لا أعرف القراءة " .

استقام ظهر بروم من الدهشة وقال : " تعنى أن جارو لم يعلمك ؟ " .

قال إيراجون فى حيرة : " وهل كان يعرف القراءة ؟ ، وراقبهما جيود باهتمام .

صاح بروم فى ضجر : " بالطبع كان يجيد القراءة ، الأحمق المغرور - ما الذى جعله لم يعلمك ؟ كان يجب أن أدرك أنه لم يعلمك ، ربما كان يظن أن التعليم رفاهية زائدة على الحاجة " . كشرٍ بروم وعبس وجهه وجذب لحيته فى غضب ثم أردف قائلا : " هذا سيعطل بعض خططى لكن لن تفسد كلها ، سأعلمك القراءة ولن يستغرق الأمر مدة طويلة إذا ركزت عقلك عليها " .

نظر إيراجون بخوف لأن دروس بروم عادة تكون حادة ومباشرة وعنيفة ، فقال لنفسه *" ما مقدار الأمور التى يمكنني تعلمها فى المرة الواحدة ؟ "* . لكنه قال لبروم بأسى : " نعم من الضرورى ذلك " .

قال جيود : " ستستمتع بذلك ، فهناك الكثير مما يمكنك تعلمه من الكتب والصحف والمخطوطات " . ثم أشار إلى الحوائط وقال . " هذه الكتب هى أصدقائى ورفاقى ، وتجعلنى أضحك وأبكى وأجد معنى لحياتى " .

قال إيراجون : " هذا يبدو مثيراً " .

قال بروم : " مازلت العالِم كما كنت دائماً ، أليس كذلك ؟ " . هز جيود كتفيه بلا اكتراث وقال : " لم أعد كذلك الآن . أخشى أنني تدهورت إلى كوني دورة كتب فحسب " .

سأل إيراجون في تعجب : " ماذا ؟ " .

قال جيود : " أعني الشخص المولع بالكتب " ، ثم واصل حواره مع بروم . شعر إيراجون بالملل ، فأخذ يفحص الرفوف بعينيه حتى جذب انتباهه كتاب شكله أنيق ومرصع بحروف ذهبية ، فأخرجه من الرف وحدق إليه بفضول . كان الكتاب مجلداً بالجلد الأسود ومنحوتاً عليه حروف قديمة وغامضة . مرر إيراجون أصابعه على الغلاف وأحس بمتعه ملامسة نعومته الباردة . كانت الحروف بداخله مطبوعة بحبر لامع أحمر ، وقلب الصفحات واسترعى انتباهه عمود من الكتابة مكتوب بخط مختلف وكانت الكلمات طويلة ومناسبة ومكتوبة بخط رشيق ونقاط حادة .

أخذ إيراجون الكتاب لبروم وقال : " ما هذا ! " ، وأشار إلى الكلمات الغريبة .

فحص بروم الصفحة عن قرب ورفع حاجبيه من الدهشة وقال : " لقد زودت مجموعتك من الكتب يا جيود ، من أين حصلت عليه ؟ لم أره منذ سنوات عديدة ."

حنى جيود رقبته بشدة لكي يرى الكتاب :" آه ، نعم إنه كتاب دوميا آبر وردا . لقد جاء رجل هنا منذ بضع سنوات وحاول بيعه لتاجر عند المرفأ . لحسن الحظ كنت

هناك مصادفة وتمكنت من إنقاذ الكتاب ، وإنقاذ صاحبه من الموت ، فلم يكن لديه أدنى فكرة عما يحتويه الكتاب " .

قال بروم : " من الغريب يا إيراجون أن تلتقط هذا الكتاب ، فعنوانه هو سيطرة القدر " ، ويعد أسمى كتاب في هذا المنزل ، فهو يحكى كل تاريخ آلاجيشيا " - بدءاً من وقت ما قبل نزول الإلف إليها وينتهى بتاريخ بضعة عقود مضت منذ عهد قريب . إنه كتاب نادر والأفضل من نوعه عندما كُتب اعتبرته الإمبراطورية نوعاً من الهرطقة والتحريف وأحرقت مؤلفه " هيزلانت الناسك " . لا أظن أن للكتاب نسخاً أخرى ، وهذه المخطوطة التى تسأل عنها من اللغة القديمة " .

قال إيراجون : " وماذا تقول ؟ " قرأ بروم الكتابة فى لحظة واحدة ثم قال : " إنها جزء من قصيدة بلغة الإلف وتحكى عن السنوات التى حاربوا فيها حيوانات التنين ، وهذا المقتطف يصف أحد ملوك الإلف ويدعى سيرا - نثور وهو يقود الجيش إلى المعركة . الإلف يحبون هذه القصيدة وينشدونها كثيراً - لكن الأمر يستغرق ثلاثة أيام لكى يحدث كما يجب - لكى لا يكرروا أخطاء الماضى . وأحياناً ينشدونها بشكل جميل للغاية لدرجة أنه يخيل للمرء أنه يسمع بكاء الصخور " .

عاد إيراجون لمقعده وحمل الكتاب برفق وقال لنفسه :
" من المدهش أن رجلاً ميتاً يمكنه التحدث للناس عبر الصفحات المكتوبة . طالما الكتاب مازال باقياً ستعيش أفكاره . إننى أتساءل لو كان به معلومات عن الرازاك " .

تصفح إيراجون الكتاب أثناء تحدث بروم مع جيود . مرت الساعات وبدأ إيراجون يشعر بالنعاس . شعر جيود بالشفقة عليهما وبدا له أنهما يشعران بالتعب فألقى عليهما تحية المساء وقال : " سيصحبكما الخادم إلى حجرتيكما " .

قال الخادم أثناء صعود السلم معهما : " إذا احتجتما لأى شيء ، فاجذبا خيط الجرس بجوار الفراش " . ثم توقف أمام ثلاثة أبواب متجاورة وانحنى لهما وغادر المكان .

عندما دخل بروم حجرته على اليمين . قال له إيراجون : " هل يمكنني أن أتحدث معك ؟ " .

" لقد تحدثت بالفعل ، لكن ادخل على أية حال " .

أغلق إيراجون الباب خلفه وقال : " خطرت لى فكرة أنا وسفيرا . هل من ... " .

أوقفه بروم عن الكلام بإشارة من يده وأغلق الستائر على النافذة وقال : " عندما تتحدث فى مثل هذه الأمور تأكد من أن الحوائط ليس بها ثغرات للأذن التى تسترق السمع " .

قال إيراجون : " آسف " ، ثم وبخ نفسه على زلة لسانه ثم أردف قائلا : " على أية حال ، هل من الممكن استحضار صورة لشيء لا تتمكن من رؤيته ؟ " .

جلس بروم على حافة الفراش وقال : " ما تتحدث عنه يسمى الاستدعاء وهي طريقة لاستحضار الصور الذهنية ، وهو ممكن ومفيد جدا فى بعض المواقف ، لكن به عيبا كبيراً ؛ يمكنك استحضار صور لأماكن وأشخاص وأشياء رأيتها من قبل فقط ، مثل الرازاك ، لكن لن ترى أين هم . وهناك عيوب أخرى ، لنفترض أنك تريد استحضار صورة لصفحة من كتاب ، ولقد رأيتها من قبل ، يمكنك رؤية

الصفحة إذا كان الكتاب مفتوحاً عليها فقط ، ولكن إذا كان الكتاب مغلقاً ، فسترى الصفحة سوداء " .

قال إيراجون : " لماذا لا يمكننا استحضار صور لأشياء لم نرها ؟ " وحتى مع هذه الحدود ، أدرك إيراجون أهمية وفائدة هذا الأمر وقال لنفسه : *"أتساءل هل يمكننى رؤية ما يبعد عنى بعشرات الفراسخ ، واستخدام السحر للتأثير على ما يحدث هناك ؟ "* .

قال بروم في تعب : " لأن استحضار الصور الذهنية يستلزم معرفة ما تنظر إليه وإلى أين توجه قواك . وحتى إذا وُصف لك شخص ما لن تتمكن أبدا من تخيله ، فما بالك بمكانه وما قد يوجد حوله . يجب أن تعرف ما تريد استدعاء صورته قبل استحضاره . هل هذا يجيب على سؤالك ؟ " .

فكر إيراجون للحظة وقال : " لكن كيف يمكن فعل ذلك ؟ هل تستدعى الصور في الهواء ؟ " .

قال بروم : " ليس في المعتاد " ، وهز رأسه ذا الشعر الأبيض : " فهذا يستهلك كمًا كبيرا من الطاقة مقارنة بعرض الصورة على سطح يعكس الصور كأن يكون بركة كبيرة من الماء أو يكون مرآة . بعض الفرسان راكبى التنين كانوا يعتادون السفر إلى كل الأماكن قدر استطاعتهم ويشاهدونها جيداً ، وبالتالى عند نشوب الحروب أو الكوارث كان يمكنهم معرفة الأحداث فى كل مناطق آلاجيشيا " .

قال إيراجون : " هل يمكننى تجربة ذلك ؟ " .

نظر إليه بروم بحرص وقال : " كلا ، ليس الآن ، أنت متعب وهذا الأمر يستلزم كل طاقتك ، سأخبرك بالكلمات السحرية لكن عدني بألا تحاول استخدامها الليلة بل انتظر حتى ترحل عن تيرم ، لدى الكثير مما أريد أن ألقنك إياه " .

ابتسم إيراجون قائلاً : " أعدك بذلك " .

انحنى بروم ومال وهمس في أذنه : " حسناً ، إنها دراومر كوبا "

حفظ إيراجون الكلمات في لحظة وقال : " بعد أن نغادر المدينة سأحاول استدعاء صورة روران لأعلم ما الذي يفعله ، أخشى أن يلحق به الرازاك "

قال بروم : " لا أريد إخافتك لكن هذا الاحتمال وارد ، على الرغم من رحيل روران قبل قدوم الرازاك إلى كارفاهول ، فأنا متأكد أنهم سألوا عنه بعض الأسئلة ، ومن يدرى ، ربما قابلوه عندما كنا في مدينة ثيرينسفورد . عموماً ، لا أظن أن لفضولهم حدودا ، فهم منطلقون ويتجولون ، والملك ربما يهددهم بالعقاب الشديد إذا لم يجدوك . إذا يئسوا من العثور عليك ، قد يستجوبون روران والأمر مجرد مسألة وقت إلى أن يحدث ذلك " .

" إذا حدث ذلك ، فإن الطريقة الوحيدة لإبعادهم عن روران هي أن يعرفوا مكاني فيأتون لى بدلاً منه " .

وبخه بروم قائلا : " كلا ، لن يصلح ذلك أيضاً ، أنت لا تفكر جيدا ، إذا لم تفهم أعداءك فكيف تتوقع سلوكهم ؟ حتى إذا كشفت لهم عن مكانك ، فسوف يطاردون روران أيضا ، هل تعرف لماذا ؟ " .

اعتدل إيراجون في جلسته وحاول أن يفكر في كل الاحتمالات ، ثم قال : " حسناً . إذا اختفيت عنهم لفترة طويلة ، فقد يصابون بالإحباط ويأسرون روران لإجبارى على إظهار نفسى . إذا لم تفلح الحيلة فسيقتلونه للتشفى منى . وإذا أصبحت العدو الأول للإمبراطورية ، قد يستخدمونه كطعم للإيقاع بى . وإذا قابلت روران سيعرفون بالأمر ويعذبونه ليعترف بمكانى " .

" جيد جداً ، لقد فكرت في كل هذا بشكل صحيح " .

" لكن ما الحل ؟ لن أدعهم يقتلونه ! " .

شبك بروم يديه وقال : " الحل واضح يجب على روران أن يتعلم الدفاع عن نفسه . سيبدو هذا قاسياً لكن ، كما قلت أنت ، لن تجازف بمقابلته . قد لا تذكر ذلك - كنت مصاباً بالهذيان وقتها - لكن عندما غادرنا دفاهول أخبرتك أننى تركت لروران رسالة تحذيرية ولذلك فهو مستعد لمواجهة الخطر . إذا كان يتحلى بالعقل ، فعندما يظهر الرازاك مرة أخرى فسيأخذ بنصيحتى ويهرب " .

قال إيراجون بتعاسة : " لا أحب ذلك " .

" لكنك نسيت شيئاً " .

صاح : " ما هو ؟ " .

" يوجد جزء إيجابى في كل هذا ، الملك لن يتحمل فكرة وجود فارس وراكب تنين يتجول فى الإمبراطورية ولا يتحكم فيه ، جالباتوريكس هو الفارس الوحيد فى الإمبراطورية غيرك ، ويرغب في أن يجعلك تحت إمرته ، وقبل أن يحاول قتلك أو قتل روران ، سيعرض عليك فكرة

أن تعمل فى خدمتــه ، ولسـوء الحـظ ، فإنــه إذا أمسـك بـك سيكون قد فات أوان أن ترفض وتظل على قيد الحياة " .

" هل تسمى هذا كله إيجابيا ؟ " .

" بل هذا ما سيحمى حياة روران ، مادام الملك لا يعرف هل أنت معه أم ضده ، فلن يجازف بإبعادك عنه بإيذاء ابن خالك . واحتفظ بهذه المعلومة فـى ذهنـك جيـداً : لقـد قتـل الرازاك جارو ولكن كان هذا قراراً خاطئـاً مـن جـانبهم فـى رأيي وليس من جانب الملك ، فما أعرفة عـن جالبـاتوريكس يقول إنـه لن يقدم على ذلك إلا إذا كانت له مصلحة " .

قال إيراجون بحدة : " كيف سأتمكن من تلبيـة رغبـة الملك وهو يهددنى بالقتل ؟ " .

تنهد بروم ، ثم ذهب وغسل يديـه فـى حـوض مـن مـاء الورد على منضدة بجوار الفراش ثم قال : " جالبـاتوريكس يريد تعاونك بإرادتك ، وبدون ذلك لن تكون ذا فائـدة لـه ، لذلك يكون السؤال : إذا كان أمامك الخيار فهل ستموت من أجل ما تؤمن به ؟ فهذا هو الأسلوب الوحيد لـرفض طلبـات الملك " .

ظل السؤال معلقاً فى الهواء بلا إجابة .

قال بروم فى النهاية : " إنـه سؤال صعب ، ولن تـتمكن من إجابته عندما تواجه به هكـذا مباشـرة ، لكـن ضـع فـى اعتبارك أن الكثير من الناس يموتـون مـن أجـل مـا يؤمنـون بـه ، فهذا أمر شائع ، لكن الشجاعة الحقيقية هى أن تعيش وتعانى من أجل ما تؤمن بـه " .

الساحرة والهر المسحور

استيقظ إيراجون فى وقت متأخر من صباح اليوم التالى ، وارتدى ملابسه وغسل وجهه فى حوض الماء ثم أمسك بالمرآة لأعلى ومشط شعره كما كان بالأمس ، ولكن انعكاس صورته فى المرآة كان به ما يسترعى انتباهه وجعله يتوقف وينظر عن قرب لوجهه الذى تغير منذ نزوحه من كارفاهول منذ فترة طويلة . لم يعد بوجهه دهون زائدة كما هى عادة الفتية فى مثل سنه حيث احترقت الدهون الزائدة بسبب أيام طوال فى السفر والمبارزة والتدريب ، وكانت عظام وجنتيه بارزة أكثر وعظام فكه كانت أكثر حدة ، وكانت نظرات عينيه غائرة مما أعطى لوجهه عند النظر عن قرب مظهراً غريباً وعنيفاً . أبعد المرآة عنه وهو لا يزال ممسكاً بها فبدا له وجهه بشكله المعتاد ـ لكنه ظل يشعر أنه ليس وجهه .

شعر بالتوتر قليلاً ، فارتدى قوسه على ظهره مع جعبة سهامه ، ثم غادر حجرته ولكن قبل أن يصل لنهاية الردهة

لحق به الخادم وقال : " سيدى ، لقد ذهب نيال مع سيدى إلى القلعة فى الصباح الباكر ، ويخبرك أن اليوم متروك لك لكى تفعل ما يحلو لك ؛ لأنه لن يعود قبل المساء " .

شكره إيراجون على الرسالة ثم بدأ بكل حماس استكشاف مدينة تيرم . ظل لساعات يجوب الشوارع ويدخل كل متجر يروق له ويثرثر مع أناس مختلفين ، وفى النهاية أجبره الجوع وعدم وجود مال معه على العودة إلى منزل جيود .

عندما وصل للشارع الذى يسكن فيه جيود ، توقف عند متجرٍ بائعة الأعشاب العلاجية بجوار المنزل . كان مكاناً غريباً ولا يبدو كمتجر ، فالمتاجر كلها كانت على أطراف المدينة ، وليست بين المنازل الفخمة . حاول النظر عبر النوافذ ، لكنها كانت مغطاة بطبقة كثيفة من النباتات المتسلقة من الداخل فشعر إيراجون بالفضول ، فدخل المتجر .

فى البداية لم ير شيئاً لأن المتجر كان مظلماً للغاية ، لكن سرعان ما اعتادت عيناه على الضوء الضعيف المائل للاخضرار الذى يدخل عبر النوافذ . كان هناك طائر ملون له ذيل طويل مغطى بالريش وله منقار حاد وقوى ، نظر إلى إيراجون بفضول من قفصه القريب من النافذة . كانت الحوائط مغطاة بالنباتات ؛ وأعراش العنب معلقة على السقف وتغطى كل شىء عدا مصباحًا قديمًا ، وعلى الأرضية إصيص كبير به زهرة صفراء . وعلى مائدة مستطيلة طويلة كانت هناك مجموعة كبيرة من الأدوات مثل الهون وأدوات

الطرق والدق وآنية معدنية وكرة كريستال شفافة في حجم رأس إيراجون .

سار نحو المائدة وهو يتجنب الاصطدام بالآلات المعقدة وصناديق الصخور وأكوام اللفائف الورقية والأشياء الأخرى التي لم يتعرف عليها ، كان الحائط خلف المائدة مغطى بأدراج من كل الأحجام ، وبعضها لم يكن أكبرٍ من أصغر أصابع إيراجون ، بينما كان البعض الآخر ضخماً في حجم البرميل ، وكانت هناك مسافة قدرها قدم واحد بين الرفوف العليا .

ظهر زوج من العيون الحمراء من مكان مظلمٍ ، وقفز هر ضخم وشرس على المائدة . كانٍ جسده ممشوقاً وذا مخالب ضخمة ووجهه المثلث محاطاً بشعر كث وغير مهذب ، وأذناه محاطة بشعر أسود قصير ، وتطل من فكيه أنياب حادة بيضاء منحنية خارج الفم . عامةً لم يبد كهر عادى كالهررة التي رآها . ظل هذا الهر يفحصه بعينيه الخبيرتين ، ثم هز ذيله في عدم رضا .

في نزوة قام إيراجون بالوصول لوعي الهر عن طريق ذهنه كما يفعل مع سفيرا . حاول إفهامه بلطف وهو يتطرق لذهنه أنه مجرد صديق .

" لست مضطراً لأن تفعل ذلك " .

نظر إيراجون حوله في فزعٍ . تجاهله الهر ولعق مخالبه . قال إيراجون ذهنيا : *" سفيرا ؟ أين أنت ؟ "* ، لكنه لم يتلق أى إجابة . شعر بالحيرة فمال ناحية المائدة وأمسك بما يشبه العصا الخشبية .

" لن يكون ذلك تصرفاً عاقلاً " .

صاح : " *كفى عن الاعيبك يا سفيرا* " ، ثم التقط العصا . فصعقة تيار كهربى وسقط على الأرض وهو يرتعد ويتلوى من الألم . تسلل الألم خارج جسده تدريجيا ، وأخذ يشهق ، ثم قفز الهر ونظر إليه .

وقال : " *لقد حذرتك . لست ذكياً جداً كفارس من راكبى التنين* " .

صاح إيراجون فى دهشة : " *أنت تتكلم !* " .

تثاءب الهر ومدد وقفز عبر الأرضية ، وهو يسير فى طريق متعرج حول الأشياء المنثورة على الأرض .

" *ومن هنا غيرنا ؟* " .

صاح معترضا : " *لكنك مجرد هر !* " .

صاح الهر وسار ببطء نحوه ، ثم قفز على صدره وجلس عليه وهو ينظر إليه بعينيه البراقتين . حاول إيراجون النهوض لكنه صاح وفتح فاه فظهرت أنيابه : " *هل أبدو كباقى الهررة ؟* " .

" *كلا ....* "

" *إذن لماذا تظن أننى هر ؟* " ، هم إيراجون بقول شىء ما ، لكن هذا المخلوق غرس مخالبه فى صدره . " *من الواضح أنك لم تتلق أى تعليم . لكى أصحح خطأك ، فأنا هر مسحور ، لم يبق من نوعى الكثير لكن أظن أنه حتى فتى مزارع مثلك بالتأكيد سمع عنا* " .

انبهر إيراجون وصاح : " *لم أعرف أنكم مخلوقات حقيقية* " . هر مسحور ! شعر إيراجون أنه محظوظ حقاً . كانت هذه المخلوقات لها وجود بالنسبة له فى الحكايات حيث تعيش فى هدوء وتقدم النصائح عادة . إذا كانت تلك

الأساطير صحيحة ، فهي مخلوقات لها قوى سحرية وتعيش أعماراً أطول من الإنسان وتعرف أكثر مما تتفوه به .

رمش بعينيه في تراخ وكسل وقال : *" المعرفة مستقلة عن الوجود ؟ لم أعلم بوجودك إلا عندما دخلت وأزعجت نومى ، لكن هذا لا يعنى أنك لم تكن حقيقياً قبل أن توقظنى "* .

تاه إيراجون فى كلامها المنطقى وقال : *"آسف على إزعاجك "* .

قال له : *" كنت ساستيقظ على اية حال "* . ثم قفز على المائدة مرة أخرى ولعق مخالبه ، ثم قال : *"لو كنت مكانك لما أمسكت بالعصا لفترة أطول ؛ لأنها سوف تصعقك خلال ثوان "* .

وضع إيراجون العصا مكانها بسرعة وقال : *" ما هذا ؟ "* .

" عمل فنى عادى وممل ، ليس مثيراً مثلى " .

"لكن ما فائدتها ؟ " .

" ألم تعرف بعد ؟ " انتبه من لعق مخالبه ومدد عضلاته مرة أخرى ثم عاد قفزاً إلى مكان نومه وجلس وأخفى مخالبه تحت صدره وأغلق عينيه وخرخر فى رضا .

قال إيراجون :

" انظر ، ما اسمك " فتح إحدى عينيه المغلقتين وقال : *" لدىَّ عدة أسماء ، لكن اسمى الأول لن أبوح لك به ، فابحث عنه فى مكان آخر "* ، ثم أغلق عينيه فاستسلم إيراجون وتأهب لمغادرة المكان فباغته بقوله : " على أية حال نادنى " سوليمبوم " .

قال إيراجون بجدية : " *شكرا لك* " . وزاد صوت خرخرته .

انفتح الباب الخاص بالمتجر وبذلك دخل ضوء الشمس . دخلت أنجيلا ومعها حقيبة من القماش مليئة بالنباتات . نظرت إلى سوليمبوم وبدا عليها الدهشة وقالت : " يقول إنه تحدث معك وتحدثت معه " .

قال لها إيراجون : " هل يمكنك التحدث معه أنت أيضاً ؟ " .

هزت رأسها وقالت : " بالطبع ، لكن هذا لا يعنى أنه سيعيد على مسامعى ما قاله لك " . وضعت النباتات على المائدة ثم سارت خلفها وواجهته وقالت : " إنه يحبك ، وهذا شيء غير معتاد ، فمعظم الوقت سوليمبوم لا يظهر نفسه للزبائن . فى الواقع يقول إنك مبشر بالخير إذا عملت وتدربت لبضع سنوات " .

" شكراً لك " .

" إنه مديح منه إليك ، أنت الشخص الوحيد الذى جاء إلى هنا وتمكن من التحدث معه . كانت أول من تحدث معه سيدة منذ سنوات طويلة ، والثانى شحاذ أعمى والآن أنت . لكنى لا أفتح متجرى للثرثرة ، هل تريد أى خدمة ؟ أم أنك جئت للاستطلاع من باب الفضول ؟ " .

قال لها : " بل من باب الفضول فقط " ، وكان ذهنه مشغولاً بالقط المسحور . وأضاف : " كما أننى لا أريد أى أعشاب " .

قالت أنجيلا وهى تبتسم : " ليس هذا كل ما أفعله ، فالأثرياء الحمقى يدفعون لى مقابل الحصول على أكسير

الحب وأشياء مشابهة . لا أدعي أبداً أنها تعمل ، لكن بسبب استمرارهم في التردد عليَّ ، لا أظن أنك تحتاج إلى تلك الأمور المعقدة الخادعة ، هل تحب أن أقرأ لك الطالع ؟ أنا أقوم بذلك للثريات الحمقاوات " .

ضحك إيرَاجون وقال : " كلا ، أخشى أن حظي وطالعي لا يمكن قراءته كما أنني لا أملك المال الآن " .

نظرت أنجيلا إلى سوليمبوم بفضول وقالت : " أظن .... " ، ثم أشارت للكرة الكريستال على المائدة وقالت : " هذه للعرض فقط على أية حال - فهي لا تفعل شيئاً . لكن لديَّ بالفعل .... انتظرني هنا ؛ سأعود حالاً " . وأسرعت إلى حجرة في مؤخرة المتجر .

عادت وهي تتلاحق أنفاسها وكانت تحمل حقيبة جلدية وضعتها على المائدة وقالت : " لم أستخدمها منذ فترة طويلة ، كدت أنسى مكانها . والآن ، اجلس أمامي وستعرف سر كل هذا العناء " . جلس إيراجون على مقعد قريب ، ولمعت عينا سوليمبوم من الفتحة في الأدراج .

وضعت أنجيلا قطعة سميكة من القماش على المائدة ثم وضعت عليها كمية ملء الكفين من العظام الملساء وكلٍ عظمة كانت أكبر قليلاً من الإصبع . كانت العظام محفورا عليها رموز غريبة على جوانبها ، قالت أنجيلا وهي تلمس العظام بلطف : " هذه عظام مفاصل يد تنين . لا تسألني كيف حصلت عليها فلن أطلعك على ذلك . لكن على عكس أوراق الشاي أو الكرة الكريستال أو حتى ورق اللعب فهذه لها قوى حقيقية . وهي لا تكذب أبدًا ، لكن فهم مغزى رسالتها ... معقد . إذا أحببت ، سوف أجربها على

القماشة وأقرأ لك طالعك . لكن عليك أن تفهم أن معرفة مصير المرء شيء فظيع . تأكد من قرارك أولاً " .

نظر إيراجون إلى العظام في رعب وقال لنفسه : " *هذه عظام حيوان من جنس سفيرا . معرفة مصيرى وقدرى .... كيف أتخذ قراراً وأنا لا أعرف ماذا تخبئ لى الأقدار وهل سيعجبنى أم لا ؟ الجهل نعمة أحياناً* " ، ثم قال لها : " لماذا تعرضين علىَّ هذا العرض ؟ " .

" بسبب سوليمبوم ، ربما هو وقح لكن حقيقة أنه تحدث معك يجعلك شخصا مميزاً ، فهو قط سحرى على أية حال . لقد عرضت عليك ذلك ؛ لأن هذا ما عرضته على الشخصين الآخرين اللذين تحدثا معه . وقد وافقت امرأة فقط ، وكان اسمها سيلينا ، وقد ندمت على ذلك لأن طالعها كان مؤسفاً ومؤلماً . لا أعتقد أنها صدقت نبوءاتى - على الأقل فى البداية " .

اجتاحت المشاعر إيراجون وترقرقت الدموع فى عينيه وهمس لنفسه : " *سيلينا !* " كان هذا اسم أمه . " *هل هى أمى حقاً السيدة التى جاءت إلى هنا ؟ هل كان مصيرها مظلماً لدرجة أنها اضطرت إلى أن تهجرنى ؟* " ، قال إيراجون لها : " هل تذكرين أى شيء عن طالعها ؟ " ، وشعر بالغثيان .

هزت أنجيلا رأسها بالنفى ثم تنهدت وقالت : " كان هذا منذ زمن بعيد والتفاصيل تاهت عن ذاكرتى ، فهى ليست كما كانت ، والقليل الذى أتذكره لن أخبرك به ، فهو يخصها وحدها . لكنه كان شيئاً حزيناً ؛ ولن أنسى مطلقاً تعابير وجهها حين سمعته " .

أغلق إيراجون عينيه وحاول بكل قوة السيطرة على انفعالاته : " لماذا تشكين من ذاكرتك ؟ أنت لست كبيرة فى السن " . قال لها ذلك لكى يبعد تفكيره عن أمه .

ابتسمت أنجيلا وظهرت غمازتان على خديها وقالت : " يسرنى إطراؤك لى ، لكن لا تنخدع فأنا أكبر سناً من مظهرى ومظهر شبابى يعود إلى تناولى للأعشاب عندما كانت الأحوال المادية سيئة ولم أكن أملك ثمن الطعام " .

ابتسم إيراجون وأخذ نفساً عميقاً وقال لنفسه : *" إذا كانت هى أمى وتحملت سماع طالعها ؛ فأنا أيضاً سأتمكن من ذلك "* . قال لأنجيلا بجدية : " اقرئى لى الطالع " .

اكتسى وجهها بالجدية وهى تحمل العظام بيديها ، وأغلقت عينيها وتحركت شفتاها وهى تتمتم ، ثم قالت بصوت عال : *" مانين ! ويردا ! هوجين ! "* ثم ألقت بالعظام على قطعة القماش ، ووقعت العظام وهى مبعثرة وكانت تلمع فى الضوء الخافت .

كان لتلك الكلمات رنين لدى أذن إيراجون ؛ فلقد أدرك أنها من اللغة القديمة وتوجس خيفة فى أنها كلمات تستخدم للسحر وهذا يعنى أن أنجيلا ساحرة ؛ لم تكن تكذب ؛ فهذه قراءة الطالع الحقيقية . مرت الدقائق ببطء وهى تدرس العظام بنظرة فاحصة .

فى النهاية رجعت بظهرها ببطء إلى الوراء وتنهدت تنهيدة طويلة ، ومسحت حاجبها وسحبت قربة جلدية مليئة بالشراب من تحت المائدة وقالت : " هل تريد أن تشرب معى ؟ " ، هز إيراجون رأسه بالنفى . هزت كتفيها

دون اكتراث وتجرعت جرعة كبيرة ثم مسحت فمها وقالت : " هذه أصعب قراءة طالع قمت بها ، كنت على حق ؛ فمن المستحيل رؤية مستقبلك ، لم أر مصيراً لشخص معقداً وغامضاً هكذا من قبل . لكنى تمكنت بمشقة من استخلاص بضع معلومات " .

قفز سوليمبوم على المائدة واستقر عليها وراقب كلاً منهما . ضغط إيراجون على يديه عندما أشارت أنجيلا لإحدى العظام وقالت ببطء : " سأبدأ من هنا لأنها أسهل النقاط فهماً " .

كان الرمز على أول العظمة عبارة عن خط أفقى طويل وبه دائرة فوقه . قالت له بهدوء : " هذا يدل على حياة مديدة وعمر طويل . هذه أول مرة أجدها تظهر لأحد فى طالعه . فى كل مرة أجد نبات الدردار ومعناه أن الشخص سيحيا مدى سنوات عادية لعمر الإنسان . لكن هل هذا يعنى أنك مخلد أو أن حياتك ستطول بشكل غير عادى ، لا أعلم على وجه اليقين . لكن مهما كان ، فعمرك طويل ".

قال إيراجون لنفسه : *" لست مندهشاً . فأنا أحد الفرسان راكبى التنين "* . هل أنجيلا ستطلعه على ما يعرفه بالفعل ؟

" والآن من الصعب قراءة العظام ، فباقى العظام كومة مبعثرة " ، ثم لمست أنجيلا ثلاثًا منها ثم قالت : " هنا طريق السفر ، وهنا صاعقة البرق ، ثم وهنا سفينة مبحرة وكلها مربوطة معاً ـ وهو نمط لم أره فى العظام من قبل ولم أسمع عنه . الطريق يوضح أنه توجد خيارات كثيرة متاحة لك فى المستقبل وبعضها تواجهها حاليا . أرى معارك كبرى

محتدمة من حولك ، وبعضها بسببك . كما أننى أرى القوى الخارقة في هذه البلاد تناضل من أجل التحكم فى إرادتك ومصيرك . أحداث مستقبلية لا تعد ولا تحصى فى انتظارك ـ كلها مليئة بالدماء والصراع ـ لكن أحدها سيجلب لك السعادة والراحة . احترس من الضياع فى الطريق ؛ لأنك من المحظوظين القلائل الذين سيختارون مصيرهم بحرية حقاً . هذه الحرية نعمة لكنها مسئولية تكبلك أكثر من الأغلال والأصفاد " .

وعندئذ بدت نبرة حزن على صوتها وهى تقول : " لكن فى مقابل كل هذا توجد صاعقة برق ، وهذا نذير شؤم كبير . توجد لعنة عليك لكنى لا أعلم نوعها . جزء منها يكتنفه الموت ـ موت أحدهم يقترب منك ويحزنك للغاية ، والباقى فى رحلة حياتك . انظر لهذه العظمة جيداً ، سترى نهايتها ترتبط مع العظمة التى تشير للسفينة المبحرة . من المستحيل أن أسيء فهم ذلك ؛ قدرك هو مغادرة هذه البلاد إلى الأبد ، لكن لا أعلم إلى أين ، لكنك لن تعود إلى آلاجيشيا أبداً . لا مفر من هذا المصير ، وسيحدث مهما حاولت أن تتجنبه " .

تلك الكلمات أصابت إيراجون بالرعب : " *موت آخر .... من عساى سأفقده الآن ؟* " ذهبت أفكاره إلى روران فوراً ، ثم فكر في بلاده . " ما الذى سيدفعنى للرحيل ؟ وإلى أين سأذهب ؟ فإذا كانت هناك أراض عبر البحر أو إلى الشرق ، فإنه لا يعرفها سوى الإلف " .

حكت أنجيلا جبهتها وتنفست بعمق ثم قالت : " من السهل قراءة العظمة التالية كما أنها تحمل خبراً ساراً " .

فحصها إيراجون بنظرة فاحصة ورأى زهرة يانعة منحوتة بين الهلال .

ابتسمت أنجيلا وقالت : " فى طالعك قصة حب عنيفة ومليئة بالمغامرات ، وهى غير عادية كما يوضح القمر ـ لأنه رمز سحرى ـ وهذا الحب سيكون قويا جدا لدرجة أنه سيعيش إلى الأبد أكثر من أية إمبراطورية ظهرت على وجه الأرض . لا أعرف هل سينتهى نهاية سعيدة أم لا ، لكن محبوبتك من أصل نبيل وذات حسب ونسب وهى قوية وحكيمة وجمالها لا يضاهيه جمال " .

قال إيراجون لنفسه فى دهشة : *" لها أصل نبيل ؛ كيف سيحدث ذلك ؟ إن شكلى لا يدل إلا على أننى من أفقر المزارعين "* .

" والآن آخر عظمتين : الشجرة وجذر زهرة السياج وهما مترابطتان بشكل قوى . أتمنى لو لم أقل ذلك ـ لكن لابد أن هناك مشاكل أخرى ـ الخيانة واضحة جداً ، وستأتى من أحد أفراد أسرتك " .

صاح إيراجون معترضاً : " مستحيل أن يخوننى روران ! " .

قالت أنجيلا بحرص : " لا أعرف ، لكن العظام لا تكذب ، وهذا هو ما تقوله " .

تسلل الشك لعقل إيراجون لكنه حاول أن يتجاهله . ما السبب الذى سيجعل روران يخونه ؟ هدأت أنجيلا من روعه بوضع يديها على كتفيه . وقدمت له قربة الشراب مرة أخرى . وفى هذه المرة قبل إيراجون أن يشرب وشعر بالتحسن .

قال بسخرية مريرة وبعصبية : " حسناً ، مرحباً بالموت " ، وقال لنفسه : *" خيانة من روران ؟ مستحيل أن تحدث ! "* .

قالت أنجيلا بجدية : " الموت قد يرحب به " ، ثم ضحكت وقالت : " لكن لا تجزع مما هو آت ولم يحدث بعد . الطريقة الوحيدة التى سيؤذينا بها المستقبل هى أن يدعنا فريسة للقلق . أنا أؤكد لك أنك ستشعر بتحسن عندما تخرج لضوء الشمس " .

" ربما " ، ثم قال لنفسه بمرارة : *" لسوء الحظ أن ما قالته لن يكون له معنى إلا إذا حدث ؛ وإذا وقع فعلاً فأنا أشك فى صحة هذا الكلام "* .

ثم قال لها بهدوء : " لقد استخدمت كلمات القوى السحرية " .

رمشت بعينيها وقالت : " أتمنى معرفة ما سيحدث لك فى باقى حياتك حتى لو دفعت كل شىء لقاء ذلك ! يمكنك التحدث مع القط السحرى وتعرف اللغة القديمة ، ولديك مستقبل مثير . ومستحيل أن تحب فتاة ثرية ذات حسب ونسب فتى مثلك بلا مال وملابسه ممزقة من السفر . من أنت ؟ " .

أدرك إيراجون أن القط المسحور لم يخبرها بأنه من الفرسان راكبى التنين . فهمَّ بأن يقول لها اسمه المستعار إيفان ، لكنه غير رأيه وقال لها ببساطة : " إيراجون " .

رفعت أنجيلا حاجبيها فى دهشة وقالت : " هل هذا اسمك أم مكانتك ؟ " .

قال لها وهو يبتسم مفكراً فى معنى اسمه : " كلاهما معاً " .

" أنا الآن مهتمة جداً بمعرفة ما سيحدث لحياتك . من الرجل ذو الملابس المهترئة الذى كان معك بالأمس ؟ "

قرر إيراجون أنه لن يحدث ضرر من إظهار اسم بروم فقال : " اسمه بروم " .

انفجرت ضحكة عالية فجأة من أنجيلا وكادت تقع من فرط السعادة . مسحت على عينيها وارتشفت جرعة من الشراب ثم قاومت القهقهة مرة أخرى . فى النهاية أخذت نفساً عميقاً وقالت بصعوبة : " ياه .... هو دون باقى الناس! لم تكن لدى أدنى فكرة ! " .

صاح إيراجون : " ما الأمر ؟ " .

أخفت ابتسامتها وقالت : " كلا ، كلا ، لا تغضب ، كل ما فى الأمر ـ حسناً ، يعرفه كل من يعمل فى مهنتى ، وأخشى أن يكون مصير هذا الرجل المسكين أو ـ مستقبله كما تريد ـ نكتة بيننا " .

صاح بها : " لا توجهى الإهانات له ! إنه أفضل وأخلص الرجال ! " .

وبخته أنجيلا بمرح وقالت : " اهدأ ، اهدأ ، أعلم ذلك ، وإذا تقابلنا مرة أخرى فى الوقت لمناسب سأطلعك على كل شيء . لكن حالياً يجب عليك ـ " ، ثم توقفت عن الكلام بينما دخل بينهما سوليمبوم وجلس بينهما وحدق إلى إيراجون بعينين لا ترمشان .

سأله إيراجون بغضب : " ماذا تريد ؟ " .

قال القط المسحور : " *استمع بإنصات وسأخبرك بشيئين . عندما تحتاج لسلاح في أي وقت ابحث تحت جذور شجرة مينوا . وعندما يبدو وكأن كل شيء ضاع وقواك لا تكفي ، اذهب إلى صخرة كوثيان وتفوه باسمك لفتح قبو الأرواح .*

وقبل أن يفهم إيراجون ما يعنيه سوليمبوم ، سار القط المسحور بعيداً وهو يهز ذيله برشاقة . مالت أنجيلا برأسها وكانت خصلات شعرها الكثيفة المتكورة تخفي جبهتها وقالت : " لم أسمع ما قاله لك ولا أريد أن أعرفه ؛ فلقد تحدث لك بمفردك . لا تخبر أحداً بما قاله لك " .

قال إيراجون وهو يرتجف : " أعتقد أنه يجدر بي الذهاب " .

ابتسمت أنجيلا مجدداً وقالت : " إذا أردت ذلك فافعل ؛ ومرحباً بك إذا أردت البقاء هنا للمدة التي تروق لك ، خاصة لو أردت شراء بعضاً من بضائعي ، لكن اذهب إذا أردت ، فأنا متأكدة من أنني أعطيتك كماً كبيراً من المعلومات تريد أن تتأمله وتتمعنه لفترة " .

قال إيراجون بسرعة : " نعم ، وشكراً على قراءة طالعي " ، وسار نحو الباب وهو لا يعرف هل هو شاكر فعلاً أم لا .

قالت أنجيلا وهي لاتزال تبتسم : " على الرحب والسعة " .

خرج إيراجون من المتجر ووقف في الشارع وهو يغمض عينيه حتى اعتادتا على الضوء المبهر . وبعد مرور بضع دقائق بدأ يفكر بهدوء فيما علمه . بدأ يمشي وزادت سرعة

سيره بشكل لا إرادى منه حتى خرج مسرعاً من مدينة تيرم ، وركض بأقصى سرعة واتجه إلى مخبأ سفيرا .

نادى عليها من سفح التل ، وبعد دقيقة واحدة طارت لأسفل وحملته لأعلى التل ، وعندما هبطا على الأرض بأمانٍ أخبرها إيراجون بكل ما حدث اليوم وأنهى كلامه قائلا : *" وهكذا أظن أن بروم على حق ؛ فأنا أقحم نفسى فى مشاكل كثيرة "* .

" تذكر ما قاله لك القط المسحور فهو مهم " .

قال إيراجون بفضول : *" كيف علمت ذلك ؟ "* .

قالت : " لست متأكدة ، لكن الأسماء التى استخدمها تبدو قوية " . ظلت سفيرا تردد اسم كوثيان وهى تتدبر فيه ثم قالت : " نعم ، لا يجب أن تنسى ما قاله " .

" هل تعتقدين أننى يجب أن أخبر بروم ؟ " .

" هذا الخيار متروك لك ، لكن فكر فيما يلى : ليس من حقه معرفة مستقبلك . إن إخباره عن سوليمبوم وكلماته سيثير تساؤلات قد لا ترغب فى الإجابة عليها ، وإذا سألت عن معنى الكلمات فسيسألك عن مصدرها . هل تظن أن بإمكانك الكذب عليه بصورة مقنعة ؟ " .

قال إيراجون : *" كلا . غالباً لن أقول له أى شىء ، لكن الأمر قد يكون فى غاية الأهمية ولا ينبغى إخفاؤه "* . ظلا يتجاذبان أطراف الحديث حتى انتهى الكلام ، ثم جلسا فى صمت يؤنسان بعضهما البعض ويشاهدان الأشجار حتى مالت الشمس للمغيب .

أسرع إيراجون بالعودة إلى تيرم وسرعان ما كان يطرق باب منزل جيود وسأل الخادم : " هل عاد نيال ؟ " .

" نعم يا سيدى ، وأعتقد أنه في حجرة المكتب الآن " .

قال إيراجون : " شكراً لك " ، ثم سار بخطى واسعة للمكتب وألقى نظرة فوجد بروم يدخن غليونه بجوار المدفأة فسأله : " هل وفقت اليوم ؟ " .

صاح بروم وهو مازال مطبقاً على الغليون بفمه : " كان يومي سيئاً للغاية ! " .

" هل تحدثت إلى براند ؟ " .

" لم يفدنا ذلك ، فهذا المشرف على التجارة هو الأسوأ من نوعه في الموظفين البيروقراطيين ؛ حيث يلتزم بكل قاعدة ونص لائحة ويستمتع بابتكار القواعد من خياله لكى يضايق الناس ويزعجهم ، وفي نفس الوقت يظن أنه يفعل ما هو صواب " .

قال إيراجون متسائلاً : " إذن فهو لن يدعنا نطلع على السجلات ؟ " .

قال بروم بغضب : " كلا ! ، ولم أفلح في إقناعه واستمالته ، لقد رفض الرشاوى ! كانت مبالغ كبيرة حقاً ، لم أظن أننى سأقابل رجلاً في مثل مكانه وليس فاسداً ، ولكن ها قد حدث ، وأنا أفضل الموظفين الطماعين " ، ثم نفث دخان غليونه في غضب وظل يسب ويلعن .

عندما بدأ يهدأ قال إيراجون متردداً : " إذن ، ماذا سنفعل الآن ؟ " .

" سأستغل الأسبوع التالى بأكمله لكى أعلمك القراءة " .

" وبعد ذلك ؟ " .

ابتسم بروم ابتسامة عريضة وقال : " بعد ذلك سنفاجئ براند مفاجأة سيئة " ، ظل إيراجون يلح ويضايق بروم لكى يوضح له تفاصيل تلك المفاجأة لكن بروم رفض قول المزيد .

تم إعداد العشاء فى قاعة طعام فخمة وجلس جيود على رأس المائدة وجلست زوجته هيلين ـ وكانت عيناها جامدتين من كثرة البكاء ـ على الناحية الأخرى من المائدة . وجلس بينهما بروم وإيراجون ، مما جعل إيراجون يشعر بعدم الراحة وكان على جانبيه مقاعد خالية ، لكنه لم يمانع فى ذلك ، فلقد ساعده هذا على أن يحتمى من نظرات مضيفتهما الحادة .

تم تقديم الطعام فى هدوء ، وبدأ جيود وهيلين فى تناول الطعام بدون كلام ، فتبعهما إيراجون وهو يفكر : *"لقد تناولت وجبات فى جو مرح أكثر فى الجنائز"* وقد حدث ذلك بالفعل فى كارفاهول . تذكر إيراجون كيف حضر جنائز كثيرة لم تكن حزينةً إلى هذه الدرجة كما هو حاله الآن . كان الأمر هنا مختلفاً ؛ وقد شعر بالاستياء الشديد التى أظهرته هيلين تجاهه طوال الوقت الذى كان يتناول فيه العشاء .

عن القراءة والخطط

كتب بروم حرفاً على رقعة جلدية بالفحم ثم أظهرها لإيراجون وقال : " هذا حرف " أ " تعلمه " .

وهكذا بدأ إيراجون مهمة تعلم القراءة والكتابة . كان الأمر صعباً وغريباً ، ولقد شحذ كل قواه الذهنية لكى يتكيف مع الأمر لكنه استمتع بذلك . ومع عدم وجود شيء آخر يفعله ومع وجود معلم بارع - وإن كان لا يتحلى بالصبر أحياناً - تقدم إيراجون سريعاً .

وسرعان ما تم وضع روتين يومى لحياتهما . كل يوم يستيقظ إيراجون ويتناول الطعام فى المطبخ ثم يذهب للمكتبة من أجل الدروس ؛ حيث يبذل أقصى جهده لحفظ الأصوات الخاصة بالحروف وقواعد الكتابة ، لدرجة أنه عندما يغلق عينيه كانت تتراقص الحروف فى الكلمات فى ذهنه . لم يفكر فى أى شيء آخر إلا نادراً فى هذا الوقت .

وقبل وجبة العشاء ، كان هو وبروم يذهبان خلف منزل جيود ويتبارزان . كان الخدم وزمرة من الأطفال المندهشين

يأتون للمشاهدة . وإذا تبقى وقت بعد ذلك كان إيراجون يتدرب على السحر فى حجرته ، مع غلق الستائر بإحكام .

كان ما يثير قلقه شيئًا واحدًا هو سفيرا . كان يزورها كل ليلة ، لكن الوقت الذى كان يقضيه معها لم يكن يكفى لكليهما . وفى أثناء النهار تقضى سفيراً معظم الوقت فى الصيد على بعد فراسخ من المدينة بحثاً عن الطعام ؛ ولم تتمكن من الصيد بالقرب من تيرم حتى لا تثير الشبهات ، فعل إيراجون كل ما فى وسعه من أجلها ، لكن الحل الوحيد لسد جوعها ولشعورها بالوحدة كان أن تترك المدينة وتبتعد لمسافة كبيرة .

وفى كل يوم كانت تيرم تتلقى أخباراً سيئة . فالتجار الوافدون يذكرون أنباء عن الهجمات المرعبة عبر ساحل البحر ، وكانت هناك أنباء قد وردت عن أناس أقوياء يختفون من منازلهم فى جنح الظلام ثم يتم اكتشاف جثثهم المشوهةِ التى يُمثل بها فى الصباح ، وكان إيراجون يسمع كثيراً بروم وجيود يتناقشان فى تلك الأحداث بصوت خفيض ، وكلما اقتربٍ منهما كانا يلوذان بالصمت .

مرت الأيام سريعاً وسرعان ما انقضى أسبوع ، وكانت مهارات إيراجون مازالت بدائية لكنه كان يتمكن الآن من قراءة صفحات بأكملها دون اللجوء إلى مساعدة بروم . كان يقرأ ببطء لكنه كان يعرف أن السرعة ستأتى بمرور الوقت . شجعه بروم قائلاً : " مهما حدث ، ستؤدى ما خططت له كما يجب " .

فى وقت ما بعد الظهيرة استدعى بروم جيود وإيراجون إلى حجرة المكتب ، وأشار بروم لإيراجون قائلا : " الآن يمكنك مساعدتنا ، حان الوقت للتقدم " .

قال إيراجون : " ما الذى تنويه ؟ " .

ظهرت ابتسامة مرحة على وجه بروم ، وزمجر جيود قائلاً : " أعرف هذه النظرة ؛ هذه ما أوقعتنا فى مشاكل فى المقام الأول " .

قال بروم : " مبالغة بسيطة لكن مسموح بها . حسناً ، إليكما الخطة " .

قال إيراجون لسفيرا وهو فى حجرته عن طريق الاتصال الذهنى : *" سنغادر المدينة الليلة أو غداً "* .

" هذا شىء غير متوقع . *هل ستكون فى أمان أثناء تلك المغامرة ؟ "* .

هز إيراجون كتفيه دون اكتراث قائلاً : *"لا أعرف ، قد ينتهى بنا الأمر بأن نهرب من تيرم والجنود فى أعقابنا "* . *شعر أنها فى حالة قلق وحاول أن يطمئنها : " سيكون كل شىء على ما يرام ، فأنا وبروم سنستخدم السحر ونحن نقاتل ببراعة "* .

استلقى على فراشه وحدق إلى السقف وكانت يداه ترتعشان قليلاً ، وكان هناك شىء ما عالق فى حنجرته . عندما غلبه النعاس شعر بالحيرة وأدرك ما يلى : *"لا أريد مغادرة تيرم . كان الوقت الذى قضيته هنا . عاديًا . لن أتنازل عن استقرارى وشعورى بالأمان "* . ثم جالت بخاطره فكرة أخرى بقوة : *"لن أنعم بالاستقرار فى أى مكان*

آخر . سوف يكون من الرائع أن أبقى هنا وأن أعيش مثل أى إنسان آخر ، ولكننى لن أتمكن من ذلك مطلقاً ما دامت سفيرا بعيداً عنى " .

سيطرت الأحلام على عقله الواعى وبدلته وحولته حسب أهوائها . أحياناً كان يرتعش من الخوف ، وأحياناً يضحك من فرط السعادة . ثم حدث تغيير ما - وكأن عينيه فتحت لأول مرة - وراوده حلم كان أوضح من غيره من قبل .

رأى امرأة شابة محنية الظهر من فرط الحزن ومصفدة بالأغلال فى زنزانة باردة وجامدة . كان شعاع ضوء القمر يظهر عبر النافذة ذات العمدان الحديدية فى أعلى الحائط وتنير وجهها . انحدرت عبر خدها عبرة واحدة كالماس السائل .

استيقظ إيراجون فى فزع ووجد نفسه يبكى لا إرادياً قبل أن يغلبه النعاس وينام نوما هنيئاً مريحاً .

لصوص فى القلعة

استيقظ إيراجون من غفوته وشاهد أشعة شمس الغروب الذهبية . أنارت الأشعة الحمراء والبرتقالية حجرته وفراشه وأدفأت ظهره مما أعطاه شعورا باللذة ، فتقاعس عن النهوض ثم غلبه النعاس مرة أخرى ، ثم ابتعد ضوء الشمس الدافىء فشعر بالبرد ، وغابت الشمس عبر الأفق وهى تضىء وتغمر البحر والسماء بلون برتقالى . قال إيراجون لنفسه : " *حان الوقت !* "

حمل القوس وجعبة السهام على ظهره ولكنه ترك السيف زاروك فى حجرته لأنه سيبطئ حركته ، فكان لا يرغب فى استخدامه . إذا أراد شل حركة العدو ، فسوف يستعمل أحد السهام أو السحر . قام بارتداء سترة بلا أكمام على قميصه وعقد رباطها بإحكام .

ظل ينتظر فى حجرته وهو متوتر ، حتى اختفى ضوء الشمس ، ثم دخل الردهة وهز كتفيه لكى يعدل من وضع

جعبة السهام لتكون فى وضع مريح على ظهره . جاءه بـروم وهو يحمل عصاه وسيفه .

كان جيود يرتدى سترة ضيقة وبنطالاً وكلاهمـا أسـود ، وكان فى انتظارهما بالخارج . كان يتدلى مـن خصـره سـيف رفيع وحقيبة جلدية مستديرة . نظر بروم للسيف وقـال : " هذا السيف رفيع جداً ولن يتحمل النزال الحقيقـى . مـاذا ستفعل لو طاردك أحد بسيف عـريض أو سـيف معقـوف ، مشرشر ؟ " .

قال جيود : " كن واقعياً ، لا أحد مـن الحـراس يحمـل سـيفاً معقوفـاً كمـا أن السـيف الرفيـع أسـرع مـن السـيف العريض " .

هز بروم كتفيه بلا اكتراث وقال : " إنها حياتـك أنـت على أية حال " .

ساروا معاً بشكل عـابر لا يلفـت الأنظـار فـى الشـارع ، وكانوا يتجنبون الحراس المختصين بالمراقبة وكذلك الجنود . كان إيراجون متوتراً وقلبه يدق بعنف . وعندما مروا بمتجر أنجـيلا كانـت هنـاك حركـة مريبـة علـى السـطح لفتـت انتباههم ، لكنهم لم يروا أحداً . شعر إيراجـون بقشـعريرة فى راحة يده فنظر إلى السقف مرة أخرى لكنه كان خالياً .

قادهم بروم عبر حائط السور الذى يحيط بمدينة تيرم ، وفى الوقت الذى وصلوا فيه إلى القلعة كانت الدنيا قد غرقت فى ظلام دامس . كانت حوائط القلعة الموصدة تجعل إيراجون يرتعد ؛ فقد كان يكره أن يسجن فيهـا . قادهمـا جيـود فـى صمت وسارٍ بخطى سـريعة نحـو البوابـات وهـو يحـاول أن يبدو هادئاً . طرق البوابة وانتظر .

انفتح شباك مغطى بشبكة حديدية وبرز منه حارس وقح وعصبى صاح فيهم بفظاظة : " ماذا تريدون ؟ " ، واشتم إيراجون رائحة الشراب من فمه .

قال جيود : " نبغى الدخول " .

حدق إليه الحارس وقال : " لماذا ؟ " .

" ترك هذا الفتى شيئًا ثميناً جداً فى مكتبى ، ويجب استعادته فى الحال " . تظاهر إيراجون بالخجل وكأنه يكسو وجهه وحنى رأسه قليلاً .

عبس الحارس وكان لا يطيق الابتعاد عن زجاجة الشراب وقد نفد صبره : " حسناً ، حسناً " ، وهز ذراعيه وقال : " لكن تأكد من أن تضرب هذا الغلام بقسوة عقاباً له نيابة عنى " .

قال جيود : " سأفعل ذلك " ، وفتح الحارس قفل الباب الصغير فى البوابة ودخلوا البرج ثم أعطى بروم للحارس بضع عملات نقدية .

ابتعد الحارس عن طريقهم وغمغم قائلاً : " شكراً لك " . وبمجرد رحيل الحارس أخرج إيراجون قوسه من جعبته وجذبه لكى يفرده . أوضح لهما جيود سريعاً الجزء الرئيسى من القلعة فأسرعوا ناحية مقصدهم ، وهم يرهفون السمع لأى جنود فى دورية الحراسة . وفى حجرة السجلات ، حاول بروم فتح الباب لكنه كان مغلقاً بإحكام ، فوضع يده عليه وتمتم بكلمة لم يدركها إيراجون ، فانفتح الباب محدثاً صوتاً خافتاً . أحضر بروم مشعلاً من الحائط ثم دلفوا للحجرة ، وأغلقوا الباب وراءهم بهدوء .

كانت الحجرة الصغيرة مليئة بالرفوف الخشبية وعليها أكوام من المطويات الورقية . كان فى أعلى الحائط نافذة عليها عمدان حديدية ، سار جيود حول الأرفف ومر بعينيه عبر المطويات والمخطوطات ، ثم توقف عند آخر الحجرة وقال : " هذه هى سجلات الشحن للأعوام الخمسة الماضية . التاريخ مدون على الأختام الشمعية على الأركان " .

كان إيراجون سعيداً لأنهم فعلوا كل ذلك دون أن يكتشفهم أحد حتى الآن وقال : " إذن ماذا سنفعل الآن ؟ " .

قال جيود : " ابدأ بالبحث من أعلى لأسفل ، بعض المخطوطات تختص بالضرائب فقط ، تجاهلها وابحث عن أى مخطوطة يرد فيها ذكر زيت سيثر " . ثم أخرج جيود من جعبته القطعة الجلدية المخصصة للكتابة وفردها على الأرض وأخرج زجاجة حبر وريشة ووضعهما بجوارهما وقال موضحاً : " هذا ، لكى ندون كل ما نجده " .

أحضر بروم مجموعة من المخطوطات حملاً على ذراعيه من أعلى الرفوف وجمعها على الأرض فى كومة ، ثم جلس وفك أول مخطوطة ، وسرعان ما انضم إليه إيراجون وجلس فى مواجهة الباب . وكان هذا العمل الممل صعباً جداً عليه ؛ لأن الخط المستخدم يختلف عن خط الطباعة الذى علمه به بروم .

وبالبحث عن أسماء السفن فقط التى أبحرت فى المناطق الشمالية ، تم استبعاد العديد من المطويات والمخطوطات ،

لكن جيود كان يسجل كل شحنة زيت سيثر يتوصلون إليها .

كان الجو هادئاً خارج الحجرة ، عدا مرور الحراس كل فترة . فجأة شعر إيراجون بوخز فى رقبته ، فحاول مواصلة العمل لكن ظل شعوره بعدم الارتياح قائماً ، شعر بالانزعاج فنظر لأعلى وانتفض من هول المفاجئة - كان هناك فتى صغير يجلس على حافة النافذة . وكانت عيناه تنظران بسخرية وفى خصلات شعره الأسود الأشعث غصن من شجر الهولى .

ظهر الصوت فى رأس إيراجون : *" هل تريد المساعدة ؟ "* . واتسعت عيناه من الصدمة لأن الصوت كان للهر المسحور سوليمبوم .

قال إيراجون وهو لا يصدق : *" هل هذا أنت ؟ "* .

" وهل أنا شخص آخر ؟ " .

ابتلع إيراجون ريقه وركز فى قراءة المخطوطة التى كانت بين يديه وقال : *" إذا لم تخدعنى عيناى فهذا أنت "* .

انفرج ثغر الطفل الصغير عن ابتسامة خفيفة وقال وهو يظهر أسنانه الحادة : *" شكلى لا يغير شخصيتى ، أنا لا أسمى هراً مسحوراً من فراغ ، أليس كذلك ؟ "* .

سأل إيراجون : *" ماذا تفعل هنا ؟ "* .

مال الهر المسحور برأسه وفكر هل هذا السؤال يستحق الإجابة عليه أم لا ، ثم قال : *" هذا يعتمد على ما تفعله أنت هنا . هل تقرأ المخطوطات للتسلية ؟ إذن لا داعى لزيارتى على ما أظن . لكن إذا كان ما تفعله ضد القانون*

ولا تريد أن يكتشف أحد الأمر ، فأنا هنا لأحذرك بأن الحارس الذى قدمتم له الرشوة أخبر رئيسه عنكم وهو الضابط الثانى فى الإمبراطورية وقد أرسل جنوده للبحث عنكم " .

قال إيراجون : *" شكراً لك على إخبارى " .*

" هل أخبرتك بشىء ؟ ربما أكون قد فعلت ذلك حقاً ، استفد بالمعلومة " .

وقف الطفل وحرك شعره المجعد إلى الوراء فسأله إيراجون سريعاً : *" ما الذى كنت تعنيه فى آخر مرة عندما أخبرتنى عن الشجرة والقبو ؟ " .*

" كنت أعنى ما قلته بالضبط " .

حاول ايراجون فهم المزيد وطرح سؤالاً آخر لكن الهر المسحور اختفى عبر النافذة . صاح إيراجون : *" هناك جنود يبحثون عنا " .*

قال بروم بحدة : *" كيف عرفت ؟ " .*

" تنصت على الحارس ، قد علمت أن الحارس الذى سيتسلم نوبة الحراسة مكانه أرسل رجالاً للبحث عنا ، يجب أن نخرج من هنا ، ربما اكتشفوا أن مكتب جيود فارغ " .

قال جيود : *" هل أنت متأكد ؟ " .*

قال إيراجون وقد نفد صبره : *" نعم ! إنهم فى طريقهم إلى هنا " .*

تناول بروم سريعاً مخطوطة أخرى من الرف وقال : *" مهما حدث ، سننتهى من هذا الآن ! "* **. ظلوا يعملون والغضب يملؤهم لمدة دقيقة واحدة وهم يفحصون السجلات**

بأسرع ما يمكن ، ومع انتهاء آخر مخطوطة وضع بروم كل الورق مكانه على الرف ، ووضع جيود الحبر والقلم الريشة والرقعة الجلدية الخاصة بالكتابة فى جعبته الجلدية ، ثم أمسك إيراجون المشعل لينير الطريق .

هرعوا خارج الحجرة وأغلقوا الباب ، وبمجرد أن أغلقوا الباب سمعوا قرقعة خطوات الجنود بأحذيتهم الثقيلة فى آخر القاعة . هموا بالانصراف لكن بروم صاح فى غضب : " اللعنة إنه ليس مغلقاً ! " ، ثم وضع يديه على الباب والقفل فانغلق بالسحر فى نفس الوقت الذى جاء فيه على مرمى البصر ثلاثة جنود .

قال أحدهم : " أنتم هناك ! ابتعدوا عن الباب ! " . تراجع بروم وهو يتظاهر بالدهشة . جاء الجنود الثلاثة إليهم وقال أطولهم فى غضب : " لماذا تحاولون الدخول إلى قاعة السجلات ؟ " . أمسك إيراجون بشدة أكثر على قوسه واستعد للهرب .

قال جيود : " أخشى أننا ضللنا الطريق " . كان هناك توتر ظاهر فى صوت جيود وسالت نقطة عرق على رقبته .

حدق إليهم الجندى فى غضب وشك فأمر أحد رجاله : " فتش حجرة السجلات " .

كتم إيراجون أنفاسه بينما تقدم الجندى إلى الباب وحاول فتحه ثم طرقه بقبضة يده . " إنه مغلق يا سيدى " .

حك قائدهم ذقنه وقال : " حسناً ، إننى لا أعرف ماذا كانت نيتكم ، لكن بما أن الباب مغلق ، فأنتم أحرار ويمكنكم الذهاب ، هيا ارحلوا " .

وأحاط بهم الجنود وقادوهم للبرج .

قال إيراجون لنفسه : " *لا يمكنني أن أصدق ذلك ، إنهم يساعدوننا على الهرب !* " .

عند البوابة الرئيسية ، أشار لهم الجندي وقال : " والآن سيروا من هذا الطريق ولا تحاولوا السير في أي طريق آخر ، فسوف نراقبكم ، وإذا أردتم العودة ، انتظروا حتى الصباح " .

قال جيود : " بالطبع " .

شعر إيراجون وكأن عيني الحارس تكادان تخترقان ظهورهم وهم يسرعون بمغادرة القلعة . وفي اللحظة التي تم فيها إغلاق الباب وراءهم ، ابتسم إيراجون ابتسامة النصر وقفز في الهواء . رمقه بروم بنظرة تحذيرية له وصاح : " عد إلى المنزل سيراً بشكل عادي واحتفل هناك كما يحلو لك " .

تلقى إيراجون الدرس بوعي فسلك سلوكاً هادئاً ، لكن داخل المنزل تفجرت منه الطاقة ، فبمجرد العودة للمنزل بسرعة ، ودخلوا حجرة المكتب صاح إيراجون : " لقد نجحنا ! " .

قال بروم : " نعم ، لكن يجب أن نفكر هل الأمر استحق كل هذا الجهد أم لا " . أحضر جيود خريطة آلاجيشيا من الرف وفردها على المكتب .

في الجانب الأيسر من الخريطة كان المحيط يمتد إلى ما لا نهاية في مجاهل الغرب . وعبر الساحل ، تمتد منطقة سباين وبها سلسلة ضخمة من الجبال . كانت صحراء هادارك تملأ منتصف الخريطة ـ وكانت الجهة الشرقية خالية . وفي هذا الفراغ في مكان ما ، تقع منطقة الفاردن

المجهولـة . وإلى الجنـوب تقـع منطقـة سـوردا وهـى بلـدة صـغيرة استقلت عـن الإمبراطوريـة ، بعـد سـقوط الفرسان راكبي التنين . وقد علم إيراجون منهما أن سوردا تدعم سرا منطقة الفاردن .

وعلى حدود سوردا الشرقية ، كانت هناك سلسلة جبال تسمى جبال بيور ، وقد سمع عنها إيراجون في العديد مـن القصص ـ وهي أعلى ١٠ مـرات مـن جبـال منطقـة سباين ، لكنه كان في مخيلته يظن أن تلك مبالغة . كانـت الخريطـة خالية ناحية الشرق من جبال بيور .

وتقـع خمـس جـزر بمحـاذاة سـاحل سـوردا : نبيـا ، بارليم ، أودن ، إليوم ، وبيرلاند . لم تكـن نبيـا أكـبر مـن مجموعة بارزة من الصخور ، لكن أكبر جزيرة هي بيرلانـد وبها مدينـة صـغيرة . إلى الأعلـى تجـاه تـيرم تقـع جزيـرة صخرية تسمى شاركتوث وفي الشمال توجد جزيـرة أخـرى واسعة وشكلها كاليد المضمومة ، كان إيراجون يعرف اسمها دون أن يقـرأه : فرونجـارد ، مـوطن ومسـقط رأس أجـداد الفرسان راكبي التنين ـ وهـى المكـان الـذى كـان فـى الماضـى يرمز للمجد ، لكنه الآن كالقشرة الفارغة المنهوبة وتغزوهـا الوحوش الضارية والغريبة . وفي مركز فرونجارد ، كانـت هناك مدينة مهجورة تسمى دورو أريبا .

كانت كارفاهول نقطة صغيرة على الخريطة أعلـى وادى بالانكار ، وعلى نفس مستواها لكـن عـبر السـهول ، تمتـد غابـة دو ويلـدنفاردن . ومثـل سلسـلة جبـال بيـور ، كانـت الجهـة الشرقية لا تظهـر فى الخريطـة . وجـزء مـن الجهـة الغربيـة لغابـات " دو ويلـدنفاردن " تم استكشـافه ، لكـن

المنتصف ظل غامضاً ولم يستكشف بعد . كانت الغابة أكثر خطورة من غابة منطقة سباين ؛ والقليل من الرجال الشجعان غامروا بسبر أغوارها لكنهم كانوا إما يعودون وقد أصابهم مس من الجنون أو لا يعودون مطلقاً .

ارتعد إيراجون وهو يرى مدينة " أوروباين " مركز الإمبراطورية ؛ حيث يحكم الملك جالباتوريكس منها مع تنينه الأسود ويسمى شرويكان . ويقبع بجواره دائماً . أشار إيراجون بإصبعه إلى تلك المدينة قائلاً : " لابد أن الرازاك يختبئون هنا " .

قال بروم بهدوء : " فلتأمل ألا يكون هذا هو ملجأهم الوحيد ، وإلا فإنه سيكون من المستحيل الاقتراب منهم " . ثم فرد الخريطة المطوية حتى صارت مفرودة بيديه المليئتين بالتجاعيد .

أخرج جيود الرقعة الجلدية من جعبته وقال : " مما رأيته في السجلات ، كانت هناك شحنات من زيت سيثر لكل مدينة كبرى فى الإمبراطورية عبر السنوات الخمس الماضية . ووفقا لمعرفتى ، فإن كل من اشترى هذا الزيت هم من تجار الجواهر الأثرياء . ولست متأكداً إذا ما كان بإمكاننا استبعاد الأسماء وتقليص القائمة بدون المزيد من المعلومات " .

مد بروم يده نحو الخريطة قائلاً : " أعتقد أنه يمكننا استبعاد بعض المدن . يسافر الرازاك فى الأماكن التى يريدها الملك فقط ، وأنا متأكد أنه يكلفهم بمهام دائماً . إذا كان من المتوقع أن يذهبوا لأى مكان فى أى وقت فإن المكان الوحيد المعقول لبقائهم هو فى تقاطع الطرق الذى يؤدى بهم إلى جزء

من البلاد بسهولة " . شعر بروم بالإثارة الآن وسار جيئة وذهاباً عبر الحجرة ثم أردف قائلا : " تقاطع الطرق هذا يجب أن يكون كبيرا بالشكل الكافى لكيلا يلاحظ أحد وجودهم ، ويجب أن يمر به عدد كبير من التجار بحيث تمر الطلبات غير المعتادة - طعام خاص للحيوانات التى يركبونها مثلاً - بلا إثارة للشبهات والفضول " .

قال جيود موافقاً : " هذا كلام منطقى ، وفى ظل هذه الظروف ، سنتجاهل معظم مدن الشمال ، المدن الكبرى فقط هى تيرم وجيلياد وسيونون . أعلم أنهم ليسوا فى تيرم ، وأشك فى أن الزيت تم شحنه لأبعد من ساحل تاردا - فهو صغير جداً ، كما أن مدينة سيونون معزولة أكثر من اللازم ، إذن يتبقى لدينا فقط مدينة جيلياد " .

استنتج بروم فى النهاية : " إذن الرازاك قد يكونون بها ، يا لسخرية القدر " .

قال جيود بهدوء : " أوافقك الرأى " .

قال إيراجون : " ماذا عن المدن الجنوبية ؟ " .

قال جيود : " حسناً ، توجد مدينة أوروباين كما هو واضح ، لكنها مكان غير محتمل تماماً لوجودهم ، فإذا كان هناك من يموتون من زيت سيثر فى بلاط الملك جالباتوريكس سيكون من السهل لأى لورد أو قائد أن يكتشف أن الإمبراطورية تشترى كميات كبيرة منه . وهذا يدع لنا احتمالات أخرى كثيرة وأحدها هى ما نريد " .

قال إيراجون : " نعم ، لكن الزيت لم يتم شحنه لكل المدن ، فالرقعة الجلدية التى كتبتها تذكر مدن " كواستا " و " دراس ليونا " و " آرجوس " و " بيلاتونا " . ومدينة

كواستا لن تصلح للرازاك ؛ فهى على الساحل وتحيط بها الجبال ، ومدينة " آرجوس " معزولة مثل مدينة " سيونون " على الرغم من أنها مركز لطريق التجارة . وهذا يجعل المدن المتبقية هى " دراس ليونا " و " بيلاتونا " ، وهما متقاربتان وإحداهما هى المدينة التى نبحث عنها وأنا أعتقد أنها دراس ليونا لأنها أكبر وذات موقع متميز " .

قال جيود : " كما أنه يمر بها معظم قوافل التجارة التى تحمل بضائع الإمبراطورية فى كل الأوقات ، ومن ضمنها قوافل مدينة تيرم ، وبذلك تكون مدينة مناسبة لاختباء الرازاك " .

قال بروم : " حسناً دراس ليونا " ، وجلس وأشعل غليونه ثم أردف قائلاً : " ماذا توضح السجلات عنها ؟ " .

نظر جيود فى الرقعة الجلدية وقال : " ها هى ، فى بداية السنة تم إرسال ثلاث شحنات إلى مدينة دراس ليونا ، والمسافة بين كلٍ شحنة كانت أسبوعين فقط ، وكلها كانت لتاجر واحد وفقاً للسجلات . نفس الشىء تكرر فى العام الماضى والعام الذى يسبقه . أشك فى أن تجار المجوهرات لديهم المال الكافى كجماعة لشراء كم كبير من الزيت فما بالكم بتاجر واحد " .

رفع بروم حاجبه وقال متسائلاً : " ماذا عن مدينة جيلياد ؟ " .

قال جيود : " ليس لديها مدخل كباقى أرجاء الإمبراطورية و ــ " ، طرق جيود الرقعة الجلدية وأردف قائلاً : " وقد تلقوا الزيت مرتين فى الأعوام الأخيرة " ، ثم فكر قليلاً وقال : " كما أننا نسينا شيئاً ـ هيلجريند " .

أومأ بروم وقال : " نعم ، البوابات المظلمة . لم أفكر فيها منذ سنوات طويلة . عندك حق ، هذا سيجعل دراس ليونا مدينة مناسبة لاختباء الرازاك ، هذا يحسم الأمر إننا سنذهب إليها " .

جلس إيراجون فجأة وهو منهمك وخال من كل الانفعالات حتى إنه لم يسأل عن " هيلجريند " هذه وقال لنفسه : *" أعتقد أننى سأكون سعيداً لأننى سأعاود مطاردتهم ، لكنى بدلاً من ذلك أشعر وكأن هوة سحيقة قد انفتحت أمامى . دراس ليونا ! إنها بعيدة جداً ......*

أصدرت الخريطة الجلدية صوتاً عندما أعاد جيود لفها ببطء وأعطاها لبروم وقال : " أخشى أنك ستحتاج إليها ؛ فالرحلات الاستكشافية كهذه غالبا تأخذ المسافر لمناطق غير مأهولة أو مجهولة " . أومأ بروم وتناول منه الخريطة وربت جيود على كتفيه وقال : " أعرف أنه من الواجب أن أذهب ، سترحلان بدونى وقلبى معكما ، فأنا رجل عجوز ولدى مسئوليات " .

قال بروم : " أعرف ذلك ، كما أن لديك حياتك فى تيرم . حان الوقت لكى يستلم الجيل التالى الراية ، ولقد أنجزت دورك ؛ فابتهج " .

قال جيود : " وماذا ستفعل أنت ؟ ألن ينتهى بك المطاف أبداً وتكف عن الترحال ؟ " .

ابتسم بـروم ابتسـامة باهتـة انفرجـت عـن ثغـره بـبطء وضـحك ضـحكة جوفـاء وقـال : " أعـرف أن نـهـايتى قـد اقتربت ، لكن ليس الآن " ، ثم أطفأ الغليون وغادر الجميـع المكان للنوم فى حجراتهم وقد نال مـنهم التعـب . وقبـل أن ينام إيراجون ، اتصل ذهنيا بسفيرا وحكى لها كل شىء عن مغامرة الليلة .

خطأ فادح

في الصباح استعاد إيراجون وبروم سرج الخيل والحقائب الجلدية من الإسطبل واستعدا للرحيل وقام جيود بتحية بروم بينما شاهدت هيلين الموقف من الباب . تصافح الرجلان وهما ينظران لبعضهما البعض بكل جدية . قال جيود : " سوف أفتقدك أيها الرجل العجوز " .

قال بروم بصوت أجش : " أنا أيضاً سأفتقدك " ، وحنى رأسه ذا الشعر الأبيض واتجه بكلامه إلى هيلين قائلاً : " شكراً لك على كرم الضيافة " ، فاحمر وجهها خجلاً وظن إيراجون أنها سوف تصفعه ، وأردف بروم قائلاً وهو غير متضايق : " لديك زوج صالح ؛ اعتني به ، قليل جداً من الرجال في مثل شجاعته وإصراره ، لكنه لن يتمكن من التكيف مع الأوقات العصيبة بدون الدعم ممن يحب ، " ثم انحنى بأدب وقال برقة : " لقد كان هذا مجرد اقتراح يا سيدتي العزيزة " .

راقب إيراجون وجه هيلين وهو يعبس من الغضب والألم ، ولمعت عيناها وهى تغلق الباب بوقاحة . تنهد جيود وحك شعر رأسه بيده . شكره إيراجون على مساعدته وامتطى صهوة جواده كادوك . وبعد كلمات الوداع الأخيرة ، رحل هو وبروم .

وفى البوابة الجنوبية لتيرم تركهما الحارس يخرجان بدون أى مشاكل . وعندما سارا بمحاذاة السور الخارجى الضخم رأى إيراجون حركة فى الظل ، وكان سوليمبوم جالسًا على الأرض ويهز ذيله يراقبهما وعيناه لا تشيران إلى ما ينويه . وعندما اختفت المدينة عن الأفق قال إيراجون : " ما هى القطط المسحورة ؟ " .

فوجئ بروم بالسؤال وقال : " لماذا هذا الفضول المفاجئ ؟ " .

قال إيراجون : " سمعت أحدهم يذكر هذه المخلوقات فى تيرم ، إنها ليست مخلوقات حقيقية ، أليس كذلك ؟ " ، كان إيراجون يتظاهر بالجهل .

" إنها حقيقية وأثناء سنوات مجد الفرسان قائدى التنين كانوا مشهورين كالتنين . وكان الملوك ومخلوقات الإلف يحتفظون بها كحيوانات أليفة ـ لكن القطط المسحورة كانت حرة وتفعل ما تريد . نحن نعرف القليل جدا عنها ، وأخشى أن نوعهم فى انقراض مؤخراً وعددهم الحالى قليل للغاية " . سأل إيراجون قائلاً : " هل بإمكانهم استخدام السحر ؟ " .

" لا أحد يعرف ، لكنهم بالتأكيد يفعلون أشياء عجيبة ، ويعرفون كل ما يحدث بطريقة ما ويقحمون

أنفسهم في كافة الأمور " . ثم رفع بروم غطاء رأسه ليتجنب الرياح الباردة .

قال إيراجون بعد لحظة تفكير : " ما هي هيلجريند ؟ ".

" سترى عندما نصل إلى دراس ليونا " .

عندما اختفت تيرم عن الأنظار تواصل إيراجون ذهنياً مع سفيرا وناداها : " *سفيرا* " ، وكانت قوة صيحته الذهنية قوية جداً لدرجة أن كادوك هز أذنيه في انزعاج .

أجابته سفيرا وأسرعت إليهما بكل قوتها ثم شاهدها بروم وإيراجون تأتي من السماء كنقطة سوداء بسرعة من خلال سحابة ، ثم سمعا زئيرًا مكتومًا عندما فتحت سفيرا جناحيها . كانت الشمس تلمع وراء الغشاء الرفيع لجناحيها مما جعلها تبدو شفافة ويتداخل فيها ظلال العروق ، ثم هبطت فاندفع الهواء أمامهما .

ألقى إيراجون بزمام كادوك إلى بروم قائلاً : " سأوافيك في موعد الغداء " .

أومأ له بروم لكنه كان مشغول الذهن وقال : " استمتع بوقتك " ثم نظر إلى سفيرا مبتسماً وقال : " تسرني رؤيتك مرة أخرى " .

قالت له : " *وتسرني رؤيتك أيضاً* " .

قفز إيراجون على ظهر سفيرا وأمسك بها بكل قوته وهي تقفز لأعلى وكان الهواء في أعقابها فاخترقت الهواء لأعلى وقالت لإيراجون محذرة إياه : " تمسك جيداً " ، ثم صاحت في عنفوان وانطلقت لأعلى في قفزة هائلة . صاح إيراجون من فرط الإثارة وهو يحرك ذراعيه في الهواء ويمسك سفيرا بساقيه .

قال لها وهو يبتسم ابتسامة واسعة : " *لم أكن أعرف أننى يمكننى البقاء عليك وأنت تطيرين بدون سرج* " .

قالت له معترفة : " *لم أكن أعلم أيضاً* " ، وضحكت بطريقتها الغريبة . احتضنها إيراجون بشدة وهما يطيران محلقين على مستوى واحد وكأنهما أسياد الطيران فى السماء .

بحلول الظهيرة ، آلمته قدماه من امتطاء سفيرا بدون سرج وكان يشعر بالتنميل فى وجهه ويديه من الهواء البارد . وكانت حراشيف سفيرا دافئة الملمس ، وعندما هبطا من أجل الغداء ، أدخل يديه بين طيات ملابسه لكى يدفئهما ووجد مكاناً دافئاً ومشمساً لكى يجلس فيه ، وبينما كان يتناول طعامه مع بروم ، سأل إيراجون سفيرا : " *هل تمانعين إذا ركبت كادوك* ؟ " ، كان قد قرر أن يسأل بروم عن الماضى الخاص به .

قالت سفيرا : " *كلا ، لكن أخبرنى بما يقوله لك* " .

لم يندهش إيراجون عندما أظهرت سفيرا أنها تعلم خططه ، من المستحيل تقريبا إخفاء أى شىء عنها عندما يتواصلان ذهنياً . وعندما انتهيا من تناول الطعام طارت سفيرا بعيداً بينما انضم إيراجون لبروم على الطريق . وبعد مرور قليل من الوقت ، أبطأ إيراجون من سير كادوك وقال لبروم : " أريد أن أتحدث معك ، كنت أريد التحدث فى هذه الأمور عندما وصلنا تيرم ، لكنى قررت تأجيل تساؤلاتى إلى الآن " .

قال بروم : " تساؤلات عن ماذا ؟ " .

صمت إيراجون لبرهة ثم قال : " الكثير من الأمور تحدث ولا أفهمها . على سبيل المثال ، من هم " أصدقاؤك الذين كنت تتحدث عنهم مع جيود ، ولماذا كنت تختبئ فى كارفاهول ؟ أنا أئتمنك على حياتي - وهذا سبب أننى أسافر معك الآن - لكنى أحتاج لمعرفة المزيد عن هويتك وما تفعله . ما الذى سرقته من مدينة جيلياد وماذا تعنى بعبارة : " تواثا دو أوروثريم " ؟ أعتقد بعد كل ما حدث أننى أستحق الحصول على تفسير منك " .

" لقد كنت تتنصت علينا " .

" مرة واحدة فقط " .

قال بروم بجفاء وهو يشد لحيته : " أرى أنك تحتاج إلى أن تتعلم الأدب والسلوك القويم ، ما الذى يجعلك تظن أن هذه الأمور تخصك ؟ " .

هز إيراجون كتفيه دون اكتراث قائلاً : " لا شيء حقاً ، بل بالمصادفة الغريبة . لقد حدث أنك كنت تختبئ فى كارفاهول عندما وجدت أنا بيضة سفيرا وأنك تعرف الكثير عن مخلوقات التنين وحكاياتها وأساطيرها . لا يبدو أن كل هذا مصادفة كلما تمعنت فى التفكير فى الأمر . وهناك إشارات ودلائل أخرى تجاهلتها غالبا لكنها واضحة الآن عندما أفكر فيما حدث فى الماضي . مثل مدى معرفتك عن الرازاك فى المقام الأول ولماذا هربوا عندما اقتربت أنت منهم . إننى لا يسعنى سوى التساؤل عن علاقتك بظهور بيضة سفيرا . هناك الكثير مما يجب أن تخبرنى به ، ولن أتحمل أنا وسفيرا أن نجهل ما قد يمثل خطرا يهددنا " .

تجعدت جبهة بروم فى شكل خطوط داكنة بينما أوقف سنوفاير باللجام وقال : " ألا تنتظر إجابات أسئلتك لاحقا ؟ " . هز إيراجون رأسه بشدة وبعند . تنهد بروم وقال : " لم يكن الأمر ليمثل أى مشكلة إن لم يطرق الشك قلبك ، لكنى أظن أنك لم تكن تستحق أن أضيع وقتى معك لو كانت شخصيتك خلاف ذلك " . لم يعرف إيراجون هل يعتبر تلك العبارة مدحاً أم ذمًّا . أشعل بروم غليونه ونفث ببطء سحابة من الدخان فى الهواء ، ثم قال : " سأطلعك على ما تريد معرفته لكن عليك أن تفهم أننى لا يمكننى إخبارك بكل شىء " . هم إيراجون بالاعتراض لكن قاطعه بروم قائلا : " ليس بدافع الرغبة فى إخفاء المعلومات ولكن لأننى لن أفشى أسراراً لا تخصنى ، توجد قصص كثيرة متداخلة فى هذا الأمر ويجب عليك مقابلة أصحاب تلك الأسرار إن أردت معرفتها ومعرفة باقى القصة " .

قال إيراجون : " حسنا ، اشرح لى ما يمكنك قوله " .

قال بروم : " هل أنت متأكد ؟ توجد أسباب تدعو للسرية . لقد حاولت أن أحميك بإبعادك عن القوى التى قد تمزقك إرباً . بمجرد أن تعرفها وتعرف أغراضها فلن تحظى بالفرصة لكى تعيش فى هدوء . وستضطر للاختيار أن تنضم لجانب على حساب الآخر ويكون لك موقف . هل تريد أن تعرف حقاً ؟ " .

قال إيراجون فى هدوء : " لا يمكننى أن أقضى حياتى فى جهل " .

" هدف نبيل .... حسناً : هناك حرب تستعر نيرانها فى آلاجيشيا بين الإمبراطورية والفاردن ، ولكن صراعهما

وصل لما هو أكثر من الصراع المسلح ، بل إنهما متورطان في صراع ضخم على القوة يتمركز حولك " .

قال إيراجون وهو لا يصدق : " أنا ؟ هذا مستحيل ، لن أتورط مع أحد الطرفين " .

قال بروم : " ليس بعد ، لكن وجودك هو محور معاركهم . الفاردن والإمبراطورية لا يتحاربون لاحتلال الأرض أو التحكم في الشعب ؛ بل هدفهم هو التحكم في الجيل الثاني من الفرسان قائدى التنين ، وأنت أول هذا الجيل . ومن يتحكم في هذا الجيل سيكون ملك آلاجيشيا بلا منازع " .

حاول إيراجون استيعاب عبارات بروم ؛ لقد بدا الأمر غير مفهوم . يبدو أن الكثير من الناس مهتمون به وبسفيرا . لم يظن أن أحداً يعتبره مهماً سوى بروم . وفكرة أن الإمبراطورية والفاردن يتحاربون عليه من أجل الاستحواذ والسيطرة عليه كانت مجردة ومبهمة ولم يستوعبها بالكامل . تكونت الاعتراضات سريعاً في ذهنه فقال : " لكن كل الفرسان قائدى التنين قد قتلوا سوى المنشقين الذين انضموا لجالباتوريكس وفقاً لما أعرفه ، وحتى هؤلاء قد ماتوا الآن وأخبرتني أنت في كارفاهول أنه لا يعرف أحد هل مازالت هناك حيوانات تنين أخرى في آلاجيشيا أم لا " .

قال بروم بصوت هادئ : " كنت أكذب بشأن حيوانات التنين ، فعلى الرغم من عدم وجود الفرسان قائدى التنين لكن هناك بيض تنين ـ كلها لدى جالباتوريكس . ولكن توجد بيضتان الآن بعد أن خرجت سفيرا من بيضتها ، وتلك

البيضات الثلاث أنقذها الملك أثناء معركته الكبرى الأخيرة مع الفرسان قائدى التنين " .

قال إيراجون وهو يشعر بالقلق والانهزام : " إذن ربما يكون هناك اثنان من الفرسان قائدى التنين وكلاهما الآن مخلص للملك ؟ " .

قال بروم : " بالضبط ، فهناك سباق مميت يحدث حالياً لأن جلباتوريكس يحاول جاهداً أن يجد الشخصين اللذين ستفقس لهما البيضتان ، بينما تبذل الفاردن كل الطرق الممكنة لقتل مرشحيه أو سرقة البيض " .

سأل إيراجوان فى حيرة : " لكن من أين أتت بيضة سفيرا ؟ كيف سرقها أحدهم من الملك ؟ وكيف تعرف أنت كل ذلك ؟ " .

ضحك بروم بمرارة قائلاً : " إنها أسئلة كثيرة ، وهناك فصل آخر لهذه الرواية ، وقعت أحداثه قبل أن تولد بزمن طويل ، فى ذلك الوقت كنت أنا أكثر شباباً لكن لست بالحكمة التى أنا عليها الآن . كنت أكره الإمبراطورية ـ لأسباب سأحتفظ بها لنفسى ـ وأردت تدميرها قدر استطاعتى وقادنى حماسى لعالم هو جيود ، والذى قال إنه اكتشف كتاباً يوضح ممراً سرياً لقلعة جالباتوريكس . فأحضرت جيود بكل حماس إلى الفاردن ـ وأهل فاردن هم " أصدقائى " ـ وخططنا لسرقة البيض " .

" الفاردن ! " .

" لكن ساءت الأمور ولم تسر على ما يرام فسرق اللص الذى استأجرناه بيضة واحدة ، ولسبب ما فر هارباً ولم يعد إلى الفاردن . وعندما فشلنا فى العثور عليه تم إرسالى مع

جيود لإحضاره مع البيضة " . نظر بروم بعينيه إلى الأفق وهو يفكر فى الماضى وكان يتحدث بصوت غريب : " كان هذا هو ما يمثل بداية أهم بحث فى التاريخ فى المنطقة ، كنا نتسابق ضد الرازاك و " موررزان " آخر قائدى التنين المنشقين والساعد الأمين للملك " .

قاطعه إيراجون قائلاً : " موررزان ! لكنه هو الذى خان قائدى التنين لصالح الملك ! " ثم قال لنفسه : " وهذا حدث منذ سنوات عديدة ، لابد أن موررزان طاعن فى السن " كانت حقيقةٍ أن أعمار الفرسان قائدى التنين كبيرة تزعج إيراجون كثيراً .

رفع بروم حاجبه وقال : " وماذا فى ذلك ؟ نعم إنه متقدم فى السن ، لكنه قويٍ جداً وقاسى القلب ، وهو أول أتباع الملك وأكثرهم إخلاصاً . كان هناك نزال ودماء بينى وبينه وتحول البحث عن البيضة إلى معركة شخصية . عندما عُثِرَ على البيضة فى جيلياد أسرعتٍ إلى هناك وحاربت موررزان للاستحواذ عليها ، وكان نزالاً رهيباً وفى النهاية تغلبت عليه وقتلته ، وأثناء القتال افترقت عن " جيود " ولم يكن هناك وقت للبحث عنه ، فأخذت البيضة وحملتها حتى وصلت لمنطقة الفاردن ، وطلبوا منى هناك أن أقوم بتدريب من سيصبح الفارس الجديد لتنين البيضة فوافقت وقررت الاختباء فى كارفاهول ـ التى ذهبت إليها كثيراً من قبل ـ حتى أنتظرٍ أن يستدعينى أصدقائى فى الفاردن ، لكن هذا لم يحدث أبدا " .

قال إيراجون : " إذن كيف ظهرت بيضة سفيرا في منطقة سباين ؟ هل كانت بيضة أخرى مسروقة من الملك ؟ " .

صاح بروم في ضجر : " إنه احتمال ضئيل . لقد وضع الملك البيضتين الأخريين تحت حراسة مشددة لدرجة أن محاولة سرقتهما كانت بمثابة الانتحار . كلا ، لقد تم نقل بيضة سفيرا من منطقة الفاردن ، وأعتقد أننى أعرف كيفية حدوث ذلك . فلحماية البيضة ، لابد أن حارسها حاول نقلها بالسحر " .

ثم استطردت قائلاً : " لم يتصل بى أهل الفاردن لشرح كيفية فقدانهم للبيضة ، لذلك أنا أظن أن رسلهم قد باغتهم رجال الإمبراطورية وتم إرسال الرازاك مكانهم . أنا متأكد أنهم كانوا متحمسين للإمساك بى لأننى تمكنت من إفساد العديد من خططهم " .

قال إيراجون في دهشة : " إذن ، لم يعرف الرازاك بوجودى عندما وصلت إلى كارفاهول " .

قال بروم : " هذا صحيح ، لو كان هذا الأحمق سلوان قد ظل صامتاً لما علموا بوجودك ، ولتغير مجرى الأمور . على أية حال ، يجب أن أشكرك على إنقاذ حياتى لأنه لولا انشغال محاربى الرازاك بك لكانا قد باغتانى وخطفانى على حين غرة في غفلة منى وتكون تلك نهاية بروم الراوى . السبب الوحيد لهروبهم هو أننى أقوى من كليهما خاصة بالنهار . وربما كانا يخططان لتخديرى ليلاً ثم يستجوبانى عن البيضة " .

" هل أرسلت رسالة إلى الفاردن لتخبرهم عنى ؟ " .

" نعم . أنا متأكد من أنهم يريدوننى أن أذهب بك إليهم بأسرع ما يمكن " .

" لكنك لن تفعل ، أليس كذلك ؟ " .

هز بروم رأسه وقال : " كلا ، لست متأكداً " .

" ولم لا ؟ إن البقاء مع الفاردن أكثر أمناً من مطاردة الرازاك وخاصة لفارس تنين جديد مثلى " .

صاح بروم فى ضجر ونظر إلى إيراجون بحنان قائلاً : " الفاردن أناس خطيرون . وإذا ذهبنا إليهم سنتورط بلا طائل فى سياساتهم وألاعيبهم وحيلهم . قد يرسلك قادتهم فى مهام خطرة لإثبات أشياء بداخلهم ، حتى لو لم تكن لديك القوة الكافية لتلك المهام . أريدك أن تستعد جيدا قبل أن تقترب من الفاردن . على الأقل ونحن نلاحق الرازاك . إننى لا أريد أن أرى أحدهم وهو يحاول دس السم فى مياه شربك . هذا أهون الشرين و ... " ثم ابتسم بروم وقال : " إنك ستظل سعيداً طالما أنا أقوم بتدريبك ... تواثا دو أوروثريم مجرد مرحلة فى تدريبك وأنا سأساعدك على إيجاد ـ وربما قتل ـ الرازاك لأنهم أعدائى أيضاً مثلما هم أعداؤك . لكن بعد ذلك عليك أن تحدد اختيارك " .

قال إيراجون فى شك : " وما هو ذلك الاختيار ... ؟ " .

قال بروم : " هل ستنضم للفاردن أم لا ، إذا قتلت الرازاك فإن الطريقة الوحيدة للهروب من غضب الملك هى اللجوء لحماية الفاردن أو الهرب لمنطقة سوردا أو التماس الرحمة من الملك والانضمام لجنوده . وحتى لو لم تقتل الرازاك فسيكون مازال أمامك مواجهة هذه الاختيارات فى النهاية " .

كان إيراجون يعلم أن أفضل طريقة للحصول على الحماية هى الانضمام للفاردن ، لكنه لم يكن يرغب فى قضاء كل حياته فى محاربة الإمبراطورية مثلهم . ظل إيراجون يفكر فى كل ما قاله بروم من كل زاوية . ثم قال : " لم تشرح لى بعد كيف تعرف كل هذا عن حيوانات التنين " .

قال بروم وهو يبتسم ابتسامة خبيثة : " بالفعل لم أخبرك ، أليس كذلك ؟ سأفعل ذلك في وقت لاحق " .

قال إيراجون لنفسه : " *لماذا أنا ؟* " ، ما الذى يجعله مميزاً لدرجة أنه قد أصبح أحد الفرسان قائدى التنين ؟ . صاح فجأة : " هل قابلت أمى من قبل ؟ " .

بدت الجدية على وجه بروم وقال : " نعم " . " *ماذا كان شكلها* ؟ " .

تنهد العجوز قائلاً : " كانت مليئة بالكرامة والكبرياء مثل جارو . فى النهاية كان ذلك وراء سقوطها ، لكن كل ذلك كان من أعظم صفاتها على الرغم من كل شيء ... كانت تساعد الفقراء والأقل حظاً فى الدنيا مهما كان وضعها " .

ذهل إيراجون وقال : " هل كنت تعرفها جيداً ؟ " .

" نعم وأفتقدها بعد رحيلها " .

وبينما كان كادوك يسير ببطء حاول إيراجون أن يتذكر عندما كان يعتقد أن بروم مجرد رجل عجوز غير مهندم الملابس ويروى القصص . ولأول مرة فهم إيراجون كم كان يجهل هذا الرجل .

أخبر إيراجون سفيرا بكل ما علمه ، وشعرت بالاهتمام البالغ بما قاله بروم لكنها شعرت بالاستياء لفكرة أن

يستولي عليها جالباتوريكس . فى النهاية قالت : " ألست سعيداً لأنك لم تبق فى كارفاهول ؟ فكر فى كل التجارب المثيرة التى كانت ستفوتك ! " ، همهم إيراجون فى ضجر مصطنع بشكل يدل على السخرية .

عندما توقفا آخر النهار بحث إيراجون عن الماء أثناء إعداد بروم للعشاء . كان يفرك يديه معاً ليدفئهما وهو يرهف السمع لعله يجد نبعاً أو جدولاً للماء . كان الجو بين الأشجار رطباً وكئيباً .

ثم وجد جدولاً صغيراً بعيداً عن مكان المعسكر فانحنى على حافته وشاهد جريان الماء على الصخور وأدخل أصابعه فى الماء ، فدار حولها الماء المثلج النابع من الجبال فجعل جلد يده ينمل من شدة البرودة . قال لنفسه : " *هذا النهر لا يهتم بما يحدث لنا أو لغيرنا* " ، ثم ارتعد ووقف .

لفت انتباهه آثار أقدام غريبة على الضفة الأخرى للجدول ، كانت آثار لها شكل غير مألوف وكانت كبيرة فشعر بالفضول ، فقفز عبر الجدول على حافة صخرية ، لكنه عندما هبط من القفزة طرق بقدمه بقعة من العثة الرطبة وكاد أن يسقط . أمسك فرع شجرة لتفادى السقوط لكن الفرع انكسر فحاول مد يديه لتفادى الوقعة لكنه ارتطم على الأرض برسغيه وكسر رسغه الأيمن وسمع صوت تحطم عظامه وشعر بألم رهيب فى كل ذراعه .

صاح واستنزل اللعنات وهو يضغط على أسنانه محاولاً قدر استطاعته ألا يصرخ . شعر وكأنه مصاب بالعمى من فرط الألم ، فانحنى على الأرض وهو يحتضن ذراعه . صاحت سفيرا عن بعد فى قلق بالغ : " *إيراجون ! ماذا حدث ؟* " .

" كسر رسغى ... فعلت شيئاً أحمق .... لقد وقعت " .

قالت له : *" إنى آتية "* .

" كلا . يمكننى العودة . لا .... لا تأتى . الأشجار قريبة جداً .... لجناحيك " .

أرسلت له صورة سريعة لنفسها وهي تسرع عبر الغابة للوصول إليه ثم قالت : *" سأسرع إليك "* .

صاح إيراجون فى ألم وقام مترنحاً وهو بالكاد يتمكن من الوقوف فى ثبات . كانت آثار القدم مغروسة فى عمق على الأرض على بعد بضع أقدام . كانت علامة حذاء ثقيل به مسامير . تذكر إيراجون على الفور الآثار التى كانت تحيط بجثث القتلى فى مدينة *" يازواك "* وقال وهو يبصق قائلاً : " أورجال ! " .

وتمنى لو كان معه السيف *زاروك* ؛ لأنه الآن لن يتمكن من استخدام القوس والسهم بيد واحدة . رفع رأسه وصاح بذهنه *" سفيرا ! أورجال ! احمى بروم ! "* .

قفز إيراجون عبر الجدول وهرع إلى المعسكر وهو يلوح بسكين الصيد وكان يخيل إليه وجود أعداء خلف كل شجرة وشجيرة . قال لنفسه : *" أتمنى لو كان هناك مخلوق واحد من الأورجال "* . ثم وصل للمعسكر سريعاً وانحنى حتى لا يصيبه ذيل سفيرا المتحرك على رأسه . صاح : *" توقفى ، إنه أنا ! "* .

قالت سفيرا : *" أوبس ! "* ، ووضعت جناحيها أمام صدرها كالحائط .

صاح إيراجون فى استنكار : *" أوبس ! "* ، وركض ناحيتها وقال : *" كدت أن تقتلينى ! أين بروم ؟ "* .

قال بروم بغضب : " أنا هنا ! " ، وكان صوته يأتى من خلف جناحى سفيرا : " أخبر صديقتك التنين المجنونة أن تتركنى ، فهى لن تستمع لى " .

قال إيراجون فى غضب : " *دعيه وشأنه ! ألم تخبريه بما حدث ؟* " .

قالت بغباء : " *كلا ، لقد أمرتنى بأن أحميه فقط* " ، ثم رفعت جناحيها وقفز بروم وهو يستشيط غضباً .

" وجدت آثار أقدام الأورجال وهى آثار جديدة " .

ارتسمت الجدية على الفور على وجه بروم وقال : " اربط السرج على الخيل ، سنرحل " .

ثم استدرك قائلاً : " ثم أطفئ النيران فى المعسكر " لكن إيراجون لم يتحرك فسأله قائلاً : " ماذا حدث لذراعك ؟ " .

قال إيراجون ببطء وعلى مضض : " كسر رسغى " .

لكن بروم أطلق اللعنات ووضع السرج على ظهر كادوك نيابة عنه وحمله على الحصان وقال : " يجب أن نضع جبيرة على ذراعك فى أسرع وقت ممكن وحاول ألا تحرك رسغك حتى يحدث ذلك " . أمسك إيراجون باللجام بقوة بيده اليسرى . قال بروم لسفيرا : " اقترب الليل ؛ سيرى أمامنا على مسافة قريبة ، وإذا ظهر الأورجال فسيفكرون مرتين قبل مهاجمتنا فى وجودك " .

قالت سفيرا قبل أن تطير : " *هذا لمصلحتهم ، وإلا لن يعيشوا ليفكروا ، سأقتلهم جميعاً* " .

أرخى الليل سدوله بسرعة وكانت الخيل متعبة لكنهما دفعاها إلى الإسراع بدون راحة ، وكان رسغ إيراجون قد

أصابه التورم والاحمرار وكان يؤلمه بشدة . وبعد أن ابتعدوا عن المعسكر بمسافة ميل توقف بروم وقال : " أنصت ! " .

سمع إيراجون نداءً خافتاً لنفير الصيد يأتى من خلفهم . عندما سكت صوت النفير تملك إيراجون الفزع . قال بروم : " لابد أنهم اكتشفوا مكاننا ، وغالباً رأوا آثار أقدام سفيرا وسيطاردوننا الآن . ليس من طبيعتهم ترك الفريسة تهرب " . ثم انطلق صوت النفيرين بصوت أقوى وكان ذلك يدل على اقترابهم أكثر . شعر إيراجون بالبرودة والفزع ؛ قال بروم : " الفرصة الوحيدة المتاحة لنا هى أن نهرب ونركض " ، ثم رفع يديه لأعلى وشحب وجهه وهو ينادى على سفيرا .

هرعت سفيرا من السماء الحالكة الظلام وهبطت على الأرض . قال بروم بلهجة الأمر : " اترك كادوك واذهب معها لكى تكون فى أمانٍ " .

قال إيراجون معترضاً : " ماذا عنك ؟ " .

" سأكون بخير ، اذهب الآن ! " ولم يتمكن إيراجون من استجماع طاقته للجدال فامتطى سفيرا وحث بروم " سنوفاير " على المسير وأمسك بزمام كادوك . طارت سفيرا خلفه وكانت ترفرف بأجنحتها فوق الخيل وهى تسرع .

أمسك إيراجون سفيرا بكل قوته وكان وجهه يتلوى من الألم كلما اهتز رسغه . كان النفير يصيح بالقرب منهما ويجدد تخوفهما . كان بروم يعدو بأقصى سرعة بالخيل وسط الشجيرات . وكانت الأبواق تصيح فى صوت موحد خلفه بمسافة قريبة ، ثم ساد الهدوء التام .

مــرت الــدقائق ثقيلــة . تســاءل إيراجــون : " *أيـن الأورجال* . ؟ " جاءت صيحة الـنفير علـى مرمـى السـمع ، فتنهـد إيراجـون فـى ارتيـاح واسـتند علـى رقبـة سـفيرا وتحتهمـا هـدأ بـروم مـن سـرعة الخيـل . قـال إيراجـون : " *اقتربوا كثيراً* " .

قالت سفيرا : " *نعم لكننا لن نتوقف حتى ـــ* " ، ثـم قاطع كلامها صوت النفير تحتهما مباشرة . اهتـز إيراجـون فى دهشة ، بينما واصل بـروم تقهقـره المحمـوم . هجمـت وحوش الأورجال ذات القرون عبر الطريق فى اندفاع رهيب وكـانوا يصـيحون بأصـوات فظـة ويركبـون الخيـل وكـادوا يقتربون من بروم ، والـذى بـدوره لم يـتمكن مـن الهـرب . صاح إيراجون : " *يجب أن نفعل شيئاً !* " .

" *ماذا ؟* " .

" *اهبطى أمام الأورجال !* " .

" *هل أنت مجنون ؟* " .

" *اهبطى ! أنا أعلم ما أفعله ، لا وقت لشىء آخـر سـوى ذلك ، سيدركون بروم !* "

" *حسناً* " ، سبقت سفيرا الأورجال ثم عادت واسـتعدت للهبوط على ذيلها . حـاول إيراجون التوصل لقـواه الداخليـة وشعر بالمقاومة المألوفـة فـى ذهنـه التـى تفصـل بينـه وبـين السحر . لم يحاول اختراقها بعد واهتزت عضلة فى رقبته .

وبينما طرق الأورجال الطريق بأقدامهم الثقيلة وبصـوت مزعج صاح إيراجون : " الآن ! " ، ضمت سـفيرا جناحيهـا على حين غرة وهبطت على الطريق مخلفـة وراءهـا سـحابة صغيرة من الغبار والصخور .

صاح الأورجال فى فزع وأوقفوا الخيل باللجام بسرعة فوقفت الخيل فى الحال واصطدمت ببعضها البعض لكن الأورجال خلصوا أنفسهم سريعاً وواجهوا سفيرا بأسلحتهم التى أخرجوها من جعابها . بدت الكراهية والمقت على وجوههم وهم ينظرون إليها فى غضب . كانت وحوش الأورجال عبارة عن اثنى عشر فردًا وكلهم وحوش مفترسة متوحشة وقبيحة وتعلو وجوههم نظرة سخرية . تعجب إيراجون وتساءل لماذا لم يهربوا ؛ فقد كان يجب أن تخيفهم سفيرا . فقال : " *لماذا لم يهربوا ؟ هل سيهاجموننا أم لا ؟* " .

صُدم إيراجون عندما تقدم أكبر وحوش الأورجال وبصق وهو يقول : " *يرغب زعيمنا فى التحدث إليك أيها الإنسي !* " ، كان الوحش يتحدث بصوت غليظ عميق من حنجرته .

قالت سفيرا قبل أن ينطق إيراجون : " *إنه فخ . لا تصغ إليه* " .

قال إيراجون بعقلانية : " *على الأقل دعينا نعرف ما الذى يريد قوله* " . وحيث إنه شعر بالفضول لكن بالشك العميق فى نفس الوقت فقال : " ومن هو زعيمكم ؟ " .

قال وحش الأورجال فى سخرية : " اسمه لا يستحق الذكر لشخص وضيع مثلك . إنه يحكم السماء ويسيطر على الأرض ، وأنت مجرد حشرة شاردة بالنسبة له . لكنه أمر بأن نحضرك إليه حياً . ابتهج لأنه وجد أنك تستحق هذا الاهتمام ! " .

قال إيراجون وهو يفكر فى مدينة يازواك وما حل بها : " لن أذهب معكم أبدا أو مع أى أحد من أعدائى ! سواء كان سيدكم ظلاً من الظلال أو وحش أورجال أو أى وحش ذى وجه قبيح لم أسمع عنه ، فأنا لا أرغب فى التحدث معه " .

صاح الأورجال : " لقد وقعت فى خطأ كبير " ، ثم كشر عن أنيابه وقال : " لن تتمكن من الهرب منه ، فى النهاية ستمثل أمامه وإذا قاومت ، سيجعل أيامك جحيمًا ويحيطك بالآلام " .

تساءل إيراجون عمن لديه هذه القوة لجمع الأورجال تحت راية واحدة ، وهل هناك قوى ثالثة مطلقة العنان فى البلاد - مع الفاردن والإمبراطورية ؟ قال إيراجون : " احتفظ بعرضك لنفسك وأخبر زعيمك أننى لا أهتم وليأكل الغراب أحشاءه ! " .

اجتاح الغضب وحوش الأورجال وصاح قائدهم وهو يصر على أسنانه : " سنجرك جرا إليه ! " ، ثم مد ذراعه وركض فى اتجاه سفيرا . رفع إيراجون يده اليمنى وصاح : " جيدرا ! " .

صاحت سفيرا : " كلا ! " ، لكن فات الأوان . اهتزت وحوش الأورجال عندما لمعت راحة كف إيراجون وخرجت منها الأشعة عبر الهواء وانطلقت نحو كل وحش فى بطنه فتمزقه إرباً ، وتدفع كل وحش على شجرة ثم يقع على الأرض بلا حراك .

شعر إيراجون فجأة أن التعب قد نال منه وأفرغ طاقته فوقع من على ظهر سفيرا وشعر ذهنياً بالتشويش وزاغ بصره وانقبض صدره . مالت سفيرا نحوه وأدرك أنه تمادى فى

الأمر أكثر من اللازم . فالطاقة اللازمة لرفع وإلقاء اثنى عشر وحشاً من الأورجال كانت ضخمة ، وتملكه الخوف وهو بالكاد يقاوم الإغماء .

رأى بطرف عينه أحد وحوش الأورجال يقوم مترنحاً وفي يده السيف . حاول إيراجون تحذير سفيرا لكن فات الأوان فصاح في ضعف : " كلا ... " . زحف وحش الأورجال ناحية سفيرا حتى وصل إليها ورفع السيف لكي يضربها في رقبتها . صاح إيراجون في ضعف : " كلا ! .... " ، استدارت سفيرا ناحية الوحش وزأرت بصورة متوحشة ومزقته بمخالبها بسرعة تخطف الأبصار . تناثر دمه في كل مكان لأنها مزقت جسده إلى شطرين .

هزت سفيرا فمها وأطبقت فكيها معاً كعلامة لانتهاء الأمر وعادت إلى إيراجون وأحاطت جسده برفق بيديها الملطختين بالدماء ثم صاحت وقفزت في الهواء . وأقبل الليل حيث اختفت آخر خيوط الضوء وكانت مليئة بالآلام . كما أن صوت حركة جناحي سفيرا دفع إيراجون للنوم في غيبوبة : فوق ، تحت ، فوق ، تحت ....

عندما هبطت سفيرا في النهاية ، شعر إيراجون بالكاد بها تتحدث مع بروم ويتحدث معها ولم يفهم ماذا كانا يقولان لكنهما توصلا إلى قرار ما ؛ لأن سفيرا طارت مرة أخرى .

تحول الإغماء إلى نوم عميق أرخى سدوله عليه كالغطاء الناعم .

رؤية للكمال

اهتـز إيراجـون تحـت الأغطيـة ، وتقـاعس عـن فـتح عينيـه ، فغفـل مـرة أخـرى ثـم جاءتـه فكـرة مشوشـة فـى ذهنـه ... *كيف وصلت إلى هنا* ؟ شعر بـالحيرة ، فلـف الأغطية على نفسه بشكل محكم فشعر بشىء جامد على ذراعه اليمنى . حاول تحريك رسغه لكنه شعر بألم كـبير . قام مفزوعـاً وصاح : " *الأورجال* ! " .

كان مستلقياً على مساحة صغيرة خالية مـن الأشجار وكانت خالية من كل شىء آخر سوى نار المعسكر الصغيرة التى تسخن قدراً ممتلئة بالحساء . زقزق السنجاب على فرع الشجرة وكـان قوسـه وسـهمه موضـوعين بجـوار الأغطيـة . وكانت مجرد محاولة أن ينهض تجعله يتلوى مـن الألم لأن كل عضلاته كانت ضعيفة وتؤلمه بشدة . كانت هناك جـبيرة ثقيلة على ذراعه اليمنى المتورمة .

تساءل وهو يشعر بالوحـدة : " *أين ذهب الجميع* ؟ " .
حاول استدعاء سـفيرا لكنـه شـعر بـالقلق عنـدما فشـل فـى

التواصل معها . هاجمه شعور بالغ بالجوع الشديد ، فتناول الحساء ، لكنه كان لايزال يشعر بالجوع فبحث عن الحقائب المربوطة فى سرج الخيل لعله يجد كسرة من الخبز ، لكن المكان لم يتواجد به الخيل ولا الحقائب . قال لنفسه وهو يكتم شعوره بالقلق : *"لابد أن هناك سبباً وجيهاً لاختفاء الجميع "* .

تجول حول المكان ثم عاد للأغطية وقام بلمها . لم يجد شيئاً آخر يفعله فجلس وأسند ظهره لشجرة وراقب السحب فى السماء . مرت ساعات طويلة ولم يظهر بروم أو سفيرا فقال : *أتمنى ألا يكون قد حدث لهما ما يسوء "* .

جاء وقت العصر فشعر إيراجون بالملل وبدأ يستكشف الغابة المحيطة به . عندما حل به التعب ارتاح تحت شجرة السرو التى كانت تتكئ على صخرة ملساء لها شكل براق وبداخلها ماء صاف وراق .

حدق إيراجون فى الماء وفكر فى كلام وتعليمات بروم عن استحضار الصور فى الكرات الكريستال والماء والأسطح الملساء . *ربما يمكننى أن أرى أين سفيرا . قال لى روم إن الأمر يحتاج لطاقة كبيرة لكنى أقوى منه* ... تنفس بعمق وأغلق عينيه وفى ذهنه رأى صورة سفيرا وأخذ يشكلها وكأنها ماثلة أمامه ، لكن الأمر كان أصعب مما توقع ويحتاج لجهد أكبر ثم قال الكلمات السحرية وهو يحدق إلى الماء : " دراومر كوبا ! " .

أصبح سطح الماء مسطحاً تماماً وكأن هناك قوى غير مرئية جمدته واختفت الانعكاسات وصار الماء صافياً . لمعت على سطح الماء صورة سفيرا . كان ما يحيط بها أيضا عبارة

عن لون أبيضٍ تماماً ، لكن إيراجون رأى أنها تطير وكان بروم راكباً ظهرها ولحيته تتطاير فى الهواء وسيفه على ركبتيه .

ترك إيراجون الصورة تنقشع فى تعب وقال : " على الأقل إنهما بخير " ، ثم أمهل نفسه بضع دقائق لكى يتعافى ، ثم مال على الماء وقال : *" ترى كيف حالك يا روران الآن ؟ "* ، ورأى صورة ابن خاله واضحة فى ذهنه . فبدون تفكير لجأ للسحر وتمتم بالكلمات السحرية .

هدأ الماء وتكونت الصورة على السطح . ظهر روران وهو يجلس على مقعد غير مرئى ، وكان اللون الأبيض يحيط به كما حدث مع صورة سفيرا ، وكانت تعلو وجهه تجاعيد جديدة ـ وبدا مثل جارو أكثر من ذى قبل . ثبت إيراجون الصورة قدر الإمكان : " هل روران فى ثيرينسفورد ؟ إنه فى مكان لم أره من قبل بكل تأكيد ؟ " .

لكن جهد استخدام السحر جعل العرق ينزل فى قطرات على جبهة إيراجون . تنهد وظل جالساً لفترة طويلة وهو يشعر بالرضا ثم جالت بخاطره فكرة حمقاء : *" ماذا لو حاولت استدعاء صورة لشىء من بناتٍ أفكارى وخيالى أو شىء رأيته فى حلم ؟ "* ***ثم ابتسم قائلاً :*** *" ربما أرى شكل عقلى الواعى "* .

كانت الفكرة مغرية جداً وتملكته ولم يتمكن من التخلص منها . مال إلى الماء مرة أخرى وقال لنفسه : *" ما الذى سأبحث عنه ؟ "* فكر فى عدة خيارات ثم قال إنها أشياء لا تصلح ثم تذكر فجأة حلمه عن المرأة فى الزنزانة .

بعد أن اتضحت صورة الحلم في ذهنه ، تمتم بالكلمات السحرية وشاهد الماء بكل جوارحه ، ثم انتظر لكن لم يحدث شيء . شعر بالإحباط وكان على وشك الانتهاء من السحر عندما اجتاحت المياه ألوان داكنة سوداء كالحبر على شكل دوائر وغطت كل سطح الماء . ظهرت صورة شمعة وحيدة تراقص ضوؤها في الظلام أنارت في زنزانة حجرية . فرأى المرأة التي ظهرت في الحلم جالسة على فراش الزنزانة في أحد أركانها . رفعت رأسها وكان شعرها الأسود الفاحم ينسدل خلفها ، وحدقت في عيني إيراجون مباشرة . تجمد إيراجون في مكانه بفعل قوة تحديقها . سرى البرد في عموده الفقري والتقت عيناهما ثم ارتعشت المرأة وانهارت بضعف .

عادت المياه لطبيعتها وقام إيراجون وهو يشهق وقال : *" هذا غير حقيقي ، إنها ليست امرأة حقيقية ؛ لقد ظهرت في الحلم فقط ! كيف علمت أنني أنظر إليها ؟ كيف تمكنت من استدعاء قبو تحت الأرض لم أره في الواقع أبداً ؟ "* هز رأسه وتساءل إذا ما كانت باقي أحلامه رؤى أم لا .

قطع إيقاع ضربات جناح سفيرا في الهواء حبل أفكاره . أسرع بالعودة لمكان المعسكر ووصل في الوقت المناسب بالضبط بمجرد هبوط سفيرا وكان بروم يمتطيها كما رأى إيراجون حقاً ، لكن سيفه الآن كان ملطخاً بالدماء . كان وجه بروم ممتقعاً من الغضب ولحيته مخضبة بالدماء . قال إيراجون : " ماذا حدث ؟ " ، وكان يخشى أن يكون قد جُرح .

صاح العجوز : " ماذا حدث ؟ كنت أحاول إصلاح ما أفسدته أنت " ، ثم حرك سيفه فى الهواء للتخلص من قطرات الدماء من على نصله وقال : " هل تعلم نتائج حيلتك السحرية ؟ أتعلم ؟ " .

شعر إيراجون بغصة فى حلقه وقال : " منعت الأورجال من الإمساك بك " .

صاح بروم : " نعم ولكن كاد السحر أن يقضى عليك ! لقد ظللت نائماً لمدة يومين . لقد كان هناك اثنا عشر وحشاً من الأورجال ، *اثنا عشر* ! لكن هذا لم يمنعك من محاولة إلقائهم طوال الطريق إلى تيرم ، أليس كذلك ؟ ما الذى كنت تفكر فيه ؟ إن إرسال صخرة عبر رؤوسهم كان الشىء الذكى الذى كان لابد أن تفعله . لكنك أفقدتهم الوعى لكى يجروا بعيداً لاحقاً . لقد قضيت يومين فى تعقبهم ، لكن حتى مع سفيرا ؛ هرب منى ثلاثة ! " .

قال إيراجون وهو يشعر بالضآلة : " لم أرغب فى قتلهم " .

" لم تكن تلك مشكلة فى يازواك " .

" لم يكن لدىَّ الخيار حينها ، ولم أكن أتمكن من التحكم فى السحر ، لكن هذا المرة كان القتل يبدو ..... إجراء مبالغاً فيه " .

صاح بروم : " مبالغ فيه ! لو كانوا أمسكوا بك ما أظهروا أى رحمة ولماذا أظهرت نفسك لهم ؟ ! "

قال إيراجون فى لهجة دفاع : " لقد قلت لى إنهم شاهدوا آثار أقدام سفيرا ، فلم يكن سيحدث أى فرق لو رأونى " .

غرس بروم السيف فى الطينِ وصاح : " لقد قلت إن هذا الأمر لسنا متأكدين منه تماماً . ربما كانوا يظنون أنهم يطاردون مسافرين تائهين ، والآن ماذا سيكون اعتقادهم ؟ فعلى أية حال لقد هبطت أمامهم ! وبما أن فلولهم مازالوا على قيد الحياة ، فإنهم سينسجون حولك الأساطير والأباطيل من كل نوع فى كل المدن ! وهذا سيترددٍ صداه فى الإمبراطورية ! " . ثم رفع يديه وأردف قائلاً : " إنك لا تستحق الآن لقب الفارس قائد التنين أيها الفتى الأبله " .

رفع بروم السيف المغروس فى الطين وسار حتى وصل إلى النار فى المعسكر واستخرج خرقة بالية من بينِ طيات ملابسه وبدأ ينظف نصل السيف وهو يستشيط غضباً .

اندهش إيراجون للغاية وحاول أن يطلب النصيحة من سفيرا لكن كان كل ما قالته له هو : "*تحدث مع بروم*" .

تردد إيراجون لكنه ذهب إلى نار المعسكر وقال لبروم : " هل سيفيد لو قلت لك أنا آسف ؟ " .

تنهد بروم ووضع سيفه فى غمده وقال : " كلا لن يفيد ، إن مشاعرك لن تغير ما حدث " ، ثمٍ وضع إصبعه على صدر إيراجون وقال : " لقد اخترت عدداً من الخيارات الخاطئة التى لها تداعيات خطيرة . وكدت تموت من السحر بحماقتك . كدت تموت يا إيراجون ! من الآن ستفكر بنفسك ؛ فنحن خُلقنا ووهبنا الله عقدًا داخل رؤوسنا وليس حجارة " .

شعر إيراجون بالخجل وأومأ له برأسه وقال : " لكن الأمر ليس بهذا السوء كما تظن ، فإن الأورجال كانوا يعرفون بأمرى بالفعل وكانت لديهم أوامر للإمساك بى " .

اتسعت عينا بروم من الدهشة ووضع الغليون غير المشتعل فى فمه وقال : " كلا ، ليس سيئاً كما أظن ، بل أسوأ ! لقد قالت لى سفيرا إنك تحدثت معهم لكنها لم تذكر لى ما قلته لهم " . وصف له إيراجون فى عجالة ما قاله أثناء مواجهتهم فسأله بروم : " إذن لديهم الآن نوع ما من القادة ؟ " .

أومأ له إيراجون .

هز بروم رأسه وقال : " ولقد تحديت أنت رغبته وأهنته وهاجمت رجاله ؟ " لا أظن أن الأمر سيسوء أكثر ، لأنك لو كنت قد قتلتهم جميعاً لما وصلته الإهانة ، لكن الآن مستحيل تجاهلها . تهانئى ! لقد خلقت لنفسك عدواً من أقوى الأعداء فى " آلاجيشيا " !

قال إيراجون على مضض : " حسناً ، لقد أخطأت " .

قال بروم وعيناه تلمعان : " نعم هذا صحيح ، لكن ما يقلقنى : من هو قائد الأورجال هذا ؟ " .

ارتعش إيراجون وسأل برقة : " ماذا سيحدث الآن ؟ " .

مرت فترة صمت غير مريحة ثم قال بروم : " ستشفى ذراعك فى غضون أسبوعين ، وسنقضى هذا الوقت فى تعليمك كيف تتصرف بذكاء . هذا خطئى جزئياً ؛ كنت أعلمك كيفية القيام بأشياء معينة ولكنى لم أعلمك متى تستخدمها ، فهذا يتطلب الحذر والحيطة ، وهذا ما ينقصك بشكل واضح . كل السحر فى آلاجيشيا لن يفيدك مادمت لا تعرف متى تستخدمه " .

قـال إيراجـون : " لكننـا سـنذهب إلى مدينـة دراس - ليونا . أليس كذلك ؟ " .

حرك بروم عينيه وقـال : " نعـم ، سـنظل نبحـث عـن الرازاك ، ولكن حتى إذا وجدناهم ، لن يفيدك ذلك إلا بعـد أن تشفى ذراعك " .

فك بروم السرج عن سفيرا وقال لإيراجون : " هل أنـت بخير لدرجة كافية لامتطاء الخيل ؟ " .

" أعتقد ذلك " .

" جيد ، يمكننا قطع بضعة أميال اليوم " .

" أين كادوك وسنوفاير ؟ " .

أشار بروم نحو جانب بعيد قائلاً : " على مسافة بعيدة عـن هنـا . ربطتهمـا بجـوار العشـب " . اسـتعد إيراجـون للرحيل واتبع بروم إلى مكان الخيل .

قالت سفيرا لتنبه إيراجون : *" لـو كنـت قـد أوضحـت نواياك وخطتك لما حدث كل ذلك . كنت سأخبرك أنها فكرة سيئة ألا تقتل وحوش الأورجال . لقـد وافقتك فيما طلبته منى لأننى ظننت أنك تتصرف بعقل وحكمة إلى حـد ما ! " .*

" لا أريد التحدث فى هذا الأمر الآن " .

" كما تريد " .

وبينما كانوا يسـيرون ، كـان كـل مطـب أو حفـرة علـى الطريق تجعل إيراجون يصر على أسنانه من الألم . لـو كـان بمفـرده لتوقـف ، لكـن مـع وجـود بـروم لم يجـرؤ علـى الشكوى . كما أن بروم بـدأ يلقنـه سيناريوهات صـعبة عـن الأورجال والسحر وسفيرا . ظل يخبره عـن معـارك خياليـة

محتملة وكانت كثيرة ومتنوعة وتشمل الظلال وحيوانات التنين الأخرى . اكتشف إيراجون أنه من الممكن تعذيب جسده وعقله فى نفس الوقت ، وأساء فهم معظم الأمثلة والأسئلة مما زاد من إحباطه .

عندما توقفا لقضاء الليلة ، تمتم بروم فى غضب : كانت تلك مجرد بداية " ، وكان إيراجون يعلم أنه مصاب بالإحباط .

خبير المبارزة بالسيف

كان اليوم التالى سهلاً لكليهما حيث شعر إيراجون بتحسن وتمكن من الإجابة عن أسئلة بروم بشكل صحيح . وبعد تمرين خاص وصعب ، ذكر له إيراجون أنه استحضر صورة المرأة التى ظهرت له فى الحلم . جذب بروم لحيته وقال : " هل كانت مسجونة ؟ " .

" نعم " .

قال بروم باهتمام : " هل رأيت وجهها ؟ " .

" ليس بوضوح تام ، كانت الإضاءة سيئة لكن من الواضح أنها جميلة ، والغريب أننى رأيت عينيها بكل وضوح وهى تنظر إلىّ " .

هز بروم رأسه وقال : " وفقاً لمعلوماتى ، من المستحيل أن يدرك أحد أنه يتم التجسس عليه بالسحر " .

اندهش إيراجون من حماس بروم الواضح فى صوته وسأله قائلاً : " هل لديك فكرة عمن تكون تلك السيدة ؟ " .

قال بروم : " كلا ، الإجابات والتخمينات عديدةٌ لكنها ليست محتملة لدرجـة كـبيرة ، حلمـك غريـب جـداً . لقـد استدعيت بالسحر صورة لم ترها من قبل فـى نومـك ـ بـدون ذكر الكلمات السحرية اللازمة . إن الأحلام عادة مـا تلمـس عالم الأرواح ، لكن هذا شيٍء مختلف " .

صاح إيراجون ممازحاً : " ربما يجب أن نبحث فى كـل سجن وقبو حتى نجد تلك السيدة لكـى نفهـم مـا حـدث " . وفى الواقع فإنه كان يظنها فكرة جيدة . ضحك بروم وواصل المسير بالخيل .

كان تدريب بروم الصارم يشـغل كـل سـاعة تقريبـاً كـان بمـرور الأيـام التــى تراكمـت وصـارت أسـابيع . وبسـبب الجبيرة كان إيراجـون يضـطر لاسـتخدام يـده اليسـرى فـى التدريب على النزال مع بروم ، وبمـرور الوقـت تمكـن مـن المبارزة باليد اليسرى بنفس كفاءة اليد اليمنى .

وعندما عبرا منطقة سـباين ووصـلا للسـهول حـل فصـل الربيع على آلاجيشيا ، وتفتحت وأينعت كل أنواع الزهور . كمـا أن الأشـجار التــى تتسـاقط أوراقهـا كـل موسـم وكانـت فروعها عارية صار لونـها أحمر قانياً من كثـرة الـبراعم كمـا نمت الأعشاب والحشائش مكان النباتات الذابلة منـذ العـام الماضى . وعادت الطيور من موسم الهجرة الشتوى مـن أجـل التزاوج وبناء العشش .

اتبع المسافران نـهر توارك إلى الجنوب الشرقى على طول حافة منطقة سباين ، وكـان حجـم النهـر يـزداد باسـتمرار بينما تصب فيه الروافد من كل جانـب ممـا يغذيـه ويجعـل

عرضه يزداد باستمرار . وعندما صار عرض النهر أكثر من فرسخ ، أشار بروم نحو الجزر المتكونة من الطمى والغرين وتملأ مجرى النهر وقال : " لقد اقتربنا من بحيرة ليونا الآن ؛ فهى على بعد فرسخين " .

قال إيراجون : " أتظن أننا سنصل إلى هناك قبل حلول الليل ؟ " .

" يمكننا المحاولة فى ذلك " .

وقد جعل وقت الغسق من الصعب مواصلة الطريق لكن صوت تدفقٍ مياه النهر كان يرشدهم ، وعندما بزغ القمر وفر لهم ضوءاً يكفى لرؤية ما يوجد أمامهم .

بدت بحيرة ليونا فى ضوء القمر كصفحة من الفضة المطروقة على الأرض ، كانت المياه هادئة وساكنة لدرجة أنها لا تبدو سائلة . وبجانب ضوء القمر المبهر الذى ينعكس من على سطحها ، لم يكن من الممكن تمييزها عن الأرض . كانت سفيرا على الشاطئ الصخرى للبحيرة وترفرف بجناحيها لكى تجففهما . حياها إيراجون فقالت له : " *الماء هنا جميل . عميق وبارد ورائق* " .

قال لها : " *ربما نذهب للسباحة غداً فى البحيرة* " . ثم أعد المعسكر للمبيت مع بروم تحت الأشجار وسرعان ما غط الجميع فى نوم عميق .

فى الفجر تحمس إيراجون وأسرع لرؤية البحيرة فى ضوء النهار . كانت البحيرة عبارة عن مساحة شاسعة من اللونٍ الأبيض وكانت توجد أمواج فى أنماط وأشكال عديدة غالباً ما تدفعها الرياح . وقد أضفى عليه حجم البحيرة

شعوراً بالسعادة ، فصاح وجرى نحو الماء وقال : *" سفيرا ، أين أنت ؟ لنمرح قليلاً معاً ! "* .

وبمجرد أن امتطاها إيراجون ، قفزت فوق الماء وطارت لأعلى في دوائر عبر البحيرة ، لكن نظرا للارتفاع الذى طارت به ، لم ير إيراجون الشاطئ الآخر المواجه للشاطئ الذى به المعسكر . قال إيراجون لسفيرا بمرح : " هل تحبين السباحة فى البحيرة ؟ " .

ابتسمت سفيرا كالذئاب وقالت له : " تماسك ! " ، ثم أغلقت جناحيها وانطلقت لأسفل إلى الأمواج وهى تسبح بدفع الأمواج بمخالبها . كانت المياه تلمع فى ضوء الشمس وهى تسبح كالسفينة على سطح الماء . صاح إيراجون فى سعادة غامرة ، ثم قفزت سفيرا تحت الماء وغطست فى البحيرة برأسها ورقبتها وكأنها رمح .

ارتطم إيراجون بالماء كالحائط المثلج وشهق ثم أغلق أنفه وكاد ينفصل عن سفيرا وأمسكها بكل قوة عندما صعدت إلى سطح الماء . وبثلاث ضربات بقدميها ، صعدت للسطح وأرسلت رذاذا لامعاً إلى أعلى . شهق إيراجون وهز شعر أسه بينما سبحت سفيرا عبر البحيرة واستخدمت ذيلها كدفة .

قالت له : " هل أنت جاهز ؟ " .

أومأ لها إيراجون وسحب نفساً عميقاً وأمسك بها بكل قوته ، وهذه المرة غطست سفيرا بلطف تحت الماء . كان بإمكانهما رؤية ما تحت الماء لعدة ياردات حيث يصفو الماء ولا يعكره أى شىء . كانت سفيرا تتحرك بجسمها فى حركات بهلوانية عجيبة ، وكانت تسبح تحت الماء مثل

ثعبان البحر . شعر إيراجون أنه يمتطى ثعبان البحر العملاق المذكور فى الأساطير .

وبمجرد أن احتاجت رئتاه للهواء ، تحدب ظهر سفيرا ورفعت رأسها لأعلى وفتحت جناحيها وبضربتين قويتين من الجناح ارتفعت لأعلى في الهواء .

صاح إيراجون . *" واو ! كان هذا مذهلاً "* .

قالت سفيرا بسعادة : " نعم ، ولكن للأسف لا يمكنك كتم أنفاسك لفترة أطول " .

قال لها : " لا حيلة لى فى ذلك " ، ثم أزاح الماء عن شعره . كانت ملابسه مبتلة تماماً والرياح المندفعة من أجنحة سفيرا تشعره بالبرد . جذب الجبيرة فآلمه رسغه .

بمجرد أن جفت ملابسه وضع السرج على الخيل مع بروم وسارا حول بحيرة ليونا وروحهما المعنوية كانت مرتفعة ، بينما لعبت سفيرا فى الماء وكانت تغطس وتصعد عدة مرات .

قبل العشاء ، أعد إيراجون نصل السيف زاروك استعداداً للمبارزة المعتادة . لم يتحرك هو أو بروم وانتظر كل منهما الآخر لكى يضرب أولاً . فحص إيراجون المكان من حوله لكى يجد شيئاً يمنحه ميزة فى القتال . جذب نظره عصا كانت موجودة بالقرب من نار المعسكر .

انحنى إيراجون بسرعة والتقط العصا وقذف بروم بها ، لكن الجبيرة جعلت الرمية بطيئة فأوقفها بروم بسهولة ثم هرع للأمام وهو يلوح بالسيف . انحنى إيراجون بالكاد قبل

أن يلمس السيف رأسه فى حركة خاطفة . صاح إيراجون وهاجم بروم بضراوة .

سقطا على الأرض أثناء العراك وحاول كل منهما أن يشل حركة الآخر وينام فوقه ، واستدار إيراجون للجانب وحاول تسديد ضربة بسيفه إلى ما فوق قدمي بروم الذى اتقى الضربة بمقبض سيفه ؛ ثم قام قفزاً . قام إيراجون وهو يهتز ويتلوى من الألم لكنه هاجم بروم مرة أخرى وهو يلوح بسيفه زاروك بنمط حركي معقد . تطاير الشرر من نصل كلا السيفين عندما كانا يصطدمان في ضرباتٍ قوية . كان بروم يصد كل ضربة ، وكان وجهه ممتقعاً من فرط التركيز . لكن إيراجون لاحظ بوضوح تام أنه كان على وشك التعب والإعياء . استمر النزال والضرب بلا هوادة وحاول كل منهما إيجاد نقطة ضعف فى دفاعات الآخر .

ثم شعر إيراجون بتغيير سير النزال ؛ لقد نال تقدماً على خصمه ضربة تلو الأخرى وتباطأت حركات صد بروم وفقد عدة نقاط وتراجع للخلف ، وصد إيراجون ضربات بروم بسهولة وبرزت عروق جبهة الرجل العجوز وكذلك عروق رقبته من فرط الإجهاد .

شعر إيراجون بالمزيد من الثقة فجأة ، فحرك سيفه بأسرع من ذى قبل فى حركات متتالية سريعة كالشبكة حول سيف بروم . وبسرعة فائقة تلاقى الجانب المسطح للسيفين على حين غرة وغفلة من بروم فأطاح إيراجون بسيف بروم على الأرض وقبل أن يصدر من بروم أى رد فعل ، رفع إيراجون السيف زاروك وسلطه على رقبة بروم .

وقفا يشهقان وحافة السيف الحمراء مستقرة على عظام رقبة بروم . خفض إيراجون ذراعه ببطء وتراجع . كانت هذه هى أول مرة يتفوق فيها على بروم بدون اللجوء للخداع . التقط بروم سيفه ووضعه فى غمده وقال وهو مازال يلهث : " يكفى هذا اليوم " .

تعجب إيراجون وقال : " لكننا بدأنا للتو " .

هز بروم رأسه بالنفى وقال : " لم يعد هناك ما أعلمه لك بالقتال بالسيف . من بين كل المحاربين الذين قابلتهم ، لم يهزمنى بهذا الشكل أحد سوى ثلاثة فقط ، ولم يفعل أحدهم هذا معى باليد اليسرى " . ثم ابتسم فى أسى وأردف قائلاً : " لست شاباً كما كنت فى الماضى ، لكن يمكننى القول إنك محارب موهوب بالسيف ومن الطراز النادر الفريد " .

قال إيراجون : " هل هذا يعنى أننا لن نتبارز كل ليلة من الآن فصاعداً ؟ "

ضحك بروم وقال : " لن تهرب من الأمر ، لكن سيكون الأمر أسهل من الآن فصاعداً ، فلا بأس لو تركنا ليلة بدون قتال كل فترة ، بدلاً من أن يكون يومياً " . ثم مسح العرق من جبهته وقال : " تذكر فقط أنه إذا أوقعك حظك التعس فى قتال مخلوق من الإلف - سواء كان مدرباً أم لا وسواء كان ذكراً أم أنثى - فتوقع الهزيمة . فهم مثل حيوانات التنين والمخلوقات السحرية الأخرى ، أقوى من الإنسان . وحتى أضعف مخلوقات الإلف يمكنه هزيمتك . نفس الشىء ينطبق على الرازاك - فهم ليسوا بشراً ولا يتعبون بسرعة مثلنا " .

جلس إيراجون القرفصاء بجوار سفيرا وقال : " ألا توجد طريقة لكى نتساوى بهم فى القوة ؟ " .

قاطعته سفيرا : *" لقد كنت بارعاً فى القتال "* ، فابتسم لها إيراجون .

أجابه بروم قائلاً : " توجد طرق قليلة ولكنها غير متاحة لك الآن . حتى السحر لن يجعلك تهزم أقوى الأعداء ؛ بل تحتاج عند القتال معهم إلى مساعدة سفيرا مع حظ وافر . تذكر أن استخدام المخلوقات السحرية للسحر يمكنهم من قتل البشر بسبب إمكانياتهم المتقدمة " .

قال إيراجون : " كيف تحارب بالسحر ؟ " .

" ماذا تعنى ؟ " .

استند إيراجون على كوعه وقال : " حسناً . أعنى أنه على فرض أن أحد الظلال هاجمنى ، فكيف أصد سحره ؟ معظم التعاويذ السحرية يتم تنفيذها فى الحال مما قد لا يتيح لى الوقت لعمل أى شىء ، وحتى لو تمكنت من عمل أى شىء ، فكيف سأقلل من تأثير سحر الأعداء ؟ هل لابد أن أعرف نوايا عدوى قبل أن يقوم بأى شىء ؟ " ، ثم صمت لبرهة وقال : " لا أرى كيفية القيام بذلك ، فمن يهاجم أولاً ، سيفوز " .

تنهد بروم قائلاً : " إن ما تتحدث عنه ـ لنسميه مثلاً نزال السحرة ـ شىء خطير للغاية ، ألم تتساءل من قبل كيف تمكن جالباتوريكس من هزيمة كل الفرسان قائدى التنين بمساعدة عشرات الخونة ؟ " .

قال إيراجون : " لم أفكر فى ذلك مطلقاً " .

" توجد عدة طرق ستتعلم بعضها لاحقاً : لكن أهم ما يجب أن تعرفه الآن أن جالباتوريكس كان ـ ومازال ـ خبيراً فى النفاذ والسيطرة على أذهان الآخرين . وكما ترى ، فإنه فى نزال السحر توجد قواعد صارمة يجب أن يراعيها كل جانب وإلا فإن كلا الطرفين سيموت ، وأول قاعدة ، لا أحد يستخدم السحر إلا إذا بدأ أحدهم بالنفاذ إلى ذهن الطرف الآخر " .

لفت سفيرا ذيلها بكل راحة حول إيراجون وقالت : *" علام الانتظار ؟ عندما يدرك العدو أنك هاجمته سيفوت أوان القيام بأى شىء "* . ذكر إيراجون بصوت مسموع لبروم ما قالته سفيرا .

هز بروم رأسه بالنفى وقال : " كلا لن يحدث ذلك ، إذا استخدمت أنا سحرى ضدك فجأة ستموت بالتأكيد ، لكن فى اللحظة التى تسبق موتك سيكون هناك وقت كاف لرد الفعل والهجوم المضاد . وبالتالى فإنه إذا لم يكن لدى أى من الطرفين رغبة فى الموت فإن كلا الجانبين لن يهاجما بعضهما إلا إذا اخترق أحدهم دفاعاته " .

تساءل إيراجون : " وماذا يحدث حينئذ ؟ " .

هز بروم كتفيه دون اكتراث وقال : " بمجرد الولوج لعقل عدوك ، من السهل توقع ما سيفعله فتمنعه . وحتى مع تلك الميزة ، من الممكن أن تخسر إذا لم تكن تعرف كيف تصد التعاويذ السحرية " .

ملأ بروم غليونه وأشعله ثم قال : " وهذا يستلزم تفكيراً سريعاً فوق العادة . قبل أن تدافع عن نفسك يجب أن تفهم بالضبط طبيعة القوى الموجهة إليك . فإذا هوجمت بالحرارة

يجب أن تعرف هل هى تنتقل إليك عبر النار أو الهواء أو الضوء أو أى وسيلة أخرى . وبمجرد معرفة ذلك ، يمكنك مواجهة السحر مثلاً بتبريد المادة الحارة " .

" هذا يبدو صعباً " .

قال بروم : " صعب جداً " ، وارتفعت سحابة دخان من غليونه ثم قال : " نادراً ما يبقى أحد بعد النزال إلا لثوان ثم يموت ، فالكم الضخم جداً من الجهد والمهارة اللازمة يحكم على غير المتدربين جيداً بالموت المحقق . عندما تتقدم بما يكفى سأعلمك الطرق اللازمة . ولكن إلى أن يحين ذلك الوقت ، أقترح عليك أنك لو قابلت ساحرا يريد نزالك ، فاهرب بأسرع ما يمكنك " .

مستنقع دراس ـ ليونا

تناولا الغداء فى قرية صاخبة تعج بالسكان بجوار بحيرة تسمى فاسالوفت ، وكانت قرية ساحرة تقع على مرتفع يطل على البحيرة بينما كانا يأكلان الطعام فى قاعة الطعام في الفندق ، أنصت إيراجون للثرثرة بين الناس وارتاح لعدم وجود إشاعاتٍ عنه أو عن سفيرا .

كان الطريق يزداد سوءاً عبر اليومين الماضيين ، حيث أصبحت التربة وعرة وصارت غير ممهدة بسبب عجلات العربات والحوافرٍ الحديدية للخيل ؛ مما جعل العبور فيها مستحيلاً في بعض الأجزاء . وقد أجبرت زيادة عدد المسافرين سفيرا على الاختباٍء طوال اليوم ، وبعد ذلك كانت تلحق ببروم وإيراجون ليلاً .

استمرا في المسير لعدة أيام إلى الجنوب بمحاذاة الساحل الواسع لبحيرة ليونا . تساءل إيراجون هل سيدوران حول البحيرة أم لا ؛ لذلك ارتفعت روحه المعنوية عندما قابلا

رجالاً على الطريق أخبروهما بأن مدينة دراس ـ ليونا على بعد مسيرة يوم أمامهما .

* * *

استيقظ إيراجون مبكراً فى صباح اليوم التالى وتحركت أصابعه بشكل لا إرادى توقعًا لإيجاد الرازاك أخيراً . قالت سفيرا : " احترسا لأن الرازاك قد يكون لهم جواسيس يراقبون المسافرين للاستدلال عليكما وعلى مواصفاتكما " . طمأنها بقوله : " سنبذل قصارى جهدنا لكى نظل غير لافتين للأنظار " .

مالت برأسها حتى التقت عيونهما وقالت : " ربما ، لكن عليك أن تدرك أننى لن أتمكن من حمايتك كما فعلت مع الأورجال ، سأكون بعيدة جداً ولن أتمكن من الوصول فى الوقت المناسب لنجدتك ولن أتمكن من التجوال فى الشوارع الضيقة ، اتبع بروم وأطعه فهو حكيم وعاقل " .

قال إيراجون بجدية : " أعلم ذلك "

هل ستذهب مع بروم لمنطقة الفاردن ؟ بعد قتل الرازاك ، ربما ترغب فى الذهاب إلى هناك ، لأن الملك جالباتوريكس سوف يستشيط غضباً لقتلهم ، فهذا يبدو أكثر الحلول أمناً لحمايتك " .

دلك إيراجون ذراعيه وقال : " لا أريد محاربة الإمبراطورية طوال العمر كما يفعل الفاردن ؛ فالحياة أهم من الحرب الدائمة . سيكون هناك وقت للتفكير فى ذلك بعد القضاء على الرازاك " .



فى محاولة يائسة لانقاذ بيضة التنين الثمينة . قامت أنثى الالف - اريا - التى كانت تحمل البيضة . بنقلها بالسحر قبل لحظات من وقوعها فى أسر الظل الشرير دورزا .



اكتشف ايراجون حجرا أزرق غامضا بينما كان يتجول للصيد فى الغابة بجوار منزله .



من الواضح أن ايراجون ليس هو الوحيد المهتم بالحجر الازرق ، حيث يامر الملك الشرير جالباتوريكس الظل دورزا بالبحث عنه واقتفاء اثره .



عندما يفقس الحجر ويكشف عن تنين صغير ، تتغير حياة ايراجون الى الابد .



ينطلق ايراجون فى مهمة اقتفاء أثر قتلة خاله لينتقم منهم . وكان بصحبته راوى القصص : بروم الذى يعطيه دروسا فى المبارزة .



بروم يمنح ايراجون السيف الشهير " زاروك " كهدية له .



بينما يطارد ايراجون القتلة المأجورين من قبل الملك " الرازالت " . ينصب له كمين من قبل العدو الذي يطارده .



أثناء الرحلة . تقرأ أنجيلا الساحرة الغامضة طالع ايراجون وتتنبأ له بمستقبله .



شب إيراجون على حب الطيران مع سفيرا .



تعانى اريا من الالام على يد دورزا فى سجن مدينة جيلياد .



يتمكن ابراجون بمساعدة الغريب الهارب " مورتاج " من انقاذ اريا ويتوجهون الى مدينة شعب الفاردن التى تسمى " فارزن دور " والتى تشبه الحصن المنيع ...



... حيث يقابل ابراجون زعيم الفاردن " اجيهاد " وابنته " نازوادا " .



تقوم سنثيرا بتحية ملك الاقزام هورسجار.



تتحول فارزن دور
الى ساحة قتال عندما
يرسل الملك جالبانوريكس
صفوة جنوده مع جيش من
وحوش الاورجال لحصار
المدينة واقتحامها.





اريا وايراجون يستخدمان قواهما السحرية أثناء المعركة .



بعد المعركة . يتقابل إيراجون وآريا لآخر مرة قبل الوداع .

حذرته قائلة : " لا تكن واثقاً لهذا الحد " ، ثم طارت لإخفاء نفسها حتى حلول الليل .

كان الطريق يعج بالمزارعين الذين ينقلون بضائعهم للسوق في مدينة دراس ـ ليونا . وقد اضُطر بروم وإيراجون إلى تهدئة سرعة سير الخيل وانتظرا مرور العربات التي تجرها الخيل وتسد الطريق .

وعلى الرغم من ظهور الدخان على مرمى البصر . وعلى عكس مدينة تيرم ، التي كانت منظمة للغاية ، فإن دراس ـ ليونا كانت عبارة عن فوضى معقدة ومتشابكة بجوار بحيرة ليونا ، فالمباني المتهالكة المتهاوية تقبع في الشوارع القذرة المتعرجة وقلب المدينة كان محاطاً بحائط سميك ذي لون أصفر باهت وقذر من الطين المختلط بطمي البناء .

وعلى بعد أميال شرقاً ، كان هناك جبل من الصخور فقط يخترق السماء بسبب الأبراج والعمدان وكأنه سفينة الأشباح والكوابيس الحالكة الظلام . كانت هناك جوانب شبه أفقية ترتفع عن الأرض كأنها قطع متعرقة من عظام الأرض .

قال بروم : " هذه هي هيلجريند ، وهي سبب بناء مدينة دراس ـ لوينا ، والناس مبهورون بها على الرغم من أنها شيء غير صحي وخبيث " . ثم أشار بروم للمباني داخل سور المدينة وقال : " يجب أن ندخل مركز المدينة أولاً " .

وبينما كانا يسيران ببطء عبر الطريق إلى دراس ـ ليونا ، رأى إيراجون أن أعلى مبنى داخل المدينة عبارة عن كاتدرائية تلقي بظلالها المشئومة خلف كل الأسوار . كانت تشبه هيلجريند ، وخاصة بقبابها والعمدان والأبراج على

جوانبها التى تلتقط الضوء . قال إيراجون : " ما هى ديانتهم ؟ " .

عبس وجه بروم فى تقزز وقال : " يتوجهون فى صلاتهم إلى هيلجريند ، فديانتهم خبيثة وقاسية ؛ فهم يشربون دماء البشر ويقدمون قرابين بشرية ورجال الدين لديهم غالباً يفقدون أعضاء فى أجسادهم لأنهم يظنون أنك كلما فقدت عظاماً وأعضاءً يقل ارتباطك بالعالم الفانى . وهم يقضون معظم أوقاتهم فى الجدال بشأن تحديد أى قمة من قمم هيلجريند من حيث الارتفاع والأهمية ، وهل القمة الرابعة ـ الأقل ارتفاعاً ـ يجب أن تدرج فى عباداتهم أم لا " .

ارتعش إيراجون وقال : " هذا شىء بشع " .

قال بروم بكآبة : " نعم ، لكن لا تقل ذلك لأحد من أتباع هذه الديانة وإلا ستفقد يدك كتكفير عن ذنوبك ! " .

على أعتاب البوابات الضخمة لأسوار دراس ـ ليونا ، قادوا الخيل وسط زمرة من الناس المتدافعين وكان هناك عشرة جنود يقفون على كل جانب من البوابة الضخمة ويفحصون الداخلين بشكل عابر وروتينى ، فدخل إيراجون وبروم المدينة دون أن يلفتا إليهما الأنظار أو الانتباه .

كانت المنازل داخل سور المدينة طويلة ورفيعة لتعويض نقص المساحة . أما المنازل المتاخمة للسور فكانت ملتصقة به تماماً . وكانت معظم البيوت تقبع فى الشوارع الضيقة الملتوية المتعرجة ، والدخان الكثيف يملأ السماء ويحجب الضوء حيث لا تعرف هل الوقت كان نهاراً أم ليلاً . وكانت كل المبانى تقريباً مبنية من نفس الخشب البنى الخشن مما

يجعل المدينة قاتمة بشدة ، والجو أتلفته رائحة المجارى ، وكانت الشوارع قذرة .

كانت هناك مجموعة من الأطفال ذوى الملابس الممزقة الرثة القذرة يركضون بين المنازل ويتصارعون على كسرات الخبز الجاف . وكان هناك شحاذون مشوهون يجلسون بجوار بوابات الدخول ويتسولون . وكانت صيحاتهم لطلب الإحسان مثل الأصوات القادمة من الجحيم . قال إيراجون لنفسه : *" نحن حتى لا نعامل الحيوانات بهذه الطريقة "* وكانت عيناه متسعتين من الغضب وقال : " لن أبقى هنا " ، وكان يتمرد ضد المشهد الماثل أمامه .

قال بروم : " سيتحسن الوضع كلما دلفنا أكثر للمدينة ، فنحن بحاجة الآن للوصول إلى أى فندق لكى نفكر فيما سنفعله . دراس ـ ليونا مدينة خطيرة حتى على أحرص الناس ، ولا أريد أن نظل فى الشارع لمدة أطول من اللازم " .

دلفا أكثر فى أغوار المدينة وتركا البوابة القذرة التى يرثى لحالها خلفهما . وعندما دخلا الجزء الثرى من المدينة تعجب إيراجون وتساءل : *" كيف يحيا هؤلاء الناس فى رغد وترف بينما المعاناة واضحة جلية فيمن حولهم ؟ "* .

وجدا نُزلاً يسمى " الكرة الذهبية " وكان رخيصاً لكن لم يكن متهالكاً أو فى حالة سيئة يرثى لها . وفى الحجرة ، كان هناك سرير ضيق محشور بجانب أحد الحوائط وبجواره منضدة غير ثابتة الأقدام وحوض ماء . ألقى إيراجون نظرةً على المكتبة وقال : " سوف أنام على الأرضية ؛ فغالباً ستكون المرتبة ممتلئة بالحشرات بكم يكفى لالتهامى حياً ! " .

قال بروم : " حسناً لن أحرم الحشرات من وجبتها " ، ثم وضع حقائبه على الفراش ووضع إيراجون حقائبه على الأرض وخلع قوسه من على ظهره .

بعد ذلك قال إيراجون : " ماذا سنفعل الآن ؟ "

" لنأكل ونحتسي الشراب ، ثم ننام ، وغداً نبدأ البحث عن الرازاك " . وقبل أن يغادر الحجرة حذره بروم قائلاً : " مهما حدث ، تأكد ألا يفلت لسانك بكلمة . إذا انكشفنا فسنضطر للرحيل فوراً " .

كان طعام الفندق يكفيهما بالكاد لكن الشراب كان جيداً ، وسارا بخطى متثاقلة إلى الحجرة وكان رأس إيراجون متثاقلاً للغاية ، ثم فرد أغطيته على الأرضية وتدثر بها بينما تهاوى بروم على الفراش من فرط التعب .

قبل أن ينام إيراجون تواصل ذهنيا مع سفيرا : *" سنبقى هنا بضعة أيام ولكن ليس لأيام طويلة كما فعلنا في تيرم . عندما نكتشف مخبأ الرازاك ستساعدينا على النيل منهم . سأتحدث معك في الصباح ، الآن لا يمكنني التفكير بوضوح "* .

قالت له بنبرة اتهام : " لقد كنت تحتسي الشراب " . فكر إيراجون في كلامها للحظة وكانت على حق ، وكان عدم رضاها واضحاً ، لكنها قالت له فقط : *" لن أحسدك على حالك في الصباح "* .

قال لها : *" كلا ، لكن بروم سيحسدني لأنه احتسى ضعف ما احتسيته من الشراب "* .

أثر الزيت

تساءل إيراجون في الصباح : *" ما الذي كنت أفكر فيه ؟ "* . كان رأسه به صداع رهيب ولسانه ثقيلاً وذهنه مشوشاً ، جرى فأر تحت الأرضية فنظر إيراجون في خوف من الضجة .

قالت له سفيرا ذهنياً وهي تشعر بالثقة لصدق قولها : *" كيف الحال الآن ؟ "* .

تجاهلها إيراجون .

وبعد لحظة ، قام بروم من فراشه وصاح ضجراً ، ثم غطس رأسه في الحوض الممتلئ بالماء البارد ثم غادر الحجرة وتبعه إيراجون للردهة وهو يسأل : *" إلى أين نحن ذاهبون ؟ "* .

" لكي نستعيد صحتنا " .

" سأذهب معك " ، وفي ركن المشروبات ، اكتشف إيراجون طريقة علاج بروم حيث تتضمن شرب كميات ضخمة من الشاي الساخن والماء المثلج . وعندما عادا للحجرة

تمكن إيراجون من أن يفيق جيداً ويعى ما حوله وفقد آثار الشراب من ليلة أمس .

وضع بروم السيف على حزامه وعدّل ثوبه وقال : " أول ما سنفعله هو أن نسأل أحدهم أسئلة غير مباشرة . يجب أن نعرف أين تم تسليم زيت سيثر فى دراس ـ ليونا وأين انتقل بعد ذلك . وفى أغلب الظن ، فإن الجنود أو العمال كانوا يشاركون فى نقله . يجب أن نجد هؤلاء الأشخاص الذين يمكنهم أن يمدونا بالمعلومات " .

غادرا فندق الكرة الذهبية وبحثا عن مخازن البضائع حيث يكون تم تسليم الزيت ، وبالقرب من مركز مدينة دارس ـ ليونا ، كانت الشوارع تميل للأعلى نحو قصر من الجرانيت المصقول وكان مبنيًا على هضبة صغيرة فارتفع عن باقى المبانى عدا الكاتدرائية .

كانت حديقة القصر عبارة عن أشكال فنية من الموزاييك واللؤلؤ ، وكانت بعض أجزاء الحوائط مطعمة بالذهب ، وكان هناك تماثيل سوداء فى تجاويف فى الحائط وفى أيدى التماثيل أعواد بخور مشتعلة . وكان هناك حراس يقفون بين كل حارس وآخر أربع ياردات ويراقبون بشدة كل المارة .

قال إيراجون فى رهبة : " من يعيش هنا ؟ " .

قال بروم : " ماركوس تابور حاكم المدينة ، وهو يستجيب فقط للملك ولضميره ، لكن ضميره لم يعد حيا مؤخراً " ، ثم سارا حول القصر وهما ينظران إلى المنازل الفخمة المزينة ذات البوابات المحيطة بالقصر .

وبحلول منتصف النهار لم يتوصلا إلى معلومة مفيدة ، لذلك توقفا للغداء . قال بروم : " هذه المدينة واسعة جداً لكى نمشطها معاً . ابحث بمفردك وقابلنى فى الفندق فى ساعة الغروب " ، ثم حدق محذراً إيراجون بعينيه من تحت حاجبيه الكثين : " أتعشم ألا تفعل أى حماقات " .

وعده إيراجون قائلاً : " لن أفعل أى حماقات " ، ثم أعطاه بروم بعض العملات وسار فى الاتجاه المعاكس .

وطوال باقى اليوم تحدث إيراجون مع أصحاب المتاجر والعمال وحاول أن يبدو ظريفاً ومسلياً قدر الإمكان . قادته تساؤلاته من طرف المدينة إلى الطرف الآخر ، ثم العودة مرة أخرى إلى الطرف الأول . لا أحد يعلم أى شىء عن الزيت ، وبينما كان يسير كانت تخيم عليه ظلال الكاتدرائية وكان من المستحيل أن تتجاهل عيناه أعمدتها وأبراجها الشاهقة .

فى النهاية وجد رجلاً ساعد فى شحن زيت سيثر وتذكر إلى أين نقله من بين المخازن ، ذهب إيراجون وهو يشعر بالإثارة إلى المبنى لكى يتفقده ، ثم عاد للفندق . عاد بروم بعد ساعة من وصول إيراجون وهوى جالساً فى تعب ، فقال له إيراجون : " هل وجدت شيئاً ؟ " .

دفع بروم شعره الأبيض للوراء وقال : " سمعت أشياء كثيرة عجيبة اليوم ، سيزور الملك جالباتوريكس دراس - ليونا خلال أسبوع " .

صاح إيراجون : " ماذا ؟ ! " .

استند بروم للحائط وتعمقت تجاعيد جبهته وقال : " يبدو أن تابور تمادى فى المزيد من السلطات المخولة إليه

فقرر جالباتوريكس المجيء وتلقينه درساً فى التواضع . هذه أول مرة يغادر فيها الملك عاصمته أوروباين منذ أكثر من عشر سنوات " .

قال إيراجون : " هل تظن أنه يعلم بأمرنا ؟ "

" بالطبع ، لكننى متأكد أنه لا يعرف مكاننا لأنه لو كان يعرفه لوقعنا فى يد الرازاك . لكن ذلك يعنى أن مهمتنا بشأن الرازاك يجب إنهاؤها قبل مجيئه ، لا نريد أن نكون فى محيط عشرين فرسخًا من الملك ، الشيء الوحيد فى صالحنا هو أننا متأكدون أن الرازاك هنا ، ويستعدون لزيارة للملك " .

قال إيراجون وهو يقبض بكلتا يديه : " يجب أن أصل للرازاك لكى أنتقم ؛ لكن ذلك لا يعنى أن أحارب الملك ، فقد يمزقنى إربًا " .

بدت عبارة إيراجون ممتعة لبروم فقال : " رائع جداً : الحرص . عندك حق ؛ لا يجب أن تتحمل مواجهة جالباتوريكس . والآن أخبرنى بما عرفته اليوم ، فقد يؤكد ما سمعته " .

هز إيراجون كتفيه دون اكتراث وقال : " معظم ما سمعته لا يعدو ثرثرة فارغة لكن هناك رجلاً قال لى إنه يعلم مكان تخزين الزيت . إنه يقول إنه يوجد فى مخزن قديم ، وسوى ذلك لم أعلم شيئاً مفيداً " .

" كان يومى مثمراً أكثر من يومك ؛ فأنا أيضاً سمعت ما قلته لى ، وذهبت للمخزن القديم وتحدثت مع العمال . لم أتعب فى إقناعهم كثيراً وأفضوا إلىّ بأن حمولة الزيت من هذا النوع يتم ترحيلها للقصر دائماً " .

قال إيراجون : " ثم جئت إلى هنا " .

" كلا لم يحدث ! لا تقاطعني . بعد ذلك ذهبت إلى القصر ودخلت بدعوى من الخدم إلى منازلهم كراو للقصص . ولعدة ساعات ، أخذت أسلي الخادمات والآخرينً بالأغاني والأشعار ـ وأطرح عليهم الأسئلة بين الفينة والأخرى " . ملأ بروم غليونه بالتبغ ببطء ثم أردف قائلاً : " وأنا مندهش حقاً من حجم وكم المعلومات التى يعرفها الخدم . هل تعلم أن أحد الحراس لديه ثلاث محظيات يقمن معاً فى جناح واحد فى القصر ؟ " ، هز رأسه وأشعل غليونه وقال : " بغض النظر عن التفاصيل المثيرة ، قال لى أحد الخدم بالمصادفة إلى أين تم نقل الزيت من القصر " .

قال إيراجون وقد نفد صبره : " وهذا المكان ... ؟ "

نفخ بروم فى غليونه ونفث حلقة دخان وهو يقول : " إلى خارج المدينة بالطبع ، فمع كل ليلة يكون القمر فيها بدراً يتم إرسال عبدين إلى قاعدة هيلجريند بالزيت مع مؤن تكفى لمدة شهر . وكلما جاء الزيت إلى دراس ـ ليونا يرسلونه مع المؤن ، ولا يظهر العبدان أبداً بعد تلك المهمة . وذات مرة اتبع عبد آخر العبدين المنوطين بالمهمة فاختفى هو الآخر " .

قال إيراجون : " ظننت أن الفرسان قائدى التنين قد ألغوا تجارة العبيد " .

" للأسف ، ازدهرت تجارة الرقيق فى عهد الملك " .

فكر إيراجون فى الجبل الصخرى وقال : " إذن الرازاك فى هيلجريند " .

" ربما هناك أو بالقرب منها " .

" إذا كانوا فى هيلجريند ؛ فهم إما فى القاع ـ ويحميهم باب سميك من الحجارة ـ أو فى قمم عالية لا يستطيع الوصول إليها أحد سوى سفيرا . وعلى أية حال سيكون مخبؤهم خفيًا . " فكر إيراجون للحظة ثم أضاف قائلا : " إذا طرت مع سفيرا إلى هيلجريند ، سيرانا الرازاك ـ ناهيك عن كل سكان دراس ـ ليونا " .

قال بروم : " إنها مشكلة عويصة حقاً " .

عبس إيراجون وقال : " ماذا لو أخذنا مكان العبدين المنوطين بالمهمة ؟ اقترب يوم اكتمال البدر ، تلك فرصة سانحة لكى نقترب من الرازاك " .

جذب بروم لحيته مفكراً ثم قال : " هذا الأمر ينطوى على مخاطرة كبيرة . إذا كان العبدان يتم قتلهما من على مسافة فتلك مجازفة بحياتنا ، لن نتمكن من النيل من الرازاك لو كانوا على مسافة كبيرة منا " .

قال إيراجون : " نحن لسنا متأكدين من أنهم قد قتلوا " .

قال بروم بوجه متجهم : " لكنى متأكد من ذلك " ، ثم لمعت عيناه وقال بعد أن نفث حلقة دخان من فمه : " لكنها لاتزال فكرة مثيرة وتدعو للتفكير بإمعان ، إذا تم تنفيذها فى وجود سفيرا بالقرب منا و .... " ، ثم صمت قليلاً ثم أردف قائلاً : " قد تنجح الخطة لكن علينا أن نتحرك بسرعة ونتوخى الحذر ، فلا وقت يكفى أمامنا لأن الملك قادم " .

قال إيراجون : " هل نتفقد هيلجريند ؟ ربما يفيدنا رؤية مكان هيلجريند في ضوء النهار لكيلا نفاجأ بأي كمين " .

عبث بروم بعصاه وقال : " لنفعل ذلك لاحقاً ، غداً سأعود للقصر لمعرفة كيف سنأخذ مكان العبدين ، ويجب أن أتوخى الحذر حتى لا أثير الشكوك ـ يمكن أن أنكشف بسهولة للجواسيس ونبلاء البلاط في القصر ممن يعرفون بأمر الرازاك " .

قال إيراجون بهدوء : " لا أصدق ذلك ، أخيراً وجدناهم " . دارت في خياله صورة خاله المقتول والمزرعة المحترقة وهو يصر على أسنانه .

قال بروم : " لكن الجزء الأصعب هو ما سيأتي ، لكن إلى الآن فقد قمنا بعمل جيد . وإذا ابتسم لنا الحظ ، سرعان ما ستنتقم ويتخلص الفاردن من عدو خطير ، وما سيحدث بعد ذلك سيكون متروكاً لك " .

تواصل إيراجون ذهنياً مع سفيرا وقال لها بسعادة : *" وجدنا عرين الرازاك ! "* .

قالت سفيرا : *" أين ؟ "* .

شرح لها في عجالة كل ما اكتشفه هو وبروم ، فقالت له مفكرة : *" هيلجريند مكان مناسب لهما "* .

وافقها إيراجون وقال : *" عندما ننهي مهمتنا هنا ، ربما نزور كارفاهول "* .

قالت له بمرارة مفاجئة : *" ما الذي تريده ؟ أن تعود لحياتك السابقة ؟ أنت تعلم أن هذا لن يحدث ، لذلك توقف عن الحنين إلى ذلك والتفكير فيه ! وفي لحظة*

معينة يجب أن تقرر إلى أين سيكون التزامك وولاؤك . هل ستظل مختبئاً طوال حياتك أم ستساعد الفاردن ؟ تلك هي الخيارات المتاحة لك الآن إلا إذا قررت الانضمام لجالباتوريكس ، وهذا لن أقبله أبداً " .

قال لها بهدوء وعطف : *" إذا كان يجب أن أختار ، فسأخاطر بمصيري مع الفاردن كما تعلمين " .*

" نعم ، لكن أحياناً يجب أن تردد ذلك لنفسك من باب التأكيد " **، ثم تركته يفكر في كلامها .**

عابدو هيلجريند

كان إيراجون وحيداً في حجرته عندما استيقظ ، وكانت هناك رسالة موجهة له مكتوبة على الحائط بالفحم الأسود وتقول :

إيراجون ،

سأذهب في مهمة خاصة ولن أعود قبل وقت متأخر الليلة . ستجد المال اللازم لشراء الطعام تحت الوسادة . استكشف المدينة وتمتع بوقتك لكن لا تلفت الأنظار إليك !

بروم

ملحوظة : تجنب القصر ولا تذهب إلى أى مكان بدون قوسك ! اجعله جاهزاً للهجوم .

مسح إيراجون الحائط حتى صار نظيفاً بلا أى أثر للكتابة ثم أحضر النقود من تحت الفراش وارتدى قوسه خلف ظهره وهو يفكر : *"أتمنى لو أننى لست مضطراً للخروج مسلحاً طوال الوقت"* .

غادر الفندق وسار فى خطى سريعة عبر شوارع المدينة وتوقف لملاحظة كل ما أثار اهتمامه . كانت هناك متاجر كثيرة مثيرة لكن لم يكن أى منها يفوق إثارة متجر أنجيلا للأعشاب فى تيرم . أحياناً كان يحدق إلى المنازل المظلمة التى تصيب المرء بالخوف من الأماكن الضيقة المغلقة ويتمنى لو غادر المدينة ، وعندما جاع ، اشترى قطعة جبن ورغيف خبز وأكلهما جالساً على الرصيف .

لاحقاً ، فى ركن بعيد فى دارس ـ ليونا ، سمع أحد بائعى المزادات يذكر للجماهير قائمة الأسعار ويدق بالمطرقة . شعر إيراجون بالفضول فسار نحو الصوت ووصل لساحة كبيرة بين مبنيين حيث كان يقف عشرة رجال على منصة ترتفع حتى الخصر ، وأمامهم جماهير من الناس ذوى الملابس الفاخرة ملونة ومزركشة وكان الناس فى حالة صخب . تساءل إيراجون : *"أين البضائع التى تباع فى المزاد ؟"* .

انتهى بائع المزاد من سرد قائمته وأشار لشاب من الواقفين خلف المنصة لكى يأتى إليه . تسلق الشاب المنصة بخجل وكان مكبلاً بالأغلال فى رجليه ويديه . قال رجل المزاد : " هذا هو أول بضائعنا ، شاب موفور الصحة من صحراء هاداراك ؛ أسر منذ شهر واحد وفى حالة ممتازة . انظروا لساقيه وذراعيه ، إنه قوى كالثور ! سيكون ممتازاً

كحامل دروع ، أو إذا لم تثقوا به لهذا الغرض فسوف ينفع فى الأعمال الشاقة ، لكن دعونى أخبركم بهذا ، يا سيداتى وسادتى ، فإن هذا سيكون مضيعة لكفاءته وإهدارا لقوته ، فهو ماهر وحاذق ويمكنكم أن تعلموه الكلام المهذب ! " .

ضحك الحاضرون وصر إيراجون على أسنانه من الغضب . هم بتحريك شفتيه بكلمات سحرية لتحرير العبد ورفع ذراعه التى تحررت أخيراً من أسر الجبيرة ، ولمعت العلامة الفضية فى راحة يده وهم بإطلاق السحر لكن جاءته تلك الفكرة : *إنه لن ينجو بفعلته ! سيتم الإمساك بالعبد قبل أن يصل إلى سور المدينة وسيسوء الموقف إذا حاول إيراجون المساعدة* . خفض ذراعه ولعن الجميع بصوت خفيض وقال : " *فكر فى الأمر ! هذا ما جعلك تدخل فى مشاكل مع الأورجال* " .

شاهد بيأس بيع العبد لرجل طويل ذى أنف معقوف . كان الدور على فتاة صغيرة لا يزيد عمرها على ٦ سنوات وتم خطفها عنوة من يد أمها التى أجهشت بالبكاء . وعندما بدأ رجل المزاد فى طرح المزايدات على الجمهور ، أجبر إيراجون نفسه على الابتعاد وهو يستشيط من فرط الغضب .

سار عبر عدة مبان حتى اختفى صوت البكاء . قال لنفسه بكآبة : " أتمنى لو جاء لص ليسرق حافظة نقودى الآن " ، وتمنى أن يحدث ذلك لكى ينفث عن غضبه . ثم شعر بالإحباط ولكم حائطاً قريباً حتى تورمت مفاصل يده .

جاءته الفكرة فجأة : " إذا حاربت الإمبراطورية فسأمنع تجارة الرقيق ، مع وجود سفيرا بجانبى سأحرر العبيد ، ولدىَّ قوى خاصة حظيت بها دون غيرى ؛ من

الأنانية ألا أستخدمها لصالح الآخرين . إذا لم أفعل ذلك فلا أستحق أن أكون أحد الفرسان قائدى التنين " .

مر بعض الوقت حتى استعاد هدوءه وامتلك زمام نفسه واندهش عندما وجد نفسه أمام الكاتدرائية . بأبراجها الملتوية التى كانت محاطة بالتماثيل والورق الملفوف القديم . والميزاب الخاص بالمطر كان على أشكال حيوانات ووحوش مفزعة ، وهناك تماثيل أخرى على الحائط لوحوش خيالية متشابكة وتماثيل أخرى للملوك وأبطال وكان هناك على حافة الحوائط تماثيل من الرخام الأملس وكانت هناك أعمدة ذات قباب ونوافذ طويلة من الزجاج الملون على جانبى الكاتدرائية وكانت الأعمدة لها أحجام مختلفة . وكان هناك برج وحيد يعلو المبنى مثل سارى السفينة .

كان هناك باب أمامى فى مقدمة الكاتدرائية وكان من الحديد المطعم بكلمات من الفضة وأدرك إيراجون أنها كلمات باللغة القديمة . حاول ترجمة الكلمات وكانت كالتالى :

" إن من يدخل هنا يجب أن يفهم أنه ليس مخلداً ويجب أن ينسى تعلقه بما يحبه " .

والمبنى بأكمله جعل إيراجون يرتعد ، فكان هناك شىء ما يجعله يشعر بالرهبة والتهديد وكأن المبنى كالطيور الجارحة التى تخيم على المدينة وتنتظر الضحية التالية .

كانت هناك درجات سلم واسعة تؤدى لمدخل الكاتدرائية وقد صعدها إيراجون بجدية وببطء وتوقف أمام الباب ، وقال لنفسه : *" أتساءل هل يمكننى الدخول ؟ "* ، ثم دفع الباب وهو يكاد يشعر بالذنب فانفتح بسهولة ولم يصدر أى صوت ، ثم دلف إيراجون للداخل .

كان الصمت الرهيب يخيم على المكان الخالى وكأنه قبر منسى . كان الهواء بارداً وجافاً والحوائط العارية ممتدة لسقف ضخم وهائل ومنحن وكان عالياً جداً لدرجة أن إيراجون شعر أنه مجرد حشرة فى المكان . كانت هناك نوافذ بها زجاج ملون ومعتم به رسوم تعبر عن مشاهد الغضب والكراهية والندم تملأ الحائط بينما كانت ألوان الطيف فى الضوء تضىء بعض أجزاء القاعدة المنحوتة من الجرانيت بألوان شفافة وتترك الباقى فى الظل . وقد ظلل اللون الأزرق الغامق على يدى إيراجون .

وبين النوافذ ، كانت هناك تماثيل لها عيون متصلبة وباهتة . نظر إيراجون إلى التماثيل بنظرات جادة مصطنعة للسخرية منها ، ثم سار ببطء ناحية الصف المركزى وهو خائف من أن يكسر هذا الصمت . كان يطرق بحذائه الجلدى على الأرضية المصقولة من الحجارة فى ظل صمت ثقيل .

كان المذبح عبارة عن قطعة ضخمة من الحجر بلا أى زينة . كان هناك شعاع وحيد من الضوء ساقط على حجر المذبح ، وكان يشع داخل هذا البصيص من الضوء نقط التراب الذهبية وهى تتراقص فى الهواء . وخلف المذبح ، كان هناك آلة " الأورجن " الموسيقية ذات الأنابيب الموجهة للسقف وتخترقه وكانت بالتالى تعزف فقط لو هبت عاصفة عاتية على مدينة دراس ـ ليونا .

انحنى إيراجون وحنى رأسه بدافع الاحترام أمام المذبح لكنه لم يصل بل فعل ذلك لتحية المكان نفسه . كانت الحجارة توضح أحزان حياة من كانوا يعيشون هنا وشهد عليهم المكان وتوضح أيضاً سلسلة الأحداث المؤسفة التى مرت

بالمكانٍ وبين حوائطه الكئيبة ، كان المكان موحشاً للغاية وعارياً من أى جمال وبارداً . كانت لمسته الباردة تأتى من ومضة الخلود أو من القوى المتفشية فى المكان .

وفى النهاية ، حنى رأسه وقام وشعر بالهدوء والسكينة وهمس لنفسه بكلمات من اللغة القديمة ثم استدار استعداداً للرحيل ، لكنه تجمد فى مكانه ، ودق قلبه بعنف كالطبل .

وقف الرازاك على مدخل الكاتدرائية ، وكانا يراقبانه وسيفاهما مسحوبان من غمدهما وكان لهما سنون حادة تبدو حمراء بلون الدماء فى الضوء وقد خرجت من أقصرهما أصوات فحيح كالوشوشة ولم يتحرك أحدهما .

اشتعل الغضب العارم داخل إيراجون . لقد طاردهما لأسابيع طويلة لدرجة أن ألم قتلهما لخاله لم يعد يوخزه . لكن الانتقام قريب الآن . انفجر غضبه كالبركان ، وكان غضبه قد زاد بسبب الفساد الذى يحدث للعبيد . صاح مزمجراً كالرعد وهو يلتقط القوس من على ظهره وفى حركة خاطفة بمهارة أطلق ثلاثة أسهم ، ثم اتبعهما بسهمين آخرين .

قفز الرازاك للابتعاد عن الأسهم بسرعة غير معهودة للبشر وركضا بين المقاعد عبر الممر وهما يصدران صوتاً كالفحيح وكانت عباءاتهما السوداء تتطاير كجناحى الغراب . همَّ إيراجون بإطلاق سهم آخر لكنه تصلب كالتمثال وقال لنفسه : " إذا كانا قد عرفا طريقى فإن بروم فى خطر هو أيضاً . يجب أن أحذره ! " . ثم شعر إيراجون بالذعر لأن فيلقاً من الجنود سار بخطوات عسكرية نحو

الكاتدرائية ولمح مجموعة من القواد ذوى الملابس الرسمية يتجمعون عند الباب ويتدافعون للدخول .

حدق إيراجون فى شهوة انتقام إلى الرازاك المهاجمين ثم هرع لكى يهرب ويبحث عن مخرج . لفت نظره دهليز إلى اليسار فجرى نحو طريق القباب واندفع نحو المر المؤدى إلى ساحة للصلاة وبها برج . وكان وقع أقدام الرازاك خلفه مباشرة ، مما جعله يسرع الخطى حتى انتهى به المر إلى باب مغلق . حاول دفع الباب بقدميه لكى يكسره لفتحه عنوة ، لكن الخشب كان قويا جداً . كاد الرازاك أن يقتربا منه فصاح فى هلع بعد أن سحب نفساً عميقا : " جيردا ! " ؛ فتحطم الباب إلى قطع صغيرة متناثرة وسقط على الأرض . قفز إيراجون إلى الحجرة الصغيرة وواصل الركض .

جرى عبر عدة حجرات وأفزع عدداً من رجال الدين والذين سبوه بلعناتهم وصياحهم . دق جرس المجمع فى فزع وهرب إيراجون عبر المطبخ ، ومر برجلى دين وهرب من باب جانبى ووقف فى حديقة محاطة بسور عال من الطوب وخال من أى مقابض للتسلق . ولم يكن هناك مخرج آخر .

استدار إيراجون ليغادر المكان لكن الرازاك وقفوا بفحيحهم عند الباب على جانبيه . شعر إيراجون باليأس واندفع ناحية الحائط وذراعاه ينبضان بقوة . ولن ينفعه السحر الآن لأنه إذا استخدمه لاختراق الجدار سيكون منهك القوى ولن يتمكن من الركض .

- قفز وبدأ فى تسلق الحائط ومد ذراعيه لكن أصابعه فقط كادت تلمس حافة السور وارتطم جسده بالسور وأخرج نفسه عنوة . شهق إيراجون وظل يحاول ويحاول تسلق السور وجاهد حتى لا يقع . سار الرازاك عبر الحديقة كالحيوانات المفترسة التى تؤرجح رؤوسها من جانب لآخر وتشم فريستها كالكلاب الشرسة .

شعر إيراجون باقترابهما ، ورفع ذراعيه واجتاح الألم كتفيه وهو يتسلق الحائط ثم وقع على الجانب الآخر من السور ثم قام بألم واستعاد توازنه وهرع نحو إحدى الحارات بينما قفز الرازاك عبر السور . شعر إيراجون بالفزع يجتاحه فزاد فى سرعة ركضه .

جرى لمسافة ميل قبل أن يتوقف لالتقاط أنفاسه . لم يكن متأكداً إذا ما كان الرازاك لا يزالان موجودين أم لا ، لكنه وجد سوقاً مزدحمة واختبأ تحت عربة واقفة . تساءل وهو يلهث : " *كيف وجدانى ؟ لم يكونا ليعرفا مكانى .... إلا إذا حدث شىء لبروم !* " ، تواصل ذهنياً مع سفيرا وقال : " *لقد وجدنى الرازاك ، نحن جميعاً فى خطر ! تأكدى من سلامة بروم وحذريه واجعليه يقابلنى فى الفندق واستعدى للطيران هناك بأسرع ما يمكنك ، فقد نحتاج لمساعدتك للهرب من المدينة* " .

كانت صامتة ثم قالت فى النهاية بجفاء : " *سيقابلك فى الفندق . لا تتوقف عن الهرب لأنك فى خطر محدق* " .

تمتم إيراجون : " *بالتأكيد أعلم ذلك* " ، وتدحرج من تحت العربة وأسرع للفندق وجمع أغراضهم ووضع السرج على الخيل وقادهم للشارع . سرعان ما وصل بروم وفى يديه

عصا وكان عابس الوجه بشكل خطير ، وقفز على سنوفاير وقال : " ماذا حدث ؟ " .

قال له : " كنت في الكاتدرائية عندما ظهر الرازاك خلفي فجأة ، " ثم قفز على كادوك وأردف قائلا : " جريت بأسرع ما يمكنني ولكنهما قد يصلان إلى هنا في أية لحظة . ستنضم لنا سفيرا بمجرد مغادرتنا للمدينة " .

قال بروم : " يجب أن نغادر قبل إغلاق سور المدينة إن لم يكن قد أغلقوها بالفعل ؛ لأنها لو أغلقت ، فمن المستحيل أن نترك المدينة . مهما حدث لا تفترق عني " ، وتصلب إيراجون عندما وجد فيلق الجنود في أول الشارع .

أطلق بروم اللعنات وجذب زمام سنوفاير وانطلق وتبعه إيراجون على صهوة جواده كادوك بعد أن انحنى ليزيد من سرعته . كادا يصدمان الناس عدة مرات عبر الركض الجامح الخطير واندفعا عبر الناس والزحام الذى يسد الشارع واقتربا من حائط سور المدينة ، وعندما لاحت البوابات في الأفق أوقف إيراجون زمام كادوك في يأس ؛ كانت البوابات نصف مغلقة بالفعل وهناك صفان من رماة الرماح يعترضون طريقهما .

صاح إيراجون : " سيمزقوننا إرباً ! " .

قال بروم بصعوبة : " لنحاول الهرب ، وسأتعامل مع الرجال لكن عليك إبقاء البوابات مفتوحة لنا " ، أومأ له إيراجون وصر على أسنانه وحث كادوك على الإسراع .

ركضا بالخيل نحو الجنود الذين لم يهتزوا وثبتوا كالبنيان المرصوص ورفعوا رماحهم وصوبوها نحو الخيول في صدورها ودقوا بالسلاح على الأرض . صاحت الخيل في

رعب ولكن إيراجون وبروم حافظا على توازنهما وسمع إيراجون الجنود يصيحون لكنه جعل محور تركيزه على البوابات التى أوشكت على الإغلاق .

عندما اقتربا من الرماح الحادة المسنونة ، رفع بروم يديه وتفوه بكلمات السحر بكل دقة فوقع الجنود على بعضهم البعض وكأن أرجلهم قد قطعت . كانت فتحة إغلاق البوابات تقل كل ثانية ؛ وتمنى إيراجون ألا يكون الجهد الذى يبذله سيكون أكثر من اللازم ، فلجأ لقواه السحرية وصاح قائلاً : " دوجريند هويلر ! ".

صدر من البوابات صوت عميق من التحطم واهتزت ثم انهارت وتوقفت عن الحركة . خيم الصمت على الجماهير والحراس وحدقوا إلى ما حدث فى دهشة . قفز بروم وإيراجون عبر الثغرة فى الحائط بالخيل وكان الصوت الوحيد هو قرقعة حوافر الخيل . وبمجرد خروجهما ، ترك إيراجون البوابات فارتعشت وعادت كما كانت وتم إغلاقها بالسحر .

ترنح إيراجون بتعب متوقع لكنه تمكن من مواصلة ركوب كادوك وراقبه بروم بقلق . استمر هروبهما عبر ضواحى دراس ـ ليونا وانطلق دوى النيران للإنذار عبر سور المدينة ، كانت سفيرا فى انتظارهما عند حافة المدينة مختبئة خلف الأشجار ، كانت عيناها تلمع من الغضب وتهز ذيلها للأمام والخلف . قال بروم : " اركب سفيرا وابق فى الهواء هذه المرة مهما حدث لى ، وسأتجه للجنوب ، وطر بالقرب منى ، ولا يهم لو رأى الناس سفيرا " . ركب إيراجون سفيرا بسرعة وعندما ابتعدت

الأرض بالتدريج من تحته شاهد بروم وهو يعدو عبر الطريق .

قالت سفيرا لإيراجون : " *هل أنت بخير ؟* " .

" *نعم ، لكن لأننا كنا محظوظين جداً* " .

نفثت دخانا من منخريها وقالت : " *لقد أضعت كل الوقت فى البحث عن الرازاك بلا فائدة* " .

قال لها : " *أعلم ذلك* " ، وترك رأسه يسترخي على حراشيفها وأردف قائلاً : " *إذا كان الرازاك هم الأعداء الوحيدين هناك لكنت بقيت وحاربتهم ، لكن مع وجود كل هؤلاء الجنود بجانبهم ، سيكون ذلك بمثابة معركة غير متكافئة !*

قالت له : " هل تدرك أن الناس سيتحدثون عنا الآن ؟ هذا الهروب لم يكن خفياً بالمرة ، الهرب وتجنب الإمبراطورية سيكون أصعب من ذى قبل " . وكانت هناك نبرة قاسية في صوتها لم يعهدها من قبل .

" أعلم ذلك " .

طارا على مستوى منخفض ولكن بسرعة أكبر عبر الطريق . ابتعدت خلفهم بحيرة ليونا وأصبحت الأرض جافة وصخرية ومليئة بالشجيرات الجافة الخشنة ونباتات الصبار الطويلة وقد أظلمت السماء من السحب الكثيفة وظهر الرعد والبرق على مرمى الأفق وعصفت الريح وهبطت سفيرا ناحية بروم فأوقف الخيل وقال : " ما الخطب ؟ " .

قال إيراجون : " الرياح شديدة جداً " .

قال بروم معترضاً : " ليست بهذا السوء " .

صاح إيراجون وهو يشير للسماء : " انظر هناك "

أطلق بروم وابلاً من اللعنات وأعطى زمام كادوك لإيراجون . فانطلقت الخيل مع سفيرا التى كانت تتبعهما سيراً على الأقدام ، لكن على الأرض كانت تجد صعوبة فى مجاراة الخيل .

زادت قوة العاصفة ونشرت الغبار بقوة عبر الهواء وكانت تدور كالدوامة . لف إيراجون وبروم الأوشحة حول رأسيهما لحماية عيونهما . رفرفت عباءة بروم فى الرياح العاتية بينما كانت لحيته تتطاير وكأن لها إرادة منفصلة عنه . وعلى الرغم من أن العاصفة ستجعل حالهم بائساً ، لكن إيراجون تمنى لو أمطرت السماء لكى يمحو المطر آثارهم من على الأرض .

وسرعان ما أجبرهم حلول الظلام على التوقف . ومع وجود النجوم فقط كعلامات للإرشاد على الطريق ، غادرا الطريق وأقاما المعسكر خلف صخرتين كبيرتين . وكان من الخطر جداً أن يشعلا النار في وجود العاصفة فأكلا الطعام بارداً بينما حمتهما سفيرا من الرياح العاتية بجسمها .

بعد العشاء القليل غير المشبع قال إيراجون بفظاظة : " كيف وجدونا ؟ ".

هم بروم بإشعال غليونه لكنه عدل عن ذلك وقال : " حذرنى أحد الخدم من وجود جواسيس وسطهم . وربما وصل حديثى وأسئلتى إلى تابور ومنه إلى الرازاك " .

قال إيراجون : " لن نتمكن من العودة إلى دراس - ليونا ، أليس كذلك ؟ " .

هز بروم رأسه بالنفى : " ليس قبل بضع سنوات " .

وضع إيراجون رأسه بين كفيه وقال : " هل نجذب الرازاك للخروج إلينا ؟ إذا تركنا سفيرا تلفت الأنظار نحوها ، فسيهرعون إليها " .

قال بروم : " سيأتون بصحبة خمسين جندياً . وعلى أية حال ، هذا ليس وقت المناقشات ، لنركز على البقاء على قيد الحياة . الليلة خطيرة جداً لأن الرازاك قد يتتبعونا في الظلام الحالك ، لأنهم يكونون أقوى ليلاً . لنتبادل المراقبة حتى الصباح " .

" لديك كل الحق " ، قام إيراجون وتردد ثم حدق بعينيه فرأى حركة خفيفة ولونا صغيرا متميزا يختلف عن ظلام الليل الحالك المحيط بهما . سار نحو حافة المعسكر لكي يرى بشكل أفضل .

قال بروم وهو يعد الفراش : " ما الأمر ؟ " .

حدق إيراجون في الظلام ثم استدار وقال : " لا أعلم ، خلتني رأيت شيئا . ربما طائرا " . ثم شعر بالألم فجأة في مؤخرة رأسه وزمجرت سفيرا وزأرت ، ثم سقط إيراجون على الأرض فاقدا الوعي .

انتقام الرازاك

أيقظ إيراجون نبض خافت ، وفى كل مرة ينبض الدم فيها عبر رأسه كان يحمل معه موجة جديدة من الألم . فتح عينيه ببطء وألم وتلوى وجهه من الألم ؛ ودمعت عيناه عندما وجد نفسه يحدق إلى الضوء المباشر لمشعل ذى ضوء مبهر . أغمض عينيه وابتعد بنظره ، وعندما حاول النهوض أدرك أن يديه كانتا مربوطتين بحبل غليظ خلف ظهره .

استدار بكسل وتراخٍ ورأى ذراع بروم وشعر بالارتياح لأنهما كانا مربوطين معًا . لكن لماذا حدث ذلك ؟ حاول بكل جهد أن يعرف حتى جاءته الفكرة فجأة ، "*لماذا يربطون رجلاً ميتًا ! إذن هو لم يمت !*" لكن من فعل بهما ذلك ؟ مال برأسه أكثر وعندئذٍ توقف فى الحال عندما رأى فى مجال بصره حذاءً أسود ثقيلا .

نظر لأعلى فوجد أنه ينظر مباشرة لوجه الرازاك العابس فسرى بداخله الخوف وهم باستخدام السحر وذكر كلمة سحرية لقتلهما لكنه توقف وشعر بالحيرة لأنه لم

يتمكن من تذكر أى كلمة سحرية حاول مرة أخرى لكنه شعر باليأس وتاهت الكلمة عن ذهنه .

ضحك الرازاك ببرود وقال أحدهما : " المخدر له مفعول جيد ، أليس كذلك ؟ أعتقد أنك لن تتمكن من مضايقتنا مرة أخرى " .

كان هناك صوت رنين إلى اليسار ورأى إيراجون ما أفزعه وانزعج له بشدة ؛ الرازاك الآخر كان يضع كمامة على رأس سفيرا وكان جناحاها مكبلين بالأغلال السوداء إلى جانبها ، كما كانت أقدامها مصفدة بالأغلال أيضاً . حاول إيراجون التواصل معها ذهنياً لكنه لم يشعر بأيٍ شيء .

قال أحدهما له : " لقد كانت متعاونة جداً بمجرد أن هددناها بقتلك " ، ثم جلس بجوار المشعل وفحص وفتش حقائب إيراجون وتخلص مما بداخلها حتى وجد السيف المسمى زاروك ، فقال : " ياله من شيء رائع يملكه ... شخص تافه لا قيمة له . سأحتفظ أنا بهذا السيف " . ثم مال إلى إيراجون وقال ساخراً : " أو ربما إذا كان سلوكك حسناً سيسمح لك زعيمنا بتلميعه " ، وكانت رائحة أنفاسه عفنة ونفاذة كاللحم النيئ .

ثم قلب السيف يمنة ويسرة بيديه وصاح عندما رأى الرمز على غمد السيف فهرع إليه رفيقه وتأملا السيف وصدر منهما فحيح ، وفى النهاية قالا لإيراجون : " ستخدم زعيمنا جيدا " .

قال إيراجون بلسان ثقيل يتحرك بالكاد : " إذا كنت سأضطر لذلك ، فإننى سأقتلكما " .

ضحكا بصوت بارد قائلين : " كلا ، نحن لنا قيمة كبرى له ولكن أنت .... مجرد شخص تافه لا قيمة له " . صاحت سفيرا بعمق وخرج الدخان من منخريها ولكن الرازاك لم يبد عليهما أى اكتراث .

تحول انتباههما عندما صاح بروم فى ضجر ومال على جانبه فحمله أحد الرازاك من قميصه ورفعه فى الهواء دون أدنى جهد وقال: " بدأ مفعول المخدر يزول " .

" أعطه المزيد " .

قال الرازاك قصير القامة : " لنقتله فحسب ، فقد سبب لنا متاعب كثيرة " .

قال الأطول قامة وهو يمرر إصبعه على السيف : " خطة جيدة ، لكن تذكر أن الملك قال فى تعليماته أن نحضرهم إليه أحياء " .

" يمكننا أن نقول له إننا قتلناه أثناء محاولتنا لأسره " .

قال الآخر : " ماذا عن هذا الفتى ؟ إذا تحدث ووشى بنا ؟ " ، وأشار لإيراجون بطرف سيفه .

ضحك رفيقه الأقصر قامة وسحب خنجراً مخيفاً وقال : " لن يجرؤ على ذلك " .

ساد الصمت لفترة طويلة ثم قال الآخر : " موافق " .

سحبا بروم جرًا على الأرض إلى مركز المعسكر وجعلاه يجلس على ركبتيه فمال على جانبه وراقب إيراجون المشهد والخوف يسرى داخل جسده وقال لنفسه : "*يجب أن أحرر نفسى لإنقاذ بروم !* " ، فحاول جذب الحبال لكنها كانت قوية ولم تنقطع واشتم الهواء حوله وبدا أن هناك ما يزعجه .

صاح الرازاك الآخر ورفع رأس بروم وهم بقطع رقبته بالخنجر ، لكن في تلك اللحظة جاء صوت أزيز غريب وصاح الرازاك . اخترق أحدهما سهم في كتفه والآخر انبطح أرضًا وبالكاد تجنبٍ السهم الآخر ، ثم جرى نحو رفيقه الجريح وحدقا معاً في الظلام ليشاهدا من يهاجمهما وكان الفحيح الصادر منهما يدل على الغضب . لم يتحرك هذا الرازاك لإيقاف بروم الذى بدأ يقوم مترنحاً ويشعر بالدوار . صاح إيراجون : " انبطح أرضاً ! "

اهتز بروم ثم سار مترنحا نحو إيراجون . انطلقت عدة أسهم في المعسكر من مهاجمين غير مرئيين ، وتدحرج الرازاك خلف الصخور . ساد الهدوء لفترة بسيطة ثم انهالت الأسهم من الاتجاه المعاكس . اندهش الرازاك من المفاجأة وكان رد فعلهما بطيئاً واخترقت السهام ملابسهما في عدة أماكن وكان هناك سهم مكسور ومستقر في ذراع أحدهما .

بصرخة هائلة ، جرى الرازاك الأقصر قامة عبر الطريق وركل إيراجون بغل وغيظ على جانبه عندما مر بجواره . تردد رفيقه ثم التقط الخنجر من الأرض وجرى خلفه وعندما غادر أرض المعسكر قذف الخنجر في اتجاه إيراجون .

ظهر بريق غريب في عينى بروم وقفز وألقى بنفسه أمام إيراجون ثم انفرجت شفتاه في صيحة مكتومة ، بينما رشق الخنجر في جسده بصوت مكتوم وعندئذٍ هوى بثقله على كتفيه ، وكان رأسه يتحرك بضعف شديد .

صاح إيراجون : " كلا ! " ، وذلك على الرغم من التعب والألم الذى تضاعف داخله ، ثم سمع صوت خطوات ووقع أقدام على الأرض ثم أغلق عينيه وخر فاقدًا الوعى .

مورتاج

لفترة طويلة . ظل إيراجون يشعر فقط بحرقة في جانبه . وكان كل نفس يتنفسه يؤلمه ، وكأنه هو من تعرضٍ لطعنة الخنجر وليس بروم . كان إحساسه بالزمن مشوشاً فقد كان من الصعب عليه معرفة هل مرت أسابيع أم دقائق قليلة . وعندما استعاد وعيه فتح عينيه وحدق في فضول إلى نار معسكر قريبة على بعد بضع أقدام . كانت يداه لاتزال مقيدتين بالحبال لكن المخدر زال أثره لأنه يمكنه التفكير بوضوح الآن . "*سفيرا ، هل جُرحت ؟* "

"*كلا ، لكنك جرحت أنت وبروم*" . مالت نحوه وفردت جناحيها لتحميه من الجانبين .

" سفيرا ، أنت لم تشعلي هذه النار أليس كذلك ؟ ولم تتخلصي من الأغلال بنفسك " .

"*كلا* " .

"*لم أظن ذلك* " . همَّ بالنهوض عندما رأى شاباً يجلس على الجانب الآخر من النار .

كان هذا الشاب الغريب يرتدى ملابس ممزقة ويشع منه الهدوء والطمأنينة . كان هناك قوس في يديه وبجانبه سيف طويل يبلغ طوله ذراعاً ونصف ذراع . وكان في حجره نفير أبيض مطعم بخيوط فضية وكان مقبض الخنجر يبرز من حذائه ، كان وجهه جاداً وعيناه حادتين وخصلات شعره بنيه اللون . بدا أنه يكبر إيراجون ببضع سنوات وربما أطول منه بمقدار بوصة واحدة . وكان مربوطاً خلفه حصان رمادى من خيول الحرب . كان هذا الشاب الغريب ينظر إلى سفيرا بشك وريبة .

قال إيراجون بعد أن سحب نفساً بطيئاً وقصيراً : " من أنت ؟ " .

قبض الشاب على قوسه وقال : " اسمي مورتاج " . كان صوته خفيضاً ورزيناً لكن كان حنوناً وكان ذلك يدعو للفضول .

سحب إيراجون يديه تحت قدميه حتى أصبحتا أمامه . وصر على أسنانه عندما باغته الألم الحاد في جانبه وقال : " لماذا ساعدتنا ؟ " .

" لستم الأعداء الوحيدين للرازاك . لقد كنت أقتفى أثرهما " .

" أتعرفهما جيداً ؟ " .

" نعم " .

ركز إيراجون على الحبال التى تقيد رسغيه وتوصل للقوى السحرية الكامنة بداخله ثم تردد لأنه كان على وعى بعينى مورتاج المثبتتين عليه ، ثم قرر أنه لا يهم إذا استخدم السحر أمامه فصاح قائلاً : " جيردا ! " ، فانحل

وثاق يديه ، ثم حك يديه معاً لكي يجعل الدم يتدفق إليهما .

شهق مورتاج وحاول إيراجون النهوض لكن أضلاعه كانت تؤلمه بشدة فوقع للخلف وشهق وصر على أسنانه . حاول مورتاج أن يساعده لكن سفيرا أوقفته بزئيرها فقال : " كنت سأساعدك فى بادئى الأمر لولا أن تنينك لم يسمح لى بالاقتراب منك " .

قال إيراجون على مضض : " اسمها سفيرا " ، ثم قال لها : *"دعيه يأتى لى فلا يمكن النهوض وحدى ، كما أنه أنقذ حياتنا"* . زأرت سفيرا مرة أخرى ولكنها ابتعدت وضمت جناحيها . نظر إليها مورتاج بهدوء وبنظرة لا تنم عن أى شيء وهو يتقدم إلى إيراجون .

أمسك بذراع إيراجون وجذبه لكي يساعده على النهوض ، فصاح إيراجون وكاد يسقط لولا مساندة مورتاج له . ذهبا للنيران حيث يرقد بروم على ظهره ، فقال إيراجون : " كيف حاله ؟ " .

قال مورتاج : " سيئ " ، وانحنى لفحص بروم وقال : " لقد اخترق الخنجر ما بين ضلوعه . يمكنك أن تفحصه فى دقيقة واحدة ولكن ، بعد أن أنتهى من فحصك لأعرف ما لحق بك من الرازاك " ، ثم ساعد إيراجون على نزع قميصه وصاح : " ياه ! " .

فقال إيراجون بضعف : " ياه ! " ، حيث وجدا ورماً كبيراً يمتد إلى كل جانبه الأيسر وكان الجلد الأحمر المتورم يقع فى عدة أماكن . ضغط مورتاج على الجرح بخفة فصاح إيراجون وزمجرت سفيرا كنوع من التحذير .

نظر إليها مورتاج بحذر وهو يلتقط غطاء وقال : " ربما تكون بعض ضلوعك مكسورة . من الصعب قول ذلك ، لكن على الأقل لديك ضلعانٍ مكسوران ، وربما أكثر . أنت محظوظ لأنك لم تتقيأ دماً " ، ثم قطع الغطاء إلى شرائط وربط صدر إيراجون .

ارتدى إيراجون قميصهٍ وقالٍ : " نعم .... أنا محظوظ " ، ثم سحب نفساً بطيئاً وقصيراً وسار على مهل إلى بروم ووجد أن مورتاج قطع جزءاً من عباءة بروم لتضميد الجروح . كانت أصابع إيراجون ترتعش لكنه خلع الضمادة .

حذره مورتاج : " لا تفعل ذلك فقد ينزف حتى الموت بدون الضمادة " .

تجاهله إيراجون وخلع عن بروم عباءته . كان الجرح قصيراً ورفيعاً بما لا يكشف عن عمقه الغائر ويتدفق الدم منه بغزارة . كما تعلم عندما جرح جارو ، فإن جروح الرازاك بطيئة العلاج .

خلع إيراجون قفازه وهو يبحث في ذهنه بغضب عن الكلمة السحرية للعلاج التي لقنه إياها بروم ثم قال : *"ساعديني يا سفيرا ، فأنا ضعيف ولا يمكنني أن أفعل ذلك بمفردي"* كان يترجاها لكي تساعده .

قبعت سفيرا بجواره وركزت عينيها على بروم وقالت : *"أنا هنا يا إيراجون"* ثم اتحد ذهناهما وشعر بالقوة الجديدة تتدفق إلى جسده . سحب إيراجون من قواهما المتحدة وركزها على الكلمات السحرية ورفع يديه على الجرح وصاح وهو يرتعش : " وايز هيل ! " ، فلمعت العلامة الفضية

على راحة يديه ثم التأم جلد بـروم وكأنـه لم يتم اختراقـه قط . كان مورتاج يراقب كل ما يحدث طوال هذا الوقت .

تم الأمـر بسـرعة ، واختفـى ضـوء راحـة يـد إيراجـون وجلـس إيراجـون وهـو يشـعر بالضـعف والإعيـاء ، وقـال لسفيرا : *"لم نفعل هذا من قبل"* .

قالـت لـه : *"معاً يمكننـا إلقـاء تعاويـذ سـحرية أقـوى بكثير"* .

فحـص مورتـاج جانـب بـروم وقـال : " هـل عالجتـه تماماً ؟ " .

" يمكننى علاج الجروح السطحية فقط ، لا أعلم ما يكفى لعلاج ما قد يكون مصاباً داخـل الجسـم . الأمـر متروك لـه الآن ، لقد بذلت كل ما فى وسعى " ، وأغلق إيراجون عينيه للحظة ثم قال بضعف : " إن ... رأسـى يبـدو وكأنـه يطـير وسط السحاب " .

قال مورتاج : " ربما تكون جائعاً ، سأعد الحساء " .

وبينما كان مورتاج يعد الوجبة ، تساءل إيراجون عمـن يكون هذا الغريـب . كـان سيفه وقوسـه مـن أفضـل الأنـواع وكـذلك نفـيره . ربمـا كـان لصـاً أو ثريـاً ، قـال إيراجـون لنفسـه : *"لمـاذا كـان يطـارد الـرازاك ؟ مـا الـذى فعلـوه ليجعلوه عدواً لهم ؟ إننى أتساءل هل يعمل للفاردن أم لا ؟"* .

أعطاه مورتاج صحناً من الحساء فقلبه إيراجون بالملعقـة وسأله : " كم مر من الوقت على هروب الرازاك ؟ " .

" بضع ساعات قليلة " .

" يجـب أن نرحـل مـن هنـا قبـل عودتهمـا مـع قـوات تعزيزية " .

" ربما يمكنك السفر لكن " ، وأشار مورتاج نحو بروم وأردف قائلا : " لكن لا يمكنه السفر . لا يمكن للمرء أن ينهض ويركب الخيل بعد أن يتلقى طعنة بين ضلوعه " .

قال إيراجون لسفيرا : *"إذا صنعنا محفة هل يمكنك حمل بروم بمخالبك كما فعلت من قبل مع جارو ؟ "* .

"نعم لكن الهبوط سيكون صعباً وغير ثابت"

قال لها : *" طالما يمكن القيام بذلك ليكن"* . ثم قال لمورتاج : " يمكن أن تحمله سفيرا ، لكننا بحاجة إلى محفة ، أيمكنك صناعة واحدة ؟ لا أملك القوة الكافية لذلك " .

قال مورتاج : " انتظر هنا " ، ثم غادر المعسكر وقد سحب سيفه . سار إيراجون ببطء وبصعوبة حتى وصل إلى حقائبه والتقط القوس من حيث ألقاه الرازاك وشده ووجد جعبة سهامه ثم استعاد السيف زاروك الذى كان مخفيا فى الظل ثم أحضر فى النهاية غطاءً لصنع المحفة .

عاد مورتاج بفرعين طويلين من الأشجار ووضعهما على التوازى على الأرض ثم وضع الغطاء بين الفرعين . وبعد أن وضع بروم جيدا على ما يشبه المحفة البدائية ، أمسكت سفيرا بالفروع وطارت به بجهد . قال مورتاج بنبرة صوت غريبة : " لم أظن قط أننى سأرى مشهداً كهذا " .

عندما اختفت سفيرا فى السماء المظلمة ، امتطى إيراجون كادوك ببطء ورفع نفسه بألم على السرج وقال : " شكرا على مساعدتك لنا . يجب أن ترحل الآن وابتعد بحصانك لأبعد مسافة لأنك ستكون فى خطر إذا وجدك

رجال الإمبراطورية معنا . لن يمكننا حمايتك ولا أريد أن يلحق بك أى ضرر بسببنا ".

قال مورتاج : " حديث حسن " ، ثم أطفأ نار المعسكر وقال : " لكن إلى أين ستذهب ؟ هل تعرف مكاناً قريباً وآمناً ؟ " .

قال إيراجون : " كلا " .

لمعت عينا مورتاج وهو يطرق بأصابعه على مقبض سيفه وقال : " فى هذه الحالة أعتقد أننى سأصطحبك حتى تكون فى منأى عن الخطر . ليس لدى مكان أفضل من هنا لأتواجد فيه ، كما أننى لو بقيت معك قد أواجه الرازاك بأسرع وقت مما لو كنت بمفردى . الأشياء المثيرة تحدث حتماً للفرسان قادة التنين " .

ارتعد إيراجون وكان غير متأكد هل يقبل مساعدة شخص غريب عنه تماماً أم لا . لكنه كان على وعى بأنه ضعيف جداً ولم يسره ذلك ولن يتمكن من مناقشته . قال لنفسه : " *إذا ثبت أنه ليس أهلا للثقة ستطارده سفيرا* " ، ثم قال له بلا اكتراث : " انضم إلينا إن رغبت فى ذلك " .

أومأ له مورتاج وامتطى صهوة جواده الرمادى الذى يكثر فى الحروب . أمسك إيراجون بزمام سنوفاير وسار مبتعدا عن المعسكر إلى البرية . كان ضوء القمر خافتا لكنه كان يعلم أن ذلك سيسهل على الرازاك ملاحقتهم .

وعلى الرغم من أن إيراجون أراد استجواب مورتاج أكثر ، فإنه لاذ بالصمت لكى يحتفظ بطاقته لركوب الخيل . ومع اقتراب الفجر قالت سفيرا : "*يجب أن أتوقف ،*

فجناحى متعب ويحتاج بروم للعناية . لقد اكتشفت مكاناً مناسباً للاختباء على بعد ميلين تقريباً من مكانك ".

وجداها جالسة عند قاعدة تكوين صخرى ورملى واسع منحوت على الأرض كالتل الكبير . وكان جانباها من طين بالكهوف ذات الأشكال المختلفة . كان هناك عدد من قباب لتلال أخرى متشابهة حول الأراضى القريبة . بدت سفيرا مسرورة من نفسها وقالت : "*وجدت كهفاً لا يمكن رؤيته من الأرض ويكفى حجمه لثلاثتنا والخيل أيضاً ، اتبعانى*" ، ثم استدارت وتسلقت التكوين الصخرى وكانت مخالبها الحادة تنحت فى الصخر . عانت الخيل من صعوبة تسلق التكوين الصخرى بسبب حوافرها وحدوة الحصان المعدنية ؛ فاضطر إيراجون ومورتاج إلى جر ودفع الخيل لمدة ساعة حتى وصلوا الكهف .

كان الكهف طوله ١٠٠ قدم وعرضه يصل لأكثر من ٢٠ قدماً ولكن مدخله صغير مما سيحميهم من الطقس السيئ ويبعدهم عن أعين المتطفلين . ساد الظلام فى نهاية الكهف وتمسك كل منهم بالحوائط كسجادة ناعمة من الصوف الأسود .

قال مورتاج : " شىء مذهل ، سأجمع الحطب لإشعال النار " ، ثم أسرع إيراجون نحو بروم حيث وضعته سفيرا على حافة صخرية صغيرة فى نهاية الكهف . أمسك

إيراجون بيد بروم الضعيفة وراقب فى قلق وجهه الممتلئ بالتجاعيد . بعد بضع دقائق تنهد وذهب للنار التى أشعلها مورتاج .

تناولا الطعام فى صمت ثم حاولا سقاية بروم الماء لكنه لم يتحرك أو يفتح فمه ، شعرا باليأس ، ففرشا الأغطية وناما .

ميراث الفارس
راكب التنين

" *استيقظ يا إيراجون* " . تململ إيراجون وتقلب في فراشه .

" *أحتاج لمساعدتك ، ثمة ما يسوء !* "

حاول إيراجون تجاهل صوت سفيرا وأن يعود للنوم .

" *استيقظ !* " .

صاح في ضجر : " *ابتعدى !* " .

صاحت باسمه وترددت أصداء صوتها عبر الكهف : " إيراجون " . هب واقفاً في فزع وتحسس وتلمس حتى وجد قوسه .

كانت سفيرا منحنية على بروم ، الذى وقع من على الحافة الصخرية وكان جسده يتشنج في حركات لاإرادية على أرضية الكهف ، كان وجهه قد عبس بشكل مخيف وكان قابضاً على يديه ، فهرع إليه إيراجون وهو يخشى حدوث الأسوأ .

صاح لمورتاج : " ساعدنى على حمله ، سيجرح نفسه ! " ، وأمسك ذراعى بروم وكانت تشنجات العجوز تؤلم جانب إيراجون للغاية . رفعاه معاً حتى انتهت نوبة التشنج وأعاداه بحرص إلى الحافة الصخرية .

لمس إيراجون جبهة بروم وكان جلده ساخناً لدرجة أن الحرارة كان يمكن الشعور بها من على بعد بوصة واحدة .

قال لمورتاج بقلق : " أحضر لى ماءً وقطعة من القماش " .

أحضرهما مورتاج وصنع إيراجون كمادات لجبهة ووجه بروم لكى يخفض درجة حرارته . وعندما ساد السكون فى الكهف لاحظ إيراجون سطوع الشمس بالخارج ، فسأل سفيرا : " *كم المدة التى قضاها فى النوم ؟* " .

" *فترة جيدة . ظللت أراقبه لمعظم الوقت وكان بخير حتى الدقيقة الماضية عندما بدأ جسمه يتشنج ، ثم أيقظتك بمجرد أن سقط على الأرض* " .

جلس إيراجون واستلقى على الأرض والتوى وجهه من الألم عندما باغتته آلام ضلوعه . فجأة أمسكت كتفه يد بشرية حيث فتح بروم عينيه فجأة وركز نظرة متفحصة على إيراجون ، وشهق قائلاً : " أنت ! أحضر لى قربة الشراب ! " .

صاح إيراجون : " بروم ؟ " ، وسُر لسماع صوته : " لا تحتس الشراب فستزيد حالك سوءا " .

قال بروم بضعف : " أحضره يا فتى - أحضره فحسب .... " ، ثم ترك كتف إيراجون فى ضعف .

قال إيراجون : " سأعود حالاً ـ تماسك " ، ثم جرى إلى الحقائب وبحث فيها كالمحموم وصاح : " لا أعلم أية قربة ! " ، ونظر حوله في يأس .

قال مورتاج : " إليك قربتي " ومد يده إليه بقربة جلدية .

التقطها إيراجون وهرع لبروم قائلاً : " حصلت عليها " . ومال ناحيته وجثا على ركبتيه . وذهب مورتاج إلى باب الكهف لكي يمنحهما بعض الخصوصية .

كانت كلمات بروم التالية ضعيفة ومن الصعب تمييزها إلا بصعوبة : " رائع ... " ، ثم حرك ذراعه بوهن وقال : " الآن ... اغسل يدي اليمنى بالشراب " .

هم إيراجون بالسؤال : " لماذا ـــ ؟ "

صاح به : " لا وقت للأسئلة ! " شعر إيراجون بالحيرة الشديدة ثم فك سدادة القربة وغمر راحة يد بروم بالشراب ثم دلك يديه ظاهراً وباطناً ولم ينس الأصابع . صاح بروم بحشرجة : " المزيد ! " ، فصب إيراجون المزيد من الشراب على يده مرة أخرى ثم توقف وفغر فاه في دهشة . كان على راحة يد بروم العلامة الفضية التي تخص كل الفرسان قادة التنين .

قال إيراجون وهو يكاد لا يصدق : " هل أنت من الفرسان قادة التنين ؟ ".

ابتسم بروم في ألم وقال بضعف : " في يوم من الأيام كان هذا صحيحاً ... لكنه لم يعد كذلك الآن . عندما كنت شاباً .... أصغر من سنك الحالي ، تم اختياري .... بواسطة الفرسان قادة التنين لكي أنضم إلى صفوفهم . وبينما كانوا

يدربونى كنت قد تصادقت مع متدرب مثلى .... موروزان ، قبل أن ينضم للجماعة المنشقة " . شهق إيراجون ـ لقد حدث ذلك منذ أكثر من مائة عام ! . واصل بروم حديثه قائلاً : " لكنه حينئذٍ خاننا لصالح جالباتوريكس .... وفى القتال الذى دار فى دور أريبا ـ مدينة فرونجارد ـ تم قتل أنثى تنينى الصغيرة وكان اسمها .... سفيرا " .

قال إيراجون بلطف : " لماذا لم تخبرنى بكل هذا من قبل ؟ " .

ضحك بروم وقال : " لأنه ... لم تدع الحاجة لذلك " . ثم توقف وصار تنفسه أصعب ويداه متصلبتين : " أنا عجوز جداً يا إيراجون .... جداً . وعلى الرغم من قتل تنينى ، كانت حياتى طويلة جداً . أنت لا تعلم معنى أن تصل لمثل عمرى ، وتحاول تذكر الماضى فلا تستطيع تذكر إلا القليل ، ثم تنظر أمامك فتجد سنواتٍ طويلة فى انتظارك .... بعد كل هذا الوقت مازلت حزيناً على تنينى سفيرا ..... وكره جالباتوريكس لما فعله بى " .

وظلت عيناه المحمومتان مثبتتين على إيراجون عندما قال بشراسة : " لا تدع ذلك يحدث لك أبداً ! احرس سفيرا واحمها بحياتك ، لأنك بدونها لا تستحق أن تعيش فى هذه الحياة " .

قال إيراجون بقلق : " لا تقل ذلك ، لن يحدث لها شىء " .

مال بروم برأسه للجانب الآخر وقال : " ربما أنا أهذى " ، ثم زاغت نظراته لمورتاج ثم بدا وكأنه لا يراه ، ثم ركز على إيراجون وقال بصوت أقوى : " إيراجون ! لن

أعيش طويلاً بعد الآن . هذا الجرح .... غائر وغادر ؛ إنه يستنزف قوتي ولا أملك الطاقة لمواجهته .... قبل أن أموت ، أريد أن أمنحك البركة " .

ترقرقت الدموع في عيني إيراجون وقال : " سيكون كل شيء على ما يرام ، لست مضطراً لفعل ذلك " .

" هذه هي طبيعة الحياة .... يجب أن أفعل ذلك . دعني أباركك قبل رحيلي " . انحنى إيراجون برأسه وأومأ له وهو مغلوب على أمره . وضع بروم يده المرتعشة على جبهة إيراجون وقال : " إني أمنحك بركاتي ، ولتكن سنواتك المقبلة مليئة بالسعادة " ، ثم أشار لإيراجون لكي يقترب وينحني أكثر وهمس له بهدوء شديد سبع كلمات من اللغة القديمة وذكر له بهدوء أشد معناها .

" هذا كل ما يمكنني أن أعطيك إياه .... استخدمها عند الحاجة الماسة فقط " .

ثم نظر للسقف وكأنه لا يرى شيئاً وقال هامساً : " والآن إلى أعظم مغامرة ... " .

بكى إيراجون وأمسك بيدٍ بروم ليخفف عنه سكرات الموت قدر استطاعته وظل ثابتاً لساعات طويلة وهو يحرسه ويحاول التخفيف عنه وظلٍ بلا مأكلٍ أو مشرب . وبعد ساعات صار لون بروم شاحباً ورمادياً وأغلقت عيناه ببطء وبردت يداه كالثلج وتجمد الهواء من حوله . شعر إيراجون بالعجز وهو يرى نتيجة جرح الرازاك وهو لا يمكنه أن يفعل أي شيء .

في أولى ساعات الليل تصلب جسد بروم فجأة وناداه إيراجون وصاح طالبا الغوث من مورتاج لكنهما لم يتمكنا من

فعل أى شيء . خيم على المكان الصمت الرهيب وسكون الموت . ظلت عينا بروم مثبتتين على عينى إيراجون . ثم تسلل الرضا لوجه الرجل العجوز وخرج منه وهو فى النزع الأخير آخر نفس من فمه ، وهكذا مات بروم راوى القصص .

أغلق إيراجون عينى بروم بأصابع مرتعشة ثم وقف . رفعت سفيرا رأسها خلفه وزمجرت فى حزن إلى السماء وهى تنعى بروم بأسى وحرقة . ترقرقت الدموع على خدى إيراجون واجتاحه شعور رهيب بالفقدان والوحشة . وقال وهو ينتحب ويشهق بصوت متهدج : " يجب أن ندفنه " .

حذره مورتاج : " قد يرانا أحد " .

قال إيراجون : " لا يهمنى ذلك ! " .

تردد مورتاج ثم حمل جسد بروم إلى خارج الكهف مع عصاه وسيفه . تبعتهما سفيرا وقال إيراجون بصوت أجش : " إلى أعلى " ، وأشار إلى قمة التل الصخرى .

قال مورتاج : " لا يمكننا حفر قبر فى الصخور " .

" يمكننى أنا أن أفعل ذلك " .

تسلق إيراجون حتى وصل لقمة التل الملساء وكان يعانى من صعوبة فى ذلك بسبب ضلوعه المكسورة وهناك وضع مورتاج جسد بروم على القمة الملساء الحجرية .

مسح إيراجون عينيه وركز نظرته على الحجر وأشار له بيده وصاح : " موى ستنر " ، فانقسم الحجر وانشق كالماء وكون تجويفاً بطول الجسم فى قمة التل وأخذ يشكل

الصخور وكأنها طمى مبلل ورفع أربعة حوائط حول التجويف بطول يصل للخصر .

وضعا الجثمان فى القبر مع سيفه وعصاه . تراجع إيراجون لبضع خطوات ثم شكل الصخور والأحجار بالسحر لكى يغطى القبر ووجه بروم الذى ظل بلا حراك ثم تكون فوق القبر شاهد قبر طويل وكتب عليه إيراجون كنوع من التشريف الأخير هذه الكلمات :

هنا يرقد بروم
الذى كان أحد الفرسان قادة التنين
والذى كان بمثابة أبى
فليخلد
اسمه فى المجد إلى الأبد .

ثم حنى رأسه وبكى وانتحب . ثم وقف كالتمثال الحى حتى أرخى الليل سدوله واختفى الضوء من على الأرض .

فى تلك الليلة حلم مرة أخرى بنفس السيدة المسجونة .

عرف لأول وهلة أنه ثمة ما يسوء لها وأنها ليست على ما يرام . كان تنفسها غير منتظم وكانت ترتعش . لا يدرى من الألم أم من البرد . فى الزنزانة شبة المظلمة كان الشىء الوحيد المنير بوضوح هو يدها التى كانت تقبع على حافة الفراش فى الزنزانة . كان هناك سائل غامق اللون يقطر من أطراف أصابعها . كان يعلم إيراجون أنها قطرات من الدم .

القبر الماسى

عندما استيقظ إيراجون كانت عيناه ممتلئتين بالرمال وجسده متصلباً . كان الكهف خاوياً عدا وجود الخيل . اختفت المحفة ولم يعد هناك أى أثر لبروم . سار حتى مدخل الكهف وجلس على الصخور السامية وقال لنفسه : " *بذلك تكون أنجيلا الساحرة على حق - كان هناك موت فى مستقبلى* " . وحدق فى كآبة إلى الأرض . وكانت الشمس الحارقة بلون التوباز الأحمر قد حملت حرارة الصحراء فى الصباح الباكر .

انحدرت دمعة على وجهه الذى ينقصه الحماس واستبد به اليأس وعلامات الكآبة ، ثم تبخرت الدمعة فى ضوء الشمس الحارقة تاركة بقعة مالحة على جلده . أغلق عينيه وامتص الدفء من حوله وحاول تفريغ عقله . ظل يعبث فى الرمال بظفر إصبعه وكتب بلا وعى عبارة : " *لماذا أنا ؟* " .

ظل جالساً في مكانه حتى جاء مورتاج إلى الكهف وحمل زوجاً من الأرانب وجلس بجوار إيراجون دون أن ينبس ببنت شفة . وبعد حين ، قال له : " كيف حالك ؟ " .

" سيئ جداً " .

فكر مورتاج ملياً في أمر إيراجون وقال له : " ألن يتحسن حالك ؟ " ، فهز إيراجون كتفيه بلا اكتراث . وبعد دقائق من التفكير ، قال مورتاج : " لا أحب طرح الأسئلة في وقت غير مناسب كهذا ، لكن يجب أن أعرف ... هل هذا هو بروم الشهير ؟ من ساعد في سرقة بيضة تنين من الملك وطارد سارقها عبر الإمبراطورية وقتل مورزان في مبارزة ؟ سمعتك تقول اسمه وقرأت شاهد القبر وما كتبته عليه ، فيجب أن أتأكد ، هل كان هو من ذكرته لك ؟ " .

قال إيراجون بهدوء : " نعم كان هو " . بدا الاضطراب على وجه مورتاج . قال إيراجون : " كيف علمت بكل هذا ؟ أنت تتحدث عن أمور سرية للغاية لا يعرفها إلا القليل من الناس ، وكنت تطارد الرازاك وتقتفي أثرهما بالضبط عندما احتجنا للمساعدة . هل أنت من منطقة الفاردن ؟ " .

لم يبد أى شيء على عيني مورتاج لكي يستشف إيراجون منهما أى رد فعل . قال مورتاج بعد حين : " أنا هارب مثلك " ، وكان هناك حزن مكبوت في كلماته : " أنا لا أنتمي للفاردن ولا للإمبراطورية ، ولا أدين بالولاء لأى شخص سوى نفسي . لكن بالنسبة لإنقاذكما ، فأنا أعترف لك أنني سمعت حكايات يتهامس بها الناس عن الفارس الجديد قائد التنين وخمنت أنني سأعرف صدق تلك الأقاويل إذا اتبعت الرازاك " .

قال إيراجون : " خلتك أردت قتل الرازاك " .

ابتسم مورتاج فى حزن : " أنا مازلت أريد ذلك لكن لو كنت قد فعلتها لما قابلتك أبداً " .

قال إيراجون لنفسه : " *لو كان قد قتلهما لظل بروم على قيد الحياة ... أتمنى لو كان قد بقى معى ، كان سيعرف هل مورتاج أهل للثقة أم لا* " . تذكر إيراجون كيف أن بروم أحس بنوايا تريفور فى مدينة داريت وتساءل هل يمكنه أن يفعل نفس الشيء مع مورتاج . حاول الوصول للعقل الواعى لمورتاج لكن عندما تلمس الطريق ارتطم فجأة بحائط منيع كالفولاذ ، وحاول المرور من حوله . كان عقل مورتاج بأكمله محصناً . " *كيف تعلم أن يفعل ذلك ؟ لقد قال لى بروم إن قليلاً جداً من الناس يمكنهم منع الناس من اختراق عقولهم بدون تدريب . كيف حصل مورتاج على هذه القدرات ؟* " . شعر إيراجون بالوحشة وظل يفكر لبرهة ثم قال : " أين سفيرا ؟ " .

قال مورتاج : " لا أعرف ، فلقد تبعتنى لفترة عندما ذهبت للصيد ثم طارت من تلقاء نفسها . لم أرها منذ الظهيرة " . قام إيراجون وعاد للكهف وتبعه مورتاج قائلا : " ما الذى ستفعله الآن ؟ " .

قال له : " لست متأكداً " ، وقال لنفسه : " *ولا أريد أن أفكر فى الأمر الآن ؟* " . طوى أغطية فراشه وربطها فى حقيبة سرج كادوك . آلمته ضلوعه المكسورة . وذهب مورتاج لطهى الأرانب ، وعندما رتب إيراجون الأشياء فى الحقائب ، أخرج السيف زاروك ولمع غمده الأحمر بشدة وأخرج منه السيف ... وحاول تخمين وزنه بين يديه .

إنه لم يحمل زاروك من قبل ولم يستخدمه فى القتال ـ عدا أثناء تدريبات المبارزة مع بروم ـ لأنه لم يرغب فى أن يرى الناس هذا السيف . لكن إيراجون لم يعد يكترث لهذا الأمر بعد الآن . لقد بدا الاندهاش والخوف على الرازاكٍ بسبب هذا السيف ؛ وكان هذا سيكفى لحمله جهراً .

ارتعد وخلع عن كتفه القوس ووضع زاروك وقال لنفسه : منذ هذه اللحظة لن يفارقنى هذا السيف وليعرف العالم كله من أنا ولن أخشى شيئاً . أنا فارس من الفرسان راكبى التنين الآن تماماً ، جملةً وتفصيلاً " .

فحص وتفقد حقائب بروم ، لكنه يجد سوى بعض الملابس وبعض الأشياء الغريبة وكيس جلدى به عملات معدنية . استخرج إيراجون خريطة آلاجيشيا وأبعد الحقائب ثم جلس بجوار النار ، ضاقت عينا مورتاج عندما نظر إليه بينما كان يسلخ الأرنب المذبوح ، ثم قال وهو يمسح يديه : " هل تسمح لى برؤية هذا السيف ؟ " .

تردد إيراجون وهو يتقاعس عن التنازل عن السيف ولو حتى للحظة واحدة ، ثم وافق فى النهاية . فحص مورتاج بدقة الرمز المحفور على نصل السيف ، ثم اسود وجهه وقال : " من أين حصلت عليه ؟ " .

" أعطاه بروم لى ، لماذا ؟ " .

أعطاه السيف بسرعة وعقد ذراعيه فى غضب وكان يتنفس بزفراتٍ حارة وقال بانفعال : " هذا السيف كان مشهوراً كصاحبه ؛ كان آخر من حملهٍ هو مورزان ـ رجل متوحش وقاسى القلب . ظننتك عدواً للإمبراطورية ، وها أنا أجدك تحمل السيف اللعين لأحد المنشقين ! " .

حدق إيراجون فى السيف زاروك وهو يشعر بالصدمة وأدرك أن بروم أخذه من مورزانٍ بعد أن نازله فى جيلياد وقال : " لم يخبرنى بروم مطلقاً من أين أتى بالسيف ، ولم تكن لدىّ أدنى فكرة أنه كان ملكاً لمورزان " .

قال مورتاج بنبرة تدل على عدم التصديق : " لم يخبرك مطلقاً ؟ " . هز إيراجون رأسه بالنفى فأردف مورتاج قائلاً : " هذا أمر غريب ، لا يمكننى التفكير فى سبب يدعوه لإخفاء الحقيقة " .

" ولا أنا أيضاً ، لكن حينئذٍ كان يخفى الكثير من الأسرار " . شعر إيراجون بالقلق من حمل سيف كان يملكه رجل خان الفرسان قادة التنين لصالح جالباتوريكس . وقال لنفسه : *" هذا السيف ربما قتل العديد من الفرسان قادة التنين فى زمن ما . والأسوأ ، قد يكون تم استخدامه لقتل حيوانات التنين ! "* . *شعر إيراجون بالنفور والتقزز وقال لمورتاج :* " حتى مع اتضاح هذه الحقيقة ، سأحمله ، فليس لدىّ سيف خاص بى ، وحتى حصولى على واحد سأستخدم زاروك " .

تراجع مورتاج فى تقزز وألم عندما آذى إيراجون مسامعه بذكر اسم السيف وقال : " أنت حر فى اختيارك " ، ثم استأنف سلخ الأرانب وظل يركز نظره لأسفل .

عندما كانت الوجبة جاهزة ، تناول إيراجون طعامه ببطء على الرغم من جوعه الشديد . وقد جعله الطعام الساخن يشعر بتحسن . عندما انتهيا من التهام آخر لقيمات فى الطبق ، قال إيراجون : " أريد بيع حصانى " .

قال مورتاج : " لماذا لا تبيع حصان بروم ؟ " ، وقد تغلب على مزاجه المعتل الغاضب .

" سنوفاير ؟ لأن بروم وعد بالعناية به وبعد .... موته سأنفذ له ما وعدته به " .

وضع مورتاج طبقه على حجره وقال : " إذا كان ذلك هو ما تريده ، فأنا متأكد من أننا سنجد مشتريًا فى أى قرية أو مدينة " .

قال إيراجون : " نحن ؟ " .

نظر مورتاج إليه بطرف عينيه وبدا وكأنه يحسب شيئاً : " لن ترغب فى البقاء هنا لمدة أطول . إذا كان الرازاك قريبين من هنا ، فإن قبر بروم سيكون بمثابة علامة تهديهما لطريقك " . لم يفكر إيراجون فى ذلك . واصل مورتاج كلامه قائلاً : " وضلوعك تحتاج لوقت لكى تشفى . أعلم أنه يمكنك الدفاع عن نفسك بالسحر ، لكنك بحاجة إلى رفيق يحمل عنك الأغراض ويمكنه استخدام السيف . أنا أطلب السفر والترحال معك ؛ على الأقل فى الوقت الحالى . لكننى يجب أن أحذرك ، الإمبراطورية تبحث عنى ، وسيراق الدم فى النهاية " .

ضحك إيراجون فى ضعف ووجد نفسه يبكى من شدة الألم . عندما استعاد أنفاسه قال : " لن أكترث حتى لو أن هناك جيشاً جراراً بأكمله يبحث عنك . أنت على حق فأنا بحاجة إلى المساعدة . يسعدنى أن تصحبنى ، لكننى سأتحدث إلى سفيرا عن هذا الأمر . لكننى أحذرك لأن جالباتوريكس ربما يكون قد أرسل بالفعل جيشاً جراراً للبحث عنى . لن

تكون فى مأمن معى أنا وسفيرا مثلما تكون فى أمان بمفردك " .

قال مورتاج بابتسامة عريضة وسريعة : " أعلم ذلك ، لكن هذا لن يمنعنى من صحبتك " .

ابتسم إيراجون من العرفان بالجميل وقال : " رائع " .

وبينما كانا يتحدثان ، زحفت سفيرا نحو الكهف وألقت التحية على إيراجون . كانت مسرورة لرؤيته ،لكن كان هناك حزن دفين فى أفكارها وكلماتها . وضعت رأسها الأزرق الكبير على الأرض وقالت له : " *هل أنت بخير؟* " .

" *لست بخير تماماً* " .

" *أنا أفتقد الرجل العجوز* " .

" *مثلى أنا أيضاً ، ... لم أشك أبداً فى أنه فارس من قادة التنين . بروم كان حقاً رجلاً عجوزاً . فى عمر أى قائد تنين من المنشقين . كل ما علمه لى من السحر كان قد تعلمه يقيناً من الفرسان قادة التنين بأنفسهم* " .

تحركت سفيرا ببطء قليلاً وقالت : " *كنت أعلم ذلك لحظة تواصله معى ذهنياً فى مزرعتك* " .

" *لماذا لم تخبرينى حينئذ؟* " .

قالت ببساطة : " *لأنه طلب منى ألا أخبرك* " .

قرر إيراجون ألا يثير الأمر ويلومها ؛ فهى لم تقصد قط إيذاءه ، وقال لها : " *كان بروم يعرف الكثير من الأسرار ويخفيها عنا* " **، وحكى لها كل شىء عن السيف زاروك ورد فعل مورتاج له ، ثم أنهى حديثه قائلاً :** " *أنا أتفهم الآن لماذا لم يخبرنى بروم بأصل زاروك عندما أعطاه لى . لو كان فعل ذلك لربما هربت منه فى أول فرصة* " .

قالت في تقزز : " خلص نفسك من هذا السيف . اعلم أنه سلاحٍ لايضاهى ، لكنك ستكون أفضل حالاً بسيف عادى بدلاً من أداة المجازر الخاصة بمورزان " .

" ربما تكونين على صواب . إلى أين يذهب بنا هذا الطريق يا سفيرا ؟ عرض علينا مورتاج أن يرتحل معنا . لا أعلم ماضيه ، لكنه يبدو أهلاً للثقة . هل نذهب للفاردن الآن ؟ لا أعرف فقط كيف أهتدى إليهم . لم يخبرنى بروم أبداً " .

قالت له : " لكنه أخبرنى أنا " .

غضب إيراجون وصاح : " لماذا وثق بك وليس بى بكل تلك المعلومات ؟ " .

حكت حراشيفها على الصخور الجافة محدثة صوتاً وهى تقف فوقه وعيناها عميقتان : " بعد أن غادرنا تيرم وهوجمنا من قبل الأورجال ، أطلعنى على الكثير من الأمور وبعضها لن أتفوه به إلا عند الحاجة الملحة إلى ذلك . كان قلقاً بشأن موته وما سيحدث لك من بعده . من ضمن ما قاله لى كان اسم رجل يدعى دورمناد يعيش فى جيلياد وقال إنه سيساعدنا على إيجاد الفاردن . أرادك بروم أن تعلم أيضاً أنك من كل أهل آلاجيشيا الوحيد المناسب لكى يرث ميراث الفرسان قادة التنين " .

اغرورقت عينا إيراجون بالدموع . كان ذلك أعلى مديح يتلقاه من بروم . قال لها : " إنها مسئولية سأحملها بكل شرف " .

قالت له : " رائع " .

قال لها : " سنذهب لجيلياد " ، وعادت لإيراجون قوته وعزيمته ثم قال : " لكن ماذا عن مورتاج ؟ هل تعتقدين أنه يجب أن يذهب معنا ؟ " .

" نحن مدينون له بحياتنا . لكن بغض النظر عن ذلك ، فقد رآنى ورآك ، فيجب أن يصحبنا لكيلا يخبر الإمبراطورية بمكاننا وأوصافنا ، سواء إن أراد ذلك أم لا ، فإنه قد يتم إجباره على الاعتراف " .

وافقها الرأى ، ثم أطلعها على حلمه وقال : " ما رأيته فى الحلم يزعجنى . أشعر أن وقتها ينفد ؛ وسيحدث لها شىء رهيب وبشع قريباً . إنها فى خطر محدق . أنا متأكد من ذلك . لكن لا أعرف كيف أجدها ! قد تكون فى أى مكان " .

قالت سفيرا : " استفت قلبك ، وسيطلعك على ما تريد معرفته " .

قال لها وفى كلامه مسحة حزن مختلطة بالمزاح : " مات قلبى منذ زمن طويل ، لكن أظن أننا يجب أن نذهب إلى الشمال إلى جيلياد . ربما نحظى بمعرفة مكان احتجاز تلك المرأة فى أى مدينة فى طريقنا . أخشى أن حلمى التالى بها سيكون قبرها ولن أتحمل ذلك " .

" لماذا ؟ " .

قال بلا اكتراث : " لا أعلم ، عندما أراها ، أشعر أنها غالية وعزيزة لدىّ ولا يجب أن أفقدها ..... إنه شعور غريب " . فتحت سفيرا فمها الكبير وضحكت فى صمت ولمعت أنيابها . قال إيراجون فى حنق : " ما الأمر ؟ " . هزت رأسها وسارت بتثاقل وبهدوء إلى خارج الكهف .

غمغم إيراجون لنفسه ثم أخبر مورتاج بقرارهما المشترك ، فقال له مورتاج : " إذا وجدت المدعو دورمناد ثم واصلت السير إلى الفاردن ، سأتركك . إن مواجهة الفاردن خطيرة بالنسبة لى وهى بمثابة الذهاب بلا سلاح لمدينة أوروبيان العاصمة مع وجود الحرس ذوى آلات النفخ للإعلان عن وصولى " .

قال إيراجون : " لن نفترق قريباً فالطريق إلى جيلياد طويل " . ظهرت فى صوته حشرجة بسيطة فحدق إلى الشمس مع تضييق عينيه لكى يلهى نفسه ثم قال : " لنرحل من هنا قبل اشتداد الحرارة مع تقدم النهار " .

قال مورتاج وهو يعبس بوجهه : " هل أنت قوى بما يكفى للسفر ؟ " .

قال إيراجون بحدة وبوقاحة : " يجب أن أفعل أى شىء وإلا سأجن ، الخيارات المتاحة ليست جيدة الآن : المبارزة أو ممارسة السحر ، أو الجلوس والعبث بأصابعى ، ولذلك سأختار ركوب الخيل " .

أطفآ النيران بالماء ثم حزما الأمتعة وقادا الخيل إلى خارج الكهف . أعطى إيراجون زمام كادوك وزمام سنوفاير لمورتاج وقال: " واصل المسير وسألحق بك". بدأ مورتاج النزول البطىء من الكهف .

صعد إيراجون بصعوبة بالغة على الصخورٍ وكان يستريح لبرهة من الصعود كلما واجه صعوبة وضيقا فى التنفس بسبب آلام ضلوعه . عندما وصل للقمة وجد سفيرا هناك بالفعل . وقفا معاً أمام قبر بروم وودعاه . وقال إيراجون : " *لا أصدق أنه رحل ... إلى الأبد* . وعندما استدار إيراجون

للتأهب للنزول مدت سفيرا رقبتها الطويلة ولمست المقبرة بطرف أنفها ، واهتزت جوانبها وملأت الهواء بصوت همهمة .

لمع شاهد القبر حول أنفها كالندى الذهبى ثم تحول إلى لون شفاف له بريق فضي متلألى . شاهد إيراجون في عجب القاعدة الرقيقة الشفافة من الماس الأبيض تدور حول سطح القبر كشبكة من الزركشة المتشابكة التى لا تقدر بثمن . كانت الظلال الملقاة على الأرض تلمع وتعكس تداخل الألوان اللامعة المبهرة التى تتحرك بشكل يذهل العقل وتغيرت ملامح القبر . وبنفخة من أنفها تنم عن الرضا ، تراجعت سفيرا للخلف وفحصت عمل يديها .

كان الضريح الحجرى المنحوت قد تحول بعد لحظات إلى قبر لامع من الماس ـ وكان تحته وجه بروم ظاهراً ، حدق إليه إيراجون في حنين وبدا بروم وكأنه نائم فقط فقال : " *ماذا فعلت ؟* " ، وكان يوجه لها السؤال في رهبة ودهشة .

قالت له : " *أعطيته الهدية الوحيدة التى يمكننى منحها له . الآن الزمن لن ينال من قبره ، وسيرقد هنا فى سلام إلى الأبد* " .

" *شكراً لك* " . وضع إيراجون يده على جانبها وغادرا الضريح معاً .

الأسر فى جيلياد

كان ركوب الخيل مؤلماً للغاية لإيراجون ـ حيث إن ضلوعه المكسورة منعته من الركض بسرعة ، وكان من المستحيل ألا يتنفس بعمق بدون ألم رهيب . وعلى الرغم من كل هذا ، رفض أن يتوقف . طارت سفيرا على مقربة منه وربطت ذهنها مع ذهنه من أجل منحه القوة والسلوى .

كان مورتاج يركب حصانه بثقة بجوار كادوك ، ويتجاوب برشاقة مع حركات الحصان ، راقب إيراجون الحصان الرمادى لفترة وقال : " حصانك جميل ، ما اسمه ؟ " .

" تورناك ، على اسم الرجل الذى علمنى القتال والنزال " . ثم ربت مورتاج على حصانه وقال : " لقد أهدى لى هذا الحصان وهو مازال مهراً ، ومن الصعب أن تجد حيواناً يفوق شجاعته وذكاءه فى كل آلاجيشيا ، عدا سفيرا بالطبع " .

قال إيراجون وهو معجب به : " إنه دابة رائعة " .

ضحك مورتاج وقال : " نعم ، لكن سنوفاير أقرب حيوان يضاهيه رأيته حتى الآن " .

سارا لمسافة قصيرة فى هذا اليوم ، لكن إيراجون كان سعيداً للترحال مرة أخرى ؛ لأنه يشغل ذهنه عن التفكير فى الأمور القاتمة المحزنة . كانا يسيران عبر أرض غير منبسطة . وكان الطريق إلى دراس ـ ليونا على مسافة عدة فراسخ على اليسار . وبذلك سيسيران حول المدينة متجنبين إياها بمسافة كبيرة فى طريقهما إلى جيلياد وهى تقع فى أقصى الشمال مثل كارفاهول .

باعا الحصان كادوك فى قرية صغيرة ، وعندما تناول زمامه مالكه الجديد وضع إيراجون ثمنه الزهيد فى تلك الصفقة فى جيبه وهو يشعر بالأسى . كان من الصعب التنازل عن كادوك بعد عبور نصف آلاجيشيا به ـ وسباق الأورجال والهروب منهم به .

مرت الأيام على وتيرة واحدة بينما تجولت الجماعة الصغيرة فى عزلة عن الآخرين . كان إيراجون سعيداً لأنه وجد صفات واهتمامات مشتركة بينه وبين مورتاج ؛ وظلا لساعات يتناقشان فى أدقٍ تفاصيل الرماية والصيد .

ولكنهما اتفقا ضمنياً بدون كلام على تجنب مناقشة موضوع واحد : الماضى الخاص بكل منهما . لم يشرح له كيف وجد سفيرا أو قابل بروم أو من أين جاء وما موطنه . كان مورتاج مثله لا يتفوه عن سبب مطاردة الإمبراطورية له . كان اتفاقاً بسيطاً لكنه ناجح .

ولكن بسبب تقاربهما ، لم يكن هناك مفر من أن يعرفا المزيد عن بعضهما البعض . كان ما يثير فضول إيراجون هو معرفة مورتاج لصراعات القوى والسياسة داخل الإمبراطورية . بدا وكأنه يعلم ما يفعله كل نبيل من نبلاء البلاط الملكى وكيف يؤثر على الجميع . وكان إيراجون يصغى إليه جيداً وتدور فى رأسه الظنون .

مر الأسبوع الأول بلا أثر للرازاك ، مما هدأ بعض مخاوف إيراجون . وعلى الرغم من ذلك ظلا يتبادلان المراقبة الليلية . توقع إيراجون مواجهة الأورجال فى طريقه إلى مدينة جيلياد ، لكنهما لم يجدا أى أثر للأورجال . قال إيراجون لنفسه : *"ظننت تلك الأماكن البعيدة مليئة بالوحوش ، لكنى لا أكترث لو ذهبوا إلى أى مكان آخر"* .

لم يعد إيراجون يحلم بالمرأة ، وعلى الرغم من أنه حاول استدعاءها بالسحر على السطح الأملس فإنه رأى فقط زنزانة فارغة . وكلما مرا بمدينة ، كان يتفقدها ليرى هل بها سجن أم لا وإذا وجده فإنه كان يتنكر ويزوره ، لكنه لم يجدها . صار يزيد فى وسائل التنكر عندما رأى لافتات تحمل اسمه وأوصافه ـ وتعرض مكافآت ضخمة لمن يأسره ـ معلقة في عدة مدن .

وقد أجبرهما الترحال إلى الشمال على الاقتراب من العاصمة أوروباين . كانت منطقة كثيفة السكان واسعة النطاق مما جعل من الصعب تفاديها . كان الجنود يمرون فى دوريات عبر الطرق ويحرسون الكبار ، واستغرق إيراجون ورفيقه عدة أيام عصيبة للمرور حول العاصمة لتجنبها .

وبمجرد أن مرا بسلام وجدا أنهما على حافة سهل ممتد وواسع ، وهو نفس السهل الذى اجتازه إيراجون بعد أن غادر وادى بالانكار ، عدا أنه كان فى الجانب المقابل له . ظلا يسيران على حافة السهل وواصلا المسير نحو الشمال وهما يتبعان نهر رامر .

جاء عيد ميلاد إيراجون السادس عشر وفكر إيراجون أنه لو كان الآن فى كارفاهول لأقاموا الاحتفالات بمناسبة دخوله عالم الرجولة ، لكن فى البرية لم يذكر حتى لمورتاج أن عيد ميلاده قد حل .

كبر حجم سفيرا كثيراً وأصبح عمرها الآن ستة شهور ، وكانت أجنحتها ضخمة وتستخدم كل بوصة من جناحيها لكى تطير وترفع كل جسدها المتخم بالعضلات وعظامها السمكية . وكانت أنيابها البارزة من فكها فى حجم قبضة إيراجون وحادة كالسيف المسمى زاروك .

أخيراً جاء اليوم الذى فك إيراجون فيه ضمادات وجبيرة أضلاعه لآخر مرة . وقد شفيت ضلوعه تمامًا ، ولم تترك سوى أثر صغير لجرح حيث لكزت قدم الرازاك جانبه . راقبته سفيرا وهو يتمدد ببطء ثم زاد من حركته لاحقاً عندما اختفى الألم . مدد عضلاته وشعر بالسعادة والسرور . لو كان حدث ذلك فى الماضى لابتسم ، لكن بعد موت بروم ، لم تعد تلك التعابير ترتسم على وجهه بسهولة .

ارتدى سترته وسار عائدا لنار المعسكر الصغيرة التى أشعلاها . جلس مورتاج بجوار النار وهو يشحذ قطعة من الخشب . سحب إيراجون زاروك فشعر مورتاج بالتوتر لكن

ظل وجهه هادئاً . قال له إيراجون : " الآن وقد عدت قوياً بدرجة كافية ، هلا نازلتنى ؟ " .

ألقى مورتاج الخشبة إلى جانبه وقال : " بسيوف ذات نصل حاد ؟ سنقتل بعضنا البعض " .

قال إيراجون : " أعطنى سيفك " . تردد مورتاج ثم أعطاه سيفه الذى يبلغ طوله ذراعاً ونصف ذراعٍ . لف إيراجون نصل السيفين بالسحر حتى لا يكون حادا كما علمه بروم . وبينما فحص مورتاج النصل ، قال إيراجون : " سأعيده إلى سيرته الأولى بمجرد انتهاء النزال " .

فحص مورتاج توازن السيف ، ثم شعر بالرضا وقال : " هذا سيفى بالغرض " . فعل إيراجون نفس الشىء مع زاروك ثم انحنى لبرهة ثم قفز مهاجما كتف مورتاج وتلاقى السيفان فى الهواء فى منتصف المسافة بينهما ، ثم انفصل إيراجون عنه مصدراً صوتاً عالياً ثم دفع بسيفه مرة أخرى ، ثم تراجع عندما تفادى مورتاج الضربة بخطوات رشيقة وماهرة .

قال إيراجون لنفسه : *"إنه سريع الحركة ! "*

ظلا يتصارعانِ ما بين كر وفر وكل منهما يحاول أن يسقط الآخر أرضاً . وبعد عدة ضربات متوالية وعنيفة بشكل خاص بدأ مورتاج يضحك . ولم يكن الأمر فقط مجرد أنه من المستحيل أن يكون لأحدهما نقطة ضعف يستغلها الآخر ، بل كانا متساويين تماماً فى الكفاءة لدرجة أنهما شعرا بالتعب فى نفس الوقت . اعترفا بمهارات بعضهما البعض بابتسامات عريضة متبادلة وواصلا القتال حتى تصلب ذراعاهما وتصبب العرق من جسديهما بغزارة .

فى النهاية صاح إيراجون : " كفى ، توقف ! " . توقف مورتاج فى منتصف الضربة وجلس وهو يلهث . سار إيراجون مترنحاً وكان صدره يعلو ويهبط من شدة اللهاث والتنفس بصعوبة . لم تكن تدريباته مع بروم عنيفة وحادة بهذا الشكل قط .

وبينما أخذ إيراجون يشهق ، صاح مورتاج : " أنت مدهش ! لقد تدربت على القتال بالسيف طوال عمرى لكنى لم أنازل من هو مثلك . إن أردت ، فيمكنك أن تكون المقاتل الأول بالسيف لدى الملك " .

قال إيراجون لاهثاً : " وأنت مقاتل بارع أيضا ، تورناك الذى دربك كان بوسعه أن يجنى ثروة لو كان قد افتتح مدرسة للتدريب على المبارزة ، كان الناس سيأتون إليه من جميع أنحاء آلاجيشيا ؛ ليتعلموا على يديه " .

قال مورتاج بجفاء : " لقد مات " .

" أنا آسف " .

صارت عادة أن يتصارعا ليلاً ؛ مما حافظ على قوامهما ولياقتهما ؛ مثل سيفين متشابهين تماماً . استرد إيراجون صحته وواصل أيضاً ممارسة السحر . كان مورتاج يملؤه الفضول عن السحر وسرعان ما كشف عن معلوماته الكثيرة المدهشة عن السحر وكيفية عمله ، لكنه لم يكن يلم بالتفاصيل الدقيقة ولا يمكنه استخدام السحر . وكلما تدرب إيراجون على التفوه باللغة القديمة ، كان مورتاج ينصت إليه بهدوء وعادة ما كان يسأل عن معنى بعض الكلمات .

توقفا فى ضواحى مدينة جيلياد وربطا الخيول بجوار بعضها البعض . وقد وصلا لهذه النقطة بعد مسيرة شهر تقريباً ، وحينها أزال الربيع باقى آثار الشتاء . شعر إيراجون أنه يتغير فى أثناء الرحلة وصار أقوى وأكثر هدوءاً . كان لايزال يفكر فى بروم وكان يتحدث عنه إلى سفيرا ، لكن معظم الوقت حاول ألا يتذكر تلك الذكريات المؤلمة .

شاهدا المدينة من على مسافة كبيرة ، كانت المدينة تبدو بربرية وقاحلة ومليئة بالمنازل الخشبية وكانت الكلاب لا تكف عن النباح . كان هناك فى مركز المدينة قلعة حجرية متهالكة ، وكان الجو مبلداً بالغيوم بسبب الدخان الأزرق . بدا المكان كمركز تجارى مؤقت وليس مدينة للإقامة الدائمة . وعلى بعد خمسة أميال ، كانت هناك الحدود المبهمة لبحيرة إسنستار .

قررا إقامة المعسكر للمبيت على بعد ميلين على سبيل التأمين . وفى أثناء تسخين العشاء قال مورتاج : " لست متأكداً إذا ما كان يجب أن تدخل أنت المدينة أم لا " .

" لماذا ، يمكننى التنكر جيداً ، وبالتأكيد سيرغب دورمناد فى رؤية العلامة البيضاوية الفضية على يدى كدليل على أننى من الفرسان قادة التنين " .

قال مورتاج : " ربما ، لكن الإمبراطورية تريد القبض عليك أكثر مما تريد القبض علىّ . إذا تم أسرى يمكننى أن أهرب فى النهاية ، لكن لو تم أسرك أنت فستذهب رغم أنفك إلى الملك ، وستموت موتاً بطيئاً من التعذيب ـ إلا إذا انضممت إليه . علاوة على أن جيلياد هى إحدى المدن

الكبرى التابعة لجيش الإمبراطورية ، فلا توجد منازل هناك بل ثكنات . والدخول إليها يعنى أن تسلم نفسك للملك على طبق من ذهب " .

طلب إيراجون المشورة من سفيرا فلفت ذيلها حول قدميها وجلست بجواره وقالت : "لا يجب عليك أن تسألنى ، فمورتاج يتحدث بعقلانية ، توجد كلمات قد أعطيها له تقنع دورمناد بأنه يقول الحقيقة . مورتاج على صواب ، إذا كان هناك من يجب أن يتعرض للأسر فهو الشخص المناسب لأنه قد ينجو من ذلك".

عبس إيراجون وقال : "لا أحب أن يعرض نفسه للخطر من أجلنا" ، ثم قال على مضض لمورتاج : " حسناً ، يمكنك الذهاب ، لكن إذا ساءت الأمور سأسرع خلفك " .

ضحك مورتاج وقال : " هذا يصلح لأن يكون أسطورة : كيف تمكن فارس من قادة التنين بمفرده أن يهزم جيش الملك " ، ثم ضحك مرة أخرى ووقف وقال : " هل هناك ما يجب أن أعرفه قبل الذهاب ؟ " .

سأله إيراجون بحرص : " ألا نستريح وننتظر حتى الغد ؟ " .

" لماذا ؟ كلما بقينا هنا لوقت أطول زاد احتمال أن يكتشف أحدهم أمرنا . إذا كان المدعو دورمناد سيصطحبك إلى الفاردن فيجب العثور عليه بأسرع ما يمكن . لا ينبغى لأى منا البقاء بجوار مدينة جيلياد لأكثر من بضعة أيام قليلة " .

قالـت سـفيرا بجفـاء : " *إن مـا قالـه هـى الحكمـة بعينها* " . ثم ذكرت لإيراجـون مـا يجـب أن يقـال لـدورمناد كأمارة ثم نقل إيراجون بدوره المعلومات إلى مورتاج .

قال مورتاج : " حسناً " ، ثم ضبط سيفه وأردف قائلاً : " سأعود خلال ساعتين إلا إذا حدثت مشـاكل . تأكـد مـن أن تدخر لى بعض الطعام " . ثم لوح له بيده كـوداع ثـم امتطـى صهوه جواده تورناك وانطلق . جلس إيراجون بجـوار النـار وكان يدق بأصابعه على مقبض السيف زاروك وهو يتـوجس خيفة .

مرت الساعات لكن مورتاج لم يعد . ظل إيراجـون يـدور حـول النـار وفـى يـده سيفه زاروك ، بينمـا كانـت سـفيرا تراقب مدينة جيلياد بكل اهتمام ، وكانت ساكنة لا تتحرك سوى عينيها . لم يتحدثا معاً عما يساورهما من قلـق ، لكـن استعد إيراجون للرحيل ـ بدون أن تلاحـظ هـى ـ فـى حالـة وصول فيلق من الجيش من المدينة وتوجهه إليهما .

صاحت سفيرا فجأة : "*انظر !*"

اتجهـت عينـا إيراجـون نحـو جيليـاد وكـان متأهبـاً للغاية ، فرأى فارساً قادماً من بعيد على ظهر حصانه يخرج من المدينة ويتجه بأقصى سرعة إلى المعسكر . قـال إيراجـون وهو يمتطى سفيرا : "*لا أحـب ذلـك ، استعدى للطيران فـى أى وقت*" .

قالت له : "*أنا مستعدة لأكثر من ذلك*" .

وبينما اقترب الفارس ، أدرك إيراجون أنه مورتاج لكنه كان منحنياً بشدة على فرسه تورناك ولم يكن أحد يتبعـه ، لكنه لم يهدئ من سرعته الهوجاء ، ثم توقف عندهما وقفز

علـى الأرض وسـحب سـيفه . قـال إيراجـون : " مـا الخطب ؟ " .
عـبس وجـه مورتـاج وقـال : " هـل تبعنـى أحـد مـن المدينة ؟ " .
" لم نر أحداً " .
" رائع . دعنى أتناول طعامى أولاً قبل أن أوضح لـك كـل شيء فأنا أتضور جوعاً " ، ثم أمسك بالطبق وبدأ يأكـل بكـل نهم . بعد بضع لقيمات كبيرات قـال وفمـه محشـو بالطعـام المتساقط من فمه : " لقد وافق دورمناد على أن يقابلنا خـارج جيلياد عند شروق الشمس غداً . إذا اقتنع بأنك من الفرسـان قادة التنين ، وأنـه لـيس فـى الأمـر فـخ وعندئـذٍ سيأخذك للفاردن " .
قال إيراجون : " أين يفترض أن نقابله ؟ " .
أشار مورتاج جهة الغرب وقال : " فى تـل صـغير عـبر الطريق " .
" إذن ماذا حدث ؟ " .
اغترف مورتاج المزيد من الطعام في طبقه وقال : " الأمر بسيط ، لكنـه رغـم ذلـك خطـير جـدا : لقـد رآنـى شخص يعرفنـى ففـررت مـن المدينـة بأقصـى سـرعة ، لكـن فـات الأوان ؛ لقد تعرف على وجهى " .
كان هذا من سوء الحظ ، لكن إيراجون لم يكن متأكداً من مدى فداحة عواقب ما حدث فقال : " بمـا أننـى لا أعـرف صديقك فيجب أن أسألك : هل سيشى بك ؟ " .
ضحك مورتاج بعصبية وقال : " لو كنت قد قابلته أنـت لعرفت الإجابة ؛ فهو ثرثـار ويحكـى كـل شـيء يـدور فـى

عقله . السؤال هنا يجب ألا يكـون : *هل* سـيقول للنـاس أم لا ، بل *إلى من* سيشي بي . إذا وصـل الخـبر لشخص غير مناسب سنقع في المتاعب " .

قال إيراجون : " ربما سيتم إرسال الجنود للبحث عنك في الظلام . على الأقل سنعتمد على أن نكون في أمـان حتـى الصباح ، وبعد ذلك إذا سارت الأمور على ما يرام فسنواصل الترحال مع دورمناد " .

هز مورتاج رأسه بالنفي وقال : " كلا ، ستصحبه أنـت فقط ، وكما قلت لك من قبل فلن أذهب للفاردن " .

حدق إيراجون إلى مورتاج في أسى ؛ لقد كان يرغب فـى أن يبقى معه ، فلقـد صـارا صـديقين أثنـاء ترحالهمـا وكـان يكره أن يفترقا . همَّ بالاعتراض لكن سفيرا أسـكتته وقالـت بهدوء : *"انتظر للغد ؛ فالوقت غير مناسب الآن"* .

قال بكآبة : " حسناً " . ثم تحدثا حتى لمعت النجوم في السماء ثم ناما بينما سهرت سفيرا للحراسة في دورها .

استيقظ إيراجون قبل الفجر بساعتين وكانت راحة يديه توخزه . كل ما حوله كان يغلفه الهدوء التام لكن هناك شيئاً كان يشد انتباهه ويسبب له الشعور بالوخز داخـل ذهنـه . علق زاروك على حزامه ووقف وهو حـريص علـى ألا يصـدر منه أقل صوت . نظرت إليه سفيرا وكـان يملؤهـا الفضـول ، ولمعت عيناها الواسعتان وقالت : *"ما الخطب ؟"* .

قال إيراجـون : *"لا أعرف"* ، وكـان لا يـرى بالفعـل أى شيء من حوله يدعو للريبة .

تشممت سفيرا الهواء بفضول وأصدرت فحيحاً ورفعت رأسها وقالت : *"أشم رائحة خيول قريبة ولكنها لا تتحرك ، وتنضح برائحة كريهة غير مألوفة"* .

زحف إيراجون إلى مورتاج وهز كتفه فاستيقظ فزعاً وسحب خنجراً من تحت الأغطية ، ثم حدق إلى إيراجون مستفهماً عما حدث . أشار إيراجون إليه بالصمت وهمس له قائلاً : " توجد خيول قريبة من هنا " .

سحب مورتاج سيفه بدون أن ينبس ببنت شفة ووقفا في صمت بجوار سفيرا ، وكانا على استعداد للهجوم . وأثناء انتظارهما أشرقت الشمس وصاح أحد السناجب .

وعندئذ انطلقت صيحة غاضبة خلف إيراجون جعلته يستدير بسرعة شاهراً سيفه . كان هناك أحد وحوش الأورجال وكان كبير الحجم ويقف على مقربة منهما ويحمل فأساً للقتال ، له سن قذر ينذر بالشر . قال إيراجون لنفسه : *"من أين أتى ؟ لم نر آثار الأورجال في أي مكان !"* . صاح وحش الأورجال ولوح بسلاحه في الهواء لكنه لم يهاجم إيراجون .

صاح إيراجون : " بريزنجر ! " ، وأخرج الشعاع السحري ، تلوى وجه الأورجال من الرعب وانفجر من الضوء السحري الأزرق . تناثر دم الأورجال على إيراجون وتفحم جسده وطار عبر الهواء . تحركت سفيرا خلف إيراجون في توتر بالغ وتراجعت للخلف . استدار إيراجون بسرعة شديدة . وبينما كان إيراجون منشغلاً بالوحش الأول كانت مجموعة من وحوش الأورجال قد ظهرت من جانب آخر ، فقال لنفسه : *"لقد وقعت في أسوأ وأغبى فخ !"* .

دوى صليل السيوف بينما هاجم مورتاج الأورجال وعندما حاول إيراجون الانضمام له تصدى له ومنعه أربعة وحوش أورجال آخرين ، هوى الأول بسيفه على كتف إيراجون الذى تفادى الضربة وقتل الوحش بالسحر ثم قتل الثانى بضربة سيفه زاروك على عنقه ثم استدار بسرعة خاطفة وضرب الآخر فى قلبه ، وبينما كان يهم بقتل الرابع هجم عليه وهو يلوح بعصا غليظة كالهراوة .

رآه إيراجون وهو يأتى إليه بسرعة وحاول رفع سيفه لصد الضربة لكنه تأخر بمقدار ثانية واحدة . فصاح بينما هوت الهراوة على رأسه : " طيرى يا سفيرا ! " ، ثم امتلأت عيناه بضوء خاطف ثم فقد وعيه .

دو سوندافار فرور

كان أول ما لاحظه إيراجون عندما أفاق هو أنه كان يشعر بالدفء والجفاف وأن خده كان يلامس قماشاً خشناً ، ولم تكن يداه مربوطتين ، فقام متململاً ، ولكن مرت بضع دقائق قبل أن يتمكن من دفع نفسه لكي ينهض ويفحص ما حوله .

كان جالساً فى زنزانة على فراش ضيق وملىء بالنتوءات البارزة . كما كانت هناك نافذة ذات أعمدة حديدية فى أعلى الحائط . كان الباب مدعماً بالحديد وله نافذة صغيرة أعلاه وبها أعمدة حديدية مثل النافذة التى على الحائط وكانت مغلقة بإحكام .

كانت آثار الدم الجاف على وجه إيراجون قد تشققت عندما تحركت أوصاله . تذكر بعد دقيقة واحدة أنه ليس دمه ، كان رأسه يؤلمه بشدة ـ وهو الأمر الذى كان متوقعاً نظراً للضربة التى تلقاها ـ وكان يشعر بطنين فى رأسه بصورة غريبة . حاول استخدام السحر لكنه لم يتمكن من

التركيز بما يكفى لأن يتذكر أى كلمة من كلمات اللغة القديمة . قال فى النهاية : *"لابد أنهم خدرونى"* .

قام وهو يتأوه واكتشف فقدان زاروك عندما لم يشعر بوزنه الثقيل المألوف على فخذه وسار مترنحاً إلى النافذة التى فى الحائط ، نجح فى رؤية ما وراء النافذة بالوقوف على أصابع قدميه . واستغرقت عيناه دقيقة واحدة لكى تتأقلم على الضوء المبهر بالخارج . كانت النافذة على مستوى الأرض . وكان هناك شارع مزدحم بالناس المشغولين المارين بجوار زنزانته ، وفيما وراء ذلك كانت هناك صفوف من المنازل الخشبية المتشابهة .

شعر إيراجون بالضعف ، فانحنى على الأرض وتأملها وكانت فى عينيه نظرة زائغة ، وقد أزعجه ما رآه بالخارج ، لكنه لم يكن متأكداً من سبب انزعاجه ، لعن تفكيره البطىء ثم مال إلى الوراء برأسه وحاول أن يجعل ذهنه صافيًا . دخل رجل إلى الزنزانة حاملاً صينية طعام وإبريق ماء ووضعهما على الفراش . قال إيراجون لنفسه : *"أليس ظريفاً من هذا الرجل أن يفعل ذلك ؟ "* ، ثم ابتسم فى سعادة . تناول قضمتين من حساء الكرنب الخفيف القوام والخبز الجاف ، لكنه ابتلع ما تناوله بالكاد . قال لنفسه وهو يتذمر : *"أتمنى لو كان قد أحضر لى شيئاً أفضل"* ، ثم ألقى بالملعقة .

فجأة أدرك أنه مخطىء : *"لقد أسرنى الأورجال ، وليس الرجال ! كيف انتهى بى الأمر إلى هنا ؟ "* . ظل عقله المشوش يفكر ويصارع هذا اللغز الملىء بالتناقضات لكنه لم يفلح فى التوصل لأى تفسير مقنع . وفى النهاية استسلم

وأودع هذا الاكتشاف بعيداً في ذهنه حتى يرى ماذا سيفعل به لاحقاً .

جلس على الفراش وحدق إلى الأفق وبعد ساعات جاء المزيد من الطعام ، فقال لنفسه وهو يتذمر : " *جاء في الوقت الذى بدأت أشعر فيه بالجوع* " . وهذه المرة تناول الطعام بدون أن يشعر بالتقزز . وعندما فرغ منه قرر أن يغفو قليلا ؛ فعلى أية حال هو على فراش فماذا سيفعل سوى ذلك ؟

توقف ذهنه عن التفكير ، وغلبه النعاس . فجأة فتحت بوابة في مكان ما بصوت عال وامتلأ الهواء بصوت صاخب للأحذية الثقيلة المدعمة بالفولاذ والتى تمشى على الأرضية الحجرية . زادت حدة الصوت الصاخب حتى بدا وكأن هناك من يقرع على رأس إيراجون ، فصاح في ضجر لنفسه : "*ألا يدعوننى أستريح فى سلام ؟* " . ثم تغلب شعوره بالفضول ببطء على إحساسه بالإنهاك ، فقام متثاقلاً إلى الباب وكان يحدق بعينيه كالبوم .

رأى من خلال النافذة رواقًا عبر مسافة ١٠ ياردات من النافذة . كان الحائط المواجه له به زنازين مصفوفة مشابهة لزنزانته . سار طابور من الجنود عبر الرواق وكانت سيوفهم مسحوبة من أغمادها وجاهزة للقتال . كان الجنود يرتدون السترات الحديدية المتشابهة ؛ وكل وجوههم تحمل نفس التعبير الصارم ، وكان وقع أقدامهم على الأرض يحدث بدقة ميكانيكية آلية ، في إيقاع منتظم ، وكان الصوت يجعل المرء وكأنه منوم مغناطيسيا ، كان عرضا مذهلا للقوة .

راقب إيراجون الجنود حتى شعر بالملل ، بعد ذلك لاحظ خرقا في منتصف طابور الجنود . كان هناك جنديان ضخما الجثة يحملان امرأة مغشيًّا عليها .

كان شعرها الفاحم السواد يخفي وجهها ، على الرغم من وجود حبل جلدي ملفوف حول رأسها للحيلولة دون سقوط خصلات شعرها على وجهها ، كانت ترتدي بنطالا أسود من الجلد وقميصا . وكان مربوطاً حول خصرها النحيل حزام لامع ، ومعلق عليه غمد فارغ بلا سلاح على فخذها الأيمن وكانت ترتدي حذاء جلديا أسود ذا رقبة طويلة تصل للركبة وتغطي الساقين والقدمين الصغيرتين .

مال رأسها على الجانب ، فشهق إيراجون وشعر وكأنه تلقى ضربة في بطنه ، كانت تلك هي المرأة التي تظهر له في أحلامه . كان وجهها الجميل رائعا وكأنه مرسوم في لوحة زيتية . كما أن ذقنها المستدير وعظام وجنتيها الطويلتين ورموشها الطويلة كانت كلها ملامح تعطيها شكلاً غريبا وكأنها لا تنتمي لهذا المكان ، وكان الشيء الوحيد الذي يفسد جمالها هو خدشًا غائرًا في فكها ؛ لكن على الرغم من ذلك ، فقد كانت أجمل امرأة رآها في حياته .

سرى الغضب في دماء إيراجون عندما نظر إليها . وكان هناك شعور ما سرى بداخله ، بدا كالوسواس ، لكنه كان أقوى ، ويكاد يكون كالجنون المحموم والهذيان . ثم تحرك شعرها وكشف عن أذنين مدببتين ، فسرت قشعريرة في جسده ؛ لأنه اكتشف أنها من مخلوقات الإلف .

واصل الجنود السير وأبعدوها عن مرمى بصر إيراجون . جاء خلف الجنود رجل طويل ومختال بنفسه يرتدي عباءة

من الفرو تنتفخ خلفه ، وكان وجهه أبيض وشاحباً كالموت ، وشعره أحمر بلون الدماء .

وعندما مر بزنزانة إيراجون ، استدار ونظر مباشرة إلى إيراجون بعينيه الحمراوين القانيتين ، وابتسم ابتسامة حيوانية وكشف عن أنيابه وأسنانه الحادة المسنونة . تراجع إيراجون في ذعر ، لأنه عرف ماهية هذا الرجل . *" إنه ظل ، أحد مخلوقات الظل .... ساعدوني .... أحد الظلال "* واستمرت الكتيبة في السير واختفى الظل من مرمى بصر إيراجون .

تهاوى إيراجون على الأرضية واحتضن نفسه . حتى في حالة الحيرة والتشوش الذهني التي أصابته ، كان يعلم أن وجود أحد الظلال يعني أن قوى الشر مُطلقة في البلاد . فكلما ظهرت مخلوقات الظل ، فإنه ينتج عن ظهورهم شلالات من الدماء . قال إيراجون لنفسه : *" ما الذي يفعله الظل هنا ؟ كان يجب أن يقتله الحرس فور رؤيتهم له ! "* ثم مالت أفكاره تجاه امرأة الإلف مرة أخرى ، وتملكته تلك الانفعالات الغريبة مرة أخرى .

قال لنفسه : " يجب أن أهربٍ " ، لكن كان ذهنه مشوشاً ، وخارت قوة عزيمته سريعاً ، فعاد للفراش وساد الصمت حينئذٍ في الرواق فراح إيراجون في سبات عميق .

بمجرد أن فتح إيراجون عينيه ، كان يعلم أن هناك تغييراً قد طرأ على حالته . أصبح من السهل أن يفكر الآن ؛ وأدرك أنه في مدينة جيلياد لابد أنهم وقعوا في خطأ ؛ بدأ يزول مفعول المخدر ! . شعر بالأمل وحاول التواصل مع سفيرا واستخدام السحر لكن كلا الأمرين كانا لا يزالان

بعيدين عن قدراته . بدأ القلق يساوره قليلاً وتساءل هل تمكنت سفيرا ومورتاج من الهرب أم لا . مد ذراعيه ونظر عبر النافذة . كانت المدينة قد بدأت تستيقظ للتو ؛ والشوارع فارغة عدا اثنين من الشحاذين .

أمسك إبريق الماء وهو يفكر فى موضوع الإلف والظل . وبينما هم بالشرب ، لاحظ أن الماء به رائحة كريهة لكنها ليست قوية ، وكأنها تحتوى على بضع قطرات من عطر قذر . عبس بوجهه ثم ترك الإبريقٍ وقال لنفسه : " لابد أن المخدر فى الماء وربما فى الطعام أيضاً ! " . تذكر أنه عندما خدره الرازاك استغرق المخدر بضع ساعات لكى يزول تأثيره . قال لنفسه : " إذا أمسكت عن الطعام والشراب لفترة طويلة فسأتمكن من استخدام السحر ، ثم أنقذ الإلف ..... " جعلته تلك الفكرة يبتسم ، فجلس فى أحد الأركان وأخذ يحلم بكيفية تنفيذ ذلك .

دخل السجان البدين إلى الزنزانة بعد ساعة من الوقت ومعه صينية الطعام . انتظر إيراجون حتى رحل ثم حمل الطعام إلى النافذة كانت الوجبة عبارة عن كسرة من الخبز قطعة من الجبن وبصلة ، لكن الرائحة جعلت معدته تصيح وتتلوى من الجوع . لكنه كان قد عقد العزم على تحمل الجوع لمدة يوم كامل حتى لو شعر بالبؤس ، لذلك ألقى الطعام من النافذة . وتمنى ألا يلاحظ أحد .

كرس إيراجون نفسه وكل جهده للتخلص من تأثير المخدر ، كان يعانى من عدم قدرته على التركيز فى أى شىء لمدة طويلة ، ولكن مع مرور اليوم ، زادت حدة قدراته الذهنية . بدأ يتذكر عدة كلمات سحرية من اللغة القديمة ،

لكن لم يحدث شيء عندما كان يذكرها . وأراد أن يصرخ لينفس عن إحباطه الشديد .

عندما قُدِّمَ إليه الغداء ، ألقاه من النافذة كما فعل مع وجبة الإفطار . كان الجوع يشتت ذهنه لكنِ العطش استبد به لدرجة كبيرة ، وكان حلقه جافاً تماماً . وكانت أفكار شرب الماء البارد تعذبه ؛ لأن كل نفس كان يسهم في جفاف فمه وحلقه أكثر . ولكن حتى على الرغم من ذلك ، فإنه أجبر نفسه على تجاهل إبريق الماء .

وكان ما صرف ذهنه عن حالته البائسة هو الضجيج الذى جاء من الرواق .

كان هناك رجل يصيح بصوت عال : " لا يمكنك الدخول هنا ! الأوامر واضحة : لا أحد يمكنه رؤية السجين ! " .

" حقا ؟ هل ستموت من أجلٍ منعي من الدخول أيها القائد ؟ " كان هذا الصوت ناعماً ويقاطع كلام القائد .

بدا صوت القائد مستكيناً وخاضعاً عندما قال : " لا ... لكن الملك ــ " .

قال الشخص الآخر مقاطعاً : " سأتولى أمر الملك ، والآن افتح الباب " .

بعد برهة ، سمع إيراجون صوت المفاتيح على باب الزنزانة . حاول أن يتظاهر بالكسل والتراخي وقال لنفسه : *" يجب أن أتظاهر بأننى لا أفهم ما يحدث ، لا يمكننى أن أظهر الدهشة مهما قال هذا الغريب "* .

فتح الباب . وكتم إيراجون أنفاسه عندما تطلع ونظر إلى وجه من يحدثه ، حيث كان هو مخلوق الظل الذى رآه من قبل ، كان الأمر بمثابة التحديق إلى قناع الموتى أو إلى

جمجمة مصقولة مغطاة بالجلد لإعطائها مظهر الحياة . قال مخلوق الظل : " تحياتي " ، وابتسم ابتسامة باردة وكشف عن أسنانه الحادة : " كنت أنتظر منذ فترة طويلة أن أقابلك " .

قال إيراجون وهو يصطنع الشعور بانعدام الوعي : " من ــ من أنت ؟ " .

قال الظل : " ليس هذا مهماً " ، وكانت عيناه ذات اللون الأحمر القاني تشعان بالتهديد الذي يتحكم فيه . جلس وانتفخت عباءته ، وقال : " اسمي لا يهم من هو في موضعك . فأنا لا أعني شيئاً بالنسبة لك . أنا مهتم بك ، من أنت ؟ " .

كان السؤال مطروحاً ببراءة مصطنعة ، لكن إيراجون كان يعلم أن عليه توخي الحذر لأنه قد يكون هناك فخ ولا ينتبه إليه . تظاهر بأنه يعاني في استجماع شتات عقله وكأنه يفكر في السؤال لفترة ثم قال ببطء وهو يقطب جبينه : " لست متأكداً .... اسمي إيراجون ، لكنه ليس هذا كل شيء عني ، أليس كذلك ؟ " .

ضاقت شفتا الظل بشدة وهو يضحك بحدة قائلاً : " كلا ، ليس هذا هو اسمك . لديك تفكير مثير ، أيها الفارس الصغير قائد التنين " . ثم مال إلى الأمام وكان جلد جبهته رفيعا لدرجة أنه بدا شفافاً قائلاً : " يبدو أنني يجب أن أطرح سؤالي بشكل مباشر : ما اسمك ؟ " .

" إيرا ــ " .

قاطعه الظل ولوّح بيده قائلاً : " كلا ! ليس هذا الاسم ، أليس لديك اسم آخر نادراً ما تستخدمه ؟ " .

أدرك إيراجون ما حدث وقال لنفسه : " *إنه يريد معرفة اسمى الحقيقى لكى يتحكم فىّ الكنى لن أخبره ، فأنا حتى لا أعرفه* " . فكر بسرعة وحاول أن يفكر فى خدعه تخفي جهله وقال لنفسه : " *ماذا لو اخترعت أى اسم ؟* " . ثم تردد ـ فهذه الحيلة قد لا تنطلى عليه ـ ثم حاول بأقصى سرعة إيجاد اسم يتحمل التدقيق ، ثم هم بالتفوه به ، ولكنه قرر أن ينتهز الفرصة لكى يخيف الظل . أخذ يتفوه ببضعة حروف بسرعة ثم أومأ بغباء وقال : " قال لى بروم اسمى ذات مرة إنه .... " ، ثم توقف وتمدد لبضع ثوان ثم لمع وجهه وكأنه تذكر وقال : " إن اسمى هو دو سونداًفار فرور " ، كانت هذه الكلمات تعنى حرفياً : " الموت للظلال " .

خيم برد كئيب على الزنزانة بينما جلس الظل بلا حراك ، وكأن على عينيه غشاوة . بدا عليه التفكير العميق فيما سمع . تساءل إيراجون إذا كان قد تمادى فى إهانته كثيراً ، وانتظر حتى تحرك الظل ثم يسأل ببراءة مصطنعة : " لماذا جئت إلى هنا ؟ " .

نظر إليه الظل بازدراء بدا من عينيه الحمراوين وابتسم : " لكى أتشفى فيك بالطبع ، فما فائدة النصر إذاً لم تستمتع به ؟ " ، كان صوته مفعما بالثقة ولكنه بدا قلقاً ، وكأن خططه قد أحبطت . وقف فجأة قائلاً : " يجب أن أعتنى ببعض الشئون الخاصة بى ، لكن فى أثناء غيابى ، من مصلحتك أن تفكر فيمن يجب أن تعمل تحت إمرته : أحد الفرسان راكبى التنين ممن خان بنى جنسك من الفرسان أم رجل مثلى ، لكنه ماهر فى فنون السحر الغامضة . عندما

سيأتي وقت الاختيار لن يكون هناك حل وسط " . ثم استدار ليرحل لكنه لمح إبريق الماء الخاص بإيراجون فتوقف وتصلب وجهه تماما وصاح : " أيها القائد ! " .

هرع رجل عريض المنكبين إلى الزنزانة وفي يده سيف وقال في قلق : " ما الأمر يا سيدى ؟ " .

قال الظل : " أبعد لعبتك هذه " ، ثم اتجه لإيراجون وقال بصوت هادئ كهدوء الموت : " لم يكن الفتى يشرب من الماء . لماذا ؟ " .

" تحدثت إلى مدير السجن سابقاً عن هذا الأمر ، لكن كل طبق كان يعود فارغا تماما " .

هدأ الظل وقال : " حسناً ، لكن تأكد من أنه يبدأ في شرب الماء مرة أخرى " ، ثم مال إلى القائد وهمس في أذنه والتقطت أذنا إيراجون آخر الكلمات : " ..... جرعة زائدة ، للتأكد من أن كل شيء على ما يرام " ، أومأ له القائد ثم حول الظل انتباهه لإيراجون : " سنتحدث معاً غداً عندما لا أكون في عجلة من أمري ولدىّ وقت كاف . ولتعرف أن لدى إعجاباً شديداً لا ينتهي للأسماء ، وسأستمتع للغاية بمناقشة اسمك بتفاصيل كثيرة جداً " .

جعلت طريقة حديث الظل لإيراجون يشعر بالقلق البالغ .

وبمجرد رحيلهما من الزنزانة ، استلقى إيراجون على الفراش وأغمض عينيه . وقد أثبتت دروس بروم فائدتها الآن ؛ لقد اعتمد عليها لإبعاد الفزع عن نفسه ولطمأنة ذاته . قال لنفسه : *" لقد تم توفير كل شيء لي ؛ ويجب*

أن أستغله فقط " . قطـع حبـل أفكـاره صـوت اقـتراب الحرس .

توجس منهم خيفة ، فذهب إلى الباب ورأى من نافذتـه جنديين يجران مخلوقة الإلف عبر الرواق . وعنـدما غابـت عن مرمى بصره ، هوى إيراجون على الأرض وحاول التوصل لقواه السحرية الكامنـة . كـان يلقـى بالتعاويـذ فـلا يحـدث شيء ولم يشعر إلا بقواه تخور .

نظـر إلى المدينـة وهـو يصـر علـى أسـنانه . كـان الوقـت عصراً ، فهدأ وأخذ نفساً عميقاً وحاول الانتظار في صبر .

قتال الظلال

كان الظلامٍ يسود زنزانة إيراجون عندما جلس على فراشه فزعاً وكأنه أصيب بصاعقة كهربية ، لقد زال الحجاب الذى يحول دون استخدامه للسحر ! شعر بالقوى السحرية على حافة عقله الواعى لعدة ساعات ، ولكن فى كل مرة ، حاول استخدامه لم يكن يحدث أى شىء ، برقت عيناه من الطاقة والتوتر ، فقبض يديه وقال : " ناجز ريزا ! " ، فطار غطاء الفراش فى الهواء وتكور إلى كرة فى حجمٍ قبضة يده وسقطت تلك الكرة على الأرض محدثة صوتاً خفيضاً .

قام إيراجون وهو يشعر بالسعادة الغامرة وكان يشعر بالضعف نتيجة صيامه الذى فرضه على نفسه ، لكن شعوره بالإثارة تغلب على جوعه . قال لنفسه : *" الآن إلى الاختبار الحقيقىٍ "* . تواصل مع ذهنه وركز على قفل باب الزنزانة . ولكن بدلاً من محاولة تحطيمه ، دفع آلياته الداخلية إلى وضع الفتح ، فأصدر الباب صوتاً ثم انفتح فجأة .

عندما استخدم السحر لأول مرةٍ لقتل الأورجال في يازواك ؛ استهلك ذلك كل قوته تقريباً لكنه صار أقوى منذ ذلك الحين ، وما كان في الماضي يرهقه وينهك قواه ، يشعره الآن بقليل من التعب فقط .

خرج إلى الرواق بحرص وقال لنفسه : *" يجب أن أجد سيف زاروك والمرأة الإلف . لابد أنها في زنزانة ما هنا ، لكن لا يوجد وقت لفحصها كلها . لابدٍ أن الظل احتفظ بالسيف "* . أدرك أن تفكيره مازال مشوشاً . *" لماذا أنا هنا ؟ قد أهرب بالعودة للزنزانة وأفتح النافذة بالسحر . لكني لن أتمكن بذلك من إنقاذ المرأة الإلف .... أين أنت يا سفيرا ؟ أحتاج لمساعدتك "* . وبخ نفسه في صمت لعدم اتصاله بها ذهنياً قبل ذلك . كان يجب أن يكون ذلك أول شيء يفعله عندما استعاد قوته .

جاء ردها بحماس ممزوج بالدهشة : *" إيراجون ! أنا فوق مدينة جيلياد . لا تفعل أي شيء ، مورتاج في طريقه إليك "* .

" ما الذى ـــ " ، قطع كلامه صوت خطوات قادمة ، فاستدار وانبطح أرضاً بينما دخل إلى الرواق فيلق من ستة جنود ، وتوقفوا فجأة ودارت عيونهم بين إيراجون والباب المفتوح للزنزانة . شحبت وجوههم ، فقال إيراجون لنفسه : *" رائع ، فهم يعرفون من أنا ، وربما أخيفهم حتى يهربوا فلا أضطر لقتالهم "* .

صاح أحد الجنود : " هجوم ! " ، وجرى إلى الأمام . وسحب باقي الرجال سيوفهم وجروا عبر الرواق .

كان ضرباً من الجنون أن يقاتل ستة رجال وهو غير مسلح وضعيف ، لكن التفكير فى الإلف جعله ثابتاً فى مكانه ؛ حيث لم يتمكن من إجبار نفسه على تجاهلها ، لم يكن متأكداً من أن المجهود اللازم لاستخدام السحر سينهك قواه أم لا ، لكنه استدعى طاقته ورفع يده ولمعت العلامة الفضية بها ، وبدا الخوف على عيون الجنود لكنهم كانوا محاربين ذوى بأس شديد فلم يتراخوا فى هجومهم . وعندما هم إيراجون بفتح فمه للتفوه بالكلمات السحرية المهلكة ، كان هناك صوت همهمة خفيضة تلتها حركة سريعة خاطفة . سقط أحد الرجال على الأرض وكان هناك سهم مغروز فى ظهره وانطلق سهمان آخران قبل أن يفهم أحد ما يحدث .

فى نهاية الرواق ـ حيث دخل الجنود ـ كان يقف رجل ذو لحية وملابس رثة ومعه قوسه وبجوار قدميه يقبع على الأرض عكاز وكان يبدو أنه لا يحتاج إليه لأنه كان يقف منتصب القامة وكان فارع الطول .

أدار الجنود الثلاثة المتبقين وجوههم لهذا التهديد الجديد فانتهز إيراجون الفرصة عندما تشتت انتباههم وصاح : " ثريستا ! " ، فأمسك أحد الرجال صدره ووقع . ترنح إيراجون من الجهد اللازم لاستخدام السحر ، بينما وقع الجندى التالى بسهم اخترق رقبته . صاح إيراجون عندما رأى منقذه يهم بإطلاق سهم على الجندى الأخير : " لا تقتله ! " ، فأنزل الرجل الملتحى قوسه .

ركز إيراجون على الجندى الماثل أمامه ، والذى كان يتنفس بصعوبة وابيضت عيناه من شدة الخوف ، وقد فهم أنهما يريدان الإبقاء على حياته .

صاح به إيراجون بفظاظة : " لقد رأيت ما يمكننى فعله وإذا لم تجب عن أسئلتى ، فستقضى باقى حياتك فى عذاب وتعاسة بلا حدود . الآن ، أين سيفى الذى غمده ونصله لونهما أحمر وأين الزِنزانة الخاصة بالإلف ؟ " .

ظل الرجل صامتاً ولم ينبس ببنت شفة .

لمعت راحة إيراجون بشكل ينذر بالشر وهو يستدعى قواه السحرية وصاح : " إن الصمت خيار خاطئ ، هل تعرف مدى الألم الذى ستسببه لك حبة من الرمال عندما تغرز فى معدتك وهى حمراء متوهجة من السخونة ؟ وخاصة عندما لا تبرد إلا بعد عشرين عاماً وتحرق جسدك من الداخل لكى تخترقه وتصلٍ إلى أخمص قدميك ! وعندما تخرج من جسدك ستكون رجلاً عجوزاً " ، ثم صمت لبرهة ليرى وقع الكلام على الرجل ، ثم قال : " إلا إذا أخبرتنى بما أود معرفته " .

جحظت عينا الجندى لكنه ظل صامتاً ، التقط إيراجون بعض التراب من الأرضية الحجرية وتفحصها بلا أى إظهار لشفقة أو رحمة وقال : " هذه أكبر من مجرد حفنة من الرمال ، لكن لا تبتئس ، ستحرق جسدك من الداخل أسرع ، وتكون الفتحة التى تخترق جسدك أكبر " . وبمجرد انتهاء كلامه لمعت حفنة التراب وصار لونها أحمر قانيًا لكنها لم تحرق يده .

صاح الجندي : " حسناً لكن لا تخرق جسدى بها ! " ، ثم أردف قائلاً : " الإلف في آخر زنزانة إلى اليسار ! لا أعلم أين سيفك لكنه غالبا فى حجرة الحراس بالطابق العلوى لأن كل الأسلحة هناك " .

أومأ إيراجون ثم تمتم قائلاً : " سليتا " ، فدارت عينا الجندى فى رأسه ثم انهار على الأرض فى ضعف .

" هل قتلته ؟ ".

نظر إيراجون للملتحى الغريب الذى كان على بعد خطوات منه وحدق وضيق عينيه لكى يراه جيداً وهو ينتزع لحيته ثم قال : " مورتاج ! أهذا أنت ؟ " .

قالت مورتاج : " نعم " ، ثم انتزع اللحية المستعارة من وجهه الحليق وقال : " لم أرغب فى أن يرى أحد وجهى ، هل قتلته ؟ " .

" كلا ، جعلته ينام فقط . كيف دخلت إلى هنا ؟ " .

" لا وقت للشرح ، لنصعد للطابق العلوى قبل أن يجدنا أحد ، ربما يوجد طريق للهرب لنا بعد دقائق ، ولا نريد أن نضل عنه " .

قال إيراجون : " ألم تسمع ما قلته ؟ " ، ثم أشار إلى الجندى فاقد الوعى وقال : " هناك إلف فى السجن وقد رأيتها ! يجب أن ننقذها وأنا بحاجة إلى مساعدتك " .

صاح مورتاج وهو يسير بسرعة عبر الرواق : " إحدى مخلوقات الإلف ... ياله من خطأ فادح ، يجب أن نهرب مادامت هناك فرصة " ، ثم توقف أمام الزنزانة التى أشار إليها الجندى وأحضر سلسلة من المفاتيح كان يخفيها بين طيات ملابسه الرثة وقال : " سرقتها من أحد الحراس " .

أشار إيراجون له لكى يعطيه المفاتيح فهز مورتاج كتفيه بلا اكتراث وأعطاه إياها . وجد إيراجون المفتاح المناسب وفتح الباب . كان هناك شعاع واحد من ضوء القمر يدخل عبر النافذة ويضيء وجه الإلف بضوء لطيف فضى .

واجهته مخلوقة الإلف وكانت متوترة للغاية وتراجعت للخلف وتكورت حول نفسها ، وبدت أنها مستعدة لأى شيء سيحدث بعد ذلك . رفعت رأسها لأعلى وكانت تسلك سلوكاً يليق بالملكات . كانت عيناها خضراوين داكنتين وتميلان إلى السواد ومائلتين قليلاً كعيون القطط ، ورفعت عينيها فى عينى إيراجون فشعر بالبرودة تسرى فى جسده .

ظلا يحدقان إلى بعضهما لبرهة من الوقت ثم ارتعشت الإلف وانهارت مغشياً عليها بلا صوت ، وبالكاد لحقها إيراجون قبل أن تلمس الأرض . كانت ذات وزن خفيف وكان ذلك يدعو للدهشة ، وكانت تحيط بها رائحة الصنوبر المطحون الطازج .

دخل مورتاج الزنزانة وقال : " إنها جميلة ! " .

" لكنها مجروحة " .

" سنعتنى بها لاحقاً ، هل أنت قوى بما يكفى لحملها ؟ " ، هز إيراجون رأسه بالنفى فقال مورتاج : " سأحملها أنا ورفع المرأة الإلف على كتفيه ؛ وقال : " لنصعد الآن لأعلى ! " ، ثم أعطى إيراجون خنجرا وأسرع بالعودة للردهة الملقى فى أنحائها جثث الجنود .

وبخطوات ثقيلة ، قاد مورتاج إيراجون لسلم منحوت من الحجر فى نهاية الردهة وصعدا معاً وسأله إيراجون : " كيف سنخرج بدون أن يلاحظنا أحد ؟ " .

صاح مورتاج : لن تخرج الآن " .

لم يهدئ ذلك مخاوف إيراجون ، وظل ينصت فى قلق بالغ تحسباً لمجيء أى جندى أو أى شخص آخر يقترب ، وكان يخشى من عواقب مواجهة مخلوق الظل . فى نهاية السلم ، كانت هناك حجرة الطعام المليئة بالمناضد الخشبية الواسعة . كان هناك صف من الدروع المعلقة على الحائط وكان هناك سقف خشبى ممتلئ بالعمدان الخشبية المقوسة . وضع مورتاج مخلوقة الإلف على إحدى الموائد ونظر للسقف بقلق : " هل تحدثت إلى سفيرا نيابة عنى ؟ " .

" نعم " .

" أخبرها أن تنتظر خمس دقائق أخرى " .

كان هناك صرخات على مقربة منهما ومر بعض الجنود على باب مدخل حجرة الطعام . ضاقت شفتا إيراجون من القلق والتوتر المكبوت وقال : " مهما كان الذى تخطط له ، فلا أظن أن لدينا الوقت الكافى " .

صاح مورتاج : " أخبرها فحسب واختفى عن الأنظار " ، ثم جرى مبتعداً .

وبينما نقل إيراجون الرسالة لها ، انتبه فى فزع لصوت عدد من الرجال يصعدون السلم . قاوم إيراجون شعوره بالجوع والإنهاك وجر الإلف من على المنضدة وأخفاها تحتها ثم قبع بجوارها وهو يكتم أنفاسه ويمسك الخنجر بقوة .

دخل عشرة جنود لقاعة الطعام وفتشوا فى كل أرجائها بسرعة ولكنهم بحثوا تحت منضدتين فقط ، ثم خرجوا ليواصلوا البحث . استند إيراجون على رجْل المنضدة وهو يتنفس الصعداء . وقد جعله هذا الشعور بالارتياح يشعر فجأة بمعدته الخاوية التى تؤلمه من الجوع وحلقه الجاف للغاية . فجأة لفت نظره إبريق وطبق به بقايا طعام على الجانب الآخر من القاعة .

خرج مسرعاً من مخبئه والتقط الطعام وعاد إلى مكانه تحت المنضدة ، كان الإبريق به ماء فشربه على جرعتين كبيرتين ، وشعر بالارتياح ينساب إليه بينما جرى السائل البارد عبر حلقه ، مما أراح الأنسجة الملتهبة . كتم رغبته فى التجشؤ قبل أن يلتهم كسرة خبز كبيرة .

عاد مورتاج حاملاً السيف زاروك ، وقوساً غريب الشكل وسيفاً فخماً بلا غمد ، وأعطى إيراجون السيف زاروك قائلاً : " لقد وجدت السيف الآخر والقوس فى حجرة الحراس . لم أر أسلحة مثلها من قبل ، فافترضت أنها أسلحة الإلف " .

قال إيراجون وهو يمضغ قطعة خبز : " لنرى " . كان السيف - رفيعا وخفيفا وله طبقتان من المعدن وكانت سنونه مدببة وحادة وضيقة ولها شرشرة - يلائم الغمد الخاص بالإلف تماماً . لم يتمكنا من تبين ما إذا كان القوس يخصها أم لا ، لكنه كان فخماً فى صنعته لدرجة أنهما لم يشكا فى أنه ملك أحد غيرها . قال إيراجون وهو يحشو فمه بالطعام : " ماذا سنفعل الآن ؟ لن نظل هنا إلى الأبد ، سيجدنا الحراس والجنود إما عاجلاً أو آجلاً " .

قال مورتاج وهو يتناول قوسه ويـربط سـهمه بـالخيط : " الآن سـننتظر ، فكمـا قلـت لـك ، خطـة هروبنـا مرتبـة سلفاً " .

قال إيراجون : " أنت لا تفهم حقيقة الأمر ؛ يوجد أحد الظلال هنا ! وإذا وجدنا ، فالويل لنا " .

صاح مورتاج : " أحد الظـلال ! فـى هـذه الحالـة أخـبر سفيرا أن تأتى فى الحال ، لقد كنـت أريـد أن ننتظـر حتـى تغيير نوبة عمل الحـراس ، لكـن التـأخير خطـر جـداً الآن حتى لهذا الوقـت القصـير " . أوصـل إيراجـون الرسـالة إلى سفيرا بكل وضوح ، وحاول ألا يشتت ذهنها بالأسئلة . قال مورتاج بتذمر : " لقد أفسدت خططى بهروبـك بنفسـك " ، وأخذ يراقب مداخل قاعة الطعام تحسباً لظهور الحراس .

ابتسم إيراجون وقال : " فى هذه الحالة ربما كان يجب أن أنتظر ، فتوقيتك رائع ، لم أكن لأتمكن حتى من الزحف إذا خارت كل قواى بعد قتال كل الجنود بالسحر " .

قال مورتاج : " يسعدنى أن أكون مفيداً " .

ثم تصلب كالتمثال عندما سمع أصوات رجال يركضون ، ثم قال : " لنأمل ألا يرانا الظل " .

رنت ضحكة باردة وترددت أصداؤها عبر جنبـات قاعـة الطعام . وقال الظل : " أخشى أنه فات الأوان على ذلك " .

استدار مورتاج وإيراجون فوجدا الظل يقف بمفـرده فـى نـهاية القاعة . كان فى يده سـيف لونـه باهـت وبـه خـدش طويل على نصلـه . خلـع الـدبوس الـذى كـان يـربط عباءتـه وتركها تسقط علـى الأرض . كـان جسـده كالعـدَّاء ، نحـيلاً وضئيلاً ، لكن إيراجون تـذكر تحـذير بـروم وكـان يعلـم أن

مظهر الظلال خداع ، فالظل أقوى عدة مرات من الإنسان العادى .

قال الظل ساخراً : " حسناً أيها الفارس الشاب ، هل تريد اختبار قوتك معى ؟ كان يجدر بى ألا أصدق القائد عندما قال إنك تأكل كل طعامك . لن أقع فى هذا الخطأ مرة أخرى " .

قال مورتاج لإيراجون بهدوء : " سأعتنى بأمره " ، وألقي بالقوس جانبا واستل سيفه .

قال إيراجون هامساً : " كلا ، إنه يريدنى ليأسرنى حياً ، لكنه لن يتوانى عن قتلك . يمكننى أن أعطله لفترة قصيرة ، ومن الأفضل أن تجد لنا مخرجاً " .

قال مورتاج : حسناً ، اذهب الآن ،لكنك لن تضطر لتعطيله لفترة طويلة ".

قال إيراجون وقد بدت عليه أمارات الكآبة : " أرجو ذلك " ، ثم استل سيفه زاروك وتقدم ناحية الظل ببطء .

لمع نصل السيف الأحمر من ضوء المشاعل على الحوائط .

كانت عينا الظل ذواتا اللون الأحمر القانى تبدوان وكأنهما مشتعلتان كالفحم ، وكان يضحك بنعومة وقال : هل تظن أنك ستغلبنى يا دو سوندافار فرور ؟ ياله من اسم مثير للشفقة ، لقد توقعت منك شيئاً أكثر تعقيداً ، لكنى أعتقد أن هذا هو أقصى ما لديك " .

رفض إيراجون أن يدع نفسه فريسة للضيق من جراء كلمات الظل ، فحدق إلى وجه الظل وهو ينتظر أن يرى حركة عينيه أو شفتيه أو أى حركة تشير إلى الحركة التالية . قال إيراجون لنفسه : " لن أستخدم السحر لكيلا

أثيره فيفعل نفس الشيء . سأضلله لكى يظن أنه سيتغلب عليَّ بدون اللجوء للسحر ـ وخاصة أنه يمكنه ذلك " .

وقبل أن يتحرك أحدهما ، جاء صوت ضجيج من السقف الذى أخذ يهتز ، ثم نزِل منه التراب بكميات كبيرة مما جعل الهواء رماديا وتساقطت قطع الخشب حولهما وتناثرت على الأرضية . جاءت صرخات من السقف وصوت صليل السيوف . خشى إيراجون أن تصيبه قطعة خشب ساقطة على رأسه فنظر لأعلى فانتهز الظل الفرصة عندما تشتت انتباه إيراجون وهجم عليه .

بالكاد تمكن إيراجون من رفع زاروك فى الوقت المناسب لصد ضربة الظل الموجهة إلى ضلوعه . تلاقى السيفان وأصدرا صوتاً عالياً لدرجة أن أسنان إيراجون اصطكت ببعضها البعض وتخدل ذراعه . صاح لنفسه : *" اللعنة ! إنه قوى جداً ! "* ثم رفع زاروك وهوى به بكل قوته على رأس الظل الذى صد الضربة بكل سهولة ، وكان يحرك سيفه فى الهواء بسرعة لم يكن يظنها إيراجون ممكنة .

جاءت أصوات صرخات عالية جداً من فوقهما ، وكأن عمدان حديدية تحتك بالصخور . تشقق السقف إلى ثلاثة شقوق طويلة وتساقطت الحجارة من خلالها . تجاهل إيراجون ما كان يسقط . وعلى الرغم من أنه تدرب مع خبير فى فنون القتال مثل بروم وتدرب أيضاً مع مورتاج الذى كان مقاتلاً بارعاً جداً بالسيف ، فإنه لم يشعر أن هناك مقاتلاً يفوقه إلى هذا الحد . فقد كان هذا الظل يلهو معه فقط ولا يقاتله ! تراجع إيراجون ناحية مورتاج وكانت ذراعاه ترتعشان وهو يصد ضربات الظل .

بدت كل ضربة أقوى من الضربة التى سبقتها . لم يعد إيراجون بالقوة الكافية للجوء للسحر لمساعدته حتى إن أراد ذلك . ثم بحركة سريعة من رسغه يملؤها الاحتقار تمكن الظل من إسقاط زاروك من يد إيراجون . وكانت قوة الضربة قد جعلت إيراجون يسقط على ركبتيه وأخذ يلهث . زادت الأصوات الصادرة من السقف وأصبحت عالية للغاية . ومهما كانٍ ما يحدث ، فسوف يحدث بسرعة لأنه كان يقترب جداً .

حدق الظل إليه بكل غرور وقال : " ربما تكون ماهراً فى اللعبة ، لكننى أخشى أن هذا أفضل ما لديك . إذا كان كل الفرسان قادة التنين بهذا الضعف ، فلابد أنهم كانوا يتحكمون فى الإمبراطورية بسبب كثرة عددهم فقط " .

نظر إيراجون لأعلى وهز رأسه ؛ لقد خمن خطة مورتاج : " *الآن يا سفيرا ، الوقت مناسب* " . ثم قال للظل : " كلا ، لقد نسيت شيئاً " .

قال الظل ساخراً : " وما هو ؟ " .

جاء صوت مدو ترددت أصداؤه فى جنبات القاعة بينما سقطت قطعة من السقف وأظهرت السماء ليلاً . صاح إيراجون صيحة عالية : " لقد نسيت التنين ! " ، ثم جرى بعيداً عن متناول الظل ، حدق إليه الظل فى غضب ولوّح بسيفه بكل ضراوة وشراسة واندفع نحو إيراجون ، امتلأ وجهه بالدهشة بينما رشق أحد سهام مورتاج بين كتفيه .

ضحك الظل وخلع السهم بإصبعين فقط وقال : " تحتاج لأكثر من ذلك لتوقفنى " .

أما السهم الثانى فقد رشق بين عينيه ، فصاح الظل فى ألم ولوى جسده بشدة وغطى وجهه بيديه ، وتحول لون جلده إلى اللون الرمادى ، ثم تكون الضباب حوله وغطى جسده بالكامل ثم جاءت صيحة عالية منه ثم اختفى واختفى الضباب .

ولم يترك مكانه سوى عباءته وكومة ملابسه . صاح إيراجون : " لقد قتلته ! " لم يكن يعرف سوى بطلين من الأساطير فقط من استطاعوا قتل الظلال ونجوا بفعلتهم .

قال مورتاج : " لست متأكداً من ذلك " .

جاءهما صوت رجل يصيح : " هذا يكفى . لقد أخفق . اذهبوا واقبضوا عليهما ! " . تدفق الجنود من كل حدب وصوب إلى قاعة الطعام ومعهم شباك ورماح . تراجع إيراجون ومورتاج إلى الحائط وجرا معهما الإلف . شكل الجنود نصف دائرة حولهم تضيق بالتدريج . دفعت سفيرا برأسها عبر ثقب السقف وزأرت وحطمت بمخالبها الضخمة القوية جزءاً أكبر من الثقب فى السقف .

هرب ثلاثة جنود فزعاً لكن الباقين ظلوا فى مواقعهم .

وبصوت له دوى مفزع ، تشقق العمود الخشبى الثقيل المركزى ووقع مع الحجارة والسقف . ساد الهرج والمرج بين الجنود عندما كانوا يحاولون تجنب السيل المنهمر من الحجارة الذى كاد يقتلهم . التصق إيراجون ومورتاج بالحائط لتجنب الحطام المتساقط . زأرت سفيرا مرة أخرى ، وهرب الجنود بلا انتظام وقتل بعضهم تحت ثقل حطام السقف .

وبجهد ضخم ، أخيراً حطمت سفيرا باقي السقف قبل أن تدخل إلى قاعة الطعام وجناحاها مضمومان . حطم حجمها الضخم . المائدة إلى قطع صغيرة متناثرة محدثة دويا حاداً . صاح إيراجون معبرًا عن ارتياحه وألقى بذراعيه حولها فهمهمت في رضا وقالت : *أفتقدك أيها الفتى* " .

" *وأنا أيضاً . هناك شخص آخر معنا ، فهل يمكنك حمل ثلاثة ؟* " .

قالت له : " بالطبع " .

وركلت كل الحجارة والمناضد بعيداً عن طريقها لكي تطير . أخرج مورتاج وإيراجون مخلوقة الإلف من مكان اختبائها وصاحت سفيرا في دهشة عندما رأتها : " *إنها من مخلوقات الإلف* ! " .

قال إيراجون . " نعم ، إنها المرأة التي ظهرت في أحلامي والتقط زاروك وساعد مورتاج في ربط الإلف على سرج سفيرا ثم امتطيا معا ظهرها وقال إيراجون لها : " *سمعت عراكاً فوق السطح ، هل هناك رجال على السطح ؟* "

" *بل كان هناك ، لم يعد ذلك الآن صحيحاً . هل أنت مستعد ؟* " .

" نعم " .

قفزت سفيرا إلى خارج قاعة الطعام ، وإلى سقف القلعة ، حيث جثث الجنود والحراس ملقاة . صاح مورتاج وهو يشير إلى الجنود : " حذار ! " ، جاء صف من الجنود ، من أحد الأبراج على الجانب الآخر من القاعة التي انشق سقفها .

صاح إيراجون : " *طيري الآن يا سفيرا* ! "

فردت جناحيها وجرت نحو حافة المبنى وقفزت بدفعة قوية من أقدامها القوية . كان الوزن الزائد على ظهرها جعلها تهبط لأسفل بشكل يثير القلق . عانت كثيراً حتى حصلت على ارتفاع مناسب أثناء الطيران ، وسمع إيراجون صوت انطلاق السهام من الأقواس .

انطلقت السهام من حولهم بكثرة في الظلام ، وصاحت سفيرا من الألم بينما أصابها وابل السهام لكنها جنحت إلى اليسار لتجنب الوابل القادم من السهام . اخترقت المزيد من السهام السماء ولكن ظلام الليل حماهم من ضربات السهام القاتلة . شعر إيراجون بالهم والحزن ومال ناحية رقبة سفيرا وسألها : *" هل جُرحت ؟ "* .

" ثقبت السهام جناحيّ ..... لكن أحد السهام لم يخترقني بالكامل ، لكنه مازال هنا " . وكانت سفيرا تتنفس ببطء وتثاقل من فرط التعب والألم .

" إلى أي مدى يمكنك حملنا ؟ " .

" لمسافة كافية للوصول للأمان " .

أمسك إيراجون بالإلف جيداً بينما طاروا جميعاً عبر سماء مدينة جيلياد ، ثم غادروها وصارت خلفهم وجنحت سفيرا إلى الشرق ، وكانت تحلق عالياً عبر السماء في ظلام الليل .

المحارب والمعالج

هبطت سفيرا ببطء على قمة تل ، وأراحت جناحيها الممتدين على الأرض . شعر إيراجون أنها تهتز وترتعش تحته . كانوا فقط على بعد نصف فرسخ من مدينة جيلياد .

ربط الحصانين سنوفاير وتورناك في مكان قريب فأصدرا صهيلاً بعصبية عند وصول سفيرا . قفز إيراجون إلى الأرض واتجه على الفور لفحص جروح سفيرا ، بينما كان مورتاج يهدئ روع الخيل ويقوم بإعدادها .

لم يكن إيراجون قادراً على الرؤية جيداً في الظلام الدامس فأخذ يتحسس جناحي سفيرا بدون أن يراهما ، فوجد ثلاثة أماكن حيث اخترقت الأسهم الغشاء الرفيع لجناحيها ، مخلفة وراءها ثقوبًا تنزف الدماء ويبلغ قطرها مثل سُمك إصبع الإبهام ، كما أن قطعة من الجلد صغيرة الحجم قد قطعت من الحافة الخلفية لجناحها الأيسر ارتعشت سفيرا عندما مرت أصابع إيراجون على جروحها . عالج إيراجون جراحها وهو يشعر بالتعب عن طريق كلمات

من اللغة القديمة ، ثم توجه للسهم المغروز فى إحدى كبرى عضلاتها فى جناحها ، وبرز رأس السهم تحت الجناح وكان الدم الدافئ يتساقط على شكل قطرات من رأس السهمٍ .

استدعى إيراجون مورتاج ولقنه بعض التعليمات قائلا : " أمسك جناحها وأبقه ملتصقاً إلى الأرض ، يجب أن أستخرج هذا السهم " .

وأشار له من أين يمسك جناحها بقوة ، قال إيراجون لسفيرا محذراً : " *هذا سيؤلمك ، لكن الألم سينتهى سريعاً . حاولى عدم المقاومة . وإلا فستتسببين فى إصابتنا* " .

مدت رقبتها واجتذبت بفمها شجيرة رفيعة وطويلة بين أسنانها المعوجة واجتثت الشجرة بحركة واحدة سريعة من رأسها من الأرض وضغطت عليها بفكها بكل قوة ثم قالت لإيراجون : " *أنا مستعدة* " .

قال لها : " *حسناً* " . ثم همس لمورتاج : " تماسك " ، ثم كسر وخلع رأس السهم وحاول ألا يسبب أى جروح أخرى فاستخرج جسم السهم بسرعة من جناح سفيرا ، وبينما خرج باقى السهم من عضلتها رفعت رأسها لأعلى بسرعة وتأوهت وهى ممسكة بالشجرة بأسنانها . ارتعش جناحها بحركات لاإرادية كالتشنجات ، وقد أصابت مورتاج بضربة على ذقنه وطرحته أرضاً .

صاحت سفيرا وهزت الشجرة بعنف مما دفع الأتربة عليهما ، قبل أن تلفظ الشجرة بعيداً . وبعد أن ضمد إيراجون جروحها ساعد مورتاج على النهوض ، وقال مورتاج : " لقد أخذتنى على حين غرة " وأخذ يتحسس فكه المصاب .

قالت سفيرا : " *أنا آسفة* " .

قال له إيراجون لكى يطمئنه : " لم تقصد أن تضربك " وتوجه إلى مخلوقة الإلف التى كانت لا تزال فاقدة الوعى ، ثم قالت سفيرا : " *ستضطرين لحملها لفترة أطول ، لن نتمكن من نقلها على الخيل ونسير بالسرعة المطلوبة . سيكون الطيران أسهل لك الآن بعد نزع السهم* " .

خفضت رأسها وقالت : " *سأفعل ما تريد* " .

قال إيراجون : " *شكراً لك* " ، ثم احتضنها بكل قوة قائلاً : " *لقد فعلت شيئاً مذهلاً ؛ لن أنساه أبداً ما حييت* " .

ارتخت عيناها وقالت : " *سأذهب الآن* " ، فتراجع إلى الخلف بينما طارت ورفرفت عبر الهواء وكان شعر المرأة الإلف يتطاير فى الهواء خلفها ، ثم اختفت سفيرا فى غضون ثوان عبر السماء . أسرع إيراجون إلى سنوفاير وجلس على السرج وهرع بالحصان مع مورتاج .

وبينما كانا يسيران بالخيل عبر الطريق ، حاول إيراجون أن يتذكر كل ما يعرفه عن مخلوقات الإلف . لهذه المخلوقات أعمار طويلة ـ تلك حقيقة تكرر ذكرها ـ لكن على الرغم من ذلك لم يعرف مدى أعمارهم ، كما أنهم يعرفون اللغة القديمة ، والكثيرون منهم يمكنهم استخدام السحر . بعد سقوط وانتهاء عصر الفرسان قائدى التنين ، عاشت تلك المخلوقات فى عزلة ولم يرهم أحد فى المملكة منذ ذلك الحين . قال إيراجون لنفسه : " *إذن ما سر وجود هذه الإلف ؟ كيف تمكنت الإمبراطورية من الإمساك بها ؟ إذا كان يمكنها استخدام السحر ، فربما تم تخديرها مثلما فعلوا معى* " .

سافرا عبر جنح الظلام ولم يتوقفا طوال الليل حتى عندما أبطآ لشعورهما بالضعف كانا يواصلان المسير إلى الأمام على الرغم من احمرار العيون من الألم والحركات الخرقاء غير المنتظمة فى إيقاع سير الخيل . كان خلفهما صفوف من الفرسان حاملى المشاعل يبحثون حول مدينة جيلياد ويقتفون آثارهما .

بعد ساعات طويلة مضنية ، لاح الفجر عبر الأفق فأضاء السماء . وبموافقة مشتركة ضمنية ، أوقف كلاهما الخيل وقال إيراجون بتعب : " لنعد المعسكر للمبيت ، يجب أن أنام ـ سواء أمسكوا بنا أم لا " .

قال مورتاج وهو يفرك عينيه : " موافق ، اجعل سفيرا تهبط ، وسنقابلها ".

اتبعا وصف سفيرا لمكانها ووجداها تشرب من جدول فى سفح تل صغير ، وكانت الإلف مازالت مغشياً عليها وتتمدد على ظهر سفيرا . حيتهما سفيرا بحركة بسيطة بينما ترجل إيراجون من على حصانه .

ساعده مورتاج على رفع الإلف من سرج سفيرا وأنزلها على الأرض ، ثم خارت قواهما واستلقيا بجوار صخرة وهما يشعران بالإعياء . فحصت سفيرا الإلف وكان يملؤها الفضول وقالت : " *أتساءل لماذا لم تفق . مرت ساعات على رحيلنا من جيلياد* " .

قال إيراجون بحزن : " لا أحد يعلم ما الذى فعلوه بها فى السجن " .

نظر إليهما مورتاج وقال : " وفقاً لما أعرفه ، فهى أول مخلوقة من الإلف يأسرها الملك ، ومنذ ذلك الوقت اختبأوا

جميعاً ، وظل يبحث عنهم فى كل مكان بلا جدوى - حتى الآن . ربما وجد الآن ملجأهم أو ربما أوقعها فى الأسر مصادفة . ربما كان الأمر مجرد مصادفة . لو كان قد وجد ملجأ الإلف لكان قد أعلن الحرب على الإلف وأرسل وراءهم الجيش . وبما أن ذلك لم يحدث ، فإن السؤال هو : هل تمكن رجال جالباتوريكس من معرفة مكان الإلف منها قبل أن ننقذها ؟ " .

" لن نعرف إلا عندما تستعيد وعيها . أخبرنى بما حدث بعد أسرى . كيف انتهى بى الأمر فى سجن جيلياد ؟ " .

قال مورتاج باقتضاب : " الأورجال يعملون لصالح الإمبراطورية " . ثم دفع شعره للخلف وأردف قائلاً : " والظل أيضاً كما يبدو . أنا وسفيرا شاهدنا الأورجال وهم يقدمونك للظل - لكنى لم أعرف حينئذٍ أنه ليس من البشر - ومجموعة من الجنود هم الذين أخذوك إلى جيلياد " .

قالت سفيرا وهى تكور جسدها بجوارهم : " هذا صحيح " .

تذكر إيراجون كيف كان الأورجال الذين تحدث معهم فى مدينة " تيرم " وقائدهم الذين ذكروه . قال إيراجون لنفسه : " لقد كانوا يقصدون الملك ! لقد أهنت أقوى رجل فى آلاجيشيا ! " وشعر بالرعب عندما أدرك ذلك ، ثم تذكر المشهد المرعب لأهل القرية القتلى فى " يازواك " . شعر باشمئزاز والغضب والحرارة التى بدأت تتصاعد من معدته وقال لنفسه : " وحوش الأورجال ينفذون أوامر

جالباتوريكس ! فلماذا يرتكب تلك الجريمة الشنعاء فى حق رعيته ؟ " .

قالت سفيرا بهدوء : " لأنه شرير " .

صاح إيراجون في غضب عارم : " هذا يعنى الحرب ! بمجرد أن يعلم الرعية فى أنحاء الملكة بهذا الأمر ، سيثورون ضد الملك ويؤيدون الفاردن " .

اتكأ مورتاج بذقنه على راحة يده وقال : " حتى لو سمعوا بتلك المجزرة البشعة ؛ سيذهب القليل جداً منهم للانضمام للفاردن . فمع وجود وحوش الأورجال طوع بنانه ، فلدى الملك عدد كاف من المحاربين لكى يغلق حدود الإمبراطورية ويظل كل شيء تحت سيطرته ، مهما كانت ثورة الناس . مع هذا الإرهاب الذى يسود من الحاكم سيتمكن من تشكيل الإمبراطورية كما يريد . على الرغم من كراهية الناس له ، لكنهم سينضمون إليه من جراء وجود عدو مشترك " .

قال إيراجون فى حيرة : " ومن يكون هذا العدو ؟ " .

" الإلف والفاردن ، مع وجود نوع مناسب من الشائعات يمكن للملك أن يوحى للشعب بأنهم أسوأ وحوش فى آلاجيشيا ـ وحوش ضارية تتحين الفرصة للاستيلاء على الأرض والثروات . قد تشيع الإمبراطورية أن الأورجال كان يساء فهمهم طوال الوقت وهم حلفاؤنا ضد الأعداء البشعين . أتساءل فقط ما هو المقابل الذى وعدهم به الملك لقاء خدمته " .

قال إيراجون وهو يهز رأسه : " لن تفلح تلك الحيلة ، لن يُخدع الناس بسهولة بشأن جالباتوريكس والأورجال . كما أنه لن يحتاج لذلك فهو يملك السلطة " .

" لكن سلطته يتحداها الفاردن الذين يحظون بتعاطف الناس . هناك أيضاً منطقة " سوردا " التى أعلنت العصيان على الملك منذ أن تولى الحكم . إن جالباتوريكس قوى داخل الإمبراطورية لكن ذراعه ضعيفة خارجها ، أما بالنسبة لاكتشاف الناس لخداعه ، فهم سيصدقون كل ما يريدهم أن يصدقوه . لقد حدث ذلك من قبل " ، صمت مورتاج وحدق بلا هدف عبر الأفق .

أزعج حديثه إيراجون ، وتواصلت سفيرا معه ذهنياً وقالت : " *إلى أين أرسل الملك الأورجال ؟* " .

" *ماذا ؟* "

" *فى كارفاهول وتيرم سمعت أن الأورجال تركوا المنطقة وهاجروا للجنوب الشرقى ، وكأنهم سيقتحمون صحراء هاداراك . إذا كان الملك يتحكم بهم حقاً ، فلماذا أرسلهم فى هذا الاتجاه ؟ ربما يجتمع جيش من الأورجال للاستخدام الخاص بالملك أو أن الأورجال سينشئون مدينة خاصة لهم* " .

ارتعش إيراجون لهذا الفكرة وقال : " *أنا منهك القوى ولن أتمكن من التفكير . مهما كانت خطة جالباتوريكس ، فهى ستسبب لنا المتاعب فقط أتمنى لو نعلم مكان الفاردن ، يجب أن نذهب إليهم ، لكننا تائهون بدون دورمناد . لا جدوى فيما نفعله ، فسوف يعثر علينا رجال الإمبراطورية* " .

قالت مشجعة له : " *لا تستسلم لليأس* " ، ثم قالت بجفاء : " *على الرغم من أنك قد تكون على حق* " .

" شكراً " ، ثم نظر لمورتاج وقال : " لقد غامرت بحياتك من أجل إنقاذى ؛ وأنا مدين لك بحياتى ، فلم أكن لأتمكن من الهرب بمفردى " . كان الأمر أكبر من ذلك ، لقد صار الترابط بينهما قويا وثقة وزادت أخوتهما فى المعركة وتهذب بالولاء والإخلاص الذى أظهره مورتاج لإيراجون .

قال مورتاج بتردد وحك وجهه : " يسعدنى أننى استطعت المساعدة ، و ... ما يقلقنى جداً الآن هو أننا كيف سنسافر مع وجود كل هؤلاء الرجال الذين يبحثون عنا . جنود جيلياد سيقتفون أثرنا غداً ؛ وبمجرد أن يجدوا آثار الخيول سيعرفون أنك لم تطر مع سفيرا فراراً منهم " .

وافقه إيراجون الرأى وهو يشعر بالكآبة وقال : " كيف تمكنت من التسلل للقلعة ؟ " .

ضحك مورتاج بصوت خفيض وقال : " بدفع رشوة كبيرة والزحف عبر فتحة التهوية القذرة التى تؤدى للمطبخ وحجرة الخزين . لكن الخطة لم تكن لتنجح بدون سفيرا فهى ... " ، ثم توقف ووجه كلماته لها : " أنت السبب الوحيد لنجاتنا من الملك هذا الموقف " .

وضع إيراجون يده بكل احترام على عنقها المغطى بالحراشيف . بينما أخذت تهمهم فى تعبير عن الرضا ، حدق إيراجون فى وجه مخلوقة الإلف الأخاذ ثم قام على مضض قائلا : " لنصنع لها فراشًا " .

قام مورتاج وفرد لها غطاء للنوم وعندما رفعاها إليه تمزق كم ردائها على فرع شجرة . هم إيراجون بضم القماش الخاص بكم الرداء لكنه شهق .

كانت ذراع الإلف مرقطة بطبقة من الكدمات والجروح والتورمات ؛ وبعضها كان بدأ يلتئم ، بينما كان البعض الآخر عبارة عن جروح جديدة وتنزف . هز إيراجون رأسه في غضب وجذب الكم لأعلى ، وكانت الجروح تمتد لكتفها . وبأصابع مرتعشة ، فك رباط قميصها من الخلف ، وهو خائف مما قد يراه تحت القميص .

وبينما انحسر القميص الجلدى وكشف عن ظهرها العارى ، أخذ مورتاج يسب ويلعن . كان ظهرها قويًا وبه عضلات لكنه مغطى بقشور وبثور جعلت جلدها يبدو كالطين الجاف المتشقق . كانت قد ضُربت بالسوط بلا رحمة وكانت هناك علامة مختومة بالحديد الساخن على جيدها على شكل مخالب . وفى المناطق التى بها جلد سليم ، كان لونه أرجوانيًا أو أسود من كثرة الضرب الذى تعرضت له . كان على كتفها وشم مكتوب بلون أزرق . كانت نفس العلامة المفقودة على حجر الزمرد الأزرق على خاتم بروم . أقسم إيراجون فى صمت لنفسه بأنه سيقتل من كان مسئولاً عن تعذيب هذه الإلف .

قال مورتاج : " ألا يمكنك علاج هذا ؟ " .

قال إيراجون : " لا أعلم " ثم ابتلع ريقه محاولاً التغلب على رغبته فى التقيؤ ثم قال : " توجد الكثير من الجراح " .

صاحت سفيرا بحدة : " *إيراجون ! إنها من مخلوقات الإلف ولا يجب أن تدعها تموت . سواء كنت متعباً أم لا ، جائعاً أم لا ، يجب أن تنقذها . سأدمج قواى مع قواك ، لكنك ستتولى أنت الحكم* " .

تمتم إيراجون : " حسناً ... أنت على حق " ، ولم يتمكن من إبعاد عينيه عن الإلف . شعر بالإصرار والمثابرة فخلع قفازه وقال لمورتاج : " سيستغرق الأمر وقتاً ، هلا أحضرت لى بعض الطعام ؟ أيضاً عليك أن تحضر لى بعض قطع القماش من أجل الضمادات ؛ لن أتمكن من علاج كل جروحها " .

قال مورتاج معترضاً : " لن نتمكن من إشعال النيران دون أن يرانا أحد ، ستضطر لاستخدام قطع القماش غير المغسولة وسيكون الطعام بارداً " . عبس إيراجون لكنه أذعن للأمر الواقع ، ثم وضع يده بلطف على العمود الفقرى للإلف واستقرت سفيرا بجواره وعيناها اللامعتان مثبتتان على الإلف . سحب إيراجون نفساً عميقاً ثم توصل للقوى السحرية الكامنة بداخله وبدأ العمل .

قال باللغة القديمة تلك الكلمات : " وايز هايل ! " ، فلمعت العلامة الفضية فى راحة يده وتجمع الجلد الجديد حولها بلا جرح ، ثم مرر الشعاع السحرى على الجروح والكدمات التى لم تكن تهدد حياة الإلف ـ لأن علاج كل الجروح سوف يستهلك ويستنفد كل الطاقة اللازمة لعلاج الجروح الأكثر خطراً . وبينما يجاهد إيراجون لإتمام عمله ، كان مندهشاً من بقاء الإلف على قيد الحياة بعد كل

هذا التعذيب المتكرر لدرجة أنها كانت على حافة الموت مما جعله يرتعش من البرد والخوف فى آن واحد .

وعلى الرغم من أنه حاول ألا يتأمل جسدها العارى ، فإنه لم يتمكن من تجاهل مدى جمال جسدها الفريد على الرغم من علامات التشويه . شعر إيراجون بالتعب وكف عن التفكير فى جسدها - على الرغم من احمرار لون أذنيه أحياناً ، لكنه ظل يأمل بكل لهفة وجزع ألا تلاحظ سفيرا ما يفكر فيه .

ظل يعمل بلا كلل حتى مطلع الفجر ، وكان يتوقف لفترات قصيرة لتناول الطعام واحتساء الماء ، وهو يحاول إعادة طاقته التى استنفدت من صيامه فى السجن وهروبه والآن علاج الإلف . ظلت سفيرا بجانبه تمده بقواها كلما استطاعت ثم انتهيا ووقفا عندما بزغت الشمس فى السماء ، وتأوه إيراجون بسبب تمدد عضلاته التى أصابها الشد العضلى . كانت يداه رماديتى اللون وجفت عيناه وكانتا تؤلمانه وكأن بهما حصى ، ثم سار مترنحاً حتى الحقائب التى كانت على سرج الخيل وارتشف رشفة كبيرة من قربة الماء . فقال مورتاج : " هل انتهى الأمر ؟ " .

أومأ له إيراجون وهو يرتعش لأنه لم يثق فى أن لديه القدرة على التحدث . كان المعسكر يدور أمام عينيه من شدة التعب والإعياء ؛ وكاد يغشى عليه . قالت له سفيرا مشجعة إياه : *" لقد قمت بعمل رائع ".*

قال مورتاج : " هل ستعيش ؟ " .

قال إيراجون فى صوت متهدج بدا عليه الإعياء الشديد والإنهاك : " لا - لا أعرف ، الإلف مخلوقات قوية ، لكن

حتى إن كان يمكنهم تحمل تعذيب كهذا فإنه لاشك سيترك أثرًا سيدوم طويلاً . لو كنت أعلم المزيد عن العلاج بالسحرٍ لتمكنت من إفاقتها لكنٍ ـ " ، ثم أشاح بيديه مستسلما وكانت يداه ترتعشان جداً بشكل لاإرادى لدرجة أنه أسقط بعض الشراب . تناولٍ جرعة أخرى من الشراب ساعدته على أن يظل ثابتاً وقال : " لنركب الخيل ونرحل من هنا " .

قال مورتاج معترضاً : " كلا ! يجب أن تنال قسطاً من النوم " .

" أنا ... يمكننى النوم على سرج الحصان ، لكننا لن نخاطر بالبقاء هنا وهؤلاء الجنود يقتربون منا " .

استسلم مورتاج على مضض وقال : فى هذه الحالة سأقود زمام سنوفاير بينما تستريح أنت " . أعادا تركيب السروج على الخيول وربطا الإلف على ظهر سفيرا ، ثم غادرا المعسكر ، كان إيراجون يأكل أثناء القيادة ليحاول تعويض طاقته المفقودة قبل أن يميل للأمام على ظهر سنوفاير ويغمض عينيه ويذهب فى سبات عميق .

نبع الماء من الرمال

توقفا للاستراحة لهذه الليلة ولم يشعر إيراجون بأى تحسن وزادت عصبيته وانفعاله . قضيا معظم اليوم فى السير فى طرق متعرجة طويلة لكى يتجنبا أن يقتفى الجنود ذوو كلاب الصيد أثرهم . ترجل إيراجون من على سنوفاير وسأل سفيرا : " *كيف حالها ؟* " .

" *أعتقد أنها أفضل من ذى قبل ، لقد تقلبت قليلاً بضع مرات لكن كان ذلك كل شىء* " . هبطت سفيرا بجسدها إلى الأرض لكى تمكن إيراجون من رفع الإلف وإخراجها من السرج . وللحظة ، تلامس جسدها البض الناعم مع جسده لكنه قام بإنزالها على الأغطية بسرعة .

أعد مع مورتاج عشاءً صغيراً وكان من الصعب عليهما مقاومة الرغبة فى النوم ، وبعد أن فرغا من تناول الطعام قال مورتاج : " لن يمكننا أن نحافظ على هذا الإيقاع فى السير ؛ فنحن لا نسبق الجنود . فبعد يومين على هذا الإيقاع بالتأكيد سيدركوننا " .

صاح إيراجون : " وماذا نفعل غيرٍ ذلك ؟ فلو كنا اثـنين فقط بلا خيول لحملتنـا سـفيرا بعيـداً بـالطيران . لكـن مـع وجود سنوفاير وتورناك والإلف أيضاً ، فهذا مستحيل " .

تفرس مورتاج في وجهـه ثـم قـال : " إذا أردت السـفر بمفردك فلن أمنعك ، فأنا لا أتوقع أن تظل هنا أنت وسـفيرا وتخاطر بالتعرض للاعتقال " .

تمـتم إيراجـون : " لا تهنـي ، فأنـت السـبب الوحيـد لإطلاق سراحي ، لن أهجرك وأدعك فريسة للإمبراطوريـة . يالـه مـن رد هزيـل وفقـير للجميـل الـذى يطـوق عنقـي تجاهك ! " .

حنى مورتاج رأسه لإيراجون دلالة على الاحترام وقـال له : " كلماتك تشجعني " ، ثم صمت لبرهة ثم قال : " لكن تلك الكلمات لن تحل مشكلتنا " .

صاح إيراجون : " إذن ما الذى سيحل المشـكلة ؟ " ، ثـم أشار إلى الإلف وقال : " أتمنى لو استطاعت إخبارنا بمكـانٍ الإلف ؛ ربما نلجأ لحمايتهم لنا ونجد لديهم مـأوى ومـلاذاً لنا " .

" بالتفكير في كيفية حمايتهم لأنفسهم ، أشك في أنهـا ستكشف عن مكان اختبائهم . وحتى لـو قالـت لنـا ، قـد لا يرحب بنا بنو جنسها من الإلف . ولماذا سيقدمون لنا المأوى والحماية على أية حال ؟ كان آخر الفرسان قادة التنين ممـن تعاملوا معهم هو جالباتوريكس والفرسـان المنشـقون . أشـك في أن هذا ترك لديهم ذكريـات رائعـة عـن الفرسـان . وأنـا أشك أنني سأحظى بشرف أن أكون من الفرسان مثلك ، فلـن يرحبوا بي على الإطلاق " .

قالت سفيرا بثقة وهى تحرك جناحيها فى وضع أكثر راحة لها : " *بل سيرحبون بنا* " .

هز إيراجون رأسه بلا اكتراث وقال : " حتى لو قبلوا حمايتنا ، فلن نتمكن من معرفة مكانهم ، ومن المستحيل أن نسأل الإلف إلا بعد أن تستعيد وعيها . يجب أن نهرب . لكن فى أى اتجاه ـ جنوب ، شمال ، شرق ، أم غرب ؟ " .

شبك مورتاج أصابع يديه وحك صدغيه بإبهامه ثم قال : " أعتقد أن الشيء الوحيد الذى يمكننا القيام به هو مغادرة الإمبراطورية . كما أن الأماكن القليلة الآمنة بعيدة عن هنا ومن الصعب الوصول إليها بدون أن يقبض علينا أو يتبعنا أحد .... لا يوجد فى الشمال سوى الغابة التى تسمى دو ويلدنفاردن ـ التى يمكننا الاختباء بها لكننى لا أحبذ العودة والمرور بجيلياد . وفى جهة الغرب لا يوجد سوى الإمبراطورية والبحر . وإلى الجنوب توجد منطقة سوردا ، حيث قد نجد من يدلنا على الفاردن ، ومن جهة الشرق ـــ " ، ثم صمت وهز كتفيه بلا اكتراث ثم واصل حديثه قائلاً : " من الشرق تحول صحراء هاداراك بيننا وبين الأرض التى تقع بعدها فى هذا الاتجاه . الفاردن فى مكان بين هذه المناطق ، لكن بدون اتجاهات إرشادية قد يستغرق العثور عليهم سنوات طويلة " .

قالت سفيرا : " *لكننا سنكون فى أمان طالما لم نقابل أيًا من وحوش الأورجال* " .

تجعدت جبهة إيراجون وهدده صداع مزعج بتشويش أفكاره فى نبضات حارة وقال : " من الخطر الذهاب إلى سوردا ، فعلينا عبور معظم مناطق الإمبراطورية وتجنب كل

قرية ومدينة . يوجد سكان كثيرون بيننا وبين سوردا وسيلاحظون مرورنا حتماً " .

رفع مورتاج حاجبه وقال : " هل تريد إذن اجتياز الصحراء ؟ " .

" لا أرى خياراً آخر . كما أننا بهذه الطريقة سنغادر الإمبراطورية قبل وصول الرازاك إلى هنا ، مع خيولنا التى تسبق الريح ، سنصل إلى هدفنا فى يومين وسنوفر الكثير من الوقت " .

قال مورتاج : " حتى لو وصلنا للصحراء قبل وصول الجنود إلى هنا ، فلا يزال بإمكانهم اللحاق بنا ؛ من الصعب أن نسبقهم بمسافة كبيرة " .

ربت إيراجون كتف سفيرا التى كانت مغطاة بحراشيف خشنة ملمسها تحت أصابعه ، وقال : " هذا على فرض أنهم سيتمكنون من تتبع آثارنا ، ولكن لكى يلحقوا بنا يجب أن يترك الرازاك الجنود وهذا لصالحنا . وإذا اضطرتنا الظروف للقتال ، أعتقد أن ثلاثتنا سيهزمونهما .... طالما لم ينصبا لنا كميناً مثلما حدث معى أنا وبروم " .

قال مورتاج ببطء : " إذا عبرنا الجانب الآخر لصحراء هاداراك ، فإلى أين سنذهب ؟ تلك الأراضى خارج نطاق الإمبراطورية بكل تأكيد . هناك عدد قليل من المدن إن وجدت ، وبعد ذلك توجد الصحراء الجرداء فقط ، فماذا تعرف عنها ؟ " .

قال إيراجون : " أعلم أن الصحراء حارة وجافة ومليئة بالرمال " .

قال مورتاج : " هذا يلخص الأمر ، لكن الصحراء أيضاً تحتوى على نباتات سامة لا تؤكل وأفاع سامة وعقارب وشمس حارقة . هل رأيت السهل الواسع فى طريقنا إلى جيلياد ؟ ".

أجابه إيراجون بالإيجاب .

" إذن أنت لديك خبرة بحال المرور على هذه الرقعة الفسيحة ، فهى تشغل قلب الإمبراطورية . والآن تخيل ضعفين أو ثلاثة أضعاف هذه المساحة لتدرك مدى اتساع صحراء هاداراك وستعرف مدى المكان الذى تقترح عبوره " .

حاول إيراجون تخيل قطعة أرض ضخمة وفسيحة لكنه لم يتمكن من استيعاب المسافات الموجودة فى المكان السالف الذكر . قام باستخراج خريطة آلاجيشيا من حقائب السرج وكانت الخريطة الجلدية لها رائحة عطنة عندما فردها على الأرض . ظل يفحص السهول وهز رأسه فى دهشة : " لا عجب فى أن الإمبراطورية تنتهى على أعتاب هذه الصحراء . كل شىء على الجانب الآخر بعيد جدًا عن نفوذ الملك جالباتوريكس " .

فرد مورتاج الجانب الأيمن من الخريطة بيده وقال : " كل الأراضى بعد الصحراء تظهر بلون أبيض على الخريطة ، وكانت تحت حكم موحد فى عصر الفرسان قادة التنين . لو تمكن الملك من تنشئة جيل جديد من الفرسان قادة التنين تحت إمرته فسيتمكن من توسيع رقعة الإمبراطورية إلى مساحة غير مسبوقة . لكن ليس هذا مقصد حديثى ؛ بل أعنى أن صحراء هاداراك شاسعة جداً وبها

مخاطر كثيرة ، والفرصة ضعيفة فى عبورها دون أن نصاب بسوء . إنه طريق ميؤوس منه " .

قال إيراجون بحزم : " لكننا فى حالة يأس " . ثم تفحص الخريطة بدقة وقال : " إذا اخترقنا مجاهل الصحراء ، ربما سنعبرها فى شهر أو شهرين . لكن إذا اتجهنا للجنوب الشرقى باتجاه جبال بيور فسنقطع الطريق بشكل أسرع ، بعد ذلك يمكننا اتباع الجبال إلى الشرق فى البرية أو إلى الغرب نحو سوردا . إذا كانت تلك الخريطة صحيحة ودقيقة ، فإن المساحة بين موقعنا الآن وجبال بيور تشبه تقريباً المسافة التى قطعناها فى طريقنا لمدينة جيلياد " .

" لكننا قطعنا تلك المسافة فى قرابة شهر ! "

هز إيراجون رأسه بالنفى وقد نفد صبره : " رحلتنا إلى جيلياد كانت بطيئة بسبب جروحى . إذا ضغطنا على أنفسنا ، فسنصل جبال بيور فى مدة زمنية أقل من شهر " .

قال مورتاج : " كفى ، لقد أقنعتنى ، لكن قبل أن أوافق ، يجب حسم مسألة واحدة . أنا متأكد من أنك لاحظت أننى اشتريت مؤناً لنا من جيلياد ، لكن الآن كيف سنحصل على كم كافٍ من الماء ؟ القبائل المتنقلة الرحالة الذين يعيشون فى صحراء هاداراك عادة ما يخفون مكان آبارهم وواحاتهم خوفاً من أن يسرق أحد المياه . وحمل مياه تكفى لأكثر من يوم شىء غير عملى . فكر فى كمية المياه التى تشربها سفيرا ! فإنها هى والخيول يستهلكون قدراً من الماء فى اليوم الواحد ما يكفينا لأسبوع كبشر . إلا لو

استدعيت المطر بالسحر ، فلا أرىَ سبيلاً لقطع الصحراء كما تقترح " .

تراجع إيراجون إلى الوراء . كانت القدرة على إنزال المطر تفوق قوته ، وشك في وجود فارس من قادة التنين تمكن من القيام بذلك . فإن تحريك الهواء والسحب بمثابة محاولة رفع جبل . وقد كان يحتاج لحل لا يستهلك كل قوته ، فقال لنفسه : " أتساءل هل يمكن تحويل الرمال إلى ماء ؟ هذا سيحل المشكلة ، لكن دون أن يستهلك كمًا كبيراً من الطاقة " .

قال لمورتاج : " لدىَّ فكرة ، سوف أجرب شيئاً ثم سأجيبك عن سؤالك " . ثم خرج إيراجون من المعسكر وتبعته سفيرا عن قرب .

قالت سفيرا : " ما الذى ستحاول القيام به ؟ " .

همس لها : " لا أعرف بعد ، لكن هل يمكنك حمل ماء يكفينا جميعاً ؟ " .

هزت رأسها الضخم وقالت : " كلا ، لن أتمكن من حمل كل هذا الوزن الكبير ، فما بالك بالطيران به " .

قال لها : " يا للحظ التعس " . ثم انحنى والتقط حجراً به ثقب حجمه يكفى لجرعة ماء . وضع بعض الرمال فى الثقب وفحصها بدقة وأخذ يفكر . الآن يأتى الجزء الصعب من المهمة الملقاة على عاتقه . عليه إيجاد طريقه لتحويل الرمال إلى الماء بالسحر . قال لنفسه : " ترى ما هى الكلمات التى يجب أن أتفوه بها ؟ " أخذ يفكر فى حيرة للحظة ثم انتقى كلمتين تمنى لو يحققان ما يريده . اندفع

الشعاع السحرى البارد داخلـه بينمـا كـان يخـترق الحـاجز المعتاد فى ذهنه وصاح بالأمر : " ديلوى موى ! " .

امتصت الرمال على الفور قوة إيراجون بسرعة مذهلـة . تذكر إيراجون تحذير بـروم بأنـه توجـد مهـام محـددة قـد تستنزف كل قوته وتقضى على حياتـه ، فسرى الفـزع فـى صدره . حاول أن يخلص نفسـه مـن الـربط بقـواه السحرية لكنه لم يـتمكن مـن ذلـك ، كـان شـعاع السـحر ملتصـقاً بـه وسيظل كذلك حتى انتهاء المهمة أو حتى موته . كان كل مـا بوسعه أن يقوم بـه هـو أن يظـل بـلا حـراك ، وكـان يـزداد ضعفاً فى كل لحظة .

فى اللحظة التى أيقن فيها بالهلاك لمعـت قطعـة الرمـل وتحولـت إلى مـاء بمقـدار صـغير للغايـة . شـعر إيراجـون بالارتياح وتراجع إلى الخلف وكـان يتـنفس بصـعوبة وكـان قلبه يدق بعنف وألم والجوع يمزق أحشاءه .

قالت سفيرا : " ماذا حدث ؟ "

هز إيراجون رأسـه وكـان لايـزال تحـت تـأثيرِ الصـدمة بسبب استنزاف موارد قـوى جسـده . كـان سـعيداً لأنـه لم يحاول تحويل كم أكبر من الرمال . قال لسفيرا : " هـذا .... لـن يجـدى ؛ فلـيس لـدىَّ حتـى القـوة الـلازمـة للحصـول علـى الماء لنفسى " .

وبختـــه قائلـــة : " كـــان يجـدر بك أن تكـون أكثـر حرصاً ، السحر قد يـأتى بنتائج غير متوقعـة عنـدما تجمـع مفردات اللغة القديمة بطرق جديدة " .

حـدق إليهـا فـى غضـب وقـال : " أعلم ذلك ، لكنها كانت الطريقة الوحيدة لاختبار فكرتى . لـن أنتظـر حتـى

أجرب ذلك فى الصحراء ! " ثم ذكرها بأنها تحاول مساعدته فقط فقال : " كيف حولت قبر بروم إلى ماس بدون أن تتعرضى لخطر الموت ؟ إننى لم أقم سوى بتحويل حفنة من الرمال ، وهذا أقل من الصخر الذى حولته إلى ماس " .

قالت له بهدوء : " لا أدرى كيف فعلتها ، فقد حدث الأمر فقط " .

" هل يمكنك تكرار ما حدث وتحضرين لنا الماء ؟ " .

نظرت إليه مباشرة فى عينيه وقالت : " إيراجون ، أنا لا أتحكم فى قدراتى إلا بمقدار ما يتحكم العنكبوت فى قدراته . تحدث أشياء كالتى فعلتها سواء كنت أريدها أم لا . أخبرك بروم بأنه تحدث أشياء غريبة وغير معتادة مع التنين ، وكان على حق . لم يشرح ذلك ، ولا أملك أنا تفسيراً لذلك . أحياناً أصنع التغييرات بإحساسى فقط دون تفكير . ولكن لباقى الوقت - مثل الوقت الحالى - فأنا بلا قوة كالحصان سنوفاير " .

قال لها برقة : " لست أبداً عديمة القوة " . ثم وضع يده على رقبتها . ظلا صامتين لفترة طويلة . تذكر إيراجون قبر بروم الذى حفره وكيف تمدد جسد بروم بداخله . كان لايزال باستطاعته تذكر كيف أن وجه العجوز واراه الثرى . قال إيراجون لها هامساً : " على الأقل دفناه بالشكل اللائق " .

أخذ يعبث فى الرمال بإصبعه فى حركات دائرية ، وأخذ يحفر الأخاديد المتعرجة ، مكوناً شكلاً لأحد

الأودية ، فرسم الجبال حوله وحفر نهراً عبر الوادى بظفر إصبعه ، ثم زاد من عمقه عندما بدا له ضحلا . أضاف المزيد من التفاصيل حتي وجد نفسه يرسم رسماً تخطيطياً لوادى بالانكار . غمره شعور بالحنين للوطن فمسح ما فعله بحركة سريعة من يديه .

همس بحدة لسفيرا لمنع أى أسئلة منها : " لا أريد أن أتحدث عن هذا الموضوع " . ثم عقد ذراعيه وحدق فى غضب إلى الأرض . ثم حدثت حركة بدت وكأنها رغماً عنه ، حيث توجهت عيناه إلى المكان الذى رسم فيه بأصابعه ثم اعتدلت قامته في دهشة ، حيث كانت الأرض جافة لكن الوديان التى حفرها امتلأت برطوبة كالماء . شعر بالفضول فحفر أكثر ووجد طبقة من الماء اللزج على بعد بضع بوصات من تحت الأرض ، وصاح فى إثارة ودهشة : " انظرى ! " .

فحصت سفيرا بأنفها ما اكتشفه إيراجون وقالت : " كيف سيساعدنا ذلك ؟ الماء فى الصحراء يكون تحت أعماق سحيقة وقد نحفر لأسابيع لكى نجده " .

قال إيراجون فى سعادة : " نعم ، لكن مادام هنا فسأحصل عليه ، انظرى ! " ، ثم عمق الفتحة وتطرق للسحر ذهنياً . بدلاً من تحويل الرمال إلى ماء ، ببساطة قام باستدعاء الرطوبة اللزجة التى كانت موجودة بالفعل فى التربة . وبصوت خفيض ، انبثق الماء إلى الحفرة . ابتسم وشرب منه فوجده ماء زلالاً بارداً ونقياً ومثالياً للشرب وقال : " أرأيت ؟ يمكننا الحصول على ما نريد " .

شمت سفيرا البركة التى تكونت . وقالت : " هنا نفعت الحيلة ، لكن ماذا عن الصحراء قد لا يوجد فى الصحراء ماء يكفى فى الأرضٍ لكى تجلبه إلى سطح الأرض " .

قال لها مطمئناً : " بل ستنجح الحيلة ، سأرفع الماء فقط ، وهى مهمة سهلة وطالما أنها تحدث ببطء فلن تخور قوتى . حتى لو اضطررت لاجتذاب الماء . من على عمق خمسين قدمًا ، لن تكون تلك مشكلة . خاصة لو ساعدتنى " .

نظرت إليه فى شك قائلة : " هل أنت متأكد ؟ فكر جيداً قبل أن تجيبنى ، لأنك لو كنت مخطئاً فسيكلفنا ذلك حياتنا " .

تردد إيراجون ثم قال بحزم : " أنا متأكد " .

" إذن اذهب ، وأخبر مورتاج وأنا سأتولى الحراسة أثناء نومكما " .

قال معترضاً : " لكنك سهرت طوال الليل مثلى ، ويجب أن تنالى قسطاً من الراحة " .

قالت برقة : " سأكون بخير . أنا أقوى مما تعرف " . ثم أصدرت حراشيفها صوت خشخشة وهى تتكور حول نفسها وفتحت عينيها بحدة ناحية الشمال فى اتجاه من يطاردونهم واحتضنها إيراجون فهمهمت فى رضا بصوت عميق وكانت جوانبها تهتز ، ثم قالت له : " اذهب الآن " .

ظل بجانبها لفترة أطول ثم عاد على مضض إلى مورتاج الذى سأله : " حسناً ، هل الصحراء مهيأة لنا ؟ " .

قال إيراجون : " بكل تأكيد " . ثم تمدد على الأغطية وقص عليه ما حدث وبعد أن فرغ من السرد ، اتجـه للإلـف وكان وجهها هو آخر ما وقعت عليه عيناه قبل أن يذهب فى سبات عميق .

نهر الرامر

جبرا نفسيهما على الاستيقاظ مبكراً جداً قبل الفجر .
رتعش إيراجون فى الجو القارس البرودة وقال : " كيف سننقل الإلف ؟ لن تتمكن من البقاء على ظهر سفيرا لوقت أطول بدون أن تجرح من حراشيفها ، ولا يمكن أن تحملها سفيرا بمخالبها - فهذا يتعبها ويجعل الهبوط خطراً على الإلف ، كما أن المزلجة لن تصلح ؛ وقد تتحطم من سرعة السفر بالخيل ، ولا أريد أن تقل سرعة الخيول نتيجة وجود وزن زائد لشخص آخر " .

أخذ مورتاج يفكر فى الأمر وهو يضع السرج على حصانه تورناك ثم قال : " إذا ركبت أنت سفيرا ، سنربط الإلف على ظهر سنوفاير ، لكن تبقى لنا مشكلة جروح الإلف " .

قالت سفيرا فجأة وعلى غير توقع : *" لدىَّ الحل ، لماذا لا تربطان الإلف إلى بطنى ؟ سيمكننى الحركة بحرية فى نفس الوقت وستكون هى فى أمان أكثر من أى*

مكان آخر . الخطر الوحيد المتبقى قد يكون الجنود الذين قد يرمونني بالسهام لكنني سأطير بسهولة على ارتفاع كبير بعيداً عن مرمى السهام " .

لم يتمكنا من الإتيان بفكرة أفضل فوافقا على فكرتها سريعاً . طوى إيراجون أحد الأغطية بالطول إلى نصفين ووضع الإلف ذات الجسم الضئيل الحجم عليها ثم أخذها إلى سفيرا . ثم قطع حبالاً من بعض الملابس الإضافية والأغطية وكانت الحبال طويلة بحيث تلتف حول خصر سفيرا . ومع تلك الحبال ، تم ربط ظهر الإلف ببطن سفيرا وكان رأسها بين الأرجل الأمامية لسفيرا ، تفحص إيراجون صنع يديهما بعين الناقد ثم قال : " أخشى أن تقطع الحراشيف الحبال " .

قال مورتاج : " يجب أن نفحص الحبال من وقت لآخر حتى لا تنقطع بسبب الاحتكاك " .

قالت سفيرا : " *هل نرحل الآن ؟* **" ، ونقل إيراجون السؤال إلى مورتاج .**

لمعت عينا مورتاج بشكل يوحي بالخطر ، ثم رفع شفتيه في ابتسامة خفيفة ، ثم نظر خلفه في الطريق الذي سارا عليه ووجد دخان معسكر الجنود قد أصبح واضحاً جداً للعين المجردة ، ثم قال : " أنا أحب السباق بالخيل دائماً " .

صاح إيراجون : " ونحن الآن في سباق من أجل البقاء على قيد الحياة ! " .

قفز مورتاج على ظهر حصانه تورناك وهرع خارج المعسكر وتبعه على الفور إيراجون على صهوه جواده " سنوفاير " وطارت سافيرا في الهواء مع الإلف ، ولكنها

صارت على ارتفاع منخفض حتى تتجنب أن يراها الجنود .
وبتلك الطريقة انطلق ثلاثتهم نحو الجنوب الشرقى إلى
صحراء هاداراك البعيدة .

كان إيراجون يراقب كل الاتجاهات أثناء المسير بحثاً
عن مطارديهم وكان ذهنه يتطرق إلى الإلف باستمرار . إنها
من مخلوقات الإلف ! أخيرا رأى أحدهم ، تساءل ماذا
سيكون رأى روران فى ذلك ، جال بذهنه خاطر بأنه لو عاد
إلى كارفاهول ، سيجد صعوبة شديدة فى إقناع أى شخص
بالمغامرات التى حدثت له بالفعل .

لباقى اليوم ، ظلا يسابقان الريح على صهوة الجياد ،
وكانا يتجاهلان أى شعور بالضيق والتعب . كانا ينهكان
الخيول بدون الوصول لأقصى حد ، وأحياناً يترجلان
ويركضان لإراحة الخيل تورناك وسنوفاير . توقفا مرتين
فقط - من أجل إطعام وسقاية الخيل .

وعلى الرغم من أن جنود جيلياد كانوا بعيدين جداً
حينئذ ، فقد وجد كلاهما أنه يجب تجنب أى جنود جدد
فى كل مرة يمران بها بأى مدينة أو قرية . فبطريقة ما ، تم
إرسال إخطارت بوجودهما قبل وصولهما لأى مكان . تعرضا
مرتين لكمين عبر الطريق وكادا أن يقعا فى الأسر ، لكن
سفيرا ساعدتهما على الهرب لأنها اشتمت رائحة الرجال
أمامهم . وبعد الكمين الثانى ، قررا تجنب الطريق تماماً .

أرخى الليل سدوله عبر السماء وغلف الريف بالظلام
الدامس ، ولكنهما واصلا السفر فى أثناء الليل وكانا يقطعان
الميل تلو الآخر بلا هوادة . وفى أحلك ساعات الليل ،

ارتفعت الأرض من تحتهما وكونت تلالاً صغيرة مليئة بنباتات الصبار .

أشار مورتاج إلى الأمام قائلاً : " توجد مدينة تسمى بولرديج على بعد بضعة فراسخ أمامنا يجب أن نجتازها . وبالتأكيد يوجد بها جنود فى انتظارنا . لنحاول الهروب منهم أثناء الليل فى جنح الظلام ".

بعد مسيرة ثلاث ساعات ، شاهدا الأنوار الصفراء لمدينة بولرديدج ، كان هناك عدد من الجنود يتجولون حول نيران مشاعل للحراسة المنتشرة حول المدينة . ارتديا سيفيهما حول خصريهما وترجلا من على ظهر الخيل ، ثم قادا الخيل حول طريق منعطف واسع يدور حول المدينة وكانا يرهفان السمع لتجنب التطرق غير المقصود لأى معسكر من الجند .

عندما صارت المدينة خلفهما شعر إيراجون بالارتياح قليلاً . فى النهاية ، غمر ضوء الفجر السماء بلون أحمر خفيف وأدفأ هواء الليل البارد . توقفا عند قمة تل لكى يلاحظا ما حولهما فى هذا المكان . كان نهر الرامر على يسارهما ولكنه أيضا كان على بعد خمسة أميال إلى اليمين . كان النهر يستمر فى الجريان إلى الجنوب لعدة فراسخ ، ثم يستدير حول نفسه فى حلقة ضيقة قبل أن يجنح إلى الغرب . اكتشفا أنهما قد قطعا ستة عشر فرسخًا فى يوم واحد .

مال إيراجون نحو رقبة سنوفاير وكان سعيداً بالمسافة التى قطعوها ثم قال : " لنجد كهفا صغيراً أو أخدودًا صغيرًا لننام بلا إزعاج " ، توقفا عند خميلة من أشجار العرعر

وأعدا الأغطية والفرش تحتها . انتظرت سفيرا في صبر بينما أخرجا امرأة الإلف من تحت بطنها .

قال مورتاج : " سأكون أول من يسهر للحراسة ثم أوقظك ليكون دورك في الحراسة قبيل الفجر " ، ثم وضع سيفه الذى كان بلا غمد على ركبتيه ، همهم إيراجون بموافقته على ذلك وغطى نفسه وراح في سبات عميق .

* * *

بعد انحسار الليل استيقظا . ولكن بالرغم من شعورهما بالتعب والإنهاك والنعاس كانا مصرين على استكمال الرحلة . وبينما كانا يستعدان للرحيل ، قالت سفيرا لإيراجون : *" تلك هى الليلة الثالثة منذ انقاذك في جيلياد ولم تستيقظ امرأة الإلف من إغمائها وأنا أشعر بالقلق ، كما أنها لم تشرب ولم تأكل طوال هذه المدة . أعرف القليل جداً عن مخلوقات الإلف ، لكنها نحيلة وأشك في أنها ستعيش لمدة أطول بدون تغذية "* .

قال مورتاج وهو يمتطي صهوه جواده تورناك : " ما الخطب ؟ " .

قال إيراجون وهو ينظر للإلف : " إنها الإلف ؛ تقول سفيرا إنها قلقة لأنها لم تفق أو تأكل ، وهذا الأمر يقلقني أيضاً . لقد عالجت جروحها السطحية على الأقل ، لكن هذا لم يبد أنه أفادها " .

قال مورتاج : " ربما عبث الظل بعقلها " .

" إذن ينبغي أن نساعدها " .

مال مورتاج على جسدها وفحصها بدقة ثم هز رأسه وقال بعد أن وقف : " بالنسبة لى ، إنها تبدو نائمة فقط ، ولكننى قد أوقظها بكلمة أو بلمسةٍ ، لكنها مستمرة فى النوم . ربما يكون إغماؤها نوعاً من الهروب تفرضه الذات على مخلوقات الإلف للهروب من الآلام والجراح ، لكن لو كان الأمر كذلك ، فلماذا لا ينتهى ذلك الإغماء ؟ لا يوجد خطر الآن " .

قال إيراجون بهدوء : " ولكن هل تعلم هى ذلك ؟ " .

وضع مورتاج يده على كتف إيراجون يواسيه وقال : " لننتظر فى ذلك الأمر ، يجب أن نغادر المكان وإلا سنجازف بتقدمنا الكبير على الجنود ، فلقد سبقناهم بشق الأنفس . عالج الإلف لاحقا عندما نتوقف " .

قال إيراجون : " لكنى سأفعل شيئاً واحدًا أولاً قبل مواصلة السفر " ، ثم بلل قطعة من القماش وعصرها بحيث تصب قطرات الماء بين شفتيها النحيلتين المتشققتين . وفعل ذلك عدة مرات وبلل حاجبيها الأقرنين وشعر بمشاعر غريبة عندما أحس أنه يوفر لها الحماية .

سارا عبر التلال وتجنبا تسلق قممها خوفاً من أن يراهما الحراس . ظلت سفيرا معهما على الأرض لنفس السبب . وعلى الرغم من حجمها الكبير ، كانت تسير متسللة كالثعبان بلا صوت أو حركة كثيرة ، فقط كان ذيلها يصدر صوتاً بسيطاً عندما يحتك بالأرض كأنه ثعبان ضخم وأزرق اللون .

في النهاية ، لمعت السماء من جهة الشرق ، وظهر نجم الصباح " آيدِيل " . حيث عندما وصلا إلى حافة ضفة نهر منحدرة جداً ومغطاة بالشجيرات الكثيفة المتفرقة . جاء صوت هدير الماء القوى تحتهما وهو يشق ويخترق الصخور ويدور حول فروع الأشجار .

صاح إيراجون رغم ضجيج هدير النهر : " إنه نهر الرامر ! " .

أومأ له مورتاج وقال : " نعم ! يجب أن نجد مكانًا آمناً لاجتياز النهر " .

قالت سفيرا : *" لا داعى لذلك ، يمكننى حملكما عبر النهر مهما كان عرضه "* .

نظر إيراجون لجسدها الأزرق المشوب باللون الرمادى وقال : *" ماذا عن الجوادين ؟ لن نتركهما خلفنا وهما ثقيلا الوزن ولن تتمكنى من حملهما "* .

" طالما لن تركبوهما ولن يعاندانى كثيراً ، فأنا متأكدة أننى سأتمكن من حملهما . مادمت قد تمكنت من تجنب السهام مع وجود ثلاثة أشخاص على ظهرى ، فبالتأكيد يمكننى حمل حصان وأنا أطير فى خط مستقيم عبر النهر " .

قال إيراجون : *" أنا أصدقك ، لكن لن نحاول ذلك إلا فى حالة الضرورة القصوى ، فالأمر خطير جداً "* .

سارت ببطء عبر الضفة وقالت : *" لن يمكننا تحمل مجازفة تضييع الوقت هنا "* .

تبعها إيراجون وهو يمسك بزمام سنوفاير حتى وصلا إلى حافة الضفة عند النهر الذى يسمى " الرامر " حيث

يجـرى بسـرعة وكانـت مياهـه تبـدو مظلمـة . كـان الزبـد الأبيض يوجد على سطح الماء وكأنه دماء تجرى فى الشرايين فى فصل الشتاء . كان من المستحيل رؤيـة الضـفة الأخـرى . قذف مورتاج بفرع شجرة إلى تيار الماء وشاهده ينجرف مـع التيار ويتخبط من شدة سرعة الماء .

قال إيراجون : " ترى كم يبلغ عمق النهر ؟ " .

قال مورتاج وصوته به نبرة قلق : " لا أعلم . هل يمكنك معرفة المسافة إلى الضفة الأخرى بالسحر ؟ " .

" لا أظن ذلك ، ليس بدون إضاءة هذا المكان كالفنار " .

هب نسيم الهواء عليهما بينما طارت سفيرا وحلقت فوق نهر الرامر . وبعد فترة قصيرة ، جاءت وقالت : *" لم أصل للضفة الأخرى . عرض النهر أكثر من نصف ميل . إنه أسوأ مكان لعبور النهر ، وهو ينحنى فى هذه النقطة وهذا أوسع عرض للنهر "* .

صاح إيراجون : " نصف ميل ! " ، ثم أخبر مورتاج بعرض سفيرا لحملهم والطيران بهم .

قال مورتاج : " لا أود تجربة ذلك بسبب حصانى تورناك . فهو ليس معتادا على سفيرا مثل سنوفاير ، وقد يفزع ويجرحهما معاً . اطلب من سفيرا معرفة الأماكن التى تصبح فيها المياه ضحلة لكى نسبح عبرها فى أمان . ولو لم توجد مناطق ضحلة فى مساحة ميل عبر أى اتجاه ، فإننا يمكن أن ندعها تنقلنا " .

بايعاز من إيراجون ، وافقت سفيرا على البحث عن منطقة ضحلة . وأثناء استكشافها ، جلسا بجوار الخيول وتناولا الخبز الجاف . لم يمض الكثير من الوقت حتى

عادت سفيرا وكانت أجنحتها المخملية تصدر صوتاً خفيضاً عبر السماء وقت الفجر وقالت : " *المياه عميقة والتيار قوى فى كل المناطق ، وفى المنبع والمصب* " .

بمجرد أن نقل إيراجون كلامها لمورتاج قال له : " إذن سأصحبها أولاً لمراقبة الخيل " ، ثم امتطى سرج سفيرا وقال لإيراجون : " اعتن بتورناك فهو معى منذ سنوات ولا أريد أن يصيبه مكروه " ، ثم طارت سفيرا به .

وعندما عادت ، كانت امرأة الإلف الفاقدة للوعى قد تم حلها من بطن سفيرا . قاد إيراجون تورناك إلى سفيرا وتجاهل همهمات الحصان وصياحه بصوت منخفض . تراجعت سفيرا للخلف على أرجلها الخلفية للإمساك بالحصان بأرجلها الأمامية .

نظر إيراجون إلى مخالبها المرعبة وقال : " انتظرى ! " ، ثم عدل من وضع غطاء سرج تورناك ووضعه على بطنه لكى يحميه ثم أشار إلى سفيرا بمواصلة مهمة حمله .

صهل تورناك فى فزع وحاول التملص عندما أمسكت به سفيرا بأرجلها الأمامية من جانبيه ، لكنها أمسكته بشدة لكيلا يفلت . اهتزت عيناه بشدة والبياض يحوط ببؤبؤ عينيه الذى اتسع من الفزع . حاول إيراجون تهدئة تورناك ذهنياً لكن فزع الحصان قاوم محاولة الاتصال به ذهنياً . قبل أن يحاول تورناك التملص مرة أخرى ، قفزت سفيرا لأعلى وكانت أقدامها الخلفية قد دبت فى الأرض بقوة لدرجة أن مخالبها حفرت الصخور تحتها . قاومت أجنحتها بشدة من أجل الطيران مع رفع الحمل الثقيل جداً بصعوبة بالغة . بدا

للحظة أنها ستسقط على الأرض ، ولكن باندفاعة قوية انطلقت في الهواء . صهل تورناك في فزع وظل يرفس وكان الصوت رهيباً مثل احتكاك المعادن .

أخذ إيراجون يسب ويلعن وتساءل هل سيسمع صهيله أحد . *من الأفضل أن تسرعي يا سفيرا* " . ظل يرهف السمع لترقب وصول أي جنود أثناء انتظاره ، وكان يفحص كل الطبيعة من حوله التي اصطبغت كلها بلون أزرق كالحبر بحثاً عن المشاكل التي سمع عنها في الحكايات عن الحراس الذين يقتفون الأثر . سرعان ما رأى على بعد فرسخ طابورًا من الفرسان ينحدرون عبر التلال .

عندما هبطت سفيرا ، قاد إيراجون سنوفاير إليها ، فقالت له : " *الحيوان السخيف الخاص بمورتاج في حالة هيستيريا وهياج شديد . اضطر مورتاج لتقييد تورناك لمنعه من الهروب* " . حملت سنوفاير وطارت به وهي تمسكه بقوة متجاهلة اعتراضاته المتمثلة في صهيله العالي . راقبها إيراجون وهي تطير وشعر أنه وحيد في هذا الليل الحالك . كان الفرسان على بعد ميل واحد فقط الآن .

في النهاية ، جاءت سفيرا له واجتازت به النهر وسرعان ما أصبحوا جميعاً على الأرض مرة أخرى ونهر الرامر خلفهم . بمجرد تهدئة الخيول وإعادة ضبط السروج ، واصلوا الرحلة إلى جبال بيور ، وامتلأ الهواء بصوت تغريد العصافير التي تستيقظ وتستقبل يومًا جديدًا .

غفا إيراجون وهو على ظهر الحصان ، وبالكاد اكتشف أن مورتاج كان إنسانًا مثله . كانت تمر أوقات كان كلاهما لا

يقود الخيول ، ولكن سفيرا فقط هى التى تجعل الخيول تسير على الطريق المناسب بسبب تيقظها طوال الوقت .

في النهاية ، أصبحت الأرض تحتهم ناعمة وغاصت فيها أقدام الخيول ، مما أجبرهم على التوقف . كانت الشمس فى كبد السماء ونهر الرامر كان لا يزيد عن خط زائغ خلفهم يُرى بالكاد . لقد وصلا إلى صحراء هاداراك .

صحراء هاداراك

كانت هناك مساحات شاسعة من الكثبان والتلال الرملية منتشرة عبر الأفق مثل أمواج المحيط . وكانت الرياح تمثل شكلاً دائريًا فى الهواء وتحول لون الرمال الحمراء الهائلة إلى الصفرة . كانت هناك أشجار قليلة نحيلة ذات شكل غير منتظم تنمو فى مناطق متباعدة ومتفرقة من الأرض الصلبة ، وكان على مرمى البصر فى الأفق خط من الصخور ذات اللون الأرجوانى . كان هناك إحساس طاغٍ بالعزلة والقحط لدرجة أن المكان خلا من أى حيوانات ماعدا طائرًا واحدًا كان يطير متمايلاً مع نسمات الهواء .

قال إيراجون بصوت أجش : " هل أنت متأكد من أننا سنجد طعاما للخيول هنا ؟ " ، وكان الهواء الجاف الحار يسبب لسعة فى حلقه .

أشار مورتاج إلى الصخور وقال : " هل ترى تلك الصخور ؟ إن العشب ينمو حولها وهو قصير وخشن لكنه يكفى للخيل " .

قال إيراجون : " آمل أن تكون على صوابٍ " ، ثم حدق إلى الشمس مع غلق عينيه قليلاً ثم قال : " لنسترح قبل أن نواصل المسير ، فعقلي مجهد للغاية وكذلك جسدى ، حتى إننى لا يمكنني تحريك قدمي إلا بصعوبة " .

حررا امرأة الإلف من بطن سفيرا ثم تناولا الطعام ثم استلقيا في ظل أحد الكثبان الرملية من أجل القيلولة . وعندما استقر إيراجون على الرمال تكورت سفيرا بجواره وفردت أجنحتها عليهما ثم قالت : *" إنه مكان رائع ، يمكننى أن أقضى سنوات هنا بدون ملاحظة مرور الوقت "* .

أغمض إيراجون عينيه وقال وهو ينعس : *" وهو مكان رائع للطيران أيضاً "* .

" ليس هذا فقط ، بل أشعر وكأننى متكيفة مع جو الصحراء ، هذا هو المكان الفسيح الذى أحتاجه ، وهناك جبال حيث يمكننى النوم فيها واتخاذها مكاناً للراحة ؛ وهناك فرائس تلجأ للتمويه والاختفاء فى ربوعها ، مما سيجعلنى أستمتع بالصيد ومطاردتها لأيام . كما أن المكان دافئ ، فضلاً عن أن الحرارة تجعلنى أشعر بالحيوية وأننى مليئة بالطاقة " ، ثم مالت برأسها نحو السماء وتمددت بسعادة .

همهم لها إيراجون : *" هل تحبين هذا المكان إلى هذه الدرجة ؟ "* .

" نعم " .

" إذن بعد انتهاء ترحالنا ربما يمكننا العودة و ... "

راح فى سبات عميق حتى وهو يتحدث ولم يتم الجملة .

كانت سفيرا مسرورة وهمهمت بلطف أثناء نوم إيراجون ومورتاج .

كان هذا هو صباح اليوم الرابع منذ أن غادروا مدينة جيلياد وقد قطعوا بالفعل خمسة وثلاثين فرسخًا .

ناما بالقدر الكافى لإراحة ذهنيهما وخيلهما . لم يشاهدا أى جنود خلفهما ولكن ذلك الأمان لم يضللهما ويجعلهما يبطئان من سرعة الفرار . كانا يعلمان أن رجال الإمبراطورية سيطاردونهما حتى يصبحا بعيداً عن متناول الملك . قال إيراجون : " لابد أن حاملى البريد حملوا نبأ هروبى إلى جالباتوريكس ، الذى أخطر بدوره الرازاك . ربما يقتفيان أثرنا الآنٍ وستكون مسألة وقت حتى يلحقا بنا حتى لو ارتحلنا طيراناً على ظهر سفيرا ، وقد يطول ذلك الوقت حتى يحدث ذلك ، لكننا يجب أن نستعد لهما طوال الوقت " .

قالت سفيرا : " وهذه المرة سيجدان أنه ليس من السهل تقييدى بالأغلال " .

حك مورتاج ذقنه وقال : " آمل ألا يتمكنا من اقتفاء أثرنا عبر مدينة " بولرديج " . كان عبور نهر الرامر طريقة فعالة لتضليل من يتبعونا ، حيث تزيد فرصة عدم اكتشافهم لأثرنا بعد الآن " .

قال إيراجون وهو يفحص الإلف : " هذا ما نأمله حقاً " . كانت حالة الإلف لم تتغير ؛ ولم تستجب لعلاجات إيراجون . قال إيراجون : " ليس لدى ثقة فى الحظ الآن ، فالرازاك قد يكونان فى أعقابنا ونحن نتحدث الآن " .

عند غروب الشمس وصلوا للصخور التى رأوها فى الأفق هذا الصباح . وكان للكتل الصخرية حضور طاغ على الطبيعة من حولهم وكانت مرتفعة جداً وتطغى على ظلالهم . كانت المنطقة المحيطة بهم خالية من الكثبان الرملية لمسافة نصف ميل . هاجمت الحرارة الشديدة إيراجون وكأنها ضربة جسدية عندما ترجل من على ظهر سنوفاير إلى الأرض المشققة المتيبسة من الشمس . لفحت الشمس مؤخرة رأسه ووجهه ؛ وكان جلده ساخنًا ومحمومًا .

بعد ربط الخيل بأوتاد على الأرض بجوار منطقة بها القليل من العشب ليتناولوه ، أشعل مورتاج نارًا صغيرة وسأله إيراجون : " كم تبلغ المسافة التى قطعناها ؟ " ، ثم حمل الإلف من على بطن سفيرا .

صاح مورتاج : " لا أعرف ! " ، وكان جلده يشوبه احمرار وكذلك عينيه ثم أمسك بإناء وسب ولعن فى همس وقال : " ليس لدينا كم كاف من الماء ، ويجب سقاية الخيل " .

كان إيراجون مثله يعانى من ضيق شديد بسبب الحر الشديد والجفاف ، لكنه كان يتحلى بضبط النفس والتحكم فى الغضب فقال : " أحضر الخيول " ، ثم حفرت سفيرا له حفرة بمخالبها ، ثم أغلق إيراجون عينيه وتفوه بالصيغة السحرية . على الرغم من أن التربة كانت مجعدة ومحترقة ومشققة ، لكن كان هناك رطوبة وبلل يكفى لازدهار الحياة النباتية وبالتالى ملأ إيراجون الحفرة عدة مرات متتالية .

أعاد مورتاج ملء قرب الماء الفارغة ثم تنحى جانباً لكى يدع الخيل تشرب ؛ وكانت عَطِشة جداً لدرجة أنها انهمكت فى الشرب حتى شربت عدة جالونات ، مما جعل إيراجون مضطراً لاستخراج الماء من عمق أكثر فى باطن الأرض لإرواء عطشها ، وبالتالى أنهكت قواه إلى حد كبير . عندما ارتوت الخيول قال إيراجون لسفيرا : *" إن أردت الشرب فاشربى الآن "* . مالت برأسها حوله واحتست جرعتين كبيرتين ليس أكثر .

قبل أن يترك إيراجون الماء لكى تمتصه التربة عبَّ منه قدر استطاعته ، ثم شاهد آخر قطرات من الماء تمتص داخل الرمال . وقد كان الاحتفاظ بالماء على سطح التربة أصعب مما يتوقع ، لكنه قال لنفسه : *" لكن على الأقل هذا فى حدود قدراتى "* . ثم تذكر باستمتاع نوعًا ما كيف حاول سابقا بكل جهد أن يرفع حصاة واحدة فى الهواء .

* * *

كان الجو قارس البرودة عندما استيقظا فى اليوم التالى . كانت الرمال قد اتخذت لونًا أحمر فاتحاً فى ضوء الصباح الباكر ، وكان لون السحاب داكنًا مبهماً يخفى عنهم الأفق . لم تتحسن الحالة المزاجية لمورتاج مع النوم ، ووجد إيراجون أن حالته المزاجية هو نفسه تتدهور سريعاً . أثناء الإفطار سأل مورتاج : " هل تظن أننا سنمكث هنا لفترة طويلة قبل أن نغادر تلك الصحراء ؟ " .

صاح مورتـاج فـى ضجر : " سـنقطع جـزءًا صـغيرًا مـن الصحراء ، وبالتالى لا يمكننى تخيل أننا سنمكث هنا أكثـر من يومين أو ثلاثة على الأكثر .

" لكن انظر إلى المسافة التى قطعناها بالفعل " .

" حسناً ، ربما ستستغرق الرحلة أياماً أكثـر ! كـل مـا أهتم به هو مغادرةٍ صحراء هاداراك بأسرع ما يمكن . إن مـا نقوم به صعب جداً بغض النظر عن التقاط الرمال من العيون كل بضع دقائق " .

بعـد أن فرغـا مـن تنـاول الطعـام ، ذهـب إيراجـون إلى الإلف . كانـت ترقـد كـالموتى ـ كأنهـا جثـة لـولا تنفسـها المنتظم . همس إيراجون لها وهو يرفع خصلة شـعرها التـى تدلت على جبهتها ووجهها : " أين جرحك ؟ كيف تنامين كل هذا الوقت ومع ذلك تبقين على قيـد الحيـاة ؟ " . كانـت الصورة مازالت حاضرة فى ذهنـه ؟ صـورتها وهـى متيقظـة وجالسة حزينة فـى الزنزانـة . شـعر بالضيق ، ثـم أعـدها للترحال ووضع السرج على سنوفاير وامتطى صهوته .

وعندما غادروا المعسكر ، ظهر خـط مـن الكتـل السـوداء الهلاميـة عـبر الأفـق وبـدت بـلا ملامـح فـى الهـواء المـلىء بالأتربة . ظن مورتـاج أنهـا تـلال بعيـدة ، لكـن لم يقتنـع إيراجون بذلك لكنه لم يتمكن من تبين أى تفاصيل أخرىٍ .

كانت محنة الإلف تملأ ذهنه وتفكيره . كان متأكدا مـن أنه يجب القيام بأى شىء لمساعدتها وإلا ستموت ، لكنـه لا يعرفٍ ما الذى يجب أن يفعلـه ، كانـت سـفيرا قلقـة مثلـه تماماً بشأن ذلك الأمر . ظلا يتحدثان عن هذا الشأن لساعات

لكن لم يعرف أى منهما معلومات كافية عن العلاج لحل المشكلة التى تواجههما .

توقفا فى منتصف النهار لفترة قصيرة طلباً للراحة . وعندما استأنفا الرحلة ، لاحظ إيراجون أن الضباب قد بدأ ينقشع منذ الصباح تدريجياً وبدأت تتضح معالم الكتل الهلامية البعيدة .

لم تعد كتلاً هلامية ذات لون أزرق وأرجوانى ، بل تلال ومرتفعات واسعة ومنخفضة مغطاة بالحياة النباتية والغابات ولها معالم وحدود واضحة . كان الهواء فوقهم أبيض باهتاً وليس بلونه المعتاد ـ وكانت كل الألوان وكأنها ابيضت من الأفق السماوى على قمم الجبال وامتدت عبر كل الآفاق والحواف .

حدق إيراجون فيما أمامه وشعر بالحيرة ، لكن كلما حاول أن يفهمه زادت حيرته . أغمض عينيه وفتحها بسرعة وهز رأسه ، وهو يظن أن ما يراه سراب بسبب جو الصحراء . لكن عندما فتح عينيه كان الشكل الهلامى المزعج لايزال موجودًا . شعر أنه بالتأكيد ثمة ما يسوء بشدة وهم بالإشارة بذلك لمورتاج وسفيرا عندما فهم فجأة ما يراه .

فما ظنوه مجموعة من التلال كان فى الواقع أساسات ضخمة لسلسلة جبال عرضها أميال كثيرة . وفيما الغابات الكثيفة فى سفح الجبال ، كانت الجبال كلها مغطاة بالثلج . هذا ما خدع إيراجون وجعله يظن أن السماء بيضاء . رفع رأسه لأعلى وبحث عن قمم الجبال لكنها لم تكن مرئية لعلوها الشاهق ؛ فهى ترتفع وتشق عنان السماء لدرجة أن قممها تختفى عن العيون . كانت هناك وديان ضيقه متعرجة

بها نتوءات بارزة طويلة تكاد تلامس قمم الجبال وتخترقها كالأنابيب الطولية العميقة . بدت تلك الجبال كالبوابات العملاقة المتعرجة التى تشبه الأسنان .

قال إيراجون وهو مندهش ويشعر بالرهبة : " تبدو الجبال وكأنها تمتد بلا نهايةٍ ! " . كانت القصص التى تذكر جبال بيور تذكر دائماً حجمها الضخم ، لكنه كان يعتبر تلك الأخبار تجميلاً وتفخيمًا للقصص ولم يظن أنها حقيقة بل مجرد مبالغات . لكنه الآن اضطر للاعتراف بصحة تلك القصص .

شعرت سفيرا باندهاشه وحيرته ونظرت لما ينظر إليه وفى غضون ثوان أدركت الحجم الهائل للجبال وقالت : *" أشعر أننى مازلت صغيرة وخرجت للتو من البيضة ، فمقارنة بتلك الجبال أشعر بأننى ضئيلة الحجم ! "* .

قال إيراجون : *" ربما نقترب من حافة الصحراء ، لقد سافرنا لمدة يومين وها نحن نرى الجانب الآخر منها وما بعده ! "* .

طارت سفيرا فوق الكثبان الرملية وقالت : *" نعم لكن مع الأخذ فى الاعتبار حجم قمم الجبال ، فالاحتمال الأرجح هو أن مازال أمامنا خمسون فرسخًا لنقطعها من هنا . من الصعب قياس المسافات أمام شىء ضخم كتلك الجبال ، ربما يكون مكانًا مثاليًّا لاختباء الفاردن أو مخلوقات الإلف ، أليس كذلك ؟ "* .

قال لها : *" بل المكان يتسع لإخفاء أكثر من الإلف والفاردن ، فهو يكفى لإخفاء شعوب بأكملها فى السر عن الإمبراطورية . تخيلى الحياة وسط تلك الجبال العملاقة*

وهى تخيم عليك طوال الوقت ! " قام بتوجيه سنوفاير نحو مورتاج وأشار وهو يبتسم للجبال .

صاح مورتاج وهو يتفحص الأرض : " ما الأمر ؟ " .

حثه إيراجون بقوله : " انظر بتمعن " .

أخذ مورتاج يفحص الأفق ثم هز كتفيه بلا اكتراث ثم قال : " ما الأمر فأنا لا ــــ " ، ثم ذابت الكلمات فجأة وفغر فاه فى دهشة . هز مورتاج رأسه وهو يتمتم : " هذا مستحيل ! " ، ثم حملق بعينيه بشدة لدرجة ظهور تجاعيد حول عينيه ، فهز رأسه مرة أخرى وقال : " كنت أعلم أن جبال بيور كبيرة ، لكن ليس بهذا الحجم الضخم الهائل ! " .

قال إيراجون مازحاً : " لنأمل ألا تكون الحيوانات التى تعيش هنا ذات أحجام متوافقة مع الجبال "

ابتسم مورتاج وقال : " من الممتع أن نجد مكانًا ظليلاً ونقضى بضعة أسابيع فى راحة ، لقد نلت كفايتى من المسير الإجبارى " .

قال إيراجون : " أنا أيضاً تعبت ، لكننى لا أريد أن نتوقف إلا بعد علاج الإلف .... وإلا ستموت " .

قال مورتاج بجدية : " إننى لا أفهم كيف أن الاستمرار فى السفر سيعالجها ، إن البقاء فى الفراش سيفيدها أكثر من البقاء تحت بطن سفيرا طوال اليوم " .

هز إيراجون كتفيه قائلاً : " ربما .... لكن عندما نصل للجبال سنصحبها إلى سوردا ـ وهى ليست بعيدة . لابد أن بها معالجًا أو طبيبًا ليساعدها ؛ فنحن لم نتمكن من علاجها " .

وضع مورتاج يديه فوق عينيه على جبهته وحدق إلى الجبال ثم قال : " لنتحدث عن هذا الأمر لاحقاً . هدفنا الآن هو الوصول إلى جبال بيور ، فهناك على الأقل سنكون بمأمن من الرازاك والإمبراطورية " .

بمرور اليوم ، لم تقترب جبال بيور منهما على الرغم من تغير الطبيعة من حولهما تغيرا شاملاً ، فقد تحولت الرمال ببطء من حبيبات منثورة من درجات اللون الأحمر إلى طين وتراب داكن وجاف وصلب . وبدلاً من الكثبان الرملية ، صارت هناك بقع من الأرض متناثرة وغير منتظمة بها نباتات وأصبح هناك أخاديد عميقة فى الأرض نتيجة فيضانات حدثت من قبل . كان النسيم العليل يهب فى الجو مما أنعشهم جداً ، وشعرت الخيل بتغيير المناخ فسارت إلى الأمام بسرعة وبهمة ونشاط .

وعندما غربت الشمس وأرخى الليل سدوله كان سفح السلسلة الجبلية على بعد فرسخ واحد . وعبر المروج والحقول الغناء ، كانت قطعان الغزلان تجرى بين الحشائش المتراقصة ووجد إيراجون أن سفيرا تشتهى الغزلان للطعام . أقاموا المعسكر بجوار جدول ما وشعروا بالرضا لانتهاء صحراء هاداراك القاحلة .

وضوح الطريق

جلسوا حول النار وهم يشعرون بالتعب الشديد ولكن تعلو وجوههم ابتسامة النصر وهنأ بعضهم البعض ، صاحت سفيرا في فرح وابتهاج مما أفزع الخيل . حدق إيراجون في لهب النار وكان فخوراً بأنهم قطعوا حوالى ستين فرسخًا في غضون خمسة أيام . كان عملاً مذهلا ، حتى بالنسبة لفارس ماهر مثله .

" *أنا خارج حدود الإمبراطورية* " . كانت فكرة تبدو غريبة . لقد ولد فى الإمبراطورية وعاش طوال حياته تحت حكم جالباتوريكس ، ولقد فقد أقرب أصدقائه وأفراد أسرته بسبب رجال الملك ، وكاد يموت عدة مرات في رقعة ملكه وسيطرته . ولكن إيراجون الآن يشعر بالحرية ، فلن يضطر هو وسفيرا إلى تجنب الجنود أو المدن أو يضطر لإخفاء هويته . كان إدراك تلك الحقيقة يبعث على السعادة المختلطة والمشوبة بالحزن ؛ لأن الثمن كان أنه سيفقد تماماً عالمه الذى عاش فيه .

نظر إلى النجوم فى السماء التى مالت إلى الغروب . وعلى الرغم من أن فكرة بناء منزلٍ فى منطقة آمنة ومعزولة كانت تروق له ، فإنه كان شاهداً على الجرائم الكثيرة البشعة التى ترتكب باسم جالباتوريكس ، من القتل ، إلى تجارة الرقيق ، وبالتالى لن يعطى ظهره للإمبراطورية إلى الأبد . لم يعد الأمر مجرد انتقام ـ لموت جارو ، وبروم ـ هو ما يدفعه . بل كفارس من قادة التنين ، كان من واجبه مساعدة من ليس لهم حول ولا قوة لمقاومة ظلم جالباتوريكس .

كف عن تأمله للماضى وتدبره على مضض وتنهد ثم أخذ يلاحظ الإلف المربوطة إلى سافيرا . كانت نيران المعسكر البرتقالية اللون تنير وجهها وتمنحه مظهرًا دافئًا ، وكانت هناك ظلال خفيفة تتراقص تحت وجنتيها . وبينما كان يحدق إليها ، جالت فكرة بخاطره ببطء .

لقد اكتشف أنه يمكنه سماع أفكار الناس والحيوانات ـ والتواصل معهم بتلك الطريقة إن أراد ذلك ـ لكنه قلما يفعل ذلك سوى مع سفيرا . كان يتذكر دائماً تحذيرات بروم من عدم اختراق ذهن الآخرين أو عقلهم الواعى إلا فى حالة الضرورة القصوى . وعدا المرة التى حاول فعل ذلك مع مورتاج ، فإنه امتنع عن ذلك .

لكنه الآن يتساءل هل من الممكن أن يتصل بالإلف فى حالة الغيبوبة . *" قد أتمكن من معرفة ذكرياتها وبالتالى أعرف سر استمرار الغيبوبة . لكنها لو أفاقت ، هل ستسامحنى على تدخلى واقتحام عقلها الواعى ؟ .... سواء ستفعل ذلك أم لا ، يجب أن أحاول ، فهى فى غيبوبة منذ أسبوع "* . وبدون أن يتحدث عن نيته لمورتاج أو

سفيرا ، جثا على ركبتيه بجوار الإلف ووضع يده على جبهتها .

أغلق إيراجون عينيه ومد خيوط فكره كالإصبع الفاحص إلى ذهن الإلف وتوصل إليه بدون صعوبة تذكر ، حيث إنه لم يكن مبهم المعالم ولم يكن مليئاً بالألم كما كان يتوقع ، بل كان واضحًا للغاية كنغمة من جرس كريستال . فجأة شعر ذهنيا وكأن هناك خنجرًا ثلجيًا يخترق عقله ، ثم شعر بألم شديد خلف عينيه وتضارب عدة ألوان . حاول التراجع للخلف من الهجمة المفاجئة لكنه وجد نفسه وكأنه مثبت في مكانه بيد من حديد ، ولم يتمكن من التراجع .

قاوم إيراجون بكل قوته واستخدم كل حيلة دفاعية فكر فيها . شعر بوخز الخنجر في ذهنه مرة أخرى ، وفي سرعة محمومة تخلى عن سدود عقله أمام هذا الوخز مما خفف من حدة الهجوم ، فقل الشعور بالألم مقارنة بالمرة السابقة لكنه حال دون التركيز ، لقد انتهزت امرأة الإلف الفرصة لتحطيم دفاعاته الذهنية بلا رحمة .

شعر وكأن غطاء خانقًا يضغط على ذهنه ويطبق عليه من كل الاتجاهات ويكتم كل أفكاره ، تقلصت القوة الطاغية ببطء وأطبقت على ذهنه وكأنها ستقضي على حياته ببطء لكنه استمر وتماسك ولم يرضخ .

ضيقت عليه امرأة الإلف بذهنها بلا رحمة وكأنها تريد إطفاءه كالشمعة التي انتهت جذوتها . صاح في يأس باللغة القديمة : " أيكا آي فريكاي أون شورتجال ! " بمعنى : " أنا من الفرسان قادة التنين وأنا صديقك ! " . لم تخفف

السيطرة الخانقة على ذهنه ، لكن تضييقها توقف وخرج إليه من ذهن الإلف مشاعر الدهشة .

بعد ثوان خرج منها إليه شعور بالشك ، لكنه علم أنها ستصدقه لأنه لا يمكن للمرء أن يكذب في اللغة القديمة . قال إيراجون لنفسه : *" اللغة القديمة لها قيودها ونواقصها "* ، وتمنى لو أصابها الفضول للمخاطرة بترك ذهنه وتحريره من قبضتها .

لقد أصابها الفضول فعلاً . خف الضغط من على ذهنه وقلت الدفاعات والحواجز من على عقلها بتردد وبطء . جعلته يتلامس مع أفكارها بشك وريبة ، مثل اثنين من الحيوانات البرية يتقابلان لأول مرة . سرت رعشة باردة من جانبي إيراجون وكان عقلها غريبًا جداً عليه ، وبدا له فسيحاً وقويا ، ومحملاً بذكريات سنوات لا تحصى . بدت له أفكار سوداء لم تر أو تلمس من قبل ، وبدت له أشكال من حضارة بني جنسها من الإلف جعلته ينكمش من الرعب عندما تطرقت كالصور الذهنية إلى عقله الواعي . لكن كل تلك المشاعر والأحاسيس كان يلمع عبرها لحن جمال شرس وأخاذ يسلب الألباب ويجسد هويتها .

قالت له باللغة القديمة : *" ما اسمك ؟ "* ، وكان صوتها ممتلئًا بالشك والريبة واليأس والإذعان .

" إيراجون . وما اسمك ؟ " كان عقلها الواعي يدعوه للاقتراب والانغماس في داخل مكنون نفسها ، حتى في دمها وجسدها من الداخل . قاوم نداءاتها بصعوبة ، على الرغم من نداء القلب الذى حثه على قبول نداءاتها . لأول مرة يفهم الانجذاب الساحر الغامض للإلف ، فهم مخلوقات

سحرية ، لا تقيدهم قوانين البشر المادية ـ ويختلفون عن البشر كاختلاف التنين عن سائر الحيوانات .

" اسمي هو آريا ، لماذا تتواصل معي بذلك الأسلوب ؟ هل مازلت أسيرة الإمبراطورية ؟ " .

قال لها : كلا فأنت حرة طليقة الآن ! " وعلى الرغم من أنه يعرف كلمات متفرقة من اللغة القديمة لكنه نجح فى أن ينقل لها ما يلى : *" كنت أسيراً فى جيلياد مثلك لكنى هربت وأنقذتك . مرت خمسة أيام على ذلك واجتزنا صحراء هاداراك ونحن الآن نخيم بجوار جبال بيور وأنت لم تتحركى أو تتفوهى بأى كلمة طوال كل هذا الوقت "* .

قالت له : *"آه .... كنت فى جيلياد "* . ثم صمتت لبرهة ثم قالت : *" كنت أعلم أن جراحى قد شفيت ، ولكن لم أفهم كيف ولماذا . لكنى اعتقدت أن هذا من أجل الاستعداد للتعذيب . الآن أدركت أنه أنت "* .

صمتت لبرهة ثم أردفت قائلة : *" وحتى الآن ، لم أستيقظ وأنت تشعر بالحيرة من جراء ذلك "* .

" نعم " .

قالت له : *" أثناء وقوعى فى الأسر تم إعطائى نوعًا نادرًا من السموم يسمى سكيلنا براغ مع المخدر الذى يقمع قواى . وكان كل صباح يتم إعطائى ترياقًا مضادًا للسم الذى تجرعته فى اليوم السابق ، أو يتم إعطاؤه لى بالقوة إن رفضت تناوله . وبدونه كنت سأموت خلال ساعات . هذا سبب بقائى فى حالة غيبوبة . فهذا يعوق تقدم السم فى جسدى ، لكنه لا يمنعه تماماً ...... ظللت أفكر فى*

الاستيقاظ لكى أنهى حياتى ولا أبوح بأى شىء لجالباتوريكس لكنى امتنعت عن ذلك أملاً فى أن تكون أنت حليفى ..... " . ثم اختفى صوتها بالتدريج فى وهن .

قال إيراجون : *" إلى متى ستظلين هكذا ؟ "* .

" لمدة أسابيع ، لكنى أخشى أن كل هذا الوقت غير متاح لى . فالغيبوبة الآن تحول دون الموت إلى الأبد ..... أشعر بالموت فى عروقى الآن . وإذا لم أتناول الترياق المضاد فسأموت بسبب السم خلال ٣ ـ ٤ أيام " .

" أين نجد الترياق المضاد ؟ " .

" يوجد فى مكانين فقط خارج الإمبراطورية . مع بنى جنسى من الإلف وعند الفاردن . لكن وطنى بعيد عن الوصول حتى وإن كان برحلة على ظهر التنين "

" ماذا عن الفاردن ؟ يمكننا الذهاب إليهم مباشرة ، لكننا لا ندرى مكانهم ".

" سأخبرك - إذا وعدتنى بعدم إفشاء مكانهم لجالباتوريكس أو أحد رجاله . علاوة على أنك يجب أن تقسم أنك لن تخدعنى بأى شكل ولا تنوى إيذاء الإلف ، أو الأقزام ، أو الفاردن أو جنس التنين " .

ما طلبته آريا قد يكون سهلاً وبسيطاً ـ لو لم يكونا يتحدثان باللغة القديمة . كان إيراجون يعلم أنها تريد قسماً غليظاً ملزماً أقوى من الحياة نفسها . وبمجرد أن يقوله فلن يتراجع عنه أبداً . كان لهذا ثقل كبير عليه وهو يقسم بكل جدية بالموافقة على شرطها .

قال لها : *"أنا موافق ، مفهوم "* .... ظهرت لذهنه فجأة سلسلة من الصور التى أصابته بالدوار . وجد فيها

نفسه يركب جواده عبر سلسلة جبال بيور إلى ناحية الشرق فى عدة فراسخ . بذل كل ما فى وسعه لكى يتذكر الطريق بينما مرت عبره الجبال الصخرية بسرعة كان يتجه للجنوب الآن ، ومازال يتبع الجبال . ثم دارت كل الصور فجأة ، ثم وجد نفسه يدخل فى وادٍ ضيق ملتو ومتعرج عبر الجبال حتى قاعدة مسقط مائى بها زبد ويضخ فى بحيرة عميقة .

توقفت الصور . قالت آريا : *" المكان بعيد ، لكن لا تدع المسافة تثنيك عن عزمك عندما تصل لبحيرة كوسثا . ميرنا فى نهاية نهر بيرتوث أمسك حجراً واضغط على الصخرة بجوار المسقط المائى ثم صح بأعلى صوتك : " آى فاردن أبر دو شور توجالار جاتا فانتا " ، وسيتم إدخالك . وسيتم تحديك من جانبهم ، لكن لا تهتز مهما بدت لك تحدياتهم خطيرة "* .

" ما الترياق المضاد للسم الذى سيعطونه لك ؟ " .

ارتعش وتهدج صوتها لكنها استعادت قوتها وقالت : *" أخبرهم أن يعطونى " رحيق تونيفور " ، يجب أن تتركنى الآن ، فقد فقدت الكثير من الطاقة بالفعل . لا تتحدث معى مرة أخرى إلا فى حالة فقدان الأمل فى الوصول للفاردن . لو وصلت لتلك الحالة فهناك معلومات يجب أن أعطيها لك لكى يحيا الفاردن فى سلام . وداعاً يا إيراجون أيها الفارس قائد التنين .... حياتى أمانة بين يديك "* .

انسحبت آريا من التواصل الذهنى ، واختفت النبضات التى لم تبد أنها تمت لعالم الأرض بصلة والتى كانت لها

أصداء تتردد عبر التواصل الذهنى معها . تنفس إيراجون الصعداء وارتعش ثم فتح عينيه فجأة . كانت سفيرا ومورتاج على جانبيه وينظران إليه في قلق . قال مورتاج : " هل أنت بخير ؟ لقد ظللت راكعاً هنا لمدة خمس عشرة دقيقة تقريبا " .

قال وهو يومض بعينيه : " أحقاً ؟ "

قالت سفيرا بجفاء : *" نعم وكان وجهك يتقلص من الألم كتمثال الميزاب المرعب "* .

وقف إيراجون وتلوى وجهه من الألم عندما تمددت ركبتيه مع آريا ! " عبس وجه مورتاج وامتلأ بالشك والتساؤل ، وبدا وكأنه يشك في أن إيراجون قد أصابه الجنون ، قال إيراجون : " إن اسمها آريا " .

قالت سفيرا وقد نفد صبرها : " وما السبب فى مرضها ؟ " .

أخبرهم إيراجون فى عجالة بما دار بينهما كله ثم قال له مورتاج : " وأين يقع مكان الفاردن ؟ " .

قال إيراجون : " لا أعرف ، لكن مما أظهرته لى ، أظن أن الفاردن على مسافة أبعد من التى قطعناها " .

صاح مورتاج بغضب : " ومن المفترض أن نقطع هذه المسافة فى ٣ ـ ٤ أيام ؟ لقد وصلنا إلى هذا المكان بعد خمسة أيام شاقة وطويلة ! ما الذى تريده ؟ أن تقتل الخيل من التعب والإنهاك ؟ " .

" لكننا لو لم نفعل شيئاً ستموت الإلف ! لو كان الأمر شاقاً على الخيل يمكن لسفيرا حملى مع آريا ؛ على الأقل

سنصل للفاردن في الوقت المناسب . يمكنك اللحاق بنا في خلال أيام قليلة " .

زمجر مورتاج وعقد ذراعيه وقال : " بالطبع . فأنا حارس الحيوانات وقائد الخيل : هذه هى فائدتى الوحيدة هذه الأيام . لا داعى أن ننسى أن كل جندى في الإمبراطورية يطاردني ويبحث عني لأنك لم تدافع عن نفسك واضطررت أنا لإنقاذك . حسناً ربما أتبع تعليماتك وأحضر الخيل فى المؤخرة كالخادم الأمين " .

احتار إيراجون بسبب الحقد والغل المفاجئ فى صوت مورتاج وقال : " ما خطبك ؟ أنا ممتن لك لما فعلته من أجلى ، لا يوجد ما يجعلك تغضب منى . فإننى لم أطلب منك صحبتي أو إنقاذى من جيلياد ، أنت من اخترت ذلك ، ولم أجبرك على شيء " .

صاح مورتاج وهو يدفع بإصبعه فى صدر إيراجون : " لم تطلب منى أى شيء صراحة ، لكن ماذا كان بوسعى فعله سوى إنقاذك من الرازاك ؟ ولاحقاً في جيلياد ، كيف كنت سأتركك وضميرى مرتاح ؟ المشكلة فيك أنت ، فأنت لا حول لك ولا قوة وتجبر الجميع على مساعدتك من أجل ذلك ! " .

مست الكلمات كبرياء إيراجون وأدرك أن هناك شيئاً من الحقيقة في كلامه فصاح : " لا تلمسنى ! " .

ضحك مورتاج وقال بقسوة وجفاء : " وإلا ماذا ، ستعاقبنى ؟ لا يمكنك كسر حائط من الطوب " ، ثم هم بدفع إيراجون فى صدره مرة أخرى لكن إيراجون أمسك بذراعه وضربه فى بطنه .

" قلت لك لا تلمسنى ! " .

وقع مورتاج على الأرض وانحنى على بطنه وهو يسب ويلعن ثم صاح وهوى بجسده على إيراجون . وقعا معاً وتشابكت الأذرع والسيقان فى العراك وأخذا يضربان بعضهما البعض . ركله إيراجون في فخذه الأيمن لكنه أخطأ فأطاح برجله في الهواء وجرحها فى أثناء العراك المحتدم حاول كل منهما السيطرة على الآخر وشل حركته . تمكن إيراجون من وضع قدمه على صدر مورتاج وركله بقوة فهجم مورتاج على رأس إيراجون لكنه وقع على ظهره بصوت ارتطام قوى .

انقطع نفس مورتاج لكنه قام بصعوبة وبصلابة ثم استدار ليواجه إيراجون وهو يلهث بشدة . هاجما بعضهما البعض مرة أخرى . حال ذيل سفيرا بينهما مع زئيرها الذى يصم الآذان . تجاهلها إيراجون وحاول القفز فوق ذيلها ، لكن قبضتها ذات المخالب أطبقت عليه عندما طار فى الهواء في هجومه وجعلته يقع على الأرض .

صاحت به : *" كفى ! "* .

حاول دون جدوى أن يدفع قدم سفيرا ذات العضلات القوية بعيدا عن صدره ولاحظ أنها ثبتت مورتاج بنفس الطريقة . زأرت سفيرا مرة أخرى وكشرت عن أنيابها ومالت برأسها نحو إيراجون وحدقت إليه فى غضب وقالت : *" أنت دون باقى الناس يجب أن تعرف أكثر أن العراك كالذئاب الجائعة على قطعة لحم لا يليق بك . ماذا سيقول بروم لو كان لايزال حياً ؟ "*

شعر إيراجون بأن وجنتيه تحترقان وحوّل بصره عنها . كان يعلم رأى بروم وما كان سيقوله . ظلت سفيرا تثبتهما

علـى الأرض لكـى يهـدئا ثـم قالـت لإيراجـون محـذرة : *" الآن ، إذا لم تكن تريد قضاء باقى الليلة تحت قدمى ، ستسأل مورتاج بأدب ما الذى يضايقه "* . ثم مالت برأسها فوق مورتاج وحدقت إليه بعينيها الزرقاوين وقالت بجفاء : *" أخبر مورتاج أننى لن أتحمل أن توجها الإهانات لبعضكما البعض "* .

قال إيراجون متذمراً : " لن تتركينا ننهض ؟ "

" كلا " .

حول إيراجون رأسه على مضض إلى مورتاج وهو يتـذوق مذاق الدم في جانب فمه فحول مورتـاج عينيـه عنـه ونظـر للسماء وقال : " حسناً ، ألن تتركنا ننهض ؟ " .

قال إيراجون بإحراج : " كلا ، إلا إذا تحدثنا ... إنها تريدنى أن أسألك ما الذي يضايقك حقاً " .

صاحت سفيرا موافقة على الكلام واستمرت فى التحديق إلى مورتاج . كان مـن المستحيل لـه أن يهـرب مـن نظرتهـا الغاضبة التى تكاد تخترقه . فى النهايـة ، هـز كتفيـه بـلا اكتراث وتمتم بشىء وهو يزفر . ضاقت مخالب سفيرا علـى صدره واهتز ذيلها فى الهواء ، فنظر إليها فى غضب ثم قال على مضض بصوت أعلى : " لقد أخبرتك من قبل : لا أريـد الذهاب إلى الفاردن " .

عبس إيراجون وقال : " هل هذا هـو الأمـر المهـم ؟ هـل أنت لا تريد الذهاب ... أم لا يمكنك ؟ " .

حاول مورتاج أن يبعد رجل سـفيرا عنـه ، ثـم استسلم وسـب ولعـن ثـم قـال : " لا أريـد الـذهاب إلى هنـاك ! سيتوقعون منى القيام بأمور لن أتمكن من القيام بها " .

" هل سرقت منهم شيئاً ؟ "

" يا ليت الأمر بهذه البساطة " .

شعر إيراجون أن صبره قد نفد فحرك عينيه وقال : " حسناً ، ما الأمر إذن ؟ هل قتلت شخصًا مهمًا فيهم أم ضاجعت زوجة أحدهم ؟ " .

قال مورتاج بغموض : " كلا ، خطيئتى هى أننى وُلدت " ، ثم حاول دفع رجل سفيرا فتركتهما معاً هذه المرة ، فقاما تحت مراقبتها ونفضا التراب من على ظهريهما .

قال إيراجون وهو يتحسس شفته المجروحة : " أنت تتجنب السؤال " .

صاح مورتاج : " وماذا فى ذلك ؟ ! " ، ثم سار بخطى ثقيلة نحو حافة المعسكر . بعد دقيقة واحدة تنهد وقال : " لا يهم سبب تورطى فى هذه المحنة ، لكنى أقول لك إن الفاردن لن يرحبوا بى حتى لو جئت لهم برأس الملك . قد يلقون علىّ التحية بشكل لائقٍ ويدرجونى ضمن اجتماعاتهم ، ولكن لن يثقوا بى أبدا . وإذا وصلت تحت ظروف أقل حظا مثل الظروف الحالية فغالبا سيكبلوننى بالأغلال " .

قال إيراجون : " ألن تخبرنى بالأمر كله ؟ لقد قمت أنا أيضًا بأشياء لا أفخر بها ، فلن أطلق عليك أى أحكام " .

هز مورتاج رأسه ببطء وكانت عيناه تلمعان وقال : " الأمر ليس هكذا . لم أفعل أى شىء أستحق عليه تلك المعاملة ، على الرغم من أنه من السهل التكفير عن أى ذنب قد أكون اقترفته ..... كلا ، فخطيئتى بالنسبة لهم هى

أننى موجود فى المقام الأول " ، ثم صمت لبرهة وأخذ نفسًا متقطعًا وقال : " إن أبى ــــ "

قاطعته سافيرا بفحيح حاد مفاجئ وقالت لإيراجون : " *انظر !* " .

تبعا نظراتها إلى جهة الغرب وشحب وجه مورتاج وقال : " ما الذى يحدث بحق السماء ؟! " .

على بعد فرسخ تقريباً ، مواز لسلسلة الجبال ، كان هناك طابور من الأشخاص يمشون بسرعة وبطريقة عسكرية جهة الشرق . كان الطابور يبدو وكأن به مئات من القوات القوية وطوله ميل واحد تقريبًا ، كان يتقدم هذا الطابور شخص يحمل لواء الجيش ويركب عجلة حربية سوداء اللون ، واللواء كان لونه أحمر قان . كان التراب يتناثر فى الهواء تحت أقدامهم ، وكانت أسلحتهم تلمع فى الضوء الخافت .

قال إيراجون فى قلق : " إنهم رجال الإمبراطورية ، لقد وجدونا ... بطريقة ما " . رفعت سفيرا رأسها أعلى من كفيه وحدقت إلى طابور الجنود .

قال مورتاج : " إنهم ليسوا رجالاً .... بل من وحوش الأورجال " .

" كيف علمت ذلك ؟ " .

أشار مورتاج إلى اللواء وقال : " العلم يحمل الرمز الشخصى لرئيس الأورجال ، وهو متوحش وبلا رحمة ، ويعانى من الجنون ونوبات العنف " .

" هل قابلته من قبل ؟ " .

ضاقت عينا مورتاج وقال : " مرة واحدة ، لفترة قصيرة ، ومازال فى جسدى آثار لجروح تلك المقابلة . قد لا يكون هؤلاء الأورجال مبعوثين وراءنا ، لكننى متأكد من أنهم رأونا الآن ، وسوف يتبعوننا ، رئيسهم ليس من النوع الذى يدع تنينا يفلت منه وخاصة بعدما سمعه فى جيلياد " .

هرع إيراجون إلى النار وأطفأها بالتراب وقال : " يجب أن نهرب ! لا بأس لو لم تأت معى إلى الفاردن ، لكنى أريد نقل آريا إليهم قبل أن تموت . إليك حل وسط : تعال معى حتى أصل إلى البحيرة التى تسمى " كوستا ميرنا " ثم تكون حرًا فى طريقك بعد ذلك " . تردد مورتاج فأضاف إيراجون بسرعة : " إذا تركتنى الآن على مرمى بصر هؤلاء الأورجال فسيتبعونك وستكون بمفردك فى مواجهتهم " .

قال مورتاج : " حسنا " ، ثم وضع حقائب السرج على ظهر حصانه تورناك وقال : " لكن عندما نقترب من الفاردن سأرحل " .

كان إيراجون يريد بشدة مناقشة مورتاج أكثر فى موضوع الفاردن ، لكن ليس مع اقتراب الأورجال ، فجمع أشياءه ووضع السرج على سنوفاير . رفرفت سفيرا بأجنحتها وطارت فى عجل ، وحدقت فى الهواء فى دوائر لكى تحرس مورتاج وإيراجون حتى يغادرا المعسكر .

" ما الاتجاه الذى يجب أن أطير إليه ؟ " .

" إلى الشرق بمحاذاة جبال بيور " .

ثبتت أجنحتها وتوقفت عن الحركة ثم صعدت فى حركة عمودية لأعلى ورفرفت فى عمود من الهواء الدافئ

وحلقت فى السماء فوق الخيل وقالت : " *إننى أتساءل ما الذى أحضر الأورجال إلى هنا . ربما تم إرسالهم لمهاجمة الفاردن* " .

قال لها : " *إذن لنحاول أن نحذر الفاردن* " ، وقاد سنوفاير مروراً بالعوائق التى كانت نصف مرئية . وعندما أرخى الليل سدوله ، اختفت جحافل الأورجال عن الأفق خلف السواد الحالك .

تضارب الرغبات

عندما جاء النهار ، كانت وجنتا إيراجون ملتهبتين من الاحتكاك مع رقبة سنوفاير ، وكان جسمه يؤلمه من العراك مع مورتاج ، تبادلا فترات النوم والاستيقاظ وهما على السروج طوال الليل ؛ مما ساعد على الابتعاد عن قوات الأورجال ، لكن لم يعرف كلاهما إذا ما كانوا سيستطيعون الحفاظ على المسافة التى تبعدهم عنهم أم لا ، كانت الخيل منهكة لدرجة تدعو للتوقف عن الترحال ، لكنهم ظلوا يرتحلون بنفس السرعة بلا هوادة . وسواء كانت المسافة تساعد على الهرب أم لا ، فإن ذلك يعتمد على مدى وقت الراحة لوحوش الأورجال ...وإذا ما كانت الخيل ستنجو من الموت تعبًا أم لا .

وكانت سلسلة جبال بيور تلقى بظلال ضخمة على الأرض مما يمنع عنها دفء الشمس ، كانت صحراء هاداراك تقع فى الشمال وتبدو كشريط أبيض نحيل لامع كالثلج فى النهار .

قالت سفيرا : *"يجب أن أتناول طعاماً . مرت أيام على آخر مرة قمت فيها بالصيد ، الجوع يكاد يمزق أحشائى . لو بدأت فى الصيد الآن فإنه يمكننى الإمساك بعدد من الغزلان المتقافزة للحصول على بضع لقيمات"* .

ابتسم إيراجون لمبالغتها وقال : *"اذهبى للصيد إذا كنت ترغبين فى ذلك لكن اتركى آريا هنا"* .

"سأعود سريعاً" ، فك إيراجون الإلف من بطن سفيرا ونقلها على سرج سنوفاير ، حلقت سفيرا لأعلى واختفت في اتجاه الجبال ، جرى إيراجون بجوار الخيل وبالقرب من سنوفاير ، بحيث يحوط آريا ويحول دون سقوطها . ولم يعد عراك الأمس يبدو مهماً بسبب الأورجال ، لكن الجروح التى خلفها كانت لاتزال موجودة .

صادت سفيرا عدة حيوانات فى خلال ساعة وأخبرت إيراجون ذهنياً بنجاحها . شعر إيراجون بالسعادة لأنها ستعود سريعاً لأن غيابها كان يجعله متوتراً .

توقفا عند بحيرة لكى تشرب الجياد . جلس إيراجون فى تراخ يقطع الأعشاب ويلفها بين أصابعه وهو يحدق إلى الإلف . هب فزعاً من حلم يقظته بسبب صوت معدنى حاد لسيف يخرج من غمده . وبالغريزة ، اتجه لسيفه زاروك وأمسكه واستدار بحثاً عن العدو . كان هناك فقط مورتاج الذى كان شاهراً سيفه طويل النصل وأشار للتل الذى أمامهما ، حيث يوجد رجل طويل يرتدى عباءة بنية اللون يجلس على فرسه وفى يده عصا كالصولجان . كان خلفه

مجموعة من عشرين فارساً ولم يتحرك أحد منهم . قال مورتاج : " هل يحتمل أن يكونوا من الفاردن ؟ " .

أعد إيراجون قوسه فى الخفاء دون أن يلاحظه أحد وقال : " وفقاً لما قالته آريا فإن منطقة الفاردن مازالت على بعد عشرات الفراسخ ، قد تكون هذه دورية عسس للاستطلاع أو مجموعة للإغارة " .

قال مورتاج : " هذا على فرض أنهم ليسوا لصوصاً " . ثم قفز إلى تورناك وجهز قوسه .

قال إيراجون : " هل نحاول الفرار منهم ؟ " ، ثم غطى آريا بغطاء لأنه ظن أن الفرسان رأوها وتمنى ألا يكونوا قد اكتشفوا أنها من الإلف .

قال مورتاج وهو يهز رأسه : " لن يفيد ذلك ، إن تورناك وسنوفاير جوادان رائعان يصلحان للعراك ، لكنهما فى شدة التعب ولا يركضان بسرعة ، بينما إذا نظرت لخيول الرجال فهى متخصصة فى الجرى والركض . سيمسكون بنا قبل أن نجرى لمسافة نصف ميل . كما قد يكون لديهم أخبار مهمة لنا ، من الأفضل أن تطلب من سفيرا أن تسرع بالعودة " .

كان إيراجون يقوم بذلك بالفعل ويشرح لها الموقف وقال لها محذراً : "*لا تظهرى نفسك إلا عند الضرورة . نحن لسنا فى الإمبراطورية لكنى مازلت لا أريد أن يعرف الناس بوجودك الآن*" .

قالت له : "*لا تفكر فى ذلك الآن ، تذكر أن السحر يحميك عندما لا تصلح معك السرعة أو الحظ*" . شعر بها تطير وتسرع إليهما وهى تكاد تقترب من الأرض .

كانت فرقة الرجال تراقبهم من أعلى التل .

أمسك إيراجون سيفه زاروك بعصبية وكان مقبضه المغطى بالسلك الملفوف محكماً في قبضة يده حيث كان يرتدى قفازه ، وقال بصوت خفيض : " إذا هددونا فإنه يمكنني إخافتهم بالسحر لكي يهربوا . وإذا لم تفلح الحيلة ، فهناك سفيرا . إني أتساءل ماذا سيكون رد فعلهم على وجود فارس من قادة التنين هنا ؟ لقد كانت هناك حكايات كثيرة عن قوتهم ...... قد يكون في ذلك الكفاية لتجنب القتال " .

قال مورتاج بصوت عادى بلا مشاعر : " لا تعتمد على ذلك ، فلو اضطررنا إلى القتال ، فإننا سنقتل كمًّا كافيًا منهم لنقنعهم أننا لا نستحق مجهود القتال " ، وكان وجهه يعلوه تعبير عادى وخال من المشاعر .

أشار الرجل بصولجانه ولم يتحرك بحصانه ، وأرسل بتلك الإشارة إلى الرجال الفرسان ناحيتهم . كان الرجال يهزون الرماح فوق رؤوسهم ويصيحون عند رفع سيوفهم ، وكانت أسلحتهم صدئة وملوثة . كان أربعة رجال منهم يحملون الأقواس والأسهم ويصوبونها نحو مورتاج وإيراجون .

لوح قائدهم بصولجانه في الهواء ورد رجاله بصيحات والتفوا في دائرة حولهما . هز إيراجون شفتيه بحركة لاإرادية وهم بإطلاق شعاع سحرى في وسط الرجال لكنه كبح جماح رغبته بالكاد . قال لنفسه : "*لا نعرف مقصدهم بعد*" ، ثم حاول احتواء خوفه المتزايد .

في اللحظة التى أصبح فيها الرجال يحيطون بإيراجون ومورتاج من كل جانب ، هجم القائد بحصانه وجاء إليهما ثم رفع يديه وفحصهما بعين ناقدة ، ثم رفع حاجبيه ثم قال : " حسناً ، هذان أفضل من الحثالة التى نجدها ! على الأقل حصلنا على أصحاء مثلهما ، ولم نضطر لقتالهما ، لابد أن جريج سوف يسر " ، ثم ضحك الرجال جميعاً .

عند سمع إيراجون لهذا الكلام شعر بالغثيان فى معدته والدوار . هاجمه شك كبير فى ذهنه وقال : *"سفيرا ....."*

قال القائد موجها حديثه إلى مورتاج وإيراجون : " بالنسبة لكما ، ألقيا أسلحتكما لكى لا نمزق جسديكما بالسهام ، ونحولكما لجراب سهام لرجالى " . فضحك رماة السهام وضحك الرجال الآخرون .

كانت الحركة الوحيدة التى فعلها مورتاج هى تحريك سيفه قائلاً : " من أنت ، وماذا تريد ؟ نحن رجال أحرار نسافر عبر البلاد . ليس لديك الحق فى إيقافنا " .

قال الرجل باحتقار : " لدىَّ كل الحق ، وبالنسبة لاسمى ، فإن الرقيق لا يخاطبون أسيادهم بهذا الأسلوب إلا إذا أرادوا التعرض للعقاب بالضرب " .

لعنهم إيراجون فى سره وقال : *"تجار رقيق !"* وتذكر بكل التفاصيل مشهد الرقيق فى المزاد فى مدينة دراس ـ ليونا ، فغلى الدم فى عروقه من الغضب وانتابه شعور من كره ومقت وتقزز .

قطب القائد جبينه وبرزت تجاعيد وجهه وقال : " ألقيا أسلحتكما واستسلما ! " ، شعر تجار الرقيق بالقلق وحدقوا إليهما بعيون باردة لأنهما لم يتركا أسلحتهما .

سرت الأشعة السحرية فى راحة يد إيراجون ، وسمع إيراجون حركة خرير وراءه ثم صوت رجل يلعن بصوت عال ، فشعر بالفزع واستدار بسرعة خاطفة .

كان أحد تجار الرقيق قد أزاح الغطاء عن آريا وكشف عن وجهها ، ثم شهق وحدق إليهما فى دهشة ثم صاح : " أيها القائد توركنبراند ، إنها من الإلف ! " .

تحرك الرجال من الدهشة وحث زعيمهم حصانه للتقدم نحو سنوفاير ثم نظر إلى أسفل إلى آريا وصفر فى دهشة .

قال أحدهم : " حسناً ، ما سعرها فى سوق الرقيق ؟ " .

ظل توركنبراند صامتاً للحظة ثم فرد ذراعيه وقال : " على الأقل ؟ ثروة ضخمة وهائلة ، ستدفع الإمبراطورية جبلاً من الذهب ثمناً لها ! " .

صاح تجار الرقيق من فرط الإثارة وضربوا ظهر بعضهم البعض فى ابتهاج ، زأر إيراجون فى ذهنه بينما هبطت سفيرا أثناء طيرانها بحيث صارت فوق الرؤوس . صاح إيراجون لها ذهنياً : " هاجميهم الآن لكن دعيهم يهربون إذا استطاعوا ذلك " . فى الحال أغلقت جناحيها وهبطت لأسفل . لفت إيراجون انتباه مورتاج بإشارة حادة ففهمها مورتاج وضرب أحد الرجال بمرفقه فى وجهه ، فأسقطه من على حصانه ثم حث تورناك على الركض بهزة من كعبه على جانب الحصان .

رفع تورناك شعر رأسه لأعلى وانطلق كفرس حرب أصيل إلى الأمام ولف فى دوائر وشب على قائمتيه الخلفيتين ، وأخذ مورتاج يلوح بسيفه بينما كان تورناك

يتقدم ويتقهقر حتى ركل الرجل الذى وقع من على حصانه فى ظهره فصرخ من الألم .
قبل أن يفيق باقى تجار الرقيق من الذهول والصدمة ، خرج إيراجون من بينهم وسط المعمعة ورفع يديه وقال كلمة من اللغة القديمة ، فامتلأت الأرض بكرات نارية زرقاء اللون وسط المعمعة وإلى قطرات ذائبة كالنافورة والتى تبخرت كالندى فى الشمس . بعد ثانية واحدة ، هبطت سفيرا من السماء وحطت على الأرض بجواره ، وكشفت عن مخالبها وكشرت عن أنيابها الضخمة وصاحت وزمجرت ، ثم صاح إيراجون وسط الفزع الذى سببه : " أنا من الفرسان قادة التنين ! " ، ثم لوّح بسيفه زاروك فوق رأسه ، وكان النصل الأحمر يلمع فى ضوء الشمس ، ثم أشار بالسيف وأشهره ناحية تجار الرقيق وقال : " اهربوا لتنجوا بحياتكم ! " .
صاح الرجال وزاد الهرج والمرج والصخب وتسابقوا للهرب والنجاة لدرجة أنهم دهسوا بعضهم البعض أثناء الهروب والتقهقر السريع . وفى هذا اللغط ، أصيب توركنبراند فى صدغه بسن الرمح فسقط على الأرض وهو مذهول ، تجاهل الرجال زعيمهم الذى سقط وأسرعوا إلى الهرب فى شكل غير منتظم وهم ينظرون إلى سفيرا فى فزع .
حاول توركنبراند النهوض ونزف صدغه بالدماء التى سالت حتى خده بألسنة من اللون الأحمر القانى . ترجل مورتاج عن فرسه وسار نحوه بالخطى الواسعة وفى يده السيف . رفع توركنبراند ذراعه بضعف وكأنه يريد اتقاء

الضربة . حدق مورتاج إليه في برود ثم هوى بالسيف على عنقه . صاح إيراجون : " كلا ! " ، لكن فات الأوان .

سقط جذع جسده الذى انفصلت عنه الرأس على الأرض ونتج عن السقطة انتشار التراب حولها . سقط رأسه بصوت ارتطام ثقيل . هرع إيراجون نحو مورتاج وكان فكه يتحرك بشكل لاإرادى بسبب شدة الغضب وصاح به : " هل فقدت عقلك ؟ " ، وصرخ في وجهه : " لماذا قتلته ؟ " .

مسح مورتاج نصل سيفه على ظهر معطف توركنبراند ، وترك النصل بقعة داكنة ، ثم قال مورتاج : " لا أرى سبباً لانزعاجك ـــ " .

صاح به إيراجون : " انزعاجي ! أنا أكثر من مجرد منزعج ! لماذا لم يخطر ببالك أنه كان يمكننا تركه هنا ونكمل رحلتنا ؟ كلا ! بدلاً من ذلك تتحول إلى جلاد وتقطع رأسه . لقد كان أعزل ! " .

بدت الحيرة على مورتاج من غضب إيراجون وقال : " حسناً ، لم نكن لنتركه ـ فهو خطير . كما أن الآخرين هربوا ..... ولو كان معه حصان لهرب هو الآخر . لم أرغب أن يجده الأورجال ويعرفوا منه وجود آريا لذلك فكرت في ـــ " .

قاطعه إيراجون قائلاً : "*لذلك فضلت أن تقتله ؟* " شمت سفيرا الرأس المفصول في فضول وفتحت فمها قليلاً وكأنها ستأكلها ، ثم بدت وكأنها عدلت عن رأيها وسارت نحو إيراجون .

قال مورتاج : " كنت أحافظ على حياتي فقط ، لا توجد حياة شخص غريب أهم من حياتي " .

صاح إيراجون : " لكنك لا يمكنك أن تسرف في سفك الدماء والعنف بلا حساب . أين مشاعرك ؟ " ، ثم أشار لرأسه .

" مشاعر ؟ أى مشاعر سأكنها لأعدائى ؟ هل أتردد في الدفاع عن نفسي لكيلا أتسبب في إيلام الآخرين ؟ لو كان يجب أن أفعل ذلك لصرت في عداد الموتى منذ سنوات طويلة ! يجب أن تحمي نفسك وما تحب مهما كان الثمن " .

وضع إيراجون السيف زاروك في غمده وهز رأسه بعنف وقال : " يمكنك تبرير أى فعل وحشي أو جريمة نكراء بذلك المنطق " .

صاح مورتاج : " هل تظنني أستمتع بذلك ؟ كانت حياتي ولاتزال مهددة منذ يوم ولادتي ! كل ساعات استيقاظي قضيتها في تجنب الخطر بشكل أو بآخر . ولم يكن النوم يراودني بسهولة بسبب أنني أقلق دائماً وأتساءل هل سأعيش حتى أرى فجر اليوم التالى أم لا . لم أشعر بالأمان قط طيلة حياتي ، وإن كان قد حدث ، فقد كان عندما كنت في رحم أمي ، على الرغم من أنني لم أكن بأمان حتى وأنا جنين ! أنت لا تفهم ـ لو كنت عشت الخوف الذى أعيشه لكنت قد تعلمت الدرس الذى تعلمته أنا : لا تترك أى شيء للمصادفة " ، ثم أشار إلى جسد توركنبراند قائلا : " كان مجازفة ومخاطرة استأصلتها ، وأرفض أن أندم على ذلك ولن أضايق نفسي على ما فات وانقضى " .

نظر إيراجون إلى مورتاج وجها لوجه عن قرب وقال : " لاتزال مخطئا لما فعلته ، لم يكن الخيار المناسب " ، ثم ربط آريا في بطن سفيرا ثم امتطى صهوة سنوفاير وقال :

" لنذهب " . ووجّه مورتاج تورناك حول جسد توركنبراند المبتور والتراب المخلوط ببقع الدماء .

سارا بمعدل سرعة كان يظنه إيراجون أنه من ضروب المستحيل ، فمنذ أسبوع قطعوا الفراسخ فى سهولة وكأن أقدامهم قد نبت لها أجنحة . اتجها للجنوب بين كتلتين ممتدتين من جبال بيور على شكل ذراعين وإن كانتا أشبه بفكى كماشة أوشكت على الانغلاق ، ولكن القمتين كانت بينهما مسافة مسيرة يوم . لكن المسافة بدت أقل بسبب الحجم الهائل للجبال ، وكانوا يسيرون فى وادٍ كأنه مخصص لمرور العمالقة .

عندما توقفا فى نهاية اليوم ، تناولا العشاء فى صمت ورفضا النظر لبعضهما البعض . بعد قليل ، قال إيراجون بحدة : " سآخذ أول نوبة حراسة " . أومأ له مورتاج ونام مستلقياً على الأغطية وأعطى ظهره لإيراجون .

قالت سفيرا : "*هل تريد مناقشة الأمر معى ؟*"

همس إيراجون قائلاً : *ليس الآن ؛ أعطينى بعض الوقت لكى أهدأ وأفكر فأنا أشعر ...... بالحيرة .*

قطعت تواصلها الذهنى معه بلمسه رقيقة منها وهمست قائلة : "*أحبك أيها الفتى*" .

قال لها : "*وأنا أيضاً* " ، ثم تكورت حوله لتنام وتعطيه جزءاً من دفئها ، فظل جالساً بلا حراك فى الظلام وهو يصارع شعوره بالانزعاج .

الهروب عبر الوادى

فـى الصـباح ، طـارت سـفيرا بـإيرجوان وآريـا . أراد إيراجون الابتعاد عن مورتاج وعدم رؤيته لفترة من الوقت . ارتعش إيراجون فتدثر بملابسه وضمها إلى جسـده ، حيـث بدت السـماء وكأنهـا سـتمطر ثلجـاً . صـعدت سـفيرا أثنـاء طيرانها بشكل عمودى وببطء ثم قالت : " *فيم تفكر ؟* "

كان إيراجون يفكر فى جبال بيور التـى كانـت شـامخة فوقهما على الرغم من علو ارتفاع سفيرا عن الأرض . قال لها إيراجـون : "*ما حدث بالأمس ليس له سوى اسم واحد : جريمة قتل* " .

مالت سفيرا نحـو اليسـار وقالـت : "*كان فعلاً أرعن ولم يتم التفكير فيه كما يجب لأن مورتاج كان يحاول أن يفعل الصواب ، تجار الرقيق يستحقون هذا الجزء ويستحقون كل مصيبة تسقط على رؤوسهم . ولو لم أكن ملتزمة بمساعدة آريا لكنت طاردتهم جميعاً ومزقتهم إرباً إرباً !* "

قال إيراجون ببؤس شديد : "*نعم ، لكن توركنبراند كان أعزل ولم يتمكن من حماية نفسه أو يتمكن من الركض . ربما بعد لحظة كان غالباً سيستسلم ، لكن مورتاج لم يعطه الفرصة لذلك . لو كان يمكنه المقاومة والقتال لما كان الأمر بهذا السوء .*

" *إيراجون ، حتى لو قاتل توركنبراند ، لكانت النتيجة واحدة . إنك تعرف كما أعرف أن قليلاً من الناس لا يضاهونك أنت ومورتاج في القتال بالسيف . وكان بالتالي سيموت ، وربما تظن أنت أنه سيموت بطريقة عادلة أو محترمة في نزال غير متكافئ* " .

قال لها : "*لا أعرف أين الصواب !*" ، وشعر باليأس والحزن ثم أردف قائلاً : "*لا توجد إجابات مقنعة ولها معنى*" .

قالت سفيرا برقة : "*أحياناً لا توجد إجابات ولذلك تعلم ما يمكنك تعلمه عن مورتاج من هذا الموقف ثم سامحه ، وإن لم تستطع ، فعلى الأقل انس ذلك الأمر لأنه لم يقصد أي أذى ، مهما كانت سرعة ورعونة تصرفه ، هل مازالت الأفكار تتضارب في رأسك ؟*" .

عبس إيراجون وهو يتحرك على السرج واهتز وانتفض كالحصان الذي يحاول التخلص من ذبابة ، ثم تفقد موقع مورتاج عبر كتف سفيرا عندما لفت انتباهه فجأة رقعة ملونة أمام الطريق على مسافة طويلة .

كان الأورجال يعسكرون بجانب جدول عبروه بالأمس في وقت متأخر . زادت سرعة ضربات قلب إيراجون . كيف تمكن الأورجال من اللحاق بهم على الرغم من أنهم يسافرون

سيراً على الأقدام ؟ رأت سفيرا هؤلاء الوحوش أيضاً وأغلقت جناحيها ومالت نحو الأرض لكى تهبط وهى تشق الهواء ، وقالت : "*لا أظنهم عرفوا مكاننا* " .

تمنى إيراجون ذلك ، ثم ضيق عينيه من سرعة الهواء المندفع وهى تهبط بزاوية وبسرعة أكثر ، وقال : " *لابد أن زعيمهم يجعلهم يسيرون بسرعة مهولة وفائقة* " .

"*نعم ـ ربما سيموتون جميعاً من الإجهاد* "

وعندما هبطوا ، قال مورتاج بطريقة فظة : " ما الأمر ؟ " .

قال إيراجون : " الأورجال سبقونا ، ثم أشار إلى جهة معسكرهم " .

قال مورتاج وهو يرفع يديه إلى السماء لقياس عدد الساعات الباقية قبل الغروب : " إلى أى مدى تريد أن تذهب من هنا ؟ " .

" في المعتاد ؟ ..... ربما خمسة أيام أخرى . وبسرعة انتقالنا هذه ، ربما نستغرق ثلاثة أيام فقط . إذا لم نصل غداً للمكان المنشود فسيلحق بنا الأورجال ، وستموت آريا حتماً " .

" قد تعيش يوماً آخر " .

قال إيراجون : " لا يمكن الاعتماد على ذلك ، هذه فرصتنا الوحيدة " .

ضحك مورتاج فيٍ مرارة وقال : " كيف تتوقع أن نفعل ذلك ؟ لقد قضينا أياماً طويلة بدون الحصول على قسط كاف من النوم . إلا إذا كان الفرسان قادة التنين مخلوقين من مادة أخرى غير التى خلق منها البشر ، فأنت تشعر بالتعب

مثلي . لقد قطعنا مسافة هائلة منهكة والخيل على وشك السقوط من فرط الإعياء . ويوم آخر على هذه الحال ، فإننا سنُقتل جميعًا " .

هز إيراجون كتفيه بلا اكتراث وقال : " فليكن ما يكون ، ليس لدينا خيار آخر " .

حدق مورتاج إلى الجبال وقال : " كان يمكنني أن أتركك وأرحل وأنت على ظهر سفيرا ..... وكان هذا سيجبر الأورجال على تقسيم قواتهم مما كان سيتيح لك فرصة أكبر للوصول إلى الفاردن " .

قال إيراجون وهو يعقد ذراعيه : " هذا سيكون بمثابة انتحار ، فبطريقة أو بأخرى ، هؤلاء الأورجال أسرع سيراً على الأقدام مقارنة بنا على الخيل . إنهم يجرون كالغزلان . والطريقة الوحيدة لتجنبهم هي أن نجد الملاذ لدى الفاردن " . وعلى الرغم من كلامه هذا ، فإنه لم يكن متأكداً هل يريد أن يبقى مورتاج معه أم لا . قال إيراجون لنفسه : *"أنا معجب بذلك الفتى ، لكني لم أعد متأكداً أن هذا شيء جيد أم لا "* .

قال مورتاج فجأة : " سأهرب لاحقاً ، عندما نصل للفاردن يمكنني الاختباء في وادٍ جانبي وأجد طريقي إلى سوردا ، حيث يمكنني الاختباء بدون لفت الأنظار " .

" إذن ستبقى معي ؟ " .

وعده مورتاج قائلا : " سواء حصلنا على قسط وافر من النوم أم لا ، فسأوصلك إلى الفاردن " .

مع هذا الإصرار الجديد ، حاولا بكل قوة إبعاد نفسيهما عن الأورجال ، لكن مطاردوهم استمروا فى الزحف نحوهم واقتربوا كثيراً ، وعندما أرخى الليل سدوله ، كان وحوش الأورجال أقرب لهم بمقدار ثلث المسافة مقارنة بالصباح . وقد أنهك التعب قوة إيراجون ومورتاج وناما بالتناوب على ظهر الخيل ، والمستيقظ منهما كان يقود الخيل فى الاتجاه الصحيح .

اعتمد إيراجون اعتمادًا تامًا على ذكريات آريا لكى تقوده عبر الطريق . وبسبب الطبيعة الغريبة لذهنها ، كان أحياناً يخطئ ويضل الطريق ؛ مما كان يكلف الجميع وقتاً ثميناً . وبالتدريج ، جنحوا إلى سفح الجبال من ناحية الذراع الشرقى ، بحثاً عن الوادى المؤدى إلى الفاردن . جاء منتصف الليل وولى بدون أن يجدوا الوادى المنشود .

عندما بزغت الشمس فى صباح اليوم التالى ، شعرا بالسرور لابتعادهما عن الأورجال بمسافة كبيرة . تثاءب إيراجون بصوت عال وفغر فاه عن آخره وقال : " هذا هو آخر يوم ، لو لم نكن قد اقتربنا من الطيران إلى الفاردن بحلول الظهيرة ، فإننى سأطير مع آريا ، وستكون حراً للذهاب حيثما تريد حينئذٍ ، لكنك ستضطر لأن تأخذ سنوفاير ، فلن أتمكن من العودة من أجله " .

قال مورتاج : " لا داعى لذلك ؛ سنصل فى الوقت المناسب " ، ثم حك مقبض سيفه .

هز إيراجون كتفيه بلا اكتراث وقال : " ربما " ، ثم ذهب لآريا ووضع يده على جبهتها وكانت رطبة وساخنة

بشكل خطير ، كانت عيناها تتحركان بشكل يدعو للقلق تحت أجفانها ، وكأنها ترى كابوساً أثناء الغيبوبة . وضع إيراجون الكمادات على جبهتها وتمنى لو كان فى استطاعته أن يفعل أكثر من ذلك للمساعدة فى شفائها .

فى وقت متأخر من الصباح ، بعد أن ساروا حول جبلٍ واسع بشكل خاص ، رأى إيراجون واديًا ضيقاً ملتصقاً بجانبه البعيد ، كان هذا الوادى ضيقاً جداً لدرجة أنه يمكن أن يغفل عنه الناس المارة من هنا ، وكان هذا هو النهر الذى ذكرته آريا ، نهر بيرتوث ، كان يتدفق منه وينحنى فى مجراه بشكل غير منتظم عبر الأرض . ابتسم إيراجون فى راحة ، لأنه كان هذا هو المكان الذى أراد الذهاب إليه .

نظر إيراجون خلفه وانزعج عندما وجد أن المسافة بينهما وبين الأورجال قد تقلصت حتى صارت أكثر من فرسخ واحد بقليل . أشار لمورتاج بمكان الوادى وقال : " إذا دلفنا إليه بدون أن يرانا الأورجال فسيصيبهم ذلك بالحيرة " .

بدا الشك على وجه مورتاج قائلاً : " الأمر يستحق المحاولة لكنهم اتبعونا بكل سهولة حتى الآن " .

عندما اقتربا من الوادى ، مرا تحت فروع معقدة ومتشابكة لغابة جبال بيور ، كانت الأشجار طويلة ولها لحاء متشقق وكان لونه أسود ، وكانت إبر الشجر غير مسنونة ولها نفس اللون ، وكانت لها جذور ضخمة مستديرة ترتفع عن التربة كالركبة العارية ، كانت الأرض مغطاة بالقمع المخروطية للصنوبر وكل قمع فى حجم رأس

الحصان . كانا يسمعان صوت السناجب ذات الفراء على قمم الأشجار ، وكانت الحفر المنحوتة فى جذوع الأشجار بها عيون لامعة لساكينها من الحيوانات ، كانت الفروع القديمة المجعدة للأشجار تتدلى منها أوراق متشابكة ومتهدلة .

لم تترك الغابة انطباعًا جيدًا لدى إيراجون الذى توجس خيفة مما حوله ؛ وكان يرتعد من الخوف . كان الجو تسوده مشاعر العداوة وكأن الأشجار مستاءة من كونهم دخلاء على المكان . قالت سفيرا وهى تلمس جذعًا بأنفها : " *الأشجار عتيقة جدًا هنا* " .

قال لها إيراجون : " نعم ، لكنها لا تبدو ودودة " . زادت كثافة الغابة أكثر كلما توغلوا فيها . وكان عدم وجود مساحة كافية للسير قد أجبر سفيرا على الطيران بآريا . وكان وجود طريق ممهد ، فإن مورتاج وإيراجون سارا ببطء بسبب الشجيرات الخشنة المنتشرة من حولهما . كان نهر بيرتوث يلتف فى مجراه ويملأ الهواء بصوت خرير الماء . كانت هناك قمة مرتفعة تحجب ضوء الشمس وبدا الجو وكأنه قبيل الغروب .

فى فم الوادى أدرك إيراجون أنه على الرغم من أنه بدا كفتحة صغيرة بين القمم ، فإنه كان واسعًا مثل كثير من وديان سباين ، لكن الحجم الضخم الهائل للجبال ذات الأخاديد والظلال الضخمة جعلت الوادى يبدو ضيقاً . كانت المساقط المائية منتشرة بكثرة على جانبى الوادى ، وبدت السماء كشريط نحيل متعرج فوقهم ، على الرغم من أن معظمها مغطى بالسحب الداكنة . كانت التربة لها رائحة كريهة ورطبة ويتصاعد منها الضباب الثقيل الذى يجعل

الجو بارداً وزفيرهم واضحًا . كانت الفراولة والتوت البرى تنمو ين مساحات من العثة والأعشاب الخضراء ، وتحارب من أجل الحصول على ضوء الشمس القليل ، وكان هناك أنواع من الفطريات الحمراء والصفراء تنمو على أكوام الخشب المتعفن .

ساد الهدوء وغلف المكان ؛ حيث كانت الأصوات تبدو مكتومة بسبب الهواء شديد الكثافة . هبطت سفيرا بجوارهما في منطقة واسعة قريبة خالية من الأشجار ، ورفرفة أجنحتها كانت بلا صوت وكان ذلك شيئاً غريباً . مالت برأسها ودارت بها لتستكشف ما حولها ثم قالت : *" رأيت سرباً من طيور سوداء وخضراء وبها بقع حمراء على أجنحتها . لم أر مثل هذه الطيور من قبل "* .

قال إيراجون : *" كل شىء فى هذه الجبال يبدو غير مألوف . هل تمانعين لو امتطيتك قليلاً ؟ أريد متابعة الأورجال "* .

" بالطبع " .

قال مورتاج : " الفاردن مختبئون فى نهاية هذا الوادى . لو أسرعنا فسنصل قبل حلول الليل " .

صاح مورتاج في ضجر ووضع يده حول وسطه وقال : " كيف سأخرج من هنا ؟ لا أرى أودية متشعبة من هذا الوادى ، وسرعان ما سيلحق بنا الأورجال . أحتاج لطريق للهرب " .

قال إيراجون وقد نفد صبره : " لا تقلق بشأن ذلك ، إنه واد طويل وبالتأكيد هناك مخرج منه . ثم فك آريا من سفيرا ووضعها على سنوفاير ثم قال : " راقب آريا ، سأطير

بسفيرا وسنوافيك لاحقاً " . ثم امتطى سفيرا وربط أحزمة السرج .

قال مورتاج محذراً : " احترس وخذ حذرك " ، ثم تجعدت جبهته من التفكير ، ثم أمسك بزمام الخيل وواصل مسيرته داخل الغابة .

وعندما قفزت سفيرا نحو السماء قال إيراجون : " *هل تظنين أنه بإمكانك التحليق فوق إحدى القمم ؟ فبذلك نتمكن من معرفة مكان وصولنا الذى نبغيه ، كما أننا سنمهد الطريق لمورتاج ، لا أريد الاستماع لتذمره وشكواه عبر جنبات الوادى* " .

قالت سفيرا : " *سأحاول لكن الجو سيكون أكثر برودة* " .

" *أنا أرتدى ملابس ثقيلة* " .

قالت سفيرا : " *إذن ، تمسك بى جيداً !* " ، ثم طارت لأعلى فجأة مما جعله يتراجع للوراء فى السرج رغمًا عنه . رفرفت أجنحتها بسرعة وبقوة ورفعت وزنها ووزنه لأعلى ، فتقلص شكل الوادى تحتهما إلى مجرد خط أخضر نحيل . كان نهر بيرتوث يلمع تحتهما مثل خط فضى حيث يعكس الضوء .

ارتفعا حتى شقا عنان السماء واخترقا السحب ، ثم كانت الرطوبة الباردة كالثلج تغلف الجو الذى كان متشبعًا بها . غلفتهما سحابة داكنة هلامية الشكل مما أعاق الرؤية حتى مسافة ذراع . تمنى إيراجون ألا يصطدما بأى شىء وسط الضباب والغيوم . هز يده فى الهواء من باب التجربة فتكثف الماء على يده وسار حتى ذراعه مما بلل أكمامه .

مرت كتلة رمادية غير محددة الملامح عبر رأسه ، ثم لمح حمامة وكانت أجنحتها ترفرف بسرعة مخيفة وكان حول رجلها شريط أبيض . هاجمت سفيرا الحمامة وأخرجت لسانها وفتحت فكها لابتلاعها . صاحت الحمامة عندما غرزت سفيرا أسنانها في ذيلها ، ثم طارت واختفت في الضباب واختفى صوت رفرفة جناحيها المحموم بالتدريج حتى ساد الصمت .

عندما صعدا فوق السحاب ، كانت حراشيف سفيرا مغطاة بآلاف القطرات من الماء التي تعكس قوس قزح صغيرًا لامعًا بسبب زرقة حراشيفها . هز إيراجون نفسه وانتفض لطرد الماء من ملابسه ثم ارتعش . لم يعد يتمكن من رؤية الأرض ، بل تلال السحب التي تتسلل بين الجبال .

كانت الأشجار تفسح الطريق فوق الجبال لأنهار الثلوج السميكة وكانت تحت ضوء الشمس لها ألوان زرقاء وبيضاء . وقد أجبر لمعان الثلج إيراجون على غلق عينيه وعندما حاول فتحهما بعد دقيقة زاغت عيناه من الضوء ، فشعر بالضيق وحدق إلى كوعه من الداخل ثم قال : " *كيف تتحملين هذا الضوء المبهر؟* " .

" *عيناي أقوى من عينيك* " .

كان الجو متجمداً للغاية ، وقد تجمد الماء في شعر إيراجون ، مما أعطاه شكلاً لامعاً وكأنه يرتدى خوذة . كانت ملابسه المكونة من قميص وبنطال متصلبة على أطرافه . وأصبحت حراشيف سفيرا ناعمة ولامعة بسبب الثلج . تكونت إبر ثلجية على جناحيها . لم يطيرا معاً على

هذا الارتفاع من قبل ، لكن كانت قمم الجبال لا تزال أعلى منهما بمسافة أميال .

بطأت سفيرا من حركة أجنحتها ، وأصبحت تتنفس بصعوبة . شهق إيراجون لأن الهواء كان شديد الكثافة ولم يعد كافياً للتنفس . أمسك بعنق سفيرا وقاوم الخوف والفزع وحاول أن يمسك أشواك عنقها لكي يوازن نفسه .

قال لها : *" يجب أن ...... نخرج من هنا "* ، ورأى أمام عينيه الزائغتين نقاطاً حمراء متراقصة ثم قال بضعف : *" لا يمكنني .... التنفس "* . بدا وكأن سفيرا لم تسمعه ، فكرر لها الرسالة بصوت أعلى ، ومرة أخرى لم تره . قال لنفسه : *"لابد أنها لم تسمعني "* ، ثم ترنح ووجد أن التفكير صعب جداً الآن ، ثم طرق على جانبها وصاح : *"أنزليني ! "*

لكن المجهود جعله يشعر وكأن رأسه خفيف ثم شعر بالدوار ولم يعد يرى أى شيء .

استعاد وعيه عندما أصبحت سفيرا تحت السحب وكان رأسه يطن فقال : *" ما حدث ؟ "* ونهض ونظر حوله في حيرة .

" لقد أغمى عليك " .

حاول أن يتحسس شعر رأسه بأصابعه فوجد قطع الثلج العالقة به فتوقف وقال : *" نعم أعلم ذلك ، لكن لماذا لم تتواصلي معي ذهنياً قلبها ؟ "* .

" كان عقلي مشوشًا ، وكانت كلماتك بلا معنى بالنسبة لي ، وعندما فقدت وعيك علمت أن ثمة خطأ قد

حـدث فهبطت ، لكـن لم أهـبط كـثيراً واكتشـفت مـا حدث بسرعة " .

قال إيراجون وهو يضحك بعصبية : " جيـد ، إنـك لم تفقدى وعيك أيضاً " هزت سفيرا ذيلها فقط فى الهواء . نظر بأسـى لقمـم الجبـال التـى غطتهـا السـحب الآن وقـال :
" خسارة أننا لم نقف على إحدى القمم .... الآن نعرف أنه لا مخرج من الوادى إلا من مدخله . لماذا نفد الهواء فجأة ؟ ولماذا يوجد هواء تحت السحب ولا يوجد فوقها ؟ " .

"لا أعـرف ، لكنـى لـن أجـرؤ أبـداً بعـد الآن علـى الطيران بالقرب من الشمس مرة أخرى . يجب أن نتذكر هذه التجربة ، فتلك المعلومة قد تفيد عندما نحارب فارسًا آخر من قادة التنين " .

قـال إيراجـون : *"أتمنـى الا يحـدث ذلك أبداً ، لنظـل بالأسـفل الآن ، لقـد نلـت كفـايتى مـن المغـامرة ليـوم واحد " .*

طارت مـع تيـارات الهـواء الخفيفـة وتنقلـت مـن جبـل لآخر ، حتى وجد إيراجون أن جـيش الأورجـال وصـل لفـم الوادى ، فقال : *" ما الذى يجعلهم يسيرون بهذه السـرعة ، وكيف يتحملونها ويواصلون السير بها ؟ " .*

قالـت سـفيرا : *"اقتربـوا منـا كـثيراً ، ويمكننـى رؤيتهم ، إنهم أكبر من الأورجال الذين قاتلناهم مـن قبـل . أى رجل طويل لـن يصـل حتـى إلى صـدورهم وأكتـافهم . لا أعـرف مـن أيـن جـاءوا ، لكـن لابـد أنـه مكـان متـوحش ليفرز هؤلاء المتوحشين " .*

حملق إيراجون في الأرض تحته ـ لم يتمكن من رؤية التفاصيل التي رأتها : " *لو واصلوا هذه السرعة ، فسيلحقون بمورتاج قبل أن نصل نحن للفاردن* " .

" تمسك بالأمل ، قد تعوق الغابة تقدمهم ..... هل يمكنك إيقافهم بالسحر ؟ " .

هز إيراجون رأسه بالنفي : " إيقافهم ... كلا ، لا يمكن لأن عددهم كبير جداً " . ثم فكر في طبقة الضباب الخفيفة على أرضية الوادي وابتسم قائلا : " لكني قد أعطلهم قليلا " . ثم أغمض عينيه واختار الكلمات اللازمة وحدق إلى الضباب وصاح : جاث اون ويزا دو راكر ! "

ساد الهرج والمرج بالأسفل . بدا المشهد من فوق وكأن الأرض تطفو ويتدفق ما بها كنهر عظيم يتحرك ببطء . تجمعت أمام الأورجال أحزمة سميكة من الضباب وتحولت إلى حائط ضخم مرعب وحالك السواد . تردد الأورجال أمامه وأصابتهم الحيرة ، ثم تقدموا عبر الحائط الضبابي كالعمود الضخم الذي يحطم الأبواب . دار الحائط حولهم وأخفى مقدمة الجيش وحجبها عن مجال الرؤية .

فقد إيراجون كمية كبيرة ومفاجئة من القوة والطاقة ؛ مما جعل قلبه يخفق بشدة كالطائر الذي يحتضر ، فشهق ودارت عيناه ، ثم حاول أن يفصل السحر عنه ـ أي أن يغلق الفتحة التي تسحب روحه وقوته . وبصيحة متوحشة ، انفصل عن السحر ، وخرجت إشعاعات السحر من ذهنه كالثعابين بلا رؤوس ، ثم تراجعت ببطء من عقله الواعي ، وهي تمسك بآخر قواه . تبدد في الهواء جدار الضباب ، ثم

انهار الضباب ببطء على الأرض كبرج من الطين ينهار . ولم يتم تعطيل الأورجال كلية " .

استلقى إيراجون بضعف على سفيرا وهو يلهث . تذكر الآن فقط كلمات بروم : " السحر يتأثر بالمسافة مثل السهم أو الرمح . إذا حاولت رفع أو تحريك شىء من على بعد ميل ، فستسحب طاقة أكبر من الأشياء القريبة " . قال لنفسه بكآبة : *" لن أنسى ذلك مطلقاً مرة أخرى "* .

قالت سفيرا : *" لم تكن لتنساها فى المقام الأول . أولاً : الرمال فى جيلياد والآن هذا . ألم تنتبه لما قاله بروم ؟ ستقتل نفسك لو استمررت فى ذلك "* .

قال لها وهو يحك ذقنه : *" لقد كنت منتبهاً لكن هذه كانت مرة واحدة أخطأت فيها ولم تتح لى الفرصة للتراجع فيها . لم أستخدم من قبلها السحر من على بعد ، فكيف كنت سأعرف أن الأمر صعب إلى هذه الدرجة ؟ "* .

صاحت فيه : *" وفى المرة القادمة ستحاول إحياء الموتى ! لا تنس ما قاله بروم عن ذلك أيضاً "* .

قال لها وقد نفد صبره : *" لن أنسى "* . هبطت سفيرا على الأرض وهى تبحث عن مورتاج والخيول . كان إيراجون يريد مساعدتها لكن خارت قواه وبالكاد تمكن من الجلوس بثبات على ظهرها .

حطت سفيرا عند حقل صغير بحركة سريعة وشعر إيراجون بالحيرة عندما رأى الخيل متوقفة ومورتاج يجثو على ركبتيه ويفحص الأرض . وعندما لم ينزل إيراجون ،

هرع مورتاج إليه وقال : " ما الخطب " ، وكان صوته ينم عن الغضب والقلق والتعب في نفس الوقت .

قال إيراجون بصراحة : " ارتكبت خطأ " ..... لقد دخل الأورجال الوادى وحاولت تعطيلهم ، لكننى نسيت إحدى قواعد السحر مما جعل قواى تخور " .

قال مورتاج عابساً وهو ينظف عن ملابسه الطين : " لقد وجدت آثارًا للذئاب هنا ، لكن آثار الأقدام هنا أكبر من يدى المضمومتين وعمقها بوصة واحدة . توجد هنا حيوانات قد تكون خطيرة جداً حتى بالنسبة إليك يا سفيرا " ثم وجه حديثه لها : " أعلم أنك لن تتمكنى من دخول الغابة لكن هل يمكنك الطيران فوقنا وفوق الخيل ؛ هذا سيخيف الوحوش ويبعدهم عنا ، وإلا فإن ما سيتبقى منى بعد أن يلتهمونى سيتم شواؤه على الكستبان " .

قال إيراجون : " أمازلت تحتفظ بروح الدعابة يا مورتاج ؟ " وابتسم في وجهه ، وارتعشت عضلاته وفقد تركيزه ووجد أنه من الصعب أن يركز .

قال مورتاج وهو يحك عينيه : " فقط فى أحلك المواقف ، لا يمكن أن أصدق أن الأورجال كانوا يتبعوننا طوال الوقت . لابد أن لهم أجنحة طيور ليلحقوا بنا " .

قال إيراجون : " قالت سفيرا إن حجمهم أكبر من الأورجال الذين رأيناهم من قبل " .

لعنهم مورتاج وأطبق على مقبض سيفه وقال : " هذا يوضح الأمر ! لو كانت سفيرا على حق فإن هؤلاء هم الكول ، وهم صفوة أنواع وحوش الأورجال . كان ينبغى أن أخمن أن زعيمهم يتولى التحكم فيهم ، وهم لا يركبون

الخيل بسبب وزنهم الثقيل ـ لا أحد منهم أقصر من ثمانى أقدام ـ ويمكنهم الركض لأيام بلا نوم ويكون مستعدين للقتال . يستلزم قتل أحدهم خمسة رجال . ولا يترك الكول كهوفهم إلا فى حالات الحرب ، وبالتالى سيكثر القتل إذا جاءت حملة منهم بهذا العدد " .

" ألا يمكننا أن نسبقهم ؟ " .

قال مورتاج : " لا أحد يعلم ؛ فهم أقوياء وذوو عزم وبأس شديدين وعددهم أكبر . قد نواجههم ، وإذا حدث ذلك ، فأتمنى أن يكون رجال الفاردن بالقرب منا لمساعدتنا . فعلى الرغم من مهاراتنا ووجود سفيرا معنا ، فلن نتمكن من صد هجوم الكول " .

ترنح إيراجون وقال : " هلا أحضرت لى بعض الخبز ؟ أحتاج للطعام " ، أحضر له مورتاج سريعًا كسرة من الخبز ، وكانت متيبسة وجافة لكن إيراجون ابتلعها ومضغها بامتنان . فحص مورتاج حوائط الوادى وكان القلق ظاهراً فى عينيه . علم إيراجون أنه يبحث عن مخرج فقال : " سيكون هناك مخرج فى الجانب الآخر " .

قال مورتاج بتفاؤل مصطنع : " بالطبع " ثم تنهد فى حرقة وقال : " يجب أن نواصل السير " .

قال إيراجون : " كيف حال آريا ؟ " هزٍ مورتاج كتفيه بلا اكتراث وقال : " لقد زادت الحمى سوءاً ، وكانت تتقلب كثيراً ، فما الذى تتوقعه ؟ إن قواها تخور ، يجب أن تطير للفاردن قبل أن يقتلها السم أكثر " .

قال إيراجون : " لن أتركك خلفى مع اقتراب الأورجال " ، وقد استعاد بعض قواه مع كل قضمة خبز .

هز مورتاج كتفيه بلا اكتراث مرة أخرى وقال : " كما تريد ، لكنى أحذرك أنها لن تعيش لو بقيت معى " .

قال إيراجون : " لا تقل ذلك " ، ثم نهض من على سرج سفيرا وقال : " ساعدنى على إنقاذها . لا يزال فى إمكانك القيام بذلك ، فلتعتبر أنها حياة مقابل حياة أخرى ضاعت ـ تكفير عن قتل توركنبراند " .

اسود وجه مورتاج فى الحال وقال : " إنه ليس دين سأقضيه بل ... " ، ثم توقف عندما سمع صدى النفير يتردد عبر الغابة الحالكة الظلام وقال بسرعة : " سأتحدث عن ذلك لاحقاً " ، ثم قفز إلى الخيل والتقط الزمام وجرى بهما وهو ينظر إلى إيراجون بغضب .

أغلق إيراجون عينيه بينما طارت سفيرا ، وتمنى لو تمكن من الاستلقاء على فراش وثير وينسى كل مشاكله . قال فى النهاية وهو يدلك أذنيه ليدفأ : " سفيرا ، ماذا لو ذهبنا بآريا إلى الفاردن ؟ بمجرد أن تكون فى أمان يمكننا العودة لمورتاج لإخراجه من هنا " .

قالت سفيرا : *" لن يدعك الفاردن ترحل ، فربما يظنون أنك ستطلع الأورجال على مكان اختبائهم . لن نصل إليهم فى أفضل حال لكى تكتسب ثقتهم . إنهم سيريدون معرفة لماذا أحضرنا فريقاً كاملاً من الكول لأبوابهم " .*

قال لها : *" سنخبرهم فقط بالحقيقة ونأمل أن يصدقونا "*

" وماذا سنفعل لو هاجم الكول مورتاج ؟ " .

قال بغضب : *" سأقتلهم بالطبع إننى لن أسمح لهم بقتل أو أسر آريا أو مورتاج ".*

قالت بلمحة سخرية : *" كم أنت نبيل . قد نسقط الكثير من الأورجال . أنت بالسيف والسحر ، بينما أسلحتى هى مخالبى وأسنانى . لكن الأمر بلا فائدة فى النهاية . إن عددهم أكبر بكثير جداً ... لن نغلبهم أبداً ، بل سيهزموننا ".*

صاح بها : " إذن ماذا أفعل ؟ لن أدع مورتاج وآريا تحت قبضتهم " .

هزت سفيرا ذيلها وأطلقت صوتًا عالياً بأنفها وقالت : " لا أطلب منك ذلك ، لكن إذا هاجمناهم أولاً ، قد نهزمهم من المفاجأة وتكون لنا الغلبة " .

" هل جننتِ ؟ سوف ..... " ، ثم اختفى صوته بالتدريج وفكر فى الأمر ، فقال فى دهشة : " لن يتمكنوا من فعل أى شيء ! " .

قالت سفيرا : " بالضبط . الهجوم الجوى من ارتفاع آمن سيمكننا من إلحاق أكبر ضرر بهم " .

قال إيراجون : " لنسقط عليهم صخوراً ! فهذا سوف يفرقهم " .

قالت سفيرا : " إلا إذا كانت جماجمهم قوية لدرجة أنها ستحميهم " .

ثم جنحت إلى اليمين ونزلت بسرعة إلى جوار نهر بيرتوث وأمسكت بصخرة حجمها متوسط بمخالبها القوية بينما أمسك إيراجون عدة صخور كل منهما فى حجم قبضة اليد . وبعد أن حملت سفيرا عدة أحجار ، طارت دون

إحداث صوت من رفرفة أجنحتها حتى وصلا فوق فريق الأورجال . صاحت سفيرا : " الآن ! " وألقت بالصخرة وألقى إيراجون ما معه . سمعا صوتًا مكتومًا لعدة أشياء تتحطم بينما سقطت القذائف الموجهة عبر قمم الأشجار فى الغابة وحطمت فروع الأشجار . وبعد ثانية واحدة ، ترددت أصداء تأوهات وصيحات الأورجال عبر الوادى .

ابتسم إيراجون بشدة وهو يسمع الأورجال وهم يهرعون بحثاً عن ساتر لتفادى الصخور ثم قال لسفيرا وهو يميل عليها بشدة : " لنحضر المزيد من الذخيرة " . صاحت معربة عن موافقتها وعادت لضفتى النهر .

كان عملاً شاقاً ، لكنهما تمكنا من تعطيل تقدم الأورجال ، وإن كان من المستحيل إيقافهم تماماً . كان الأورجال يسبقونهما ويتقدمون أكثر كلما ذهبت سفيرا لجلب المزيد من الأحجار . وعلى الرغم من ذلك ، فإن جهودهما سمحت لمورتاج بأن يسبق الجيش المتقدم .

بدأ الليل يخيم على الوادى بمرور الساعات . وبدون الشمس ودفئها تسلل البرد القارس عبر الهواء وتجمد الضباب على الأشجار وغطاها بطبقة من اللون الأبيض . بدأت حيوانات الليل تزحف من جحورها وتبرز من مخابئها المظلمة للغرباء المتطفلين على الأرض .

واصل إيراجون فحص جوانب الجبال بحثاً عن المسقط المائى الذى يشير لنهاية رحلته . كان يعلم بكل أسف وألم أن كل دقيقة تمر تقرب آريا من الموت . كان يحدث نفسه قائلاً : "*أسرع ، أسرع*" ، وكان ينظر لأسفل إلى مورتاج . وقبل أن تحضر سفيرا المزيد من الصخور ، قال لها : "*لننزل*

قسطاً من الراحة ونطمئن على آريا . كاد اليوم أن ينقضى وأخشى أن ما يفصل بينها وبين الموت ساعات ، إن لم تكن دقائق " .

" حياتها فى يد القدر الآن . لقد اخترت أنت أن تظل مع مورتاج ؟ ولقد فات أوان تغيير ذلك ، لذلك توقف عن التفكير بحزن فى هذا الأمر .... إنك تجعل حراشيفى تؤلمنى . أفضل شىء نفعله الآن هو الاستمرار فى إلقاء الحجارة والصخور على الأورجال " . كان إيراجون يعلم أنها على حق ، لكن كلماتها لم تهدئه وتقلل من شعوره بالقلق . واصل بحثه عن المسقط المائى ، لكن كل ما كان أمامهما هو الطرق والنتوءات السميكة الجبلية التى تخفى كل شىء .

أرخى الليل سدوله وغرق الوادى فى ظلام دامس ، وهبط الليل على الأشجار والجبال كالسحابة السوداء . حتى سفيرا بقوة حاستى الشم والسمع التى لديها ، لم تعد تتمكن من تحديد مكان الأورجال عبر الغابة الكثيفة . لم يسطع القمر فى هذه الليلة لمساعدتهما ، واستمر ساعات طويلة قبل أن يرتفع أعلى من الجبال .

جنحت سفيرا بلطف ولمدة طويلة إلى ناحية اليسار وحامت حول أحد الطرق المنحوتة فى الجبل . شعر إيراجون بالكاد بمرورهم بجوارٍ الجبال ثم حدق بعينيه فرأى بصعوبة خطا أبيض طويلا أمامهما فتساءل : *" هل يكون هذا هو المسقط المائى الذى نبحث عنه ؟ " .*

نظر إلى السماء والتى كانت لا يزال بها ضوءٍ بسيط من الغروب . كانت الظلال الضخمة للجبال تتلاقى معاً وتكون

ما يشبه الطبق الذى يغطي الوادى . صاح إيراجون مشيراً للجبال : *" تلك هى نهاية الوادى ! هل تظنين أن الفاردن يعلمون بمقدمنا ؟ ربما يرسلون رجالهم لنا لمساعدتنا "* .

قالت سفيرا : *"أشك فى أنهم سوف يساعدوننا إلا إذا تبينوا إذا ما كنا أصدقاء أم أعداء "* ثم هبطت فجأة على الأرض : *" سأعود لمورتاج . يجب أن نظل معه الآن . بما أننى لا يمكننى العثور على الأورجال فقد يتسللون إليه بدون أن نعرف "* .

حرك إيراجون السيف زاروك في غمده وتساءل هل سيكون لديه القوة للقتال به أم لا ، هبطت سفيرا إلى يسار نهر بيرتوث . ثم تكورت كما هو متوقع وسمعا معاً صوت هدير ماء الشلال عبر المسافة القريبة . قالت سفيرا : " جاء مورتاج " ، ثم أرهف إيراجون السمع حتى جاءه صوت حوافر الخيل ، جاء مورتاج وهو يركض عبر الغابة ويسوق الخيل أمامه ورأى إيراجون وسفيرا ولم يبطئ من سرعته .

قفز إيراجون من على ظهر سفيرا وكان يترنح قليلاً وهو يحاول اللحاق بسرعة مورتاج ، وخلفه ذهبت سفيرا إلى النهر لكى تتبعهم دون أن تعوق الأشجار حركتها . وقبل أن يقول إيراجون ما لديه من أخبار عن المسقط المائى قال مورتاج : " رأيتكما تلقيان بالصخور عليهم - ياله من طموح . هل توقف الكول أم استداروا وعادوا ؟ " .

" بل لا يزالون خلفنا ، لكننا تقريباً وصلنا لآخر الوادى . كيف حال آريا ؟ " .

قال مورتاج بقسوة : " لم تمت بعد " ، ثم تنفس بشهقات قصيرة . كانت كلماته التالية هادئة لكنها خداعة

لأنها تخفى غضبًا عارمًا : " هل يوجد فتحة أو واد أمامنا لكى أهرب ؟ " .

توجس إيراجون منه خيفة وحاول أن يتذكر إذا كان قد رأى أى فتحات فى الجبال حولهم ، فلقد كف عن التفكير فى مشكلة مورتاج لفترة . حاول إيراجون تجنب الحوار فقال : " لقد حل الظلام " ، وسار متفاديًا فرعًا منخفضًا وقال : " لذلك ربما فاتنى اكتشاف ذلك لكن ..... لا " .

ظل مورتاج يسب ويلعن بصوت عال ثم توقف فجأة وأمسك بزمام الخيول فأوقفها ثم قال : " هل تقول إن المكان الوحيد المتاح لى هو الفاردن ؟ "

" نعم لكن واصل الركض لأن الأورجال فى أعقابنا ! " .

صاح مورتاج فى غضب " كلا ! " ، ثم أشار بأصابع الاتهام إلى إيراجون وصاح به : " لقد حذرتك من أننى لن أذهب إلى الفاردن ، لكنك تماديت ووضعتنى بين المطرقة والسندان ! إنك تريد إنقاذ الإلف ، لماذا لم تخبرنى بأن الوادى مسدود ؟ " .

استاء إيراجون من الهجوم الشرس ورد بوقاحة قائلاً : " كل ما أعرفه هو إلى أين يجب أن نذهب ، لا تلقِ علىَّ باللوم لأنك اخترت المجىء معى " .

صر مورتاج على أسنانه ونفخ كالثور وهو يبتعد فى غضب ، كل ما رآه إيراجون منه هو شكل منحن بلا حراك . كان جسد إيراجون متوترًا ويتحرك بعنف والعرق فى رقبته ينبض من الغضب . ثم وضع يديه على فخذيه وقام وقد بدأ صبره ينفد .

قالت سفيرا بقلق : " لماذا توقفتما ؟ " .

قال إيراجون : " لا تعطلينى الآن " ، ثم قال موجهًا حديثه لمورتاج : " ما مشكلتك مع الفاردن ؟ ليس من المعقول أن تكون مشكلة بشعة لدرجة أنك ستختبىء منهم الآن ، هل تفضل قتال الكول عن مواجهة الفاردن وإخبارى بقصتك معهم ؟ هل لازلت لا تثق بى رغم كل ما مررنا به سوياً ؟ " .

ران الصمت الثقيل الطويل . قالت سفيرا بقلق لتحذرهما : " الأورجال يقتربون ! "

قال لها : " أعرف " ، ثم حاول التحكم فى غضبه وقال : " لكننا يجب أن نحل تلك المشكلة "

" سريعاً ، سريعاً " .

قال إيراجون بجدية : " مورتاج ، إذا لم تكن ترغب فى الموت ، يجب أن نذهب للفاردن . لا تتركنى أذهب إليهم بدون معرفة رد فعلهم لوجودك . الأمر خطير بشكل كاف بدون أى مفاجآت بلا داع " .

فى النهاية ، اتجه مورتاج لإيراجون وكان يتنفس بصعوبة وبسرعة كالذئب المحاصر من كل الاتجاهات . ثم توقف وقال بصوت متهدج ينم عن العذاب : " لديك الحق فى معرفة الحقيقة ، أنا .... أنا ابن مورزان ، أول وآخر الفرسان المنشقين " .

أبواق المشاكل

ظل إيراجون صامتاً من هول المفاجأة ، كان عقله يصيح من عدم التصديق وحاول لفظ كلام مورتاج . *" الفرسان المنشقون لم ينجبوا ، وخاصة مورزان . مورزان ! الرجل الذى خان الفرسان قادة التنين من أجل جالباتوريكس وظل خادمه المخلص الأمين لباقى حياته . هل من المعقول أن يكون ذلك صحيحاً ؟ "* .

سرعان ما وصل له إحساس سفيرا بالصدمة . سارت عبر الأشجار والشجيرات محطمة إياها وهى تنتقل من النهر إلى جانب إيراجون وهى تكشر عن أنيابها وذيلها مرفوع بشكل يثير الفزع وقالت : *" استعد لأى شىء ، قد يكون بإمكانه استخدام السحر "* .

قال إيراجون وهو يتناول زاروك خلسة : " هل أنت وريث مورزان ؟ " ، ثم قال لنفسه : *" ما الذى يريده منى ؟ هل يعمل لصالح الملك ؟ "* .

صاح مورتاج والألم يعتصر وجهه : " لم أختر ذلك بإرادتى ؟ " ، ثم مزق قميصه فى يأس لكى يكشف عن صدره وبطنه وقال وهو يدير ظهره لإيراجون : " انظر ! " .

اقترب إيراجون بحذر وحدق بصعوبة فى الظلام . فى ظهر مورتاج الأسمر المفتول كانت تمتد ـ من كتفه اليمنى إلى وسطه الأيمن ـ آثار لجروح دالة على ألم فظيع فى الماضى .

قال مورتاج بمرارة : " هل ترى ذلك الجرح ؟ " ، كان يتحدث بسرعة الآن وكأنه ارتاح لإفشاء السر وإزاحته عن صدره أخيرا : " لقد أصبت به وعمرى ثلاث سنوات . أثناء غضبه العارم وهو ثمل ، هوى مورزان على جسدى بسيفه وأنا أركض بجواره . لقد شق ظهرى بالسيف الذى تحمله الآن ـ الشيء الوحيد الذى كان من المتوقع أنٍ أرثه قبل أن يسرقه بروم مِن جثة أبى . كنت محظوظاً على ما أظن ووجدت معالجاً أنقذنى من الموت ، يجب أن تفهم أننى لا أحب الإمبراطورية ولا الملك . أنا لا أدين بالولاء لهم ولا أريد أن أؤذيك ! " ، وكانت صيحاته ورجاؤه محمومين .

نزع إيراجون يده من مقبض السيف زاروك وهو يشعر بالرِيبة والشك ، ثم قال بصوت به تردد : " إذن فإن أباك قد قتِلَ ، ومن قتله هو .... "

قال مورتاج : " نعم ، بروم " ، ثم ارتدى قميصه وهو يشعر باليأس لكن بالراحة فى نفس الوقت .

سمعا صوت بوق خلفهما ، فصاح إيراجون : " هيا لنهرب " ، فأمسك مورتاج بزمام الجوادين وأجبرهما على السير بسرعة رغم التعب ، وركز بصره إلى الأمام بينما تحرك جسد آريا قليلاً على سرج سنوفاير . ظلت سفيرا

بجوار إيراجون وتسير وفقاً لإيقاع ركضه بفضل أرجلها الطويلة ، قال لها إيراجون : " يمكنك السير بلا عوائق على حافة النهر " وكانت تمزق الفروع المتشابكة فى طريقها فقالت : " لن أتركك معه أبداً " .

سُرّ إيراجون لحمايتها له وقال لنفسه أثناء الركض : " ابن مورزان ! " ، ثم قال لمورتاج : " من الصعب تصديق قصتك ، كيف أعرف أنك لا تكذب ؟ " .

" ولماذا أكذب ؟ ".

" ربما تكون ــــ "

قاطعه مورتاج سريعاً قائلاً : " لا يمكننى إثبات أى شىء لك الآن . احتفظ بشكوكك حتى نصل للفاردن ، فسيدركون شخصيتى سريعاً " .

أصر إيراجون على الكلام وقال : " يجب أن أعرف . هل تعمل لصالح الإمبراطورية ؟ " .

" كلا ، وإذا كنت كذلك فما الذى سأفعله أو سأنجزه بالسفر معك ؟ لو كنت أحاول أسرك أو قتلك لما هربتك من السجن " ، ثم وقع مورتاج بينما كان يقفز على قطعة من الشجر الميت .

" هل تقود الأورجال للفاردن ؟ " .

قال مورتاج : " لو كنت أفعل ذلك ، فلماذا لا أزال معك ؟ أنا أعرف مكان الفاردن الآن ، فلماذا أستسلم لهم ؟ ولو كنت سأهاجمهم ، لانضممت للأورجال " .

قال إيراجون بهدوء : " ربما تكون قاتلاً أجيرًا " .

" ربما ، ولكن لا يمكنك أن تتحقق من ذلك ، أليس كذلك ؟ " .

قال إيراجون ببساطة لسفيرا : " سفيرا ؟ " .

فهزت ذيلها فوق رأسه وقالت : *" لو أراد إيذاءك لفعلها منذ وقت طويل "* .

خدش رقبة إيراجون فرع شجرة فسال خط من الدم الأحمر على جلده . كان صوت المسقط المائى يقترب .

قال إيراجون لسفيرا : *" أريدك أن تراقبى مورتاج عندما نذهب للفاردن ، فقد يفعل أى حركات خرقاء ولا أريده أن يُقتل "* .

قالت : *" سأبذل ما فى وسعى "* ، ثم واصلت السير وهى تحطم الفروع ولحاء الشجر . دق البوق خلفهم مرة أخرى فنظر إيراجون خلفه وهو يتوقع هجوم الأورجال فى الظلام . كان الشلال يهدر بصوت خفيض ومكتوم أمامهم ، وكان يغطى على أى أصوات أخرى فى الليل .

انتهت الغابة وأوقف مورتاج الخيول وظلوا جميعاً واقفين على شاطئ من الحصى ويؤدى مباشرة إلى ناحية اليسار حيث منبع نهر بيرتوث . كانت البحيرة العميقة كوستا ـ ميرنا تملأ الوادى وتسد الطريق ، وكانت الجبال تضيق الطريق حول البحيرة ليتحول إلى شاطئ رفيع على جانبيها عرضه بضع خطوات فقط . فى نهاية البحيرة فى الطرف الآخر ، كان هناك مسطح مائى واسع يقع بجوار مرتفع أسود اللون ويغلى لدرجة ظهور الزبد على سطح الماء .

قال مورتاج بضيق : " هل سنذهب للشلال ؟ " .

قال إيراجون : " نعم " ، ثم تولى زمام الأمور وسار إلى الطريق على يسار البحيرة . كان الحصى تحت أقدامهم رطبًا

ومغطى بالطين اللزج . كان بالكاد يوجد مكان يكفى لسفيرا بين الحوائط الجبلية للوادى والبحيرة ؛ فاضطرت للسير بقدميها فى الماء .

قطعوا نصف الطريق إلى الشلال عندما صاح مورتاج : " جاء الأورجال ! " .

استدار إيراجون وكانت الصخور تنتشر تحت أقدامه على شاطئ البحيرة حيث كانوا منذ دقائق معدودة ، هجمت جحافل الأورجال الضخمة من الغابة وتجمعوا أمام البحيرة . أشار أحدهم لسفيرا وسمعوا عبر المسطح المائى الذى يفصلهم أصوات الأورجال الحنجرية الغليظة . وفى الحال تفرق جمع الأورجال إلى قسمين حول ضفتى البحيرة مما لم يترك لمورجان وإيراجون أى طريق للهرب . كان الشاطىء الضيق قد أجبر جيوش الأورجال الضخمة الحجم - التى تسمى الكول - على السير فى طابور فردى .

صاح مورتاج : " أسرع الخطى ! " ، وسحب سيفه وحث الخيل على السرعة بضرب جوانبها . طارت سفيرا فجأة بلا إنذار وأسرعت نحو الأورجال .

صاح إيراجون فيها ذهنيا : " *كلا ! عودى !* " ، لكنها استمرت وتجاهلت رجاءه وتوسلاته . وبمجهود مؤلم ، اضطر أن يحول بصره عنها ويواصل الركض إلى الأمام ، وهو يمسك بشدة بسيفه زاروك استعدادا لإخراجه من غمده .

هجمت سفيرا على الأورجال وهى تصيح بشراسة . حاولوا أن يتفرقوا لكنهم كانوا محاصرين بسبب جانب الجبل والبحيرة . حملت أحد وحوش الكول بين مخالبها ورفعته إلى أعلى وهو يصرخ ، ثم مزقته بأنيابها . هبطت

جثته إلى البحيرة بعد دقيقة واحدة وكانت بلا ذراع وبلا ساق .

استمرت مسيرة وحوش الكول بلا رادع حول البحيرة . هجمت عليهم سفيرا مرة أخرى وهى تنفث دخانًا من مناخريها ، بينما انطلقت كمية كبيرة من السهام السوداء ناحيتها . مرت معظم السهام عبر جوانبها المغطاة بالحراشيف ولم تترك سوى كدمات ؛ لكنها صاحت من الألم لأن باقى السهام اخترقت جناحيها .

شعر إيراجون بالألم تعاطفاً معها ، واضطر لمنع نفسه بالكاد من أن يهرع إليها ليدافع عنها . سرى الخوف فى عروقه عندما وجد أن طابور الأورجال يقترب منهم جداً . حاول أن يجرى بشكل أسرع لكن عضلاته كانت منهكة والصخور والحصى زلقة جدا .

وعندئذ ، قفزت سفيرا إلى البحيرة وأحدثت طرطشة مياه كبيرة وغطست تاماً تحت الماء مما أرسل الأمواج عبر البحيرة . نظر الأورجال للمياه الداكنة بعصبية عندما تناثر الرذاذ على أقدامهم . وقال أحدهم شيئاً غير مفهوم وألقى برمحه إلى البحيرة .

انطلقت سفيرا من الماء برأسها من الأعماق وكانت ممسكة بالرمح فى فمها وهو مكسور كغصن شجرة . وعندما انتزعته من أيدى الكول بحركة غادرة . وقبل أن تمسك به لتقتله ، ألقى رفاقه برماحهم عليها مما أدمى أنفها .

صاحت فى غضب ثم تراجعت للوراء ونثرت رذاذ الماء بذيلها . صوب قائدهم رمحه نحوها وهو يتقدم لكنه توقف عندما حركت ذيلها نحوه ، فتوقف طابور الأورجال عنوة

عندما حالت بينهم وبين قائدهم . فى غضون ذلك ، كان الكول على الجانب الآخر من البحيرة يسرعون ناحية المسقط المائى .

قالت لإيراجون بحزم : "*لقد حاصرتهم ، لكن أسرع . لا يمكننى تعطيلهم لفترة طويلة* " . صوب الرماة الأسهم عليها استعداداً لضربها . ركز إيراجون على الإسراع لكنه كاد أن ينزف بسبب صخرة فأمسكه مورتاج وحال دون سقوطه بذراعه القوية . أمسكا بذراعى بعضهما البعض وواصلا الركض وحثا الخيل على الإسراع بالصياح .

كادا يصلان إلى الشلال . وكانت الضجة الناتجة عن انهمار الماء شديدة وتصم الآذان وكأنها أصوات انهيار جليدى أو صخرى . انحدر الشلال كالحائط الأبيض عبر الجدار الجبلي الصخرى ، وكان يسقط على الصخور السفلية بشدة لدرجة أن رذاذ الماء كان يرتفع فى الهواء ويتناثر على وجهيهما . ولمسافة أربع ياردات أمام الشلال المنهمر بصوت كدوى الرعد ، كان الشاطىء واسعًا ، مما أعطاهما فرصة للمناورة .

صاحت سفيرا بينما انغرز رمح أحد الأورجال فى فخذها ثم تراجعت تحت الماء . بانسحابها ، اندفع الكول بخطى واسعة ، وكانت المسافة بينهم وبين إيراجون ومورتاج بضع مئات من الأقدام فقط . قال مورتاج ببرود : " ماذا سنفعل الآن ؟ " .

صاح إيراجون : " لا أعرف ، دعنى أفكر ! " . وبحث فى ذكريات آريا عن آخر تعليماتها له . ثم فحص الأرض حتى وجد صخرة فى حجم التفاحة فالتقطها ودق على

الصخرة الضخمة بجوار الشلال وصاح : " آى فاردن آبـر دو شورتوجالار جاتا فانتا ! "

لم يحدث شيء .

حاول مرة أخرى وصاح بصوت أعلى لكن كل ما فعله هو أنه جرح يده . عـاد فـى يـأس تـام لمورتـاج وقـال : " إننـا محاصرون ـــــ " ، ولكن قطع كلامه قفزة سفيرا من البحيرة حيث نثرت عليهما ماء مثلجًا ، ثـم هبطـت علـى الشـاطىء وتكورت استعدادا للقتال .

تراجعت الخيول للخلـف فـى ذعـرٍ وحاولـت الهـرب . تواصـل إيراجـون مع الخيـول ذهنيـاً لتهـدئتها . صـاحت سفيرا : " انظر خلفـك ! " . استدار إيراجـون ورأى زعـيم الأورجال يجرى ناحيته مُمسكاً برمح يرفعه لأعلـى . ومـن هذا القرب اتضح أن وحش الكول طويل كالعملاق الصـغير ، وذراعيه ورجليه في سُمك جذع الشجر .

سحب مورتاج سيفه بسرعة خاطفة ولفه مرة واحـدة ثـم اخترق صدر الكول بصوت مكتوم . سـقط الأورجـال الضـخم وهو يغرغر فـى سـكرات الموت بصـوت مخنـوق . وقبـل أن يهاجمهم وحش آخـر مـن الكـول ، أسـرع مورتـاج بجـذب سيفه من جثة الكول المقتول .

رفع إيراجون يده وصاح : " جيردا ثييرا كالفيس ! " ، فتحركت جنبات الحوائط الصخرية وتصعدت وسقط عشرون أورجـال فـى المـاء وصـاحوا وأمسـكوا أقـدامهم التـى بـرزت عظامها . تقدم باقى الأورجال وتجاهلوا زملاءهم الساقطين . قاوم إيراجون شعوره بالتعب واستند إلى سـفيرا لكـى يمنـع نفسه من السقوط .

انطلق وابل من السهام كالسيل المنهمر وكان من المستحيل رؤية السهام فى الظلام ، لكنها عبرت الجو من حولهم وتحطم بعضها على حائط الجبل ، انبطح مورتاج وإيراجون أرضاً وغطيا رأسيهما . قفزت سفيرا من فوقهما بصيحة صغيرة بحيث تحميهما هما والخيل بجوانبها المصفحة بالحرافيش من السهام . جاء صوت متتابع ومستمر من إلقاء السهام فى مجموعة أخرى ترتطم وتتحطم على حراشيفها .

صاح مورتاج : " ماذا سنفعل الآن ؟ لن نتمكن من البقاء هنا ! " ، لم تكن هناك أى فتحات فى الحائط الجبلى .

سمع إيراجون سفيرا تصيح فى ألم بينما اخترق أحد السهام طرف جناحها واخترق الغشاء الرفيع ، ثم نظر حوله فى هلع وحاول فهم سبب عدم نجاح تعليمات آريا فى أن تقودهم للفاردن . ثم قال : " لا أعلم ! هذا هو المكان الذى يجب أن نصل إليه ! "

صاح مورتاج : " لماذا لا تسأل الإلف لكى تتأكد ؟ " ، ثم ترك سيفه واستخرج بسرعة قوسه وجعبة سهامه من حقائب سرج تورناك وبحركة خاطفة أطلق سهمًا من بين أشواك ظهر سفيرا ، وبعد لحظة سقط أحد وحوش الأورجال فى الماء .

" الآن ؟ إنها بالكاد على قيد الحياة ! كيف ستجد الطاقة اللازمة لقول أى شىء ؟ " .

صاح مورتاج : " لا أعرف ! لكن من الأفضل أن تفكر فى شىء ما لأننا لن نتمكن من صد هجوم جيش بأكمله ! " .

صاحت سفيرا بحدة : " *إيراجون* " .

" ماذا ؟! " .

" نحن على الجانب الخطأ من البحيرة ! رأيت ذكريات آريا من خلالك وأدركت أننا لسنا في المكان الصحيح " . ثم حنت رأسها إلى صدرها لاتقاء الهجوم القادم من السهام . التي ضربت ذيلها فاهتزت من الألم وصاحت : *" لن أتمكن من الاستمرار في ذلك ! سيمزقونني إربًا ! "* .

وضع إيراجون سيفه زاروك في غمده وصاح : " الفاردن على الجانب الآخر من البحيرة . يجب اجتياز الشلال ! " ، ثم لاحظ وهو يرتعد رعباً أن الأورجال من الجانب الآخر من البحيرة كادوا أن يصلوا إلى الشلال .

نظر مورتاج إلى السيل المنهمر من المسقط المائي الذى يسد طريقهم وقال : " لن نتمكن من أن نجعل الخيول تعبر الشلال ، حتى لو تمكنا من أن نحافظ على توازننا عبره " .

قال إيراجون بسرعة : " سأقنعهم باللحاق بنا ، وسفيرا ستحمل آريا " ، وكان صياح وصراخ الأورجال قد جعل سنوفاير ينفث في غضب ، وتحركت الإلف على ظهره وهي لا تعي الخطر المحدق .

هز مورتاج كتفه بلا اكتراث قائلاً : " هذا أفضل من الضرب حتى الموت " ، ثم أخرج آريا سريعاً من سرج سنوفاير وأمسكها إيراجون قبل أن تسقط .

قالت سفيرا وهي تتكور جزئياً للاستعداد : *" أنا مستعدة "* . تردد الأورجال المقتربون منهم وهم غير متأكدين من نواياها .

صاح إيراجون : " الآن ! " ، فحمل هو ومورتاج آريا إلى ظهر سفيرا ثم ربطوها بالحبال . وبمجرد انتهائهم طارت سفيرا محلقة عبر البحيرة . صاح الأورجال عندما وجدوها تهرب وصدت ببطنها العديد من السهام . كانت مجموعة الكول فى الجانب الآخر من شاطىء البحيرة قد أسرعوا الخطى لكى يصلوا للشلال قبل هبوطها .

تواصل إيراجون ذهنياً مع الجوادين ونقل لهما صورًا مرعبة باستخدام اللغة القديمة ، وأخبرهما أنهما إذا لم يعبرا الشلال سيقتلهما الأورجال ويلتهمونهما . لم يفهم سنوفاير وتورناك كل ما قاله لكن المعنى كان واضحا تماما وأدركوه قطعا .

هز الجوادان رأسهما ثم انطلقا عبر الشلال المنهمر ذى الصوت العالى كدوى الرعد وصهلا عندما ضرب الماء ظهريهما وترنحا وتحركا بصعوبة تحت السيل المنهمر من الماء . وضع مورتاج سيفه فى غمده وقفز تحت الماء مثلهما واختفى رأسه تحت زبد الماء الأبيض والرغاوى قبل أن يخرجه وهو يتفل ويشهق .

كان الأورجال خلف إيراجون مباشرة ؛ وكان يسمع وقع أقدامهم على الحصى . بصرخة متوحشة كصيحات الحروب ، قفز وراء مورتاج وأغلق عينيه قبل ثانية واحدة من انهمار الماء البارد عليه .

كان الوزن الهائل للشلال ينهمر على كتفيه بقوة تكاد تقسم الظهر . امتلأت أذناه بصوت الماء الهادر . سقط ولمس بركبتيه الصخور فى قاع البحيرة . دفع نفسه لأعلى بكل

قوتــه وخــرج بجســمه جزئيـاً مـن المـاء . وقبـل أن يلـتقط أنفاسه ، دفعه الشلال تحت سطح الماء مرة أخرى .

وكان كل ما يستطيع عبارة عن زغللة بيضاء من الرغاوى والزبد المنتشرة حوله على مسافات واسـعة . حـاول بجهـد محموم أن يصعد فوق سطح الماء لكى يريح رئتـه التـى تؤلمـه بشدة من عدم التنفس ، لكنه صعد بمقدار بضع أقدام قبل أن يوقف السيل المنهمر صعوده . شعر بالفزع وقاوم الماء وحرك كل أطرافه . كان ما يثقله هو زاروك وملابسه المبتلة ، فسقط مرة أخرى إلى قاع البحيرة ، ولم يتمكن من التفوه بالكلمات السحرية من اللغة القديمة التى ستنقذه .

فجأة ، أمسكت يد قوية بعنق قميصه وسحبته عبر المـاء وسبح منقذه وعَبَر البحيرة بخطى قصيرة وسريعة ؛ وتمنـى إيراجون أن يكـون منقـذه هـو مورتـاج ولـيس أحـد وحـوش الأورجال . صعدا وهويا على الشاطىء المغطى بالحصى وكـان إيراجون يرتعش بشدة ؛ حيث كان كل جسده يـرتعش فـى نوبات تشنجية لاإرادية .

سمـع صـوت عـراك إلى الـيمين فاسـتدار وتوقـع هجـوم الأورجال ، لكن الوحوش فى الشاطىء الآخر المقابل ـ حيث كان يقف منذ لحظات ـ وقعوا تحت وابل هائـل مـن السـهام انطلقت من النتوءات والشقوق التـى تغطـى جانـب الجبـل . كانت جثـث العديـد مـن الأورجـال طافيـة علـى سـطح المـاء بالفعل وبطنهـا لأعلـى وتـبرز منهـا عشـرات السـهام . أمـا المجموعة التى كانت على الجانب الآخر الذى بـه إيراجـون كانوا مشغولين باتقاء السهام . لم تتمكن كلتـا المجمـوعتين من التقهقر من المكان المكشوف حيـث ظهـرت طـوابير مـن

المحـاربين خلفهـم بطريقـة مـا ؛ حيـث تتلاقـى الـبحيرة بجانب الجبل . كل ذلك منع أقرب الكول من الاندفاع نحـو إيراجون ، حيث أمطرهم الجنود والمحاربون بوابل مسـتمر ومتدفق من الأسهم ـ وعلـى مـا يبـدو فقـد كـان الرمـاة غـير المرئيين مصممين علـى إبعـاد الأروجـال عـن إيراجـون ومـن معه .

سمـع إيراجـون صـوتًا أجـش بجـواره يقـول باللغـة القديمة : " أخ جونتيراز دورزاد ! " ، وتعنى : " ما الـذى كنت تفكر فيه ؟ كنت ستغرق ! " ، فانتفض جسد إيراجون من المفاجأة . لم يكن مورتاج واقفاً بجواره بـل رجـل قـزم لا يتعدى طول كوع إيراجونٍ .

كـان القـزم مشـغولاً بعصـر لحيتـه الطويلـة المجدولـة لإخراج الماء منها . كان صدره مفتول العضلات وكان يرتـدى سـترة بـلا أكمـام مـن المعـدن وتكشـف عـن ذراعيـه المفتـولى العضلات . كانـت هنـاك بلطـة حـرب معلقـة علـى حزامـه الجلدى الواسع العريض حول وسطه . وكانـت تعلـو رأسـه قبعة من جلد الثور ومبطنة بالحديد وتحمـل شـعارًا عبـارة عن مطرقة محاطة باثنى عشر نجمًا . وحتـى بارتدائـه ، لم يتعد طوله أربع أقدام بالكاد . نظـر باشـتياق للقتـال الـدائر وقـال : " بـارزول ! " ، أى : " أتمنـى لـو كـان يمكننـى الانضمام إليهم ! " .

قال إيراجـون لنفسـه : " قـزم ! " ، ثـم سـحب سـيفه زاروك وبحث عن سفيرا ومورتاج . فـتح بـابين مـن الحجـر قطرهما اثنى عشر قدمًا فى الصخر ، وكان يكشفان وراءهمـا عن نفقين واسعين طولهما ثلاثون قـدمًا محفـورين فـى عمـق

الجبل الغامض . كان هناك خط من المشاعل التى تملأ النفق بضوء أزرق باهت أنار البحيرة .

وهناك رأى سفيرا ومورتاج أمام النفق وقد أحاط بهما خليط غريب من الناس والأقزام .

كان فى مستوى كوع مورتاج رجل أصلع بلا لحية يرتدى عباءة ذهبية تحتها عباءة أرجوانية . كان أطول من كل البشر الحاضرين ـ وكان يمسك بخنجر يسلطه على رقبة مورتاج .

حاول إيراجون التوصل لقوته السحرية لكن الرجل ذا العباءة قال بصوت حاد ينم عن الخطر : " توقف ! إذا استخدمت السحر فسأقتل صديقك العزيز هنا ، الذى كان طيباً وذكر لنا أنك من الفرسان قادة التنين . أتظن أننى لا أعرف ما الذى ستحاول فعله وتستخدم السحر . لن تتمكن من إخفاء أى شىء عنى " . حاول إيراجون أن يتحدث ، لكن الرجل نظر إليه بغضب وضغط بالخنجر أكثر على رقبة مورتاج وصاح : " كفى ! لا تقل أو تفعل أى شىء لم أخبرك به وإلا سيموت . والآن فليدخل الجميع " ، ثم تراجع إلى النفق وجر معه مورتاج وظلت عيناه معلقتين بإيراجون .

" *ماذا أفعل يا سفيرا ؟* " ، هكذا قال لها بسرعة بينما دلف الأقزام والرجال خلف الشخص الذى أسر مورتاج ، وكانوا يجرون الخيول معهم .

قالت له ناصحة : " *اذهب معهم ، ولنأمل أن نبقى أحياء* " ، ثم دخلت الخندق بنفسها مما جعل من حولها ينظرون إليها بقلق . تبعها إيراجون على مضض ، وهو على

وعى بعيون المحاربين الذين ينظرون إليه . كان القزم الـذى أنقذه يسير معه نحو النفق وكان يمسك بالبلطة .

شعر إيراجون بالتعب التام ، وسار مترنحاً نحو خنـدق الجبل . أغلق الباب بعد دخولهم بأقل صـوت ممكـن . نظـر إيراجـون خلفـه ورأى الحـائط بـلا أى شـقوق حيـث كانـت الفتحة . كانوا مأسورين بالداخل ، لكن هـل سـيكونون فـى أمان ؟

البحث عن الإجابات

قال الرجل الأصلع : " من هذا الطريق " ، ثم تراجع وهو مازال ممسكاً بالخنجر وضاغطاً به على عنق مورتاج تحت ذقنه ، ثم سار ناحية اليمين ، واختفى عبر باب له قبة على شكل نصف دائرة وتبعه المحاربون بحرص ، وكانت سفيرا وإيراجون محور انتابهم ، وتم اقتياد الخيل لنفق آخر .

شعر إيراجون بالدوار من تقلب الأمور فسار وراء مورتاج واختلس نظرة سريعة إلى سفيرا ليتأكد ما إذا كانت آريا لا تزال مربوطة بظهرها أم لا . كان يفكر تفكيراً محموماً : " يجب أن تتناول الترياق ! وكان يعلم أن السم يسرى فى جسدها ليقضى عليها .

أسرع بالمرور عبر البوابة ذات القبة وعبر ممر ضيق وراء الرجل الأصلع . كان المحاربون يشهرون أسلحتهم عليه . وقد مروا بتمثال منحوت لحيوان غريب له ريش سميك . انحنى الممر فجأة إلى ناحية اليسار ، ثم إلى اليمين . فتح

باب أمامهم ودخلوا حجرة فارغة وواسعة بالقدر الكافى لتتحرك سفيرا بحريتها . كان هناك صوت صدى أجوف عندما أغلق الباب ثم صوت حاد وعال للقفل الذى يغلق من خارج الباب .

فحص إيراجون ما حوله ببطء ، وهو يمسك بكل قوة بسيفه زاروك . كانت الحوائط والأرضية والسقف من المرمر الأبيض المصقول الذى كان يعكس صورة باهتة كالأشباح للجميع ، مثل مرآة من اللبن بها عروق . كان هناك واحد من المصابيح الغريبة معلقاً فى كل ركن . هم إيراجون بالكلام فقال : " توجد جريحة هنا و ـــــ " ، لكن الإشارة الخاطفة للرجل الأصلع له بأن يسكت جعلته يصمت دون إنهاء كلامه .

" لا تتحدث ! سينتظر أى شىء حتى يتم اختبارك " ، ثم دفع مورتاج لأحد المحاربين الذى سل سيفه على رقبة مورتاج . ضم الرجل الأصلع يديه معاً وقال بهدوء : " انزع أسلحتك وأعطها لى " . جاء أحد الأقزام وفك سيف مورتاج من حزامه وأسقطه على الأرض محدثاً دوياً .

كان إيراجون يكره مفارقة سيفه زاروك ، لكنه قام على مضض بفك الغمد والسيف من حزامه ووضعه على الأرض ، ثم وضع قوسه وجعبة سهامه بجوارهم ثم دفع بكل أسلحته أمام المحاربين . قال الرجل الأصلع : " الآن ابتعد عن تنينك ، واقترب منى ببطء " .

شعر إيراجون بالحيرة لكنه تقدم ، وعندما فصل بينه وبين الرجل الأصلع ياردة واحدة قال الرجل : " توقف هنا ! الآن انزع كل الدفاعات حول ذهنك واستعد لكى

تدعنى أفحص كل أفكارك وذكرياتك . إذا حاولت إخفاء شيء عنى فسأعرفه بالقوة .... مما قد يدفعك إلى الجنون . إذا لم تستسلم وتذعن لى ، فسيقتل صديقك " .

قال إيراجون فى ذهول : " لماذا ؟ " .

صاح الرجل : " لكى نتأكد أنك لا تعمل لصالح جالباتوريكس ولكى نفهم لماذا يدق مئات الأورجال على بابنا الأمامى . كانت عيناه تتحركان من نقطة لأخرى بسرعة ثم قال : " لا أحد يدخل فارثن دور بدون اجتياز الاختبار " .

قال إيراجون معترضاً : " لا وقت لذلك ، نحتاج لمعالج ! " .

صاح الرجل : " اصمت ! " ، ثم خلع عباءته بأصابعه النحيلة وقال : " كلماتك بلا معنى إلا بعد الاختبار وفحص ذهنك ! " .

قال إيراجون بغضب : " لكنها تحتضر ! " وأشار إلى آريا . كانوا فى وضع خطير جداً ، لكنه لن يسمح بحدوث أى شيء قبل العناية بها .

" ستنتظر ! لن يغادر أحد الحجرة حتى نكتشف حقيقة الأمور . إلا إذا كنت تريد ــــ "

تقدم القزم الذى أنقذ إيراجون من الغرق فى البحيرة وقال : "هل أنت أعمى يا إجراز كارن ؟ ألا ترى أن هناك امرأة من الإلف على ظهر التنين ؟ لن ندعها هكذا لو كانت حياتها فى خطر . أجيهاد والملك سيقتلاننا لو تركناها تموت ! "

ضاقت عينا الرجل الأصلع من الغضب . وبعد لحظة استرخى وقال بهدوء : " بالطبع يا أوريك ، لن ندع ذلك يحدث " ، ثم طرقع بأصابعه وأشار نحو آريا وقال : " احملوها من على ظهر التنين " . جاء محاربان من البشر بعد أن وضعا سيفيهما في غمديهما واقتربا بتردد من سفيرا التي راقبتهما بتحديق طويل . قال الرجل : " أسرعا ! " .

فك الرجلان آريا من على السرج ووضعاها بلطف على الأرض ، فحص أحدهما وجهها وقال بحدة : " إنها آريا حاملة بيض التنين ! " .

صاح الرجل الأصلع : " ماذا ؟ ! " . اتسعت عينا أوريك القزم من فرط الدهشة وحدق الرجل الأصلع إلى إيراجون في برود وقال بهدوء : " لديك الكثير من الشرح لتقوله لنا " .

حدق إليه إيراجون بنفس الحدة وبكل العزم الذى استجمعه داخليا وقال : " تم إعطاؤها سمًا يدعى سكيلنا براغ وهى في السجن ، والآن الترياق الوحيد لإنقاذها هو رحيق تونيفور " .

لم يفهم إيراجون تعابير وجه الرجل الأصلع ، حيث ظل واقفا بلا حراك عدا شفتيه اللتين كانتا تتحركان بتشنج لاإرادى كل فترة : " حسناً ، احملوها للمعالج وأخبروه بما تحتاج . احرسوها أثناء العلاج حتى انتهائه وسأعطيكم أوامر جديدة لاحقاً " . أومأ له المحاربان بسرعة وحملا آريا خارج الحجرة وراقبهما إيراجون حتى خرجا وتمنى لو أنه رافقها . عاد انتباهه للأصلع الذى قال : " يكفى هذا ، لقد أضعنا الكثير من الوقت بالفعل . استعد للفحص والاختبار " .

لم يرغب إيراجون أن يتطرق هذا الرجل المرعب الأصلع لذهنه ويعرف كل أفكاره ومشاعره ، لكنه كان يعلم أنه لا فائدة من المقاومة . كان الهواء قليلاً فى الحجرة ونظرات مورتاج إليه تكاد تخترق جبهته . فى النهاية قال وهو يومئ برأسه : " أنا مستعد " .

" حسناً ، هيا ـــــ "

قاطعه القزم أوريك فجأة قائلاً : " من الأفضل ألا تؤذيه يا إجراز كارن وإلا سيعاتبك الملك " .

نظر إليه الأصلع بغيظ ، ثم واجه إيراجون بابتسامة صغيرة وقال : " لو قاومنى فقط " . ثم حنى رأسه وتمتم بكلمات كثيرة بصوت غير مسموع .

شهق إيراجون من الألم والصدمة عندما دخلت المجسمات الذهنية غير المرئية لعقله . زاغت عيناه وتحركت لأعلى . وبشكل آلى ، أقام كل الحدود على عقله الواعى ؛ كانت الهجمة الشرسة على عقله قوية بشكل غير معقول .

قاوم إيراجون فصاحت سفيرا له ذهنياً وهى تمنحه بعض القوة : *" لا تقاوم ! أنت تعرض مورتاج للخطر ! "* .

تردد إيراجون ثم صر على أسنانه من الغيظ وأجبر نفسه على إزالة كل العوائق والسدود الذهنية وترك نفسه مستسلماً للفحص الرهيب المؤلم . شعر الأصلع بالإحباط وزاد من حدة فحصه للعقل الواعى لإيراجون . كانت القوة الخارجة من عقل الأصلع تبدو غير صحية ومتعفنة ؛ وكأن ثمة خطأ بشعًا وفظيعًا بها .

قال إيراجون لنفسه : " *يريدنى أن أقاومه !* " ، وتدفقت موجة ألم جديدة وهزت جسده . بعد ثانية واحدة ، هدأت لكى تأتيه بعدها موجة أخرى . فعلت سفيرا كل ما في وسعها لكى تضعف الألم لكنها لم تتمكن من صد كل الألم .

قالت بسرعة : " *دعه يعرف ما يريد لكن احم أى شىء آخر عدا ذلك . سأساعدك . قوته لا تضاهينى ، فأنا أحول دون معرفته بحوارنا هذا* " .

" *إذن لماذا مازالت أشعر بالألم ؟* " .

" *الألم ينبع منك أنت* " .

تلوى وجه إيراجون من الألم بينما دخلت المجسمات الذهنية أكثر وتوغلت في عقله وتبحث عن كل المعلومات وكان وقعها كمسمار ينفذ في جمجمته . كان الرجل الأصلع يمسك بكل خشونة بذكريات طفولته ويفحصها ويفرزها .

صاح إيراجون لسفيرا بغضب : " *إنه لا يحتاج لذكريات طفولتى . أخرجيه منها !* " .

قالت له : " *لا يمكن بدون تعريضك لخطر جسيم . يمكننى إخفاء ما لم يتطرق إليه بعد فقط . فكر بسرعة وأخبرنى بما تريد إخفاءه !* " .

حاول إيراجون أن يركز عبر الألم ، وفحص كل ذكرياته منذ أن وجد بيضة سفيرا . أخفى الأجزاء الخاصة بمناقشاته مع بروم وكل الكلمات التى تعلمها من اللغة القديمة . ترك فقط أسفاره عبر وادى بالانكار وياززواك وداريت وتيرم لكنه جعل سفيرا تخفى كل شىء عن أنجيلا ونبوءاتها له والقط المسحور سوليمبوم . كما كان يريد إخفاء السرقة التى تمت

فى تيرم وموت بروم وسجنه فى جيلياد واعتراف مورتاج بهويته الحقيقية .

كان يريد إخفاء حقيقة مورتاج لكن سفيرا اعترضت قائلة : *" الفاردن لديهم الحق فى معرفة من يؤونه تحت سقفهم خاصة ابن آخر الفرسان المنشقين ! "* .

صاح إيراجون : *" أخفى كل ما سبق "* ، وسيطر بكل قوته على الألم قدر استطاعته ثم قال : *" لن أكون من يفشى سره وخاصة لهذا الأصلع ! "* .

قالت له بحدة : *" سيتم معرفة ذلك عند فحص ذهنه "* .

" افعلى ما أقوله فحسب ! " .

بعد أن تم إخفاء أهم المعلومات ، لم يعد بوسع إيراجون فعل أى شيء سوى الانتظار حتى ينتهى الرجل الأصلع من فحصه . كان شعوره كمن يحاول البقاء بلا حركة أثناء نزع أظافره بقلامات صدئة . كان كل جسده متصلبًا وفكه مغلقا للغاية . كان جلده يشع بالحرارة ، وتصبب عرقا وسال نحو رقبته . كان على وعى حاد ومؤلم بكل ثانية ، ومرت الدقائق ببطء .

كان الأصلع يغوص ببطء شديد فى خبراته وذكرياته كتعريشة العنب ذات الأشواك وتحاول الوصول لضوء الشمس . كان ينتبه بكل دقة لكل الأمور التى ظنها إيراجون غير مهمة مثل أمه سيلينا ، وبدا كأنه يطيل فى وقت الفحص ليزيد عذابه ومعاناته حيث قضى وقتًا طويلا لفحص ذكريات إيراجون مع الرازاك ومع الظل . لم يتركه

الأصلع ويسحب ذهنه من ذهن إيراجون إلا بعد فحص وتحليل كل مغامراته بدقة شديدة .

وعندما سحب ذهنه من عقل إيراجون كان ذلك بمثابة نزع شظية من الجسد . ترنح إيراجون وارتعش ثم هوى على الأرض ، لكن قبل أن يلمس الأرض حملته الأذرع القوية فى آخر لحظة ووضعوه برفق على الأرض الرخامية الباردة .

صاح أوريك من خلف إيراجون : " لقد تماديت فى ذلك ! لم يكن قوياً بما يكفى لكى يتحمل ذلك " .

قال الأصلع ببرود ووقاحة : " سيظل على قيد الحياة ، وهذا كل ما نريده " .

زمجر القزم فى غضب ثم قال : " ماذا وجدت ؟ " .

ساد الصمت .

كرر القزم : " حسناً ، هل نثق به أم لا ؟ " .

قال الأصلع على مضض : " إنه ... ليس بعدو لكم " .

تنفس كل من كانوا فى الحجرة الصعداء بصوت مسموع .

تحركت عينا إيراجون ثم فتحهما وانتصبت قامته وأفاق بحماس . قال أوريك : " أهدأ الآن " ، ثم أحاطه بذراعه الضخم وساعده على النهوض . كان إيراجون يترنح ويحدق إلى الرجل الأصلع فى غضب . وزمجرت سفيرا غاضبة بصوت خفيض .

تجاهلهما الرجل الأصلع واتجه لمورتاج الذى كان مازال مسلطاً عليه السيف وقال : " دورك الآن " .

تصلب مورتاج وهز رأسه وجرحه السيف فى رقبته قليلاً ونزل الدم من الجرح وصاح : " كلا ! " .

" لن نحميك لو رفضت " .

" لقـد أعلنـت أن إيراجـون أهـل للثقـة ، وبالتـالى لـن تهددنى بقتله لتؤثر علىّ ، وبالتالى لن تقنعنى بـأى وسـيلة لفتح عقلى " .

نظـر إليـه الأصلع بسـخرية ولـو كـان لديـه حاجبـان لرفعهما وقال : " ماذا عن حياتـك ؟ يمكننـى أن أهـدد بـأن أسلبك الحياة "..

قال مورتاج وهو متصلب كالحجر وبإصرار من المستحيل الشك فيه : " لن ينفعك تهديدى بالموت " .

صاح الأصلع فى غضب عارم : " ليس لديك الخيار ! " ، ثم تقدم ووضع راحة يده على جبهة مورتـاج وقـبض عليهـا بشدة ليمنعه مـن الحركـة . تصـلب جسـد مورتـاج ووجهـه كالحديد وقبض يديه وبرزت عضلات رقبته . كان يبدو أنـه يقاوم الهجوم بكل قوتـه . كشر الأصلع عن أنيابه من الغضب والإحباط لمقاومة مورتاج له ؛ وغرز أصابعه بـلا رحمـة فـى رأس مورتاج .

تلوى وجه إيراجون من الترقب والتعاطف مع رفيقـه ، وكـان يـدرك مـدى المعركـة بينهمـا فقـال لسـفيرا : "*ألا يمكنك مساعدته ؟* "

قالت بهـدوء : " *كلا ، لن يسمح لأحد بالتطرق إلى عقله* " .

حدق أوريك فى غضب وعبس وجهه بشدة وهـو يراقـب الصراع المحتـدم بينهمـا ثـم تمـتم قـائلاً : " ايلـف كـارنز أورودوم " ، ثم قفز للأمام وصـاح : " هـذا يكفـى ! " ، ثـم أمسك يد الأصلع وأبعدها عـن مورتـاج بقـوة لا تتماشـى مـع حجمه الضئيل .

صاح الأصلع : " كيف تجرؤ على هذا ! لقد شككت فى قيادتى وفتحت الأبواب دون استئذان والآن هذا ! أنت لم تظهر سوى الوقاحة والغدر والخيانة . هل تظن أن الملك سيحميك الآن ؟ " .

صاح أوريك بغضب : " كنت ستقتلهم من التعذيب ! ولو كنت قد انتظرت لوقت أطول كان الأورجال سيقتلونهم ! " ، ثم أشار إلى مورتاج الذى كان يتنفس بصعوبة ويلهث وقال : " ليس لديك الحق فى تعذيبه لاستخراج المعلومات ! أجيهاد لن يجيز لك ذلك ، خاصة بعد أن فحصت الفارس قائد التنين ووجدته مخلصاً ـ لقد أحضروا لنا آريا " .

صاح الأصلع : " هل ستسمح له بالدخول بدون تحدى ؟ هل أنت أحمق كبير لدرجة أنك ستعرضنا جميعاً للخطر ؟ " ، كانت عيناه بهما شراسة وغضب عارم يكبح جماحه بالكاد ؛ وبدا كأنه مستعد لتمزيق القزم إرباً إرباً " .

" هل يمكنه استخدام السحر ؟ " .

" هذا ــــ "

صاح أوريك : " هل يمكنه استخدام السحر ؟ " ، وكان صوته العميق يتردد صداه فى جنبات الحجرة . فجأة أصبح وجه الرجل الأصلع بدون أى تعبير ووضع يديه خلف ظهره .

" كلا " .

" إذن ما الذى تخشاه ؟ من المستحيل أن يهرب ولن يستخدم السحر الشيطانى معنا ، وخاصة فى رجل فى مثل

قواك التى تدعيها . لا تصغ لى بل اسأل أجيهاد فيما يريد أن يفعله معهم " .

حدق الأصلع فى أوريك للحظة وكان وجهه لا يوضح أى تعبير تماماً ثم نظر للسقف وأغلق عينيه ثم تصلبت كتفاه بشكل غريب بينما تحركت شفتيه بلا صوت . تجعدت جبهته بشدة وشحب جلده فوق عينيه وكان يقبض يديه وكأنه يصارع عدوًا خفيًا . ولعدة دقائق ، ظل واقفاً وهو منهمك فى اتصال صامت مع قوى خفية .

عندما فتح عينيه تجاهل أوريك وأشار للمحاربين قائلاً : " غادروا الحجرة الآن ! " ، وعندما خرجوا فى صف عبر الباب ، قال الأصلع لإيراجون ببرود : " لأننى لم أتمكن من إتمام فحصك ستظل هنا أنت و ... صديقك الليلة . سيقتل لو حاول الهرب " ، ثم استدار وغادر الحجرة ، وكانت فروة رأسه الباهتة تلمع فى ضوء المشاعل .

همس إيراجون لأوريك قائلاً : " شكراً لك " .

زمجر القزم ثم قال : " سأحضر لكما الطعام " ، ثم همس وتمتم ببضع كلمات بغيظ ثم تركهما وهو يهز رأسه . سمع إيراجون صوت إغلاق القفل خارج الباب.

جلس إيراجون وهو يشعر بأنه فى حالة حالمة غريبة بسبب كل هذه الإثارة التى حدثت طوال اليوم وفرارهم الإجبارى بسبب الأورجال . كانت جفونه ثقيلة ويريد أن ينام . جلست سفيرا بجواره وقالت : *" يجب أن نحترس ، فيما يبدو لدينا أعداء هنا كما كان حالنا فى الإمبراطورية "* . أومأ لها وكان متعبًا جداً ولم يقو على الكلام .

استلقى مورتاج على الأرض اللامعة بجوار حائط آخر وكانت عيناه تبرقان . ضغط على جرح رقبته بكمه لكي يوقف النزيف فسأله إيراجون : " هل أنت بخير ؟ " . أومأ له مورتاج بسرعة وعصبية فقال إيراجون : " هل تمكن من معرفة أى شيء منك ؟ " .

" كلا " .

" كيف تمكنت من إبعاده عن ذهنك ؟ " .

" لقد كان قوياً جداً " لقد .... لقد تلقيت تدريباً جيداً من قبل في ذلك " ، وكانت فى نبرة صوته مرارة واضحة .

خيم الصمت على المكان . جال إيراجون ببصره إلى أحد المشاعل المعلقة على الأركان وسرحت أفكاره حتى قال فجأة ليقطع الصمت : " إننى لم أخبرهم بهويتك " .

بدا الارتياح على وجه مورتاج فحنى رأسه قائلاً .

" شكراً لك على عدم إفشاء سرى " .

" وهم لم يكشفوا حقيقتك " .

" كلا " .

" ومازلت مصراً على القول بأنك ابن مورزان ؟ " .

قال وهو يتنهد : " نعم " .

هم إيراجون بمواصلة الحديث ، لكنه توقف عندما شعر بسائل ساخن يسقط على يده . نظر إلى الأسفل وفزع عندما رأى قطرة دماء داكنة تنحدر عبر جلده . لقد سقطت الدماء من جناح سفيرا .

صاح بها : " لقد نسيت أنك مجروحة ! " ، ثم قام بمجهود كبير وقال : سأعالجك " .

" احـترس لأنـه مـن السـهل الوقـوع فـى أخطـاء عنـدما تستخدم السحر وأنت متعب إلى هذا الحد " .

" أعرف ذلك " . فردت سفيرا أحـد جناحيهـا وأنزلتـه على الأرض . راقب مورتاج إيراجون وهو يتحسـس الغشـاء الأزرق الناعم ويقول : " وايز هايل " ، كلما وجـد بـه ثقبًـا من السهام . من حسـن الحـظ أن كـل الجـروح كانـت سـهلة العلاج نسبياً حتى الجروح التى كانت فى أنفها .

بعد انتهاء مهمة العلاج ، انحنى إيراجون عليهـا وهـو يتنفس بصعوبة . شعر بقلبها الذى ينبض باستمرار نبضات الحيـاة . قـال مورتـاج : " أتمنـى لـو أن يحضـروا الطعـام بسرعة " .

هـز إيراجـون كتفيـه دون اكـتراث حيـث كـان مجهـدًا للغاية لدرجة أنه لم يشعر بالجوع ، ثم عقد ذراعيه وافتقد وزن زاروك بجانبه ، ثم قال فجأة : " لماذا أنت هنا ؟ " .

" ماذا ؟ " .

" لو كنت ابن مورزان حقـاً ، لمـا تركـك جالبـاتوريكس تتجول عبر آلاجيشيا بحريـة . كيـف تمكنـت مـن معرفـة مكان الرازاك بمفردك ؟ لماذا لم نسمع قط بـأن أحـد الفرسـان المنشقين كان لديه أطفال ؟ وما الـذى تفعلـه هنـا ؟ " ، كـان صوته قد وصل لدرجة الصياح فى آخر سؤال .

وضع مورتاج وجهه بـين كفيـه ثـم رفـع رأسـه وقـال : " إنها قصة طويلة " .

رد إيراجون سريعاً " لن نذهب إلى أى مكان الآن " .

" الوقت متأخر جداً للكلام " .

" ربما لا يكون هناك وقت مطلقًا غدًا " .

لـف مورتـاج ذراعيـه حـول رجليـه وسـند ذقنـه علـى ركبتيه وكان يهتز إلى الأمام والخلف وهو يحدق إلى الأرض وقال : " إنه ليس ... " ، ثم توقف وقطع حواره ثم قـال : " لا أريد التوقـف ... ولـذلك استرخ لأن قصتـى طويلـة " .
استند إيراجـون إلى جانـب سـفيرا وأومـأ لـه وظلـت سـفيرا تراقبهما جيدًا .

كانـت أولى جمـل مورتـاج بهـا نـبرة تـردد لكـن صـوته اكتسب القوة والثقة كلما تكلم أكثر : " وفقاً لما أعرفـه ..... أنـا الطفـل الوحيـد " للخـدم " الثلاثـة عشـر " أو الفرسـان المنشقين كما كان النـاس يطلقـون علـيهم . ربمـا كـان هنـاك أطفال آخرون لأن الثلاثة عشر كانوا يملكـون مهـارة إخفـاء كل ما يريدونه ، لكنـى أشـك فـى وجـود أبنـاء لهـم سـواى لأسباب سـأشـرحها لاحـقاً " .

" تقابل أبواى فى قرية صغيرة ـ لم أعرف قـط مـا هـى ـ عندما كان أبى يسافر فى إحدى المهام للملك . أظهر مورزان لأمى مشاعر طيبة ، وبلا شك كانت تلك خدعة لكى يكسب ثقتها ، ثم غادر القرية وهى بصحبته . سـافرا معـاً لفـترة وبطبيعة الحال وقعت فى غرامه . كان مورزان سعيداً للغاية عنـدما اكتشـف ذلـك لأن ذلـك منحـه فرصًـا كـثيرة لكـى يعذبها ، وليس ذلك فقط ، بـل لأنـه أدرك أهميـة ميـزة أن يكون له خادم لن يخونه أبداً .

وهكذا ، عندما عاد مـورزان لـبلاد الملـك جالبـاتوريكس كانت أمى هى الأداة التى يعتمد عليها كثيراً . كان يستغلها لحمل الرسائل السرية وعلمها مبادئ السحر الـذى سـاعدها على الاختفاء وأحياناً استخراج المعلومات من النـاس . بـذل

كل ما في وسعه لكي يحميها من باقي الفرسان الثلاثة عشر ليس حباً فيها بل لكيلا يستخدمها أحد ضده كنقطة ضعف إذا سنحت لأحدهم الفرصة .... سارت الأمور على ما يرام هكذا لمدة ثلاث سنوات حتي أصبحت أمي حاملاً " .

توقف مورتاج للحظة وحك خصلة شعره ثم واصل حديثه بنبرة مستكينة مختصرة : " كان والدى رجلا لئيما وداهية ، وهذا أقل ما يقال عنه . كان يعرف أن الحمل يعرضه وأمي للخطر ، فما بالك بالوليد - أى أنا . وبالتالى نقلها من القصر خفية فى جنح الظلام وأودعها فى قلعته . وبمجرد إتمام ذلك ، قام بإلقاء تعاويذه السحرية القوية لمنع الناس من الاقتراب من قلعته عدا الخدم الذين اختارهم بنفسه . وهكذا صار أمر الحمل سريًا ولا يعلم به أحد سوى جالباتوريكس .

كان الملك يعرف كل التفاصيل الدقيقة لحياة الفرسان الثلاثة عشر : خططهم وصراعاتهم - والأهم مما سبق - كل أفكارهم .

وكان يستمتع بمحاربتهم لبعضهم البعض وغالباً كان ينصر أحدهم على الآخر لكي يستمتع . لكن لسبب مجهول لم يخبر أحدًا مطلقا بوجودى .

ولدت فى الوقت المحدد وتم تسليمى إلى إحدى المرضعات لكي تعود أمى بجوار مورزان . لم يكن لديها الخيار في الأمر . كان مورزان يسمح لها بزيارتي مرة كل بضعة شهور ، وعدا ذلك كنا مفترقين . استمر الحال ثلاث سنوات ، وأثناء تلك الفترة ضربني أبى و ... هذا سبب

الجرح الغائر فى ظهرى " . صمت مورتاج لمدة دقيقة وهو مطرق فى حزن قبل أن يواصل كلامه .

" ربما كنت سأكبر حتى أصل لمرحلة الشباب بهذه الطريقة لولا أن مورزان تم استدعاؤه فى مهمة عاجلة للبحث عن بيضة سفيرا . بمجرد رحيله ، هربت أمى . لا أحد يعلم لماذا هربت وإلى أين ذهبت . حاول الملك اقتفاء أثرها لكن رجاله لم يعثروا عليها ـ وبلا شك كان هذا بسبب تدريب مورزان لها " .

" وقت ميلادى كان هناك خمسة فرسان من الثلاثة عشر مازالوا أحياء . وعندما رحل مورزان تقلص العدد إلى ثلاثة ، وفى النهاية عندما واجه بروم فى جيلياد كان الفارس الوحيد المتبقى . كان الفرسان المنشقون يموتون لأسباب مختلفة . الانتحار ، والكمائن المنصوبة ، والاستخدام المبالغ فيه للسحر ..... لكن غالباً بسبب إيقاع الفاردن لهم . وقد سمعت أن الملك كان يغضب غضبًا شديداً بسبب هذه الخسائر " .

" لكن قبل وصول أنباء موت مورزان والفرسان الآخرين ، عادت أمى بعد شهور طويلة من اختفائها . كانت صحتها قد تدهورت وكأنها كانت تعانى من مرض خطير ثم زادت حالتها سوءاً وماتت خلال أسبوعين " .

حثه إيراجون على مواصلة سرد قصته فقال : " ماذا حدث بعد ذلك ؟ " .

هز مورتاج كتفيه بلا اكتراث وقال : " لقد كبرت وأحضرنى الملك لكى أعيش فى قصره ورتب أمر تربيتى . وبجانب ذلك لم يكن يقابلنى ، بل تركنى وشأنى " .

" لماذا إذن تركته ؟ " .

ضحك مورتاج بمرارة وقال : " بل تقصد بالأحرى أننى هربت منه . فى آخر عيد ميلاد لى كنت فى الثامنة عشرة من عمرى واستدعانى الملك لمقر إقامته لتناول العشاء على انفراد . وقد فاجأتنى تلك الدعوة لأننى كنت أبعد نفسى دائمًا عن بلاطه ونادراً ما قابلته . كنت قد تحدثت معه من قبل ، لكن على مسمع من النبلاء المتصلين ممن يسترقون السمع .

بالطبع قبلت الدعوة ، وأنا على وعى بأنه ليس من الحكمة أن أرفض . كانت الوجبة فاخرة للغاية ،لكن عينيه السوداوين لم تكفا عن النظر إلىّ طوال الوقت . كانت نظرته مربكة جداً لى ؛ بدا وكأنه يبحث عن شىء ما خفى فى وجهى . لم أعرف ما الذى ينبغى أن أفعله فتحدثت معه بأدب لكنه رفض الكلام فسرعان ما توقفت عن مجهودى لبدء حوار " .

" بانتهاء الوجبة ، بدأ أخيراً يتكلم . إنك لا تسمع صوته أبداً ، فمن الصعب لى أن أجعلك تفهم وتتصور صوته كانت كلماته ساحرة كالثعبان الناعم الذى يهمس بأكاذيب ذهبية فى أذنك . لم أسمع قط رجلا مقنعاً ومخيفاً مثله . ذكر لى رؤيته التى يرغب فيها : صورة خيالية للإمبراطورية كما يريدها . ستكون هناك مدن جميلة مبنية عبر البلاد ، ومليئة بأعظم المحاربين والحرفيين والموسيقيين والفلاسفة . ويتم القضاء على الأورجال كلهم ، وتمتد رقعة الإمبراطورية فى كل الاتجاهات حتى تصل للأركان الأربعة لآلاجيشيا . حينئذ يعم السلام والرخاء ،

والأغـرب هـو إحضـار الفرسـان قـادة التـنين لكـى يحكمـوا المقاطعات بحب وسلام تحت إمرة جالباتوريكس " .

" اسـتمعت إليـه وأنـا مـذهول لـمدة بـدت لى كالسـاعات الطويلة ، وعندما توقف سألته بكـل حمـاس كيـف سـيعود زمن الفرسان قادة التنين ؛ لأن الجميع يعلمون أنـه لم يبـق أى بيض للتنين . تصـلب جالبـاتوريكس ثـم حـدق إلىَّ وهـو يفكر ، وظل صامتاً لفترة طويلة ثم مد لى يده مصافحاً وقال : " هل ستساعدنى يا ابـن صـديقى فـى جهـدى لتحقيـق هـذه الجنة ؟ " .

" على الرغم من أننى أعلم التاريخ الأسود وراء صـعوده للمُلك والسلطة بمساعدة أبى ، فإن الحلم الذى رسمه لى كان مثيراً وجذاباً للغاية ، فأقسمت له بكلٍ حمـاس علـى الـولاء والطاعـة . بـدا جالبـاتوريكس سـعيداً ومنحنـى بركتـه ثـم صـرفنى بقولـه : " سأسـتدعيك عنـدما تـدعو الحاجـة إلى ذلك " .

" مرت شـهور قبـل أن يسـتدعينى مـرة أخـرى وعنـدما جاءتنى استدعاءاته شعرت بالإثارة القديمـة وتقابلنـا علـى انفراد مرة أخرى ، لكن هذه المرة لم يكن سعيداً أو ساحراً . كان الفاردن قد دمروا ثلاثة جسور في الجنوب ، وكـان فـى قمة الغضب . أمرنى بصوت هادر أن أقود فيلقاً مـن الجنـود لتـدمير قريـة كـانتوس ؛ حيـث يختبـئ بهـا المتمـردون . وعندما سـألته مـا الـذى سـنفعله وكيـف سـنتأكد من أنهـم مذنبون صاح بى : " كلهم خونة ! احرقهم علـى الخـوازيـق وادفن رمادهم مع روث البهائم ! " ، ثم استمر فى الحديث الغاضب بصورة بشعة ، وظل يستنزل اللعنات علـى أعدائـه

ويصف كيف سيمشط البلاد ليخلصها من كل من ينوى بالملك شراً .

كانت نبرة صوته مختلفة عما كانت فى مقابلاتنا السابقة ؛ أدركت أنه بلا رحمة أو تبصر لكى يكسب ولاء شعبه ، وكان يحكم بالقوة والبطش ويخضع لأهوائه . فى تلك اللحظة قررت الهرب منه ومن عاصمة مُلكه أوروباين للأبد"

" وبمجرد انصرافى من بلاط الملك استعددت للهرب مع خادمى المخلص تورناك . تسللنا من القصر خلسة فى هذه الليلة ، لكن بطريقة ما توقع جالباتوريكس ما سيحدث ، حيث كان هناك جنود فى انتظارنا خارج أبواب القصر . لمع سيفى من كثرة الدماء فى ضوء المصباح الخافت ، وهزمناهم جميعاً ... لكن فى أثناء القتال قتل تورناك " .

" صرت وحدى وقلبى ملىء بالحزن فهربت لصديق قديم قدم لى المأوى والملاذ فى مقاطعته . أثناء اختبائى كنت أسمع كل الإشاعات بحرص محاولاً التنبؤ بتحركات الملك ولأخطط لمستقبلى . أثناء ذلك الوقت ، وصلتنى إشاعات بأن الرازاك قد تم إرسالهما لأسر أو قتل شخص ما . تذكرت خطة الملك لإحياء فكرة الفرسان قادة التنين ، فقررت أن أجد الرازاك وأتبعهما لكى أعلم فى حالة لو اكتشفا وجود تنين . وهكذا تقابلت معك .... لم أعد أخفى أى أسرار الآن " .

قالت سفيرا : *" نحن لا نعرف بعد هل يكذب أم يقول الحقيقة " .*

قال إيراجون : *" أعلم ، لكن لماذا سيكذب علينا ؟ "*

" قد يكون مجنوناً " .

" أشك فى ذلك " . تحسس إيراجون حراشيف سفيرا القوية الصلبة ورآها تعكس الضوء ثم قال لمورتاج : " إذن لماذا لا تنضم للفاردن ؟ قد لا يثقون بك فى بادئ الأمر لكن بمجرد إثبات إخلاصك وولائك سيتعاملون معك باحترام . أليس من الممكن القول بأنهم حلفاؤك ؟ إنهم يسعون جاهدين للقضاء على حكم الملك ، أليس هذا ما تريد ؟ " .

صاح مورتاج : " هل يجب أن أكرر عليك كل شيء ؛ لا أريد أن يعلم جالباتوريكس بمكانى ، وهذا لا مفر منه إذا بدأ الناس يقولون إننى تحالفت مع أعدائه ، وهذا لم يحدث قط " . صمت لبرهة وقال باحتقار : " هؤلاء المتمردون لا يريدون الإطاحة بالملك فقط بل وتدمير الإمبراطورية .... وإننى أريد أن يحدث ذلك ، فهذا سينشر الذعر والفوضى والهرج والمرج . أعلم أن الملك سيئ وملىء بالعيوب لكن النظام الملكى نفسه جيد وسليم . وبالنسبة لكسب احترام الفاردن لى فعليهم اللعنة ! بمجرد أن تنكشف شخصيتى سوف يعاملوننى كمجرم وربما أسوأ . ليس ذلك فقط ، بل ستمتد شكوكهم إليك لأننا كنا نسافر معاً ! " .

قالت سفيرا : *" إنه محق "* .

تجاهلها إيراجون وقال له بتفاؤل : " الأمر ليس بهذا السوء " . فزمجر مورتاج باستهجان وسخرية وابتعد ببصره عن إيراجون الذى أردف قائلاً : " أنا متأكد من .... " ، لكنه توقف فجأة عندما فتح الباب وتم إدخال طبقين من الطعام ورغيف كبير وقطعة لحم نيئة من فتحة صغيرة ثم تم إغلاق الباب مرة أخرى .

صاح مورتاج : " أخيراً ! " ، ثم هجم على الطعام وألقى باللحم لسفيرا التى التقطته عبر الهواء وابتلعتـه علـى مـرة واحدة . قسم مورتاج الرغيف نصفين وأعطى نصفه لإيراجون ثم أخذ أحد الأطباق وانزوى فى الركن ليتناول الطعام .

تناولا الطعام فـى صمت وتنـاول مورتـاج طعامـه بـنهم شديد ثم قال : " سأنام الآن " ، ووضع طبقه على الأرض بلا كلمة أخرى واستلقى على الأرض .

قال إيراجون : " تصبح على خير " ، ثم استلقى بجوار سفيرا ووضع يديه تحت رأسـه بينمـا لفت سـفيرا رقبتهـا الطويلة حوله مثـل القطـة التـى تلـف ذيلـها حـول نفسـها واستلقت ووضعت رأسها بجواره ، ثم مدت أحـد جناحيهـا حوله كالخيمة الزرقاء لتوفر له الظلام اللازم للنوم .

قالت له : *" تصبح على خير أيها الفتى "*

وانفجرت شفتاه عن ابتسامة خفيفة لكنه سرعان ما راح فى سبات عميق .

مجد ترونجهيم

نهض إيراجون فجأة عندما سمع صيحة فى أذنه ، كانت سفيرا مازالت نائمة ، وعيناها تتحركان وهما مغلقتان تحت جفنيها وكانت شفتها العليا ترتعش أيضاً ، وكأنها ستزمجر ، فابتسم ثم تحرك عندما صاحت مرة أخرى .

قال لنفسه : " *لابد أنها تحلم* " ، ثم راقبها لدقيقة واحدة ثم دلف من تحت جناحها ثم وقف وتمدد . كانت الحجرة باردة بشكل لطيف . وكان مورتاج مستلقيًا على ظهره فى الركن البعيد وقد أغلق عينيه .

وعندما سار إيراجون حول سفيرا ، استيقظ مورتاج وقال بهدوء وهو ينهض : " صباح الخير " .

سأله إيراجون بصوت خفيض : " منذ متى وأنت مستيقظ ؟ " .

" منذ فترة طويلة ، أنا مندهش لأن سفيرا لم توقظك قبل ذلك " .

قال إيراجون بسخرية : " كنت متعباً لدرجة أننى كنت سأنام حتى لو كانت هناك عاصفة رعدية " ، ثم جلس بجوار مورتاج وأسند رأسه للحائط وقال : " هل تعرف الوقت الآن ؟ " .

" كلا . من المستحيل معرفة الوقت هنا " .

" هل جاء أحد لرؤيتنا ؟ " .

" ليس بعد " .

جلسا معاً بدون كلام وبدون حركة ، شعر إيراجون بأنه مرتبط ارتباطاً شديداً بمورتاج ، وكان شعوراً غريباً ، وقال لنفسه : *" لقد كنت أحمل سيف والده ، الذى كان يجب أن يكون ..... إرثه . نحن متشابهان كثيراً ، لكن مظهرنا وتربيتنا ونشأتنا مختلفة تماماً " . فكر فى الجرح الغائر فى ظهر مورتاج وارتعش وقال لنفسه : " أى نوع من الرجال يفعل ذلك بطفل ؟ " .*

رفعت سفيرا رأسها وحملقت ورمشت بعينيها لتتضح لها الرؤية ، ثم اشتمت الهواء ثم تثاءبت بشكل قوى ، والتوى طرف لسانها ثم قالت : " هل حدث أى شىء ؟ " . هز إيراجون رأسه بالنفى ، فقالت : " أتمنى أن يعطونا المزيد من الطعام بجانب الوجبة الخفيفة بالأمس . أنا جائعة لدرجة أننى يمكننى التهام قطيع من الأبقار بأكمله " .

قال لها مطمئناً : " بالتأكيد سيطعمونك " .

" من الأفضل أن يفعلوا ذلك وإلا ... " ثم جلست بجوار الباب واستقرت وهى تنتظر وتهز ذيلها ، أغلق إيراجون عينيه واستمتع بالراحة ، ثم غفا قليلاً ثم استيقظ وظل يسير

فى الحجرة . عندما شعر بالملل فحص أحد المصابيح . كان مصنوعاً من قطعة واحدة من الزجاج على شكل دمعة العين ، لكن ضعف حجم الليمونة الكبيرة ، ويشع ضوءًا أزرق باهتًا لا يهتز أبداً أو يخفت ، كان الزجاج الخاص بالمصباح تحيط به عمدان رفيعة من المعدن وتتلاقى فوقه منتهية بخطاف مرة وتتلاقى تحته مرة أخرى حيث تتحد فى شكل ثلاث أقدام رشيقة ؛ كانت تحفة فنية حقاً .

توقف فحصه للتحفة الفنية فجأة عندما سمع أصواتًا خارج الحجرة ، وفتح الباب ودخل حوالى اثنى عشر محاربًا وشهق أولهم عندما رأى سفيرا . ثم دخل بعدهم أوريك والرجل الأصلع الذى قال : " لقد تم الإرسال فى طلبكم للمثول أمام أجيهاد زعيم الفادرن . لو أردتم تناول الطعام ، فتناولوه أثناء السير " . وقف إيراجون ومورتاج وهما يراقبانه بشك وريبة .

قال إيراجون : " أين خيولنا ؟ هل يمكننى استرداد قوسى وسيفى ؟ " .

نظر إليه الرجل الأصلع باحتقار وقال : " ستعود إليكما أسلحتكما فى الوقت الذى يراه أجيهاد مناسباً ، وليس قبل ذلك . وبالنسبة للخيل فهى فى انتظاركما فى النفق . هيا الآن ! " .

وعندما استدار للرحيل ، قال إيراجون بسرعة : " كيف حال آريا ؟ " .

تردد الأصلع وقال : " لا أعرف ، لايزال المعالجون معها حتى الآن " ثم خرج من الحجرة بمصاحبة أوريك .

تحـرك أحـد المحـاربين إلى إيراجـون وقـال : " تقـدم أولاً " ، فسـار إيراجـون عـبر المـر وتبعـه كـل مـن سـفيرا ومورتاج ، مروا بالنفق الذى دخلـوا منـه بـالأمس ، ومـروا بالتمثال الذى يجسد الحيوان ذا الريش وعندما وصلوا للنفق الكبير الذى دخلوا منه بالأمس إلى الجبل ، كان الأصلع فـى انتظـارهم مـع أوريـك الـذى كـان يمسـك زمـام تورنـاك وسنوفاير .

قـال الأصـلع : " اركبـا الخيـول وسـيرا وراء بعضـكما الـبعض عـبر مركـز النفـق ، وإذا حاولتمـا الـذهاب فـى اتجاه آخر سيتم إيقافكمـا " . عنـدما هـم إيراجـون بامتطـاء سفيرا ، صاح الأصـلع بـه : " كـلا ! اركـب حصـانك حتـى إشعار آخر " .

هز إيراجون كتفيه بلا اكـتراث وتنـاول زمـام سـنوفاير وجلس على السرج وقـاد الحصـان أمـام سـفيرا وقـال لهـا : *" ابقى بجوارى فى حالة لو احتجت إليك "* .

قالت له : *" بالتأكيد "* .

ركب مورتاج تورنـاك خلـف سـفيرا ثـم فحـص الأصـلع طابورهم الصغير ثم أشار إلى المحاربين فانقسموا إلى فرقتين وأحاطوا بهم وابتعدوا عن سفيرا قدر الإمكان . وتقدم الموكب أوريك والرجل الأصلع .

بعد فحصهم مرة أخرى ، صفق الأصلع مرتين وبدأ يسير إلى الأمام ، حث إيراجون سنوفاير على السير بركل جانبيه بخفة ، تحركت كل المجموعة تجـاه قلـب الجبـل ، امـتلأ المـر بصدى الصـوت الخـاص بقرقعـة حـوافر الخيـل علـى الأرض الصلبة ، وتضاعف الصدى فـى الطـرق المهجـورة .

كانت الحوائط الناعمة الملساء تحتوى على الكثير من الأبواب والبوابات لكنها كانت كلها مغلقة .

انبهر إيراجون بحجم النفق الذى تم حفره بمهارة كبيرة لا يصدقها عقل ، فالحوائط والأرضية والسقف كانت منحوتة بدقة متناهية ، والزوايا عند أساسات الحوائط كانت مربعة بالضبط ، وفقاً لما يراه ، والنفق نفسه لم يحد عن الطريق المستقيم ولو ببوصة واحدة .

وبينما كانوا يتقدمون ، زاد ترقب إيراجون وتخوفه من مقابلة أجيهاد . كان زعيم الفاردن شخصًا غامضاً ومجهولاً لدى سكان الإمبراطورية . لقد ارتقى إلى السلطة منذ حوالى عشرين عاماً ومنذ ذلك الحين كان يشن حرباً شرسة ضد جالباتوريكس . لا أحد يعلم من أين أتى وما شكله . كانت تحوم حوله الإشاعات بأنه خبير حاذق فى وضع الخطط والاستراتيجيات للحرب ، وأنه مقاتل بارع ومتوحش مع هذه السمعة ، بدا القلق على إيراجون من استقباله لهم . لكنه كان يعلم أن بروم كان يثق فى الفاردن بالقدر الكافى ليعمل لحسابهم ؛ مما هدأ مخاوفه فقط ولكن لم يزلها تماماً .

كما أن رؤية أوريك مرة أخرى جعلت أسئلة جديدة تتداعى لذهنه ، كان النفق من عمل الأقزام ، كما هو واضح ـ لا أحد غيرهم يحفر بتلك المهارة ـ لكن هل الأقزام جزء من الفاردن أم يأوون إلى الفاردن فقط ؛ ومن الملك الذى ذكره أوريك ؟ هل هو أجيهاد ؟ فهم إيراجون الآن أن الفاردن تمكنوا من تجنب اكتشاف مكانهم بالاختباء تحت الأرض ، لكن ماذا عن مخلوقات الإلف ؟ أين هم ؟

قادهم الرجل الأصلع لمدة ساعة تقريبا عبر النفق ، ولم يجنح عبر الطريق ولم يلتفت . قال إيراجون لنفسه : " لقد سرنا لمسافة فرسخ واحد تقريباً ، وربما نكون نخترق الجبل ! " . فى النهاية ظهرت بؤرةٍ ضوء فحاول معرفة مصدرها ، لكنه كان لايزال بعيدا جداً ولم تظهر التفاصيل ، وزاد الضوء قوة كلما اقتربوا منه .

تمكن إيراجون لاحقا من رؤية أعمدة رخامية سميكة مطعمة بالياقوت والأحجار الكريمة الأخرى ، وكانت فى رفوف كبيرة على امتداد الحائط ، كانت هناك عشرات المصابيح معلقة بين الأعمدة وتملأ الهواء بضوئها المائى الساطع . لمعت قواعد الأعمدة من الأشكال الذهبية التى تشبه الخيوط الذائبة . وكان هناك على السقف رؤوس غربان سوداء منحوتة ومناقير مفتوحة وكأنها تصرخ . فى نهاية الممر كانت هناك بوابتان سوداوان ضخمتان تحوط حوافهما خطوط فضية لامعة ترسم تاجًا له سبعة رؤوس ويغطى كلا الجانبين .

توقف الأصلع ورفع يده واتجه لإيراجون قائلا : " ستركب تنينك الآن . لا تحاول أن تهرب بالطيران بعيداً ، سيكون هناك من يراقبك ، لذلك تذكر من أنت ومن نحن " .

ترجل إيراجون عن سنوفاير وامتطى ظهر سفيرا التى قالت : " *أظن أنهم يتفاخرون فقط أمامنا* " ، بينما كان إيراجون يستقر على السرج .

قال لها وهو يربط الأحزمة جيدًا على قدميه : " سنرى ، أتمنى لو كان زاروك معى " .

" من الأفضل ألا يكون معك سيف موروزان عندما يراك الفاردن لأول مرة " .

" عندك حق " ، ثم قال للأصلع وهو يرفع قامته : " أنا مستعد " .

قال الأصلع : " رائع " ، ثم تراجع مع أوريك من على جانبي سفيرا بمسافة كافية لكي تتقدمهم بوضوح . ثم قال : " الآن سر حتى الأبواب وبمجرد أن تفتح لك ، اتبع الطريق ببطء " .

قال إيراجون لسفيرا : " *هل أنت مستعدة ؟* "

" *بالطبع* " . اقتربت سفيرا من الأبواب بخطوات محسوبة وكانت حراشيفها تلمع في الضوء ، وتعكس ألوانا تتلألأ على الأعمدة . أخذ إيراجون نفسا عميقا لتهدئة أعصابه .

بدون تحذير أو سابق إنذار ، فتحت الأبواب إلى الخارج عبر مفاصل خفية ، وبينما زادت الهوة بين البوابات ، تسلل ضوء الشمس إلى النفق وسقط على سفيرا وإيراجون . شعر أنه فقد بصره مؤقتا فأغمض عينيه ونظر وهو يضيق عينيه إلى الأمام ثم شهق عندما اعتادت عيناه على الضوء وتكيفتا معه .

كانوا داخل فوهة بركان ضخمة للغاية ، وحوائطها كانت تنتهي بفتحة ضيقة غير ملساء وعالية جدا لدرجة أن إيراجون لم يتمكن من حساب المسافة ـ ربما أكثر من فوهة البركان . وكان هناك بصيص من الضوء يضيء مركز البركان من الداخل لكن باقي الكهف الشاسع الفسيح كان مضاءً بضوء خافت نتيجة هذا البصيص من أشعة الشمس .

كانت جوانب الكهف البركانى تبدو من بعيد زرقاء وغير محددة الملامح ، وذلك على بعد عشرة أميال . وكانت تراكمات الثلج الضخمة تنتشر وسمكها مئات الأقدام وطولها آلاف الأقدام ومعلقة على بعد فراسخ فوقهم وتلمع كالخناجر . كان إيراجون يعلم من خبرته في الوادى أنه لا أحد يتمكن ، ولا حتى سفيرا ـ من الوصول لهذه الأعالى ، في المناطق السفلى من الحائط الداخلى للكهف البركانى ، كانت هناك بقع كبيرة داكنة من العثة والطحالب تغطى الصخور .

خفض إيراجون بصره ورأى طريقاً واسعاً مرصوفاً بالحصى يمتد من أعتاب الباب ويؤدى مباشرة إلى مركز الكهف البركانى ، حيث ينتهى عند سفح جبل مغطى بالثلوج ويلمع كالجوهرة غير المصقولة بآلاف الألوان المضيئة . كان الجبل أقل من عُشر ارتفاع الكهف البركانى وكان خادعاً ؛ لأنه أعلى من ميل واحد بقليل .

كان النفق طويلاً ولكنه قادهم فقط عبر جانب واحد من حائط الكهف البركانى . وعندما حدق إيراجون إلى ما حوله ، سمع أوريك يقول بعمق : " تأمل جيدًا يا إنسى ، لم ير أى فارس من قادة التنين من قبل ما تراه منذ قرابة مائة عام . القمة التى يأتى منها الهواء التى تقف تحتها تسمى فارزن دور ـ تم اكتشافها منذ آلاف السنوات من قبل أحد أسلافنا ويسمى كورجان ، حيث كان يحفر بحثاً عن الذهب ، وفى المركز يقع أهم وأعظم إنجازاتنا : ترونجهيم ، المدينة الجبلية المبنية من الرخام النقى جدا " . ثم أغلقت الأبواب .

قال إيراجون لنفسه : " *مدينة ل* " .

رأى إيراجـون الزحـام . كـان مشـغولاً للغايـة بالمنـاظ لدرجة أنه لم ير الزحام الشديد من الناس المجتمعين حول مدخل النفق . كانوا يقفون في صفوف فـي ممـرات مرصـوفة بالحصى ـ مجموعـة كـبيرة ومتشـابكة مـن الأقـزام والبشـر كالأدغـال المتشـابكة . كـان هنـاك المئـات ..... بـل الآلاف منهم . وكانت كل العيون والوجوه تركز على إيراجون ، كما كان كل الحاضرين صامتين .

أمسك إيراجـون قاعـدة أحـد أشـواك رقبـة سـفيرا ورأى أطفالاً يرتدون ملابس قذرة ورجالاً ضـخام الجثـة مفاصـلهم مجروحـة ونساء في ملابس مغزولة يدوياً في المنزل ، وأقزام تعلو وجوههم نفس تعبير الوجه الضيق ـ كالحيوان الجـريح عنـدما يقـترب منـه حيـوان مفـترس ويكـون الهـروب منـه مستحيلاً .

سالت نقطة عرق على وجـه إيراجـون ، لكنـه لم يجـرؤ على مسحها ، فقـال بهلـع لسـفيرا : " مـا الـذى يجـب أن أفعله ؟ "

قالت سـفيرا بحـدة : " ابتسـم ، لـوح لهـم بيـدك ، أى شيء ! " .

حـاول إيراجـون أن يتكلـف الابتسـام ، لكـن شـفتيه تحركتا بشكل لاإرادى . استجمع إيراجـون شـجاعته ولـوح لهم بيده في الهـواء قلـيلاً . لم يحـدث أى رد فعـل فـاحمر وجهـه خجلاً وأنزل ذراعه وحنى رأسه .

صفق أحدهم بصوت عال كسر حاجز الصمت ، وللحظة بدا التردد على الجماهير ثم صفق الجميع بحرارة وكان الصوت عاليًا جداً واجتاح إيراجون .

قال الأصلع من خلفه : " رائع ، والآن واصل السير " .

شعر إيراجون بالارتياح وسار فى خط مستقيم وسأل سفيرا بمرح : " هيا بنا الآن ؟ " ، فرفعت رقبتها وبدأت تسير . عندما مرت بأول صف من الناس نظرت إلى كلا الجانبين ونفثت دخاناً . هدأ الناس وتراجعوا للخلف ثم واصلوا هتاف التحية بحماس زائد ومضاعف .

وبخها إيراجون وقال : " واصلى الاستعراض ! " ، لكنها حركت ذيلها وتجاهلته . حدق إيراجون بفضول فى الجمهور الذى بدأ يتزاحم ويتدافع وهى تسير عبر الطريق . كان عدد الأقزام أكبر بكثير من البشر ...... والكثير منهم حدق إليه باستياء ، وحتى إن بعضهم أعطاه ظهره وانصرفوا بوجوه متصلبة كالحجر من الغضب .

كان البشر من الجمهور تبدو عليهم ملامح القوة والقسوة ؛ كل الرجال كانوا يحملون فى وسطهم إما سكاكين أو خناجر ! والكثيرون كانوا مسلحين وكأنهم فى حربٍ . كان الفخر يبدو على النساء لكنهن كن يخفين قلقاً بالغاً . عدد قليل من الأطفال حدق إلى إيراجون بعيونهم الواسعة . شعر أنه متأكد من أن هؤلاء الناس مروا بصعاب كثيرة وسيفعلون كل ما هو لازم للدفاع عن أنفسهم .

لقد وجد الفاردن مكاناً مثاليًا للاختباء ، فإن حوائط فارزن دور كانت عالية جداً ولن ينجح أى تنين فى التحليق

فوقها ولن ينجح أى جيش فى اختراق البوابات ، وذلك إن وجدها أساساً .

سارت الجماهير خلفهم وتركوا مساحة كافية حول سفيرا ، هدأ الناس بالتدريج ولكن ظل انتباههم منصباً على إيراجون . نظر خلفه ورأى مورتاج يسير وهو متصلب الجسم وشاحب الوجه .

اقتربا من المدينة الجبلية ورأى إيراجون الرخام الأبيض لـ " ترونجهيم " الذى كان مصقولا وتم تشكيله فى دوائر متدفقة وكأن قد تم صبها . كانت المدينة عبارة عن جبل ضخم من الرخام ومليئة بعدد لا يحصى من النوافذ المستديرة التى بها أعمال نحت هائلة على حوافها . كان هناك مصباح ملون معلق على كل نافذة ويعكس ضوءاً لطيفاً خافتاً على الصخرة المحيطة به . لم تكن هناك مداخن أو أبراج . وأمام إيراجون مباشرة ، كان هناك تمثالان من الذهب لمخلوقات الجريفين (حيوان خرافي له جسد أسد وجناحان) يصل طولها حتى ثلاثين قدما على جانبى بوابة ضخمة من الخشب ـ تقع على بعد عشرين ياردة داخل قاعدة المدينة الجبلية ترونجهيم ـ وكان على الجانبين دعامات ضخمة غليظة وتعلوها القباب فوق رؤوسهم .

عندما وصلوا لسفح المدينة الجبلية ترونجهيم ، توقفت سفيرا لترى هل لدى الرجل الأصلع أى تعليمات أخرى . وعندما لم تجد أى تعليمات أخرى استأنفت سيرها إلى البوابة . كانت الحوائط بها صف من الأعمدة من العقيق الأحمر بلون الدم . وبين الأعمدة ، كانت هناك تماثيل معلقة لكائنات غريبة نحتها أزميل النحاتين المهرة .

فتحت البوابة الهائلة الحجم بصوت مهول بينما رفعت السلاسل الخفية العمدان الضخمة ببطء . كان هناك ممر ارتفاعه أربعة طوابق يمتد مباشرة إلى مركز ترونجهيم . كانت الطوابق الثلاثة الأولى تخترقها صفوف من الأنفاق الرمادية عبر مسافات كبيرة . كانت الأنفاق مليئة بالناس وكلهم يشاهدون إيراجون وسفيرا بحماس . لكن على المستوى الأرضى ، كانت الأنفاق مسدودة بأبواب قوية . وبين كل مستوى وآخر ، كانت هناك سجاجيد ملونة وغنية بالتفاصيل ومطرزة برسوم للأبطال ومشاهد للمعارك الضارية .

رنت صيحات الناس فى أذنى سفيرا وإيراجون وهما يسيران نحو القاعة فى الموكب . رفع إيراجون ذراعه مما جعل الجماهير تصيح ، لكن الكثير من الأقزام لم يشاركوا فى صياح الترحيب .

كانت القاعة التى يصل طولها لميل واحد تنتهى بقبة على جانبيها أعمدة سوداء لامعة تعلوها أحجار كريمة لامعة حجم الواحدة منها أكبر من الإنسان بثلاثة أضعاف وتلقى بأضوائها المبهرة الذهبية عبر القاعة ، دخلت سفيرا عبر المدخل ثم توقفت ومالت برأسها إلى الوراء وهمهمت داخليًا بعمق من صدرها .

كانوا فى قاعة دائرية ، ربما كان قطرها ألف قدم ، والتى تصل لقمة ترونجهيم على ارتفاع ميل وكانت تضيق كلما ارتفعت . كانت الحوائط مليئة بالأعمدة والقباب ـ صف واحد لكل مستوى من المدينة المنحوتة فى الجبل ـ والأرض مغطاة بالعقيق الأحمر اللامع ، وكان هناك تمثال المطرقة

مرسوم على يدها اثنتا عشرة نجمة خماسية فضية مثل الرسم الموجود على خوذة أوريك .

كانت الحجرة محور ارتكاز لأربعة ممرات ـ ومنها الممر الذى ساروا منه ـ الذى تقسم ترونجهيم إلى أربعة أرباع . وكانت القاعات متشابهة تماماً ، عدا القاعة المقابلة لإيراجون . وعلى يمين ويسار تلك القاعة ، كانت هناك أعمدة طويلة تؤدى إلى سلم تحت الأرض .

كان السقف مغطى بنجمة زرقاء ضاربة فى الحمرة وحجمها ضخم وهائل جداً . كما كانت هناك جوهرة قطرها ٢٠ ياردة وسمكها كذلك بنفس المقدار . كان وجه الجوهرة منحوتًا على شكل زهرة يانعة وقد تم النحت بمهارة فائقة لدرجة أنها كانت تبدو حقيقية . كان هناك صف عريض من المصابيح الملفوفة حول حافة الجوهرة الزرقاء ، وكانت تشع ضوءا مبهراً على كل شىء تحتها . وكانت الأشعة المتراقصة للنجمة داخل الجوهرة تجعلها تبدو كعين ضخمة تراقبهم .

حدق إيراجون فى كل ذلك بدهشة بالغة ، فإنه لم يستعد لكل ما شاهده ، وبدا من المستحيل أن من بنى ترونجهيم من البشر . كانت المدينة الجبلية أفخم من أى شىء رآه فى الإمبراطورية ، كان يشك فى أن أوروباين بهذه الفخامة والثراء الموجود هنا ، كانت ترونجهيم كالنصب التذكارى المذهل الذى يشهد بقوة ومثابرة الأقزام .

سار الرجل الأصلع أمام سفيرا وقال : " يجب أن تواصل الطريق سيرا على الأقدام من هنا " . كانت هناك صيحات استنكارية متفرقة من الجمهور عندما قال الأصلع ذلك .

جاء أحد الأقزام وسحب تورناك وسنوفاير بعيداً ، وترجل إيراجون من على سفيرا ولكن ظل بجوارها بينما قادهم الأصلع عبر الأرض المرصعة بالعقيق الأحمر إلى الممر الأيمن .

اتبعوا الأصلع عبر ممر طوله عدة مئات من الأقدام ثم دخلوا ممراً أصغر . ظل الحراس معهم رغم ضيق المساحة . وبعد أربعة منحنيات حادة وصلوا إلى باب ضخم من خشب الأرز ولونه أسود وكان يبدو عليه مرور الزمن ، فتح الأصلع الباب وأدخل الجميع عدا الحراس .

أجيهاد

دخل إيراجون إلى حجرة مكتب أنيقة مكونة من طابقين وعلى حوائطها صفوف من الرفوف المليئة بالكتب ومصنوعة من خشب الأرز ، كان هناك سلم حديدى يلتف حول نفسه حتى يصل لشرفة صغيرة بها مقعدان ومنضدة للقراءة . كانت المصابيح البيضاء معلقة عبر الحوائط والسقف لكى يمكن قراءة الكتب فى أى مكان فى الحجرة . وكانت الأرضية الحجرية مغطاة بسجادة بيضاوية ثرية التفاصيل والرسوم . وفى نهاية الحجرة ، كان هناك رجل يقف خلف مكتب ضخم من خشب البندق .

كان جلد الرجل يلمع بلون الأبنوس اللامع وكانٍ أصلع لكن له لحية مهذبة تغطى ذقنه وله شارب أيضاً ، كان وجهه ذا ملامح قوية وكانت تكسوه الجدية وكانت عيناه تتقدان بالذكاء . كان عريض المنكبين وقويًّا ، وكان يظهر الحجم الكبير لكتفيه بسبب السترة الحمراء الضيقة الموشاة بالخيوط الذهبية التى كان يرتديها على قميص أرجوانى

زاهي اللون . كان يتحرك باعتزاز كبير بنفسه ، وكان يشع إحساساً قويًا بالتحكم فيمن حوله .

عندما تحدث كان صوته قويًّا ومفعماً بالثقة : " مرحباً بك في ترونجهيم يا إيراجون أنت وسفيرا ، أنا أجيهاد . تفضلوا بالجلوس " .

جلس إيراجون في المقعد الوثير بجوار مورتاج ، بينما جلست سفيرا خلفهما لتحميهما ، رفع أجيهاد يده وطرقع أصابعه ، فجاء رجل من خلف السلم وكان يشبه الرجل الأصلع تماماً . حدق إليهما إيراجون في دهشة بينما تصلب جسد مورتاج ، فقال أجيهاد مبتسماً : " الحيرة مفهومة جداً يا سادة ، فهما توأم ، وقد كنت أود أن أخبركما باسميهما لكن ليس لديهما أسماء " .

أصدرت سفيرا فحيحاً معبرة عن استيائها لهما . راقبها أجيهاد لبرهة ثم جلس على المقعد ذى الظهر المرتفع خلف المكتب ، وتراجع التوأم حتى تحرر السلم ووقفا بلا حراك كالتماثيل بجانب بعضهما البعض ، ضم أجيهاد أصابعه معاً وهو يحدق إلى إيراجون ومورتاج لوقت طويل بدون أن يحرك عينيه .

شعر إيراجون بعدم الراحة وتحرك وتململ في مقعده . بعد عدة دقائق ، خفض أجيهاد يديه وأشار للتوأم ليحضرا إليه فحضر إليه أحدهما بسرعة ووقف إلى جواره فهمس أجيهاد في أذنه فشحب وجه الأصلع وهز رأسه بشدة . عبس أجيهاد ثم أومأ وكأنه قد تأكد من شيء .

نظر أجيهاد إلى مورتاج قائلاً : " لقد وضعتني في موقف حرج برفضك أن تخضع للفحص . لقد سمح لك

بالدخول إلى فارزن دور لأن التوأم أكدا لى أنهما سيتحكمان فيك ، وأيضاً بسبب خدماتك لإيراجون وآريا . أنا متفهم أن هناك أشياء تريد إخفاءها في ذهنك ، لكن طالما أنك مصر على موقفك فلن نثق بك " .

قال مورتاج بلهجة تحد : " لن تثقوا بى على أية حال " .

اسود وجه أجيهاد بينما قال مورتاج عبارته ولمعت عيناه بشكل ينذر بالخطر وقال : " لقد سمعت مثل هذا الصوت منذ ثلاثة وعشرين عاماً .... أعرف هذا الصوت " . ثم وقف ونفخ صدره بشكلٍ ينذر بالخطر وبدا القلق على التوأم وألصقا رأسيهما معاً وأخذا يهمسان بشكل محموم ، وقال أجيهاد : " كان صوتاً لرجل آخر ، أشبه بالوحوش وليس بالبشر . قم أيها الشاب " .

أطاعه مورتاج وهو فى شك وريبةٍ وتحولت عيناه ما بين التوأم وبين أجيهاد الذى أمره قائلاً : " اخلع قميصك " . هز مورتاج كتفيه بلا اكتراث فقال أجيهاد : " استدر " ، فاستدار لجانبه وأظهر الضوء الجرح الغائر فى ظهره .

همس أجيهاد : " مورتاج " ، وأطلق أوريك صيحة من فرط الدهشة . بدون سابق إنذار توجه أجيهاد للتوأم وصاح بهما قائلاً : " هل كنتما تعلمان ذلك ؟ " .

حنى التوأم رأسيهما وقال أحدهما : " لقد اكتشفنا اسمه في ذهن إيراجون ، لكننا لم نشك فى أن الفتى هو ابن شخص قوى مثل مورزان ولم يخطر هذا ببالنا و ـــــ " .

صاح أجيهاد : " ولم تخبرانى ؟ " ، ثم رفع يده ليمنعهما من الكلام والشرح وقال : " سنناقش ذلك

لاحقاً " ، ثم نظر إلى مورتاج وقال : " أولاً يجب أن أحل هذا اللغز ، هل مازلت ترفض فحص عقلك ؟ " .

قال مورتاج بحدة وهو يرتدى قميصه : " نعم ، لن أدع أحداً يفحص عقلى " .

مال أجيهاد على مكتبه وقال : " ستكون هناك عواقب وخيمة لو أصررت على موقفك . إذا لم يؤكد التوأم أنك لا تمثل خطراً أو تهديداً لنا فلن نثق بك ، على الرغم ، أو بالأحرى بسبب مساعدتك لإيراجون . وبدون التحقق منك ، فإن الناس هنا ـ من البشر والأقزام على السواء ـ سيمزقونك إرباً إذا اكتشفوا وجودك . أنا مضطر لاحتجازك طوال الوقت ـ لحمايتك وحمايتنا . ستسوء الأمور لو طلب ملك الأقزام هروثجار أن يتحفظ عليك . لا تجبر نفسك على أن تكون فى هذا الموقف ومازال من الممكن تجنبه " .

هز مورتاج رأسه فى عند وقال : " كلا ... حتى لو استسلمت فسيعاملوننى كمنبوذ أبرص . كل ما أريده هو الرحيل من هنا . إذا تركتمونى أرحل بسلام ، لن أفشى موقعكم للإمبراطورية " .

صاح أجيهاد : " وماذا سيحدث لو وقعت فى الأسر ومثلت أمام جالباتوريكس ؟ فسينتزع كل أسرار عقلك مهما كنت قوياً فى إخفائه . وحتى لو قاومته ، فكيف سنثق فى أنك لن تنضم إليه فى المستقبل ؟ إننى لا أستطيع المجازفة " .

صاح مورتاج وقامته منتصبة : " هل ستسجننى مدى الحياة ؟ " .

قال أجيهاد : " كلا ، فقط حتى تدعنا نفحص عقلك . إذا وجدنا أنك أهل للثقة ، سيمحو التوأم موقع فارزن دور من ذهنك قبل أن ترحل . فلن نجازف بترك شخص له ما فى ذهنك يقع فى يد جالباتوريكس . ماذا ستفعل يا مورتاج ؛ حدد بسرعة وإلا فسأختار مصيرك بنفسى " . توسل إليه إيراجون فى صمت : " استسلم فقط " ، فقد كان يساوره القلق على سلامة مورتاج : " الأمر لا يستحق العناد " .

فى النهاية تحدث مورتاج ببطء وبوضوح : " عقلى هو الملاذ الوحيد الذى لم يسرق منى بعد . حاول الرجال اختراقه من قبل لكنى تعلمت الدفاع عنه بكل قوة ؛ لأننى أشعر بالأمان فقط مع أفكارى فى مكنون ذاتى . لقد طلبت منى الشىء الوحيد الذى لا يمكننى إعطاؤه وخاصة للتوأم " ، ثم أشار لهما وأردف قائلا : " افعل بى ما تريد ، لكن اعلم هذا جيداً : أنا أفضل الموت على أن أدع نفسى للفحص " .

لمعت عينا أجيهاد من الإعجاب وقال : " لست مندهشاً من اختيارك ، على الرغم من أننى تمنيت العكس .... أيها الحراس ! " ، فتح الباب المصنوع من خشب الأرز بسرعة وهرع إلى الداخل المحاربون المدججون بالسلاح . أشار أجيهاد إلى مورتاج وصاح بلهجة الأمر : " خذوه لزنزانة بلا نوافذ وأغلقوا القفل على الباب جيدا ، واجعلوا لحراسة المدخل ستة رجال ولا تسمحوا لأحد بالدخول إليه حتى أراه ، ولا تتحدثوا معه " .

أحاط المحاربون بمورتاج ونظروا إليك بشك وريبة . وعندما غادروا المكتب ، لفت إيراجون انتباه مورتاج وقال له بدون أن يصدر أى صوت : " أنا آسف " ، فهز مورتاج كتفيه بلا اكتراث ثم حدق إلى الأمام في إصرار وعناد . غاب عن الأنظار في الممر مع الرجال ، وخفت صوت أقدامهم حتى ساد الصمت .

قال أجيهاد فجأة : " ليرحل الجميع من هنا عدا إيراجون وسفيرا . الآن! "

رحل التوأم بعد أن انحنيا له في احترام ، وقال أوريك : " يا سيدى ، سيرغب الملك في معرفة حقيقة مورتاج ، وهناك مسألة عدم إطاعتى لأوامر من هم أعلى منى و ــــ " .

عبس أجيهاد ثم أشاح بيده وقال : " أنا سأخبر هروثجار بنفسى ، وبالنسبة لأفعالك ...... انتظر بالخارج حتى أستدعيك ، ولا تدع التوأم يهربان ، لم أنته من حسابهما بعد "

قال أوريك : " حسناً " ، ونكس رأسه وأغلق الباب بصوت قوى .

بعد صمت طويل جلس أجيهاد وتنهد من التعب ، ومرر يده على وجهه وحدق إلى السقف ، وانتظر إيراجون وقد نفد صبره لكى يتكلم أجيهاد وعندما وجده لا يتحدث قال فجأة : " هل آريا بخير ؟ " .

نظر إليه أجيهاد وقال بكل جدية ، " كلا ...... لكن المعالجون قالوا لى إنها ستشفى . ظلوا يعملون على رعايتها طوال الليل . لقد تمكن منها السم بمقدار كبير وخطير ، لم

تكن لتعيش لولا أنك أحضرتها إلينا . لك كل التقدير والعرفان من الفاردن على صنيعك هذا " .

مال إيراجون في ارتياح ، فلأول مرة شعر بأن هروبهم من جيلياد استحق كل الجهد ، ثم قال : " إذن ، ماذا الآن ؟ " .

قال أجيهاد : " أريدك أن تخبرني كيف وجدت سفيرا وكل ما حدث منذ ذلك الحين " ، ثم رفع أصابعه لأعلى ثم أردف قائلاً : " إنني أعرف بعضاً من حكايتك من رسالة بروم لي ، وأجزاء أخرى من التوأم . لكنني أريد سماع قصتك منك وخاصة تفاصيل موتٍ بروم " .

كان إيراجون مترددا في ذكر كل ما حدث له لرجل غريب ، لكن أجيهاد ظل صابراً . قالت سفيرا لتحفزه بلطف : " *هيا !* " ، ثم تحرك إيراجون في مقعده وبدأ في سرد حكايته ، كان في البداية يتحدث ببطء وعلى مضض ، لكن كلما واصل الحكي بدأ يشعر بارتياح . ساعدته سفيرا على تذكر الأمور بوضوح عن طريق تعليقاتها كل فترة أثناء السرد . كان أجيهاد ينصت باهتمام كبير طيلة الوقت .

تحدث إيراجون لساعات ، وكان يتوقف أحياناً . وقد أطلع أجيهاد على ما حدث في مدينة تيرم ، لكنه لم يخبره بما قالته أنجيلا عن قراءة طالعه ، وأخبره كيف وجد بروم الرازاك . وحكى له أيضاً أحلامه عن آريا . وعندما ذكر له مدينة جيلياد وذكر له الظل ، تصلب وجه أجيهاد ومال في مقعده للخلف وأغلق عينيه .

عندما فرغ إيراجون من سرد قصته ، صمت وأخذ يفكر في كل ما حدث له . وقف أجيهاد وشبك يديه خلف ظهره

ودرس أحد أرفف الكتب وهو شارد الذهن ، وبعد قليل عاد لمكتبه .

قال أجيهاد : " موت بروم خسارة فادحة ، لقد كان صديقاً مقرباً لى وحليفاً قويًا للفاردن . لقد أنقذنا من الدمار عدة مرات بشجاعته وذكائه . وحتى الآن بعد رحيله ، فقد أعطانا أهم شيء لتأكيد نجاحنا ـ أنت " .

" ولكن ما الذى تتوقع منى إنجازه ؟ " .

" سأشرح لك كل شيء ، لكن هناك أموراً أهم وأكثر إلحاحاً يجب أن نعالجها أولاً . خبر تحالف الأورجال مع الإمبراطورية خبر مهم وخطير للغاية . لو كان جالباتوريكس يقوم بإعداد جيش من الأورجال ليدمرنا ، فإن الفاردن سيزيدون من بأسهم من أجل الحياة ، على الرغم من أن معظمنا له حماية هنا فى فارزن دور " ، فعندما يعقد فارس من راكبى التنين وشرير مثل جالباتوريكس اتفاقاً وتحالفاً مع تلك الوحوش ، فإن ذلك يعتبر دليلاً على الجنون . إننى أرتعد عندما أتساءل ما الذى وعدهم به مقابل ولائهم له . وهناك مسألة " الظل " ، هلا وصفته لى ؟ " .

أومأ له إيراجون وقال : " إنه طويل ونحيل وباهت جداً وله عينان حمراوان وشعر أحمر ، وكان يرتدى زيًا أسود " .

قال أجيهاد بحدة : " ماذا عن سيفه ـ هل رأيته ؟ هل كان على نصل سيفه خدش طولى ؟ " .

قال إيراجون فى دهشة : " نعم ، كيف عرفت ذلك ؟ " .

قال بوجوم : " لأننى من تسببت فيه عندما حاولت دفع السيف فى قلبه " . ثم ابتسم فى حزن وأردف قائلاً : " اسمه دورزا ـ وهو من أكثر الوحوش دهاء وشراً ممن ساروا على الأرض . إنه الخادم المخلص لجالباتوريكس وعدونا اللدود أيضاً . أنت تقول إنك قتلته ، فكيف ذلك ؟ " .

تذكر إيراجون ما حدث بكل وضوح فقال : " أطلق عليه مورتاج سهمين ، الأول أصابه كتفه والثانى بين عينيه " .

عبس أجيهاد وقال : " كنت أخشى ذلك ، لم تقتله هكذا ؛ الظلال تقتل فقط بغرز النصل فى القلب . أى شيء عدا ذلك يجعلهم يختفون ويعاودون الظهور كأرواح شريرة . إنها عملية مؤلمة لكن دورزا سيعود أقوى مما كان " .

خيم الصمت الحزين عليهما كالسحب التى تنذر بالبرق والرعد ، قال أجيهاد : " أنت لغز كبير يا إيراجون ، لا أحد يعرف حله . الجميع يعلمون ما الذى يريده الفاردن ـ وحتى ما يريده جالباتوريكس والأورجال ـ لكن لا أحد يعرف ما الذى تريده أنت . وهذا يجعلك تشكل خطراً وخاصة لجالباتوريكس ، فهو يخشاك لأنه لا يعلم ما الذى ستفعله بعد ذلك " .

قال إيراجون بهدوء : " وهل يخاف منى الفاردن " .

قال أجيهاد بحرص : " كلا ، بل يملؤنا الأمل تجاهك . لكن لو كان أملاً كاذباً ، فسنخاف منك " . نكس إيراجون رأسه ، فقال أجيهاد : " يجب أن تفهم الطبيعة غير العادية لموقعك الآن . هناك فصائل تريدك أن تخدم مصالحها

وليس مصالح الآخرين . لحظة دخولك لفارزن دور تمثل بداية صراع القوى المختلفة للتأثير والاستحواذ عليك " .

قال إيراجون : " وهل أنت من ضمن تلك القوى ؟ " .

ضحك أجيهاد على الرغم من الحدة الظاهرة في عينيه وقال : " نعم . يجب أن تعرف بضعة أمور : أولاً كيف ظهرت سفيرا في منطقة سباين . هل أخبرك بروم بما حدث للبيضة قبل إحضارها إلى هنا ؟ " .

قال إيراجون : " كلا " ثم نظر إلى سفيرا ، فرمشت بعينيها وأخرجت لسانها له مداعبة إيراجون .

طرق أجيهاد مكتبه قبل أن يبدأ في الكلام قائلاً : " عندما أحضر بروم البيضة إلى الفاردن لأول مرة ، كان الجميع مهتمين للغاية بمصيرها . كنا نظن أن التنين مخلوق منقرض وأن كل نوعه قد تم إبادته . كان الأقزام لهم اهتمام واحد منصب وقائم على يكون أن الفارس القادم حليفهم ـ على الرغم من رفض بعضهم لفكرة وجود فارس قائد تنين أساسًا ـ بينما الإلف والفاردن بينهما صراع شخصي في هذا الأمر ـ السبب بسيط للغاية : عبر التاريخ كان كل الفرسان من البشر أو من الإلف ، لكن الأغلبية كانت للإلف . ولم يكن هناك أبداً فارس من الأقزام " .

" وبسبب خيانة جالباتوريكس ، كان الإلف يرفضون أن يتعامل الفاردن مع البيضة حتى لا يفقس التنين لأي إنسان له أعراض جنونية مثل الملك ، وكنت أنا في موقف محرج جداً ، لأن كلا الجانبين كان يريد أن يظهر الفارس منهم . كما أن الأقزام زادوا من حدة المشكلة عن طريق الشجار والمناقشات الحادة معنا ومع الإلف كلما سنحت الفرصة ولقد

تصاعدت الخلافات والمخاوف ، وقبل أن يمر وقت طويل تبادلوا التهديدات التى لاحقاً ندم عليها كل الأطراف . فيما بعد ، اقترح بروم حلاً وسطاً يسمح بحفظ وجه جميع الأطراف " .

" لقد اقترح نقل البيضة بين الفاردن والإلف كل عام ، وفى كل جانب يمر الأطفال على البيضة وينتظر حاملو البيضة لكى يعرفوا ما إذا كانت ستفقس أم لا . إذا لم يحدث ذلك فسيغادرون المكان ويذهبون للطرف الآخر . لكن إذا فقست البيضة فإن تدريب الفارس الجديد يجب أن يبدأ فى الحال . وطوال العام الأول تقريبًا ، سيلقنه بروم كل شىء هنا ، ثم يذهب للإلف لإنهاء تعليمه " .

" وافق الإلف على مضض على هذه الخطة .... مع الاشتراط أن بروم لو مات قبل فقس البيضة يتولون هم تدريب الفارس بحرية وبدون تدخل من أحد . بذلك تم توجيه الاتفاقية لمصالحهم ـ وكلا الجانبين كان يعلم أن التنين غالباً سيختار الفارس من الإلف ـ لكن الاتفاق وفر توازن القوى الذى كنا نحتاجه بشدة " .

توقف أجيهاد لبرهة وكانت عيناه الثريتا التفاصيل تكسوهما الجدية ، وبرزت عظام وجنتيه وقال : " كنا نأمل أن يكون الفارس الجديد هو من سيجمع شمل بنى الإلف وبنى البشر . انتظرنا هذا الأمل منذ قرابة عشر سنواتٍ لكن البيضة لم تفقس . ونسى الجميع كل ما حدث ونادرا ما كان يذكره أحد إلا لكى يرثى عدم نشاط البيضة " .

" فى العام الماضى حدثت لنا خسارة فادحة ، حيث اختفت آريا والبيضة فى طريق عودتها من ترونجهيم إلى

مدينة الإلف واسمها أوسيلون . كان الإلف أول من اكتشف فقدان البيضة وآريا ، حيث وجدوا حصانها والحراس القتلى في دو دويلدنفاردن ومجموعة من الأورجال القتلى أيضاً . لكنهم لم يجدوا آريا أو البيضة ، وعندما جاءني الخبر ، خشيت أن تكون البيضة وآريا قد وقعا في يد الأورجال ، وسرعان ما سيعرفون موقع فارزن دور ، وعاصمة الإلف إليسميرا حيث تعيش ملكتهم سلانزادى . الآن فهمت أنهم يعملون لصالح الإمبراطورية " . وهذا أسوأ مما توقعت .

" لن نعرف بالضبط ماذا حدث أثناء الهجوم إلا عندما تفيق آريا ، لكنى استنتجت بعض التفاصيل مما رويته لى " . أصدر قميص أجيهاد صوتاً وهو يميل بكوعه علي المكتب ثم قال : " لابد أن الهجوم كان سريعًا وخاطفا ، وإلا لتمكنت آريا من الهرب . بدون أى تحذير ، ومع عدم وجود أى مكان للاختباء ، لابد أنها فعلت شيئا واحدًا ـ استخدمت السحر لنقل البيضة لمكان آخر " .

قال إيراجون : " هل يمكنها استخدام السحر ؟ " . لقد ذكرت آريا أنه تم إعطاؤها مخدرًا لقمع قواها ؛ وكان يريد التأكد من أنها كانت تقصد السحر . تساءل لو كان بإمكانها أن تعلمه المزيد من كلمات اللغة القديمة .

قال أجيهاد : " هذا أحد أسباب اختيارها لحراسة البيضة . على أية حال ، لم تتمكن آريا من العودة إلينا ـ كانت بعيدة جدا ـ ومملكة الإلف كانت محروسة بموانع سحرية تحول دون اختراق حدودها بالسحر . ربما فكرت في بروم وفي حالة يأس أرسلت البيضة إلى كارفاهول . بدون الوقت الكافي للاستعداد ، لست مندهشا من أنها

أخفقت فى توجيه البيضة ، أخبرنى التوأم أن النقل بالسحر فن غير دقيق " .

قال إيراجون : " لماذا كانت أقرب إلى وادى بالانكار منها إلى الفاردن ؟ وأين يعيش شعب الإلف ؟ وأين عاصمتهم .... " إليسميرا " ؟ " .

حدق أجيهاد بشدة فى إيراجون وهو يفكر فى كل هذه الأسئلة : " أنا لا أخبرك بهذا كنوع من الثرثرة ، فالإلف يحرسون معلوماتهم وعلمهم بكل حرص وغيرة . ولكننى أفعل ذلك لإظهار ثقتى بك . مدن الإلف تقع فى الشمال فى أعمق حدود الغابة التى تمتد بلا نهاية وتسمى دو ويلدنفاردن لم يكن هناك أحد منذ أيام الفرسان قادة التنين ، سواء بشر أو قزم ، كان صديقاً للإلف جداً لدرجة الذهاب لموطنهم . أنا شخصياً لا أعرف أين إليسميرا ، وبالنسبة لمدينة أوليسون ...... فبناء على مكان اختفاء آريا ، فأنا أظن أنها الحافة الغربية لغابة دو ويلدنفاردن ناحية كارفاهول . لابد أن لديك الكثير من الأسئلة ، لكن انتظر وأرجئ كل أسئلتك حتى أنتهى " .

استجمع أجيهاد أفكاره ثم تحدث بإيقاع سريع : " عندما اختفت آريا سحب الإلف تحالفهم مع الفاردن . كانت الملكة سلانزادى فى قمة الغضب ورفضت أى اتصال بينهم وبيننا . وكنتيجة لذلك ، فعلى الرغم من أننى تلقيت رسالة بروم ، فإن الإلف لا يعرفون بعد بوجودك أنت وسفيرا ...... وبدون توفير مؤنهم لجيوشنا ، ساءت الأحوال فى الشهور الماضية فى مناوشاتنا مع الإمبراطورية " .

بعودة آريا وبوصولك ، أتوقع أن تهدأ الملكة ويقل عداؤها لنا . إن حقيقة إنقاذك لآريا ستساعدنا على حل مشاكلنا معها . لكن تدريبك سيظل مشكلة ونقطة نزاع بين الإلف والفاردن . فمن الواضح أن بروم كانت له فرصة أن يدربك ، لكننا نريد التأكد من مدى دقة تدريبه لك . لهذا السبب ، سوف تخضع لاختبار لكى نحدد مدى قدراتك . كما أن الإلف سيتوقعون إنهاء تدريبك لديهم ، على الرغم من أننى لا أعرف هل سيتيح لنا الوقت ذلك أم لا " .

قال إيراجون : " ولم لا ؟ " .

" لعدة أسباب ، وأهمها الأخبار التى قلتها عن الأورجال ، ثم نظر أجيهاد لسفيرا وقال : " كما ترى يا إيراجون ، فإن وضع الفاردن حرج للغاية من ناحية ، يجب أن نلبى رغبات الإلف إذا أردنا الحفاظ على تحالفهم معنا . ومن ناحية أخرى ، لا يمكننا أن نثير غضب الأقزام لو أردنا الاستمرار فى الإقامة معهم فى ترونجهيم " .

قال إيراجون : " أليس الأقزام جزءًا من الفاردن ؟ " .

تردد أجيهاد ثم قال : " نعم ، إلى حد ما ، فهم يسمحون لنا بالعيش معهم ويساعدوننا فى صراعنا ضد الإمبراطورية ، لكن ولاءهم يظل لملكهم . لا أملك أى سلطة عليهم ، عدا ما يسمح لى به ملكهم هروثجار ، والذى بدوره يعانى من مشاكل مع فصائل الأقزام . هناك ثلاث عشرة فصيلة من فصائل الأقزام ويدينون بالولاء والطاعة لـ " هروثجار " ، لكن لكل فصيلة زعيم له قوة هائلة ويختار الزعماء ملكهم الجديد عندما يموت القديم . هروثجار متعاطف مع قضيتنا ، لكن الكثير من هؤلاء

الزعماء ليسوا كذلك ، ولا يمكن للملك تحمل عواقب إغضابهم بدون داع ، وإلا سيفقد ولاء شعبه ، لذلك فإن سلوكه تجاهنا كان دائما محدودًا بشدة " .

قال إيراجون : " هل هؤلاء الزعماء ضدى أيضاً ؟ " .

قال أجيهاد بحذر : " بل أخشى أنهم أكثر من ذلك ، فهناك عداء شديد وقديم بين الأقزام والتنين ـ فقبل أن يحل السلام على يد الإلف ، كانت مخلوقات التنين تعتاد تناول ماشية الأقزام وسرقة ذهبهم ـ والأقزام لا ينسون الخطأ بسهولة حتى لو حدث منذ زمن بعيد . فى الواقع لم يتقبلوا أبداً الفرسان قادة التنين أو سمحوا لهم بتفقد مملكتهم أو حراستها . كما أن صعود جالباتوريكس للحكم أقنعهم بعدم التعامل مع أى فرسان أو تنين مرة أخرى " . كان قد وجه الكلمات الأخيرة إلى سفيرا .

قال إيراجون ببطء : " لماذا يجهل جالباتوريكس مكان فارزن دور و إليسميرا ؟ بالتأكيد كان يعلم مكانهما عندما تلقى تعليمه كفارس من قادة التنين " .

" بالتأكيد سمع عنهم لكنه لم يتم إخباره عن مكانهم . إن معرفة أن فارزن دور تقع وسط هذه الجبال شيء وأن تجدها هو شيء آخر تمامًا . لم يذهب جالباتوريكس قط إلى هذه الأماكن قبل أن يقتل تنينه . بعد ذلك لم يثق به أى فارس من قادة التنين . وقد حاول أن يستخرج المعلومات بالقوة من عدة فرسان أثناء عصيانه ، لكنهم اختاروا الموت بدلاً من إخباره . أما بالنسبة للأقزام ، فإنه لم يتمكن من الإمساك بأحدهم حياً ، لكن الأمر مسألة وقت حتى يتمكن من ذلك " .

قال إيراجون : " لماذا لا يجهز جيشاً ويقتحم غابة دو ويلدنفاردن حتى يجد إليسميرا ؟ " .

" لأن الإلف مازال لديهم قوة كافية لمقاومته ، وهو لا يجرؤ على قياس قوته معهم ؛ على الأقل الآن . لكن سحره اللعين يزداد قوة كل عام ، وبوجود فارس قائد تنين آخر بجواره فلن يوقفه أحد . إنه يحاول أن يجعل إحدى البيضتين تفقس ، لكن حتى الآن لم ينجح " .

شعر إيراجون بالحيرة ثم قال : " كيف تزداد قوته ؟ إن قوة بدنه تُحِد من قدراته ـ لن يستمر في تجديد قوته للأبد " .

قال أجيهاد : " لا نعرف " ، وهز كتفيه العريضتين بلا اكتراث ثم أردف قائلاً : " ولا يعرف الإلف كذلك ، نحن نأمل فقط أن تدمره إحدى تعويذاته السحرية " . ثم مد يده داخل طيات ملابسه وسحب بهدوء قطعة ممزقة من الجلد ووضعها على المكتب وقال : " هل تعرف ما هذا ؟ " .

مال إيراجون وفحصها فوجدها رقعة مدونًا عليها باللون الأسود بلغة غريبة ، وكان هناك أجزاء كبيرة تم محوها بسبب بقع الدماء وكان طرف الرقعة محروقًا بالنار . هز إيراجون رأسه وقال : " لا أعرف ما هذا " .

" لقد أخذناها من قائد جيش الأورجال الذى دمرناه بالأمس . لقد فقدنا اثنى عشر رجلاً أثناء تنفيذ ذلك ـ لقد ضحوا بأنفسهم لكى تهرب أنت من الأورجال بأمان . إن هذه الكتابة الغريبة هى من اختراع الملك ويستخدمها للتواصل مع خدمه ، ولقد استغرقت منى وقتًا طويلاً لكى

أفهمها وأستخرج معناها ، على الأقل فى المناطق التى يمكن قراءتها . هذا هو محتواها :

" ..... حارس البوابة فى إثرو زادا يجب أن يدع حامل الرسالة ومن معه يمرون ، ويسكنون مع من هم فى شاكلتهم و ...... لكن ذلك فى حالة لو توقفت الفئتان عن القتال . الأمر يتم إصداره باسم " تاروك " ثم " جاشز " ثم " دورزا " ثم " أوشنارك القوى "

" أوشنارك هو جالباتوريكس وهذا الاسم يعنى " الأب " بلغة الأورجال ، وهذه التسمية تسعده وترضيه " .

" حاولوا إيجاد ما هو مناسب و ...... المشاة فى الجيش و ...... أبعدوهم عن بعضهم البعض . لا يتم توزيع الأسلحة حتى .... للمسير " .

" لم أتمكن من فك الشفرة بأكثر من ذلك ، عدا بعض الكلمات المبهمة " .

" أين "إثرو زادا ؟ لم أسمع عنها قط " .

" ولا أنا ، مما يجعلنى أشك فى أن جالباتوريكس غيَّر اسم مكان معروف لهدف ما يعرفه . بعد فك هذه الرموز ، سألت نفسى عن سبب تجمع مئات الأورجال بجوار جبال بيور حيث رأيناهم لأول مرة حيث تذكر الرقعة عبارة : " ومن على شاكلتهم ... " ، لذلك أعتقد أن هناك المزيد من الأورجال فى المكان المنشود من جانب جالباتوريكس ، هناك

سبب واحد له لكى يجمع كل هذا العدد فى الجيش ـ إنه يجمع عددًا كبيرًا من البشر المرتزقة والأورجال والوحوش كى يدمرنا " .

" حتى الآن لا شيء نفعله سوى الانتظار ومراقبة ما يحدث . وبدون المزيد من المعلومات ، لن نعرف ما هى مدينة إثرو زادا ، حتى الآن لم يكتشف أحد مكان فارزن دور ، وهذا يبعث على الأمل . الأورجال الوحيدون الذين اكتشفونا قتلوا جميعاً عن بكرة أبيهم ليلة أمس " .

قال إيراجون : " كيف علمتم بقدومنا ؟ كان أحد التوائم فى انتظارنا وكان هناك كمين حول الكول " . كان يعلم أن سفيرا تسمع بإنصات شديد ، وعلى الرغم من أنها لم تعلق ، فإنه كان يعلم أنها ستقول الكثير له لاحقاً .

" لدينا حراس على مدخل الوادى الذى عبرته ـ على كلا الجانبين من نهر بيرتوث ، وأرسلوا لنا حمامة زاجلة برسالة تحذيرية " .

تساءل إيراجون هل هى نفس الحمامة التى حاولت سفيرا التهامهما .

قال إيراجون : " عندما اختفت آريا والبيضة ، هل أخبرت بروم ؟ لقد قال إنه لم يسمع أى أخبار من الفاردن " .

قال أجيهاد : " حاولنا تحذيره ، لكن أظن أن رجالنا تم إلقاء القبض عليهم وقتلهم من جانب الإمبراطورية ، وإلا فلماذا ذهب الرازاك إلى كارفاهول ؟ بعد ذلك كان بروم يسافر معك ، وكان من المستحيل الحصول على أخبار منه . كنت سعيداً بتلقى رسالته من تيرم ، ولم أفاجأ عندما لجأ

إلى جيود ، فهم أصدقاء قدامى ، وجيود يمكنه بسهولة إرسال الرسالة لنا لأنه يهرب لنا البضائع عبر منطقة سوردا " .

" كل هذا أثار أسئلة خطيرة ، كيف تمكنت الإمبراطورية أن تنصب كميناً لآريا ، ولاحقاً لرسلنا إلى كارفاهول ؟ كيف علم جالباتوريكس بأمر التجار الذين يساعدون الفاردن ؟ لقد انهارت تجارة جيود منذ أن تركته مع بروم ، وكذلك تجارة الآخرين الذين يساعدونا . فى كل مرة تبحر سفنهم لا تعود . الأقزام لا يمكنهم إعطاؤنا كل ما نريد ، ولذلك الفاردن فى حاجة ماسة إلى المؤن . أخشى وجود خونة وجواسيس بيننا على الرغم من جهودنا لفحص أذهان كل الناس بحثاً عن الجواسيس " .

استغرق إيراجون فى تفكير عميق وهو يتفكر ويتدبر فى كل ما عرفه الآن . وانتظر أجيهاد بصبر وهدوء حتى يتحدث إليه ولم ينزعج من صمته . من أول مرة وجد بيضة سفيرا ، شعر إيراجون أنه فهم كل ما يدور حوله . على الأقل عرف من أين جاءت سفيرا وما الذى قد يحمله المستقبل له . قال إيراجون : " وماذا تريد منى ؟ " .

" ماذا تعنى ؟ " .

" أعنى أننى أريد أن أعرف ما هو متوقع منى فى ترونجهيم ؟ هل لديك مع الإلف خطط بالنسبة لى ، وماذا لو لم أحبهم ؟ " ثم قال بمرارة وحزم : " سأقاتل عند الحاجة ، وأفرح فى المناسبات اللائقة لذلك وأحزن عندما يكون هناك ما يدعو للحزن وأموت عندما يأتى وقتى ..... لكن لن أدع أحدًا يستغلنى رغماً عنى " ، ثم صمت ليرى وقع

كلماته ، ثم قال : " كان الفرسان قادة التنين في الماضي حكامًا لإحقاق الحق والعدل بعيداً عن أي زعماء في ذلك الزمان . لن أدعي أنني في مثل عظمتهم ـ وأشك أن يتقبل الناس ذلك ، وخاصة لو كانوا أحراراً طوال حياتهم ، وخاصة من شاب صغير مثلي . لكن لديَّ القوة وسوف أستخدمها بالشكل الذي أراه مناسباً . أريد معرفة خططكم بالنسبة لي ثم أحدد هل سأوافق أم لا " .

نظر إليه أجيهاد في إعجاب مختلط بالحزن وقال : " إذا كنت أمام قائد آخر وفي ظروف أخرى لقتلت عقاباً لك على لهجتك الوقحة هذه . ما الذي جعلك تظن أنني سأكشف عن خططي لمجرد أنك طلبت ذلك ؟ " . احمر وجه إيراجون خجلا لكنه لم يخفض بصره عنه ثم أضاف أجيهاد : " لكن عندك حق ، موقعك يمنحك ميزة أن تقول ذلك ، لن تتمكن من الهرب من ملابسات موقفك ـ سوف تتأثر بطريقة أو بأخرى . لا أريدك أن تكون مجنداً لمجموعة ما أو لهدف ما بدون موافقتك . يجب أن تحافظ على حريتك ، ففيها تكمن قوتك الحقيقية ، القدرة على الاختيار بمعزل عن أي زعيم أو ملك . سلطتي عليك محدودة ، لكن أظن أن هذا لمصلحة الجميع . الصعوبة تكمن في التأكد من أصحاب القوى : هل يدرجونك في خططهم أم لا " .

مال أجيهاد للأمام وقال بجدية صارمة : " كما أنه على الرغم من اعتراضاتك ، فإن الناس تتوقع منك أشياء معينة ؛ حيث سيحضر إليك الناس لحل مشاكلهم ، مهما كانت تفاهتها ويطالبونك بالحل . ستأتي حالات يعتمد فيها

مستقبل حياة الناس عليك .... بكلمة منك سترسلهم إلى السعادة أو التعاسة . سيطلب منك النساء إبداء رأيك فى الرجال الذين يتقدمون لخطبتهن ـ قد يسعى بعضهن لاتخاذك كزوج ـ وسيسألك الرجال إلى من يورثون من أبنائهم . يجب أن تكون طيباً وتتحلى بالحكمة معهم جميعًا ؛ لأنهم يثقون بك . لا تتحدث بحماس أكثر من اللازم أو بدون تفكير ؛ لأن كلماتك سيكون لها تأثير أكبر مما تنوى " .

مال أجيهاد للوراء ومال بعينيه لأسفل وقال : " ثقل الزعامة هو أن تكون مسئولاً عن سعادة الناس من حولك فهم مسئولون منك ، ولقد تعاملت مع هذا منذ أن تم اختيارى كزعيم للفاردن ، والآن ستتحمل أنت ذلك . احترس ، لن أسمح بالظلم تحت إمرتى . ولا تقلق بسبب عدم خبرتك وحداثة سنك ، فسرعان ما ستعتاد الأمور " .

لم يرتح إيراجون لفكرة طلب الناس النصح والمشورة منه لكنه قال : " لكنك لم تذكر لى بعد ما الذى يجب أن أفعله هنا " .

" الآن ، لا شىء . لقد قطعت مسافة أكثر من ١٣٠ فرسخًا فى ثمانية أيام وهذا إنجاز يدعو للفخر . أنا متأكد من أنك تريد فترة راحة . عندما ترتاح فسوف نختبر قدراتك فى استخدام السلاح والسحر . بعد ذلك ـ سأوضح لك الخيارات المتاحة لك وسوف تختار طريقك " .

قال إيراجون بحذر : " وماذا عن مورتاج ؟ " .

اسود وجه أجيهاد ومد يده تحت المكتب وتناول السيف زاروك ، ولمع غمده المصقول فى الضوء فتحسسه أجيهاد

ببطء وخاصة على الخاتم المدموغ السحرى وقال : " سيظل حبيسا حتى يسمح للتوأم بدخول عقله " .

قال إيراجون : " لا يمكنك سجنه ؛ فهو لم يرتكب أى جريمة ! " .

قال أجيهاد بحزن : " لن نمنحه حريته بدون التأكد من أنه لن ينقلب علينا . سواء كان بريئاً أم لا ، فهو خطير كأبيه وسيظل هذا الاحتمال قائماً " .

أدرك إيراجون أن أجيهاد لن يقتنع سوى بذلك لأن قلقه فى محله ؛ فقال : " كيف كشفت شخصيته من صوته ؟ " .

قال أجيهاد باقتضاب : " قابلت أباه مرة واحدة " ، ثم طرق على مقبض زاروك وأردف قائلاً : " أتمنى لو كان بروم قد أخبرنى أنه أخذ سيف مورزان ، أنصحك بعدم حمله فى فارزن دور لأن الجميع سيتذكرون زمان مورزان بكراهية عميقة وخاصة الأقزام " .

" سأتذكر ذلك " .

أعطاه أجيهاد ، زاروك وقال : " هذا يذكرنى بأننى معى خاتم بروم ، والذى أرسله لى كعلامة تؤكد شخصيته مع خطابه . كنت أحتفظ به لكى أعطيه له عندما يعود إلى ترونجهيم . الآن وقد مات فهذا الخاتم ملك لك ، وأظن أنه كان يريدك أن تأخذه " . ثم فتح درج المكتب وتناول الخاتم منه . تناول إيراجون الخاتم بكل تقدير واحترام . كان الرمز المحفور على الحجر الكريم الأزرق مماثلا تمامًا للوشم الذى على كتف آريا ، ارتدى إيراجون الخاتم فى إصبعه الخنصر وكان يعجبه أنه يلمع فى الضوء فقال : " هذا .... شرف عظيم لى " .

أومأ له أجيهاد بجدية ثم حرك مقعده للوراء وقام ، وواجه سفيرا وقال لها بصوت قوى يدل على السلطة : " لا تظنى أننى نسيتك أيتها الشخصية القوية ، لقد ذكرت كل هذا لمصلحتك ومصلحة إيراجون ، ومن المهم أن تعرفى كل هذا لأنك تتحملين مسئولية حمايته فى تلك الأوقات العصيبة . لا تقللى من قوتك ولا تتردد وأنت بجواره ؛ لأنه سيخفق بدونك " .

مالت سفيرا برأسها حتى أصبحت عيناها فى مستوى عينيه وحدقت إليه ببؤبؤ عينيها المشقوق . ظل كلاهما يحدق إلى الآخر فى صمت ولم يخفض أحدهما عينيه عن الآخر . كان أجيهاد هو أول من تحرك ، حيث خفض عينيه وقال بهدوء : " إنه شرف لى أن أقابلك " .

قالت سفيرا باحترام وهى توجه رأسها لإيراجون : *" سيفيدنا هذا الرجل ، أخبره أننى منبهرة به وبترونجهيم ، والإمبراطورية لها الحق فى أن تخشاه . لكن دعه يعرف ، أنه لو قرر قتلك فسأدمر ترونجهيم وأمزقه بأسنانى " .*

تردد إيراجون وتعجب من نبرة صوتها التهديدية لكنه نقل رسالتها له . نظر إليها أجيهاد بجدية وقال : " لن أتوقع أقل من ذلك من تنين نبيل - لكن أشك فى أنك ستنجو من التوأم لو أرادا أن يفتكا بك " .

زمجرت سفيرا فى احتقار وسخرية : *" باه ! "*

فهم إيراجون مقصدها وقال : " إذن التوأم أقوى مما يوحى مظهرهما . سيحزنان كثيراً لو واجها غضب التنين . قد يمكنهما هزيمتى ، لكن ليس سفيرا . كما تعرف فإن

تنين الفارس يقوى سحره بأكثر من سحر أى ساحر عادى . كان سحر بروم ضعيفاً بسبب ذلك ، وربما فى غياب الفرسان قادة التنين بالغ التوأم فى تقدير قوتهما " .

بدا الانزعاج على وجه أجيهاد وقال : " كان بروم يعتبر من أقوى السحرة فى التعويذات ، لم يضاهه أحد سوى الإلف . إذا كنت تقول الحقيقة فعلينا إعادة النظر فى أمور كثيرة " ، ثم انحنى لسفيرا وقال : " وبناء عليه فأنا سعيد لأنه لا داعى لإيذاء أى منكما " . مالت سفيرا برأسها رداً عليه .

رفع أجيهاد قامته بمظهر يليق بالنبلاء وصاح : " أوريك ! " ، فهرع القزم إلى الحجرة ووقف أمام المكتب وعقد ذراعيه . عبس أجيهاد له وهو يشعر بالضيق وصاح : " لقد سببت لى مشاكل كثيرة يا أوريك ، لقد قال أحد التوأم إنك لا تطيع أوامره ولن يهدأ التوأم إلا بعقابك . ولسوء الحظ أن لديهما الحق . الموضوع خطير ولا يمكن تجاهله . من الضرورى التحقيق معك وإنزال العقاب بك " .

نظر أوريك إلى إيراجون بسرعة لكن وجهه لم يكشف أى مشاعر ، ثم تحدث بسرعة بنبرة جافة : " الكول كانوا بالقرب من كوستاميرنا ويطلقون السهام على التنين وإيراجون ومورتاج ، لكن التوأم لم يفعلا أى شىء لإيقاف ما يحدث ؛ حيث رفضا فتح البوابات على الرغم من أننا رأينا إيراجون يصيح بالعبارة التى تفتح البوابات على جانبى الشلال . لقد رفضا التحرك عندما كاد إيراجون أن يغرق . ربما أخطأت لعدم طاعتى ، لكنى لم أكن لأدع فارسًا من قادة التنين يموت " .

قال إيراجون : " لم أكن قوياً لدرجة إخـراج نفسـى مـن الماء ؛ كنت سأغرق لو لم ينقذنى " .

نظر إليه أجيهاد سريعاً ثم قـال بكـل جديـة لأوريـك : " بعد ذلك لماذا عصيت التوأم وعارضتهما ؟ " .

رفع أوريك ذقنـه بتحـد وقـال : " لم يكـن مـن حقهمـا دخول عقل مورتاج عنوة ، لكن لم أكن لأمنعهمـا لـو عرفـت هويتـه " .

" كلا ، لقد فعلت مـا هـو صـواب ، علـى الـرغم مـن أن الأمور ستكون أبسط لو تركت كل شيء ولم تفعل ما فعلتـه . ليس من حقنا التطرق لعقل أحد مهمـا كنـا " ، ثـم تحسـس أجيهاد لحيته الكثيفة وقال : " أفعالك تدعو للفخر ، لكنك تحديت أمرًا مباشرًا من رئيسك والعقاب لهذا الجـرم دائمـاً هو الموت " . تصلب ظهر أوريك .

صاح إيراجـون : " لا يمكنـك قتلـه بسـبب ذلـك ! كـان يساعدنى فقط " .

قال أجيهاد بحدة : " ليس من حقك التدخل ، لقد خرق أوريك القانون ويجب أن يتحمل العواقـب " . هـم إيراجـون بالكلام لكن يد أجيهاد المرفوعة منعتـه ، ثـم قـال : " لكـن عندك حق ، سنحفظ الحكم بسبب الظروف . الآن يا أوريـك سـوف نعزلـك مـن منصبك ونمنعـك مـن مزاولـة أى نشـاط عسكرى تحت إمرة أى قائد . هل تفهم ذلك ؟ " .

اسود وجه أوريك لكن بدت عليه الحيرة فقط ، ثـم أومـأ بحدة وقال : " نعم " .

" كما أنك فى غياب مهامك المعتـادة ، سـأعينك كمرشـد لسفيرا وإيراجون طوال مدة إقامتهما معنا . تأكد مـن أنهمـا

يتلقيان كل خدمة وراحة ممكنة ومتاحة لنا لنقدمها لهما . ستمكث سفيرا فوق أسيدار ميثريم وإيراجون فى المكان الذى يروق له . عندما يرتاح من رحلته ، ستصحبه إلى أماكن التدريب فهم يتوقعون وصوله " ، ثم لمعت عينا أجيهاد من السرور .

انحنى أوريك باحترام وقال : " أفهم ذلك " .

" حسناً ، لينصرف الجميع وأرسل لى التوأم قبل أن ترحل من هنا " .

انحنى إيراجون وبدأ يرحل ثم سأله : " أين آريا ؟ أريد رؤيتها " .

" لا أحد مسموح له برؤيتها ، ستضطر للانتظار حتى تأتى هى لك " . ثم نظر أجيهاد إلى مكتبه وأشار لهم بالانصراف .

بارك طفلتى يا " أرجيتلام "

تمدد إيراجون فى القاعة ؛ وقد شعر بأن عضلاته متصلبة من كثرة الجلوس لفترة طويلة . كان خلفه يدخل التوأم إلى مكتب أجيهاد وأغلقا الباب خلفهما . نظر إيراجون إلى أوريك وقال معتذراً : " أنا آسف ؛ لأنك وقعت فى مشاكل بسببى ".

صاح أوريك وهو يجذب لحيته : " لا تضايق نفسك من أجلى ، لقد فعل بى أجيهاد ما أريده " .

حتى سفيرا اندهشت من عبارته ، بينما قال إيراجون : " ماذا تعنى ؟ لن تدرب أو تحارب بل ستظل ملازماً لى لحراستى ، فكيف كان ذلك ما تريد ؟ " .

قال القزم وهو ينظر إلى إيراجون بهدوء : " أجيهاد قائد رائع ، إنه يفهم كيف يحافظ على القانون لكن يظل فى نفس الوقت عادلا . لقد تم عقابى ، لكننى من رعايا الملك هروثجار وهذا يمنحنى حق الحرية لأفعل ما أريد " .

أدرك إيراجون أنه ليس من الحكمة نسيان ولاء أوريك المزدوج وطبيعة القوى المنقسمة فى ترونجهيم ، فقال : " إذن أجيهاد جعلك فى موضع قوى ، أليس كذلك ؟ " .

ضحك أوريك بعمق وقال : " نعم ، لكن بطريقة لن تجعل التوأم يشكيان منها . بالتأكيد هذا سيضايقهما ، لكن أجيهاد شخص مراوغ . لابد أنك جائع أيها الفتى ، هيا بنا ، ونريد أن يستقر تنينك فى مكانه " .

صاحت سفيرا فقال له إيراجون : " اسمها سفيرا " .

انحنى لها أوريك وقال : " تقبلى اعتذارى ، سأتأكد من أننى سأتذكر ذلك " ثم تناول مصباحًا برتقالى اللون من الحائط وقادهما عبر الممر .

قال إيراجون وهو يحاول بصعوبة أن يجارى القزم فى سرعته أثناء السير : " هل يمكن لآخرين فى فارزن دور استخدام السحر ؟ " ، ثم أمسك زاروك واحتضنه بحرص لإخفاء الرمز على الغمد بذراعه .

قال أوريك وهو يهز كتفيه بلا اكتراث تحت بدلته الحديدية : " القليل جداً من الناس ، وأقصى ما يمكنهم عمله هو علاج الجروح به ، وكلهم يعالجون آريا باستجماع قواهم كلها " .

" عدا التوأم " .

صاح أوريك متذمراً : " ياه ، نعم ، وهى لم تكن لترغب فى مساعدتهما على أية حال . مواهبهما تكمن فى التخطيط لمراكز القوى ـ مما يدمر الآخرين . الحاكم السابق لأجيهاد ، دينور ، سمح لهما بالانضمام للفاردن لأنه كان بحاجة إلى دعمهما .... لن يمكنك الانتصار على

الإمبراطورية بدون من يتقنون فنون السحر للاستفادة منهم في ميدان القتال . التوأم مكروهان هنا لكن لهما فائدة لنا " .

دخلوا أحد الأنفاق الأربعة الرئيسية التى تقسم ترونجهيم . كان هناك عدد غفير من الأقزام والبشر يسيرون فى النفق ، وأصواتهم لها صدى عال على الأرضية المصقولة . توقف الجميع عن الكلام عندما رأوا سفيرا ؛ وحدقت كل العيون إليها .

تجاهل أوريك كل هؤلاء واتجه لليسار ناحية أبعد بوابات ترونجهيم . قال إيراجون : " إلى أين سنذهب ؟ " .

بعيدا عن هذه القاعات لكى تتمكن سفيرا من الطيران إلى موقع التنين فوق إيسيدار ميثريم النجمة الوردية . موقع التنين ليس له سقف ، فقمة ترونجهيم مفتوحة للسماء مثل فارزن دور ـ لكى تتمكن سفيرا من الانزلاق مباشرةً نحو موقع التنين . هذا هو المكان الذى اعتاد الفرسان قديماً إبقاء التنين به عند زيارة ترونجهيم " .

قال إيراجون : " ألن يكون مكاناً رطباً وبارداً بلا سقف ؟ " .

هز أوريك رأسه بالنفى وقال : " كلا ، فارزن دور تحمينا من كل عناصر الطبيعة . لا يدخل إلينا المطر أو الثلج . كما أن مكان التنين به كهوف من الرخام للتنين ، وبها كل ما يلزم . كل ما يجب أن تخشاه هو كتل الثلج المعلقة فوق الكهوف ؛ عندما تسقط قد تقسم أى حصان إلى نصفين " .

قالت سفيرا : " *سأكون بخير ، الكهف الرخامى أكثر أمناً من أى مكان مكثنا به من قبل* " .

" ربما .... لكن هل تظنٍ أن مورتاج بخير ؟ "

" أجيهاد يبدو لى رجلاً محترمًا ، إذا لم يحاول مورتاج الغضب ، فإننى أشك فى أنه سيتعرض لأذى " .

قام إيراجون بعقد ذراعيه ولم يرغب فى التحدث بعد ذلك . شعر بالدوار من كثرة التغييرات حوله فى الظروف مقارنة بالأمس . سباقهم المحموم من جيلياد انتهى أخيراً ، لكن كان جسده مستعدًا أكثر للاستمرار فى الركض وركوب الخيل . قال لأوريك : " أين خيولى ؟ " .

" فى اسطبلات خاصة بجوار البوابة . يمكنك رؤيتها قبل أن نغادر ترونجهيم " .

خرجوا من ترونجهيم من نفس البوابة التى دخلوا منها . كانت التماثيل الذهبية للجريفن (مخلوق خرافى على شكل أسد له أجنحة) تلمع بألوان مصدرها عشرات المصابيح . كانت الشمس قد تحركت منذ حوار إيراجون مع أجيهاد ـ فلم يعد الضوء يدخل إلى فارزن دور عبر فوهة البركان . وبدون الأشعة المليئة بالنقاط ، كانت فتحة الجبل الجوفاء مغلفة بالسواد فى ظلام دامسٍ . الضوءِ الوحيد كان مصدره ترونجهيم ، والتى لمعت لمعاناً شديداً فى الظلام . كانت المدينة الجبلية لها شعاع يكفى لإنارة مئات الأقدام من حولها .

أشار أوريك إلى القمة البيضاء لترونجهيم وقال : " اللحم الطازج وماء الجبل النقى فى انتظارك بالأعلى " . ثم

قال لسفيرا : " يمكنك البقاء في أى كهف ، وبمجرد أن تختارى ما تشاءين سيتم وضع الفرش لك ولن يزعجك أحد " .

قال إيراجون : " ظننت أننا سنمكث معاً ، لا أريد أن أنفصل عنها " .

اتجه أوريك له وقال : " أيها الفارس إيراجون ، سأفعل كل ما في وسعى لاستضافتك وأعمل على راحتك ، لكن من الأفضل أن تستقر سفيرا فى المكان المخصص لها أثناء تناولك للطعام . الأنفاق المؤدية للقاعة الخاصة بالطعام ليست كافية لكى تدخل معنا " .

" لماذا لا تحضر لى الطعام فى مكان سفيرا ؟ " .

قال أوريك بحرص : " لأن الطعام يتم إعداده فى هذا المكان ولو صعدنا به إلى فوق سيمر وقت طويل . لو أردت ، سأرسل لك الخادم بالطعام هناك ، لكن الأمر سيستغرق وقتاً وحينئذٍ ستأكل مع سفيرا " .

قال ايراجون لنفسه : *" إنه يعنى ذلك حقاً "* ، واندهش من تفانى أوريك فى خدمته ومحاولته لإرضائه . لكن طريقة كلام القزم جعلته يشك فى أنه يختبره بطريقة ما .

قالت سفيرا : *" أنا منهكة القوى ويروق لى مكان كهوف التنين . اذهب معه وتناول وجبتك وعد لى . من المريح أن نسترخى معاً بدون الخوف من الحيوانات المفترسة أو الجنود . لقد واجهنا صعابًا كثيرة على طريق السفر لفترة طويلة جداً "* .

نظر إيراجون إليهما وهو يفكر ثم قال لأوريك : " سأتناول طعامى تحت فابتسم القزم وبدا عليه الارتياح .

خلع إيراجون السرج من ظهر سفيرا لكى ترتاح فى نومها بلا قيود وقال لها : " *هل ستأخذين معك زاروك ؟* " .

قالت وهى تمسك بالسيف والسرج بمخالبها : " *نعم ، لكن اجعل معك قوسك ، ثق بالناس لكن ليس لدرجة الغباء* " .

قال لها وهو مضطرب : " *أعرف ذلك* " .

بقفزة هائلة ، انطلقت سفيرا من على الأرض وطارت نحو الهواء الساكن وكان صوت حركة جناحيها المستمر هو الصوت الوحيد فى الظلام . وعندما اختفت عبر حافة قمة ترونجهيم ، زفر أوريك زفرة طويلة وصاح : " ياه ، حظك وافر حقاً ، لكم أتمنى أن أحلق فى الهواء عبر الجبال وأشعر بإثارة الصيد كالطيور الجارحة . لكنى أفضل السير على قدمي وأن تظل قدماى على الأرض - بل الأفضل تحتها " .

ثم صفق بيده وصاح : " أنا أهمل واجباتى كمضيف . أعرف أنك لم تأكل أى شيء منذ العشاء الهزيل الذى رأى التوأم أنه مناسب لك ، لذا هيا بنا ، لنجد الطهاة ونطلب منهم اللحم والخبز " .

تبع إيراجون القزم إلى ترونجهيم عبر متاهة من الممرات حتى وصلا إلى قاعة كبيرة مليئة بصفوف من الموائد الحجرية مناسبة لطول الأقزام . كانت النار مستمرة فى الأفران الحجرية خلف مائدة طويلة مستطيلة .

تحدث أوريك بلغة غريبة غير مألوفة لقزم سمين وجهه أحمر من الصحة ، والذى بدوره أعطاهما أطباقًا حجرية مليئة بشرائح السمك المطهى بعش الغراب . بعد ذلك ،

اصطحب أوريك إيراجون إلى عدة سلالم ثم إلى كهف صغير منحوت فى الحائط الخارجى لترونجهيم ؛ حيث جلسا القرفصاء ، بدأ إيراجون فى تناول طعامه بدون كلام .

بعد الانتهاء من الطعام ، تنهد أوريك فى ارتياح ورضا واستخرج من جيبه غليونًا له يد طويلة وأشعله وقال : " إنها وجبة رائعة لكنها كانت بحاجة إلى كم مناسب من الشراب لهضمها جيداً " .

فحص إيراجون الأرض تحته وقال : هل تمارسون الزراعة فى فارزن دور؟ " .

" كلا ، فضوء الشمس هنا لا يكفى سوى للعثة وعش الغراب والطحالب . لا يمكن أن يحيا الناس فى ترونجهيم بدون مؤن من الأودية المحيطة بنا ، وهذا سبب أن الكثيرين منا يختارون أن يعيشوا فى مكان آخر فى جبال بيور" .

" هل هناك مدن أخرى للأقزام ؟ " .

" ليس بالعدد الذى نحبه ، وترونجهيم أكبرهما " .

اتكأ أوريك على كوعه وسحب نفسا عميقا من غليونه وقال : " لقد رأيت فقط المستويات المنخفضة ولم يكن واضحاً أن معظم ترونجهيم مهجورة . كلما صعدت لأعلى يقل عدد الناس . هناك طوابق لم تمس منذ قرون . معظم الأقزام يفضلون العيش تحت ترونجهيم وفارزن دور فى كهوف وممرات تشق الصخور ، وخلال القرون الماضية ونحن نحفر الأنفاق كثيرا تحت جبال بيور . من الممكن السير من سلسلة جبلية لأخرى بدون الصعود لسطح الأرض " .

" يبدو أنه من العبث أن تكون هناك مساحة كبيرة غير مستغلة في ترونجهيم " .

أومأ له أوريك قائلاً : " نادى البعض بضرورة هجر المكان لأنه يستنفد مواردنا ، لكن ترونجهيم لها فائدة كبرى لا تقدر بمال " .

" ما هي ؟ " .

" في الأوقات العصيبة يمكن أن تؤوى المدينة شعبنا كله . وقد كان هناك ثلاث مرات فقط في تاريخنا اضطررنا لاتخاذ هذه الإجراءات القصوى ، لكن في كل مرة ، أنقذتنا المدينة من دمار شامل محقق . وهكذا نحرسها دائماً ونجعلها في حالة استعداد لاستخدامها لهذا الغرض " .

قال إيراجون : " لم أر شيئًا بهذه الفخامة " .

ابتسم أوريك والغليون مازال في فمه وقال : " أنا سعيد بإعجابك بالمكان . لقد بنينا المدينة على تعاقب الأجيال ـ على الرغم من أن حياة الأقزام أطول من حياة البشر . ولكن للأسف ، بسبب الإمبراطورية اللعينة ، نادرا ما يتم السماح للأغراب بمشاهدة مجد هذا المكان " .

" كم عدد الفاردن ؟ " .

" من الأقزام أم البشر ؟ " .

" البشر ـ أريد معرفة عدد من هربوا من الإمبراطورية " .

نفخ أوريك سحابة دخان كبيرة دارت ببطء حول رأسه وقال : " حوالى أربعة آلاف من بنى البشر . لكن هذا مؤشر ضعيف لما تريد معرفته حيث يوجد هنا من يحبون القتال ، والباقى تحت حماية الملك أورين في سوردا " .

قال إيراجون بامتعاض : " هل هذا عدد قليل ؟ " . الجيش الملكى وحده كان يبلغ ستة عشر ألفًا عند تعبئته كله ، وهذا بدون الأورجال ، قال إيراجون : " لماذا لا يحارب الملك أورين الإمبراطورية ؟ " .

قال أوريك : " لو أظهر العداء صراحة ، فسيسحقه جالباتوريكس ، الذى بدوره يمتنع عن تدمير سوردا لأنه يعتبرها خطرًا صغيرًا ، وهو مخطىء فى ذلك . فمن خلال مساعدة الملك أورين ، يحصل الفاردن على معظم الأسلحة والمؤن ، وبدونه لن تكون هناك مقاومة للإمبراطورية " .

" لا تشعر باليأس إزاء عدد البشر فى ترونجهيم . فهناك أقزام كثيرون ـ أكثر مما رأيتهم ـ وكلهم يحاربون إن لزم الأمر . وقد وعدنا الملك أورين أيضاً بإمدادنا بجيوشه عندما نقاتل جالباتوريكس . كما تعهد الإلف بمساعدتنا أيضاً " .

تواصل إيراجون مع ذهن سفيرا فوجدها مشغولة بتناول لحم نيئ بكل حماس . لاحظ مرة أخرى الرمز المحفور على خوذة أوريك والمكون من مطرقة ونجوم فقال : " ما معنى هذا الرمز ؟ رأيته أيضًا على الأرض فى ترونجهيم " .

رفع أوريك خوذته المبطنة بالحديد من على رأسه وتلمس بإصبعه الخشن الرمز قائلا : " إنه رمز فصيلتى ، فنحن فصيلة إنجيتوم ؛ الحدادين . والمطرقة والنجوم ترصع أرضية ترونجهيم لأنها الرمز الشخصى لكورجان مؤسس الأقزام . ويتم اختيار الحاكم من فصيلة واحدة ليحكم باقى الفصائل الاثنتى عشرة ، الملك هورثجار من فصيلة

دورجريمست إنجيتوم أيضاً وهو مصدر فخر ومجد وشرف الفصيلة " .

عندما أعادا الأطباق للطاهى ، مرا بقزم فى القاعة وتوقف أمام إيراجون ، وقال باحترام وهو ينحنى له : " أرجيتلام " .

ثم تركهما القزمِ واحتار إيراجون في تفسير ما قال له ، واحمر وجهه خجلا وهو يشعر بعدم الراحة لكنه اندهش بسعادته بتلك اللفتة . لم ينحن له أحد من قبل . مال ناحية أوريك وقال : " ماذا قال ؟ " .

هز أوريك كتفيه بلا اكتراث وقال بخجل : إنها كلمة بلغة الإلف كانت تستخدم للإشارة إلى الفرسان قادة التنين ، ومعناها اليد الفضية . نظر إيراجون إلى يده وكان يرتدى القفاز وفكر فى العلامة الفضية البيضاوية في راحة يده . قال أوريك : " هل تريد العودة إلى سفيرا ؟ " .

" ألا يوجد مكان للاستحمام هنا أولاً ؟ لم أتمكن من الاستحمام وإزالة قذارة الطريق من على جسدى منذ فترة طويلة . كما أن قميصى ملطخ بالدماء ومقطوع وله رائحة عفنة . أريد أن أرتدى قميصًا جديدًا ، لكن ليس معى مال لشرائه . هل توجد طريقة لأحصل عليه والعمل مقابل دفع ثمنه ؟ " .

صاح أوريك : " هل تريد إهانة كرم ضيافة هروثجار يا إيراجون ؟ طالما أنك فى ترونجهيم فلن تضطر لشراء أى شيء . لكن ستدفع ثمنه بطرق أخرى ـ سيهتم هروثجار وأجيهاد بذلك الأمر . هيا بنا ، سأريك أين تستحم ثم أحضر لك قميصاً " .

اصطحب إيراجون عبر سلم طويل حتى وصلا تحت ترونجهيم ، كانت الممرات الآن عبارة عن أنفاق ـ مما أصاب إيراجون بتقلص في العضلات ؛ لأن علوها كان خمس أقدام فقط ـ وكل المصابيح كانت تنير بضوء أحمر . قال أوريك : " إن الضوء هكذا ، لكيلا تصاب بالعمى عندما تدخل أو تخرج من كهف مظلم " .

دخلا حجرة فارغة ذات باب صغير على الجانب الآخر . أشار له أوريك قائلاً : " أحواض الاستحمام هناك مع الصابون والفرشاة . دع ملابسك هنا وستجد ملابس جديدة في انتظارك بعد انتهائك من الاستحمام " .

شكره إيراجون وبدأ يخلع ملابسه . شعر بالرهبة في البقاء وحيداً تحت الأرض خاصة أن السقف الصخري منخفض وكأنه في القبر . خلع ملابسه سريعاً وشعر بالبرد فأسرع عبر الباب إلى الظلام الدامس . سار خطوة حتى لامست قدماه الماء الدافئ ، فغطس في الحوض ببطء .

كانت مياه الحوض مالحة قليلاً ، لكنها مريحة وللحظة شعر بالخوف من أن يبتعد كثيراً عن الباب إلى المياه العميقة ، لكنه اكتشف كلما توغل أكثر أن الماء يصل لوسطه فقط . تحسس الحائط فوجده زلقا ، حتى وجد الصابون والفرشاة فدلك كل جسده . بعد ذلك سبح في الماء وأغلق عينيه . واستمتع بالدفء .

عندما ترك الحوض ، ظلت قطرات الماء تتساقط من جسده ، وسار حتى الحجرة المضيئة فوجد منشفة وقميصًا ناعمًا من الكتان ، وبنطالاً . كانت الملابس تلائم مقاسه إلى حد كبير . شعر بالرضا فتوجه إلى النفق .

كان أوريك فى انتظاره وفى يده الغليون . صعدا عبر السلم حتى عادا لترونجهيم ، ثم خرجا من المدينة الجبلية . حدق إيراجون إلى قمة ترونجهيم واستدعى سفيرا ذهنياً ، وعندما طارت لأسفل من مكان إقامة التنين ، قال لأوريك : " كيف تتواصلون مع الناس فى أعلى ترونجهيم ؟ " .

ضحك أوريك قائلاً : هذه مشكلة قمنا بحلها منذ فترة طويلة . لم تلاحظ بالطبع أن خلف القباب التى توجد فى كل مستوى أو طابق يوجد سلم ممتد وملتو يلتف حول حائط الحجرة المركزية لترونجهيم حيث تصلُ السلالم حتى مكان إقامة التنين فوق إيسيدار ميثريم نحن نسميه بلغتنا فول تورين أى السلم الذى بلا نهاية . والنزول أو الصعود به لا يكون سريعاً بالقدر الكافى فى حالات الطوارئ وليس مريحاً فى حالة الاستخدام اليومى العابر . نحن نستخدم مصابيح بها كشافات لامعة لنقل الرسائل ، وهناك طريقة أخرى أيضاً ، لكن من النادر استخدامها . فعند بناء فول تورين ، تم بناء نفق كالزحلوقة من أعلى لأسفل وهو مصقول ، وتم بناؤه بجوار السلم اللانهائى ، وهو ضخم جداً وبارتفاع الجبل " .

ابتسم إيراجون وقال : " هل هو خطير ؟ " .

" لا تفكر فى تجربته ، فهو مصمم للأقزام وضيق جداً بالنسبة للإنسان . إذا انزلقت منه ، قد تقع على السلم أو على القباب ، وربما إلى الهوة " .

هبطت سفيرا على بعد رمية رمح من إيراجون ، وأصدرت حراشيفها صوتًا فظًا وجافًا . عندما ألقت التحية

على إيراجون ، تجمع الكثير من البشر والأقزام من خارج ترونجهيم ، ثم التفوا حولها وهمسوا جميعاً فى إعجاب .
نظر إليهم إيراجون فى قلق وقال أوريك : " من الأفضل أن نرحل من هنا " ، ودفعه للأمام قائلا : " قابلنى عند هذه البوابة غداً صباحاً ، سأكون فى انتظارك .

صاح إيراجون : " كيف سأعرف النهار من الليل ؟ "

" سأكلف أحدًا بإيقاظك ، لنرحل من هنا الآن ! "
وبدون أى اعتراضات أخذ إيراجون يجرى بين الزحام الذى أحاط بسفيرا وقفز على ظهرها .

قبل أن تطير سفيرا جاءت امرأة عجوز وأمسكت قدم إيراجون بيد من حديد فحاول التملص منها لكن يدها كانت كمخالب حديدية حول كعبه ـ فلم يتمكن من الفرار منها .
كانت عيناها الرماديتان اللتان تثبتهما عليه محاطتين بتجاعيد كثيرة جدًا ـ وكان الجلد مجعدًا على طبقات كثيرة فى خديها النحيلين . وكان هناك لفة مهلهلة تمسكها بذراعها اليسرى .

شعر إيراجون بالخوف وصاح : " ماذا تريدين ؟ " .
فردت المرأة ذراعها فكشفت القماشة الساقطة من اللفة عن وجه طفل رضيع . قالت المرأة بصوت يائس أجش : " فقدت هذه الطفلة أبويها ـ لا أحد يعتنى بها سواى ، وأنا ضعيفة .
باركها بقوتك يا أرجيتلام ليكون لها حظ سعيد فى الدنيا ! " .

نظر إيراجون إلى أوريك طلباً للمساعدة ، لكن القزم راقب الموقف وهو مترقب ومتحفز للدفاع عن إيراجون فى حالة الخطر . صمت بعض الناس فى انتظار الرد . كانت

عينا المرأة معلقتين به وقالت برجاء وإلحاح : " باركها يا أرجيتلام ، باركها " .

لم يبارك إيراجون أحدًا من قبل ، وهذا ليس عملاً يتم ببساطة في آلاجيشيا ؛ حيث قد تخطئ المباركة بسهولة وتتحول إلى نقمة ولعنة وليس خيراً - خاصة لو تمت المباركة بضغينة أو بعدم اقتناع . تساءل إيراجون : " هل أجرؤ على تحمل هذه المسئولية ؟ " .

" باركها يا أرجيتلام ، باركها ! " .

قرر أن يجيب طلبها وبحث في ذاكرته عن عبارة أو اصطلاح لكي يستخدمه . لم يبرز أى شيء في ذهنه حتى جاءه الإلهام فجأة وفكر في اللغة القديمة . ستكون تلك مباركة حقيقية بكلمات قوية يتلفظ بها صاحب قوة .

انحنى وخلع قفازه يده اليمنى ، ووضع يده على جبهة الرضيعة وقال : " أترا جوليا أون إيليان تاوثر أونو أون أترا أونو وايز سكولير فرا راوثر " ، جعلته الكلمات يشعر بالضعف ولم يتوقع ذلك ، وكأنه استخدم السحر . ثم سحب يده ببطء وارتدى قفازه وقال للمرأة : " هذا كل ما يمكنني فعله لها . ستحول كلماتي دون إصابتها بسوء " .

همست وهي تنحنى قليلا : " شكراً لك يا أرجيتلام " ، وهمت بأن تغطى الطفلة مرة أخرى لكن سفيرا نفثت دخانًا ومالت برأسها على الطفلة فتوترت المرأة العجوز وحبست أنفاسها ، لكن سفيرا مالت بأنفها ولمست بطرفها ما بين عينى الطفلة ثم رفعت رأسها بخفة .

صاح الناس في إعجاب عندما وجدوا نجمة فضية ظهرت على جبهة الطفلة ولونها كلون العلامة الفضية التى على يد

إيراجون . حدقت المرأة فى سفيرا فى إعجاب شديد وشكر صامت .

طارت سفيرا فى الحال وحركت الرياح بحركة جناحيها القويتين وانبهر الجميع . وعندما ابتعد إيراجون عن الأرض وتضاءلت تحته ، أخذ نفساً عميقاً واحتضن رقبة سفيرا بقوة وقال برقة : *" ما الذى فعلته ؟ "* .

" أعطيتها الأمل ، بينما أعطيتها أنت المستقبل " .

شعر إيراجون بالوحدة الشديدة فجأة ، على الرغم من وجود سفيرا . كان ما حوله غريبًا عنه جداً ـ أخذ يفكر لأول مرة فجأة كم هو بعيد عن موطنه . كان منزله محطمًا ، لكن قلبه معلق بموطنه . قال لسفيرا : *" ما الذى صرت إليه يا سفيرا ؟ أنا فى السنة الأولى لمرحلة الرجولة ، لكننى تباحثت مع زعيم الفاردن ويطاردنى جالباتوريكس وارتحلت مع ابن مورزان والآن يطلب منى الناس البركة ! ما الذى سأمنحه للناس من حكمة لم أتعلمها ؟ ما هى الأعمال البطولية التى سأحققها ولن يفعلها جيش بأكمله ؟ إن هذا ضربٌ من الجنون ! يجب أن أعود إلى كارفاهول وإلى روران "* .

صمتت سفيرا لفترة طويلة ثم قالت بلطف : *" أنت مثل الفرخ الذى خرج من البيضة للتو ، وتشق طريقك فى العالم . ربما أنا أصغر منك بعدد السنوات ، لكنى أحمل الأفكار القديمة لأسلافى . يعرف الناس أحياناً ما يجب أن يحدث . كل ما يريدونه هو إظهار الطريق لهم . عن طريق الحكمة . أما بالنسبة للأعمال البطولية ، فلن يتمكن أى جيش من إعطاء البركة التى منحتها لطفلة "* .

قال إيراجون : "لقد كان هذا شيئًا بسيطًا للغاية " .

" كلا ، لم يكن كذلك . ما رأيته هو بداية حكاية جديدة ، بل أسطورة . هل تظن أن الطفلة ستكتفى بكونها تعمل فى حانة أو كفلاحة مثلاً وجبهتها بها رمز التنين وكلماتك تباركها ؟ أنت تقلل من قيمة قوتك وقدرتك " .

حنى إيراجون رأسه وقال : " كل ذلك كثير جداً ويرهقنى نفسياً . أشعر كأنى أعيش فى وهم كبير ، حلم فيه كل شىء ممكن . تحدث أشياء مبهرة ومدهشة بالطبع ، ولكن دائماً للآخرين فى مكان وزمان بعيدين . لكنى وجدت بيضتك وعلمنى أحد الفرسان قادة التنين ، وصارعت ظلاً . كل هذه ليست أفعال فتى مزارع مثلى ، أو كما كنت . هناك شىء يتغير داخلى " .

" القدر هو الذى شكلك ، كل عصر يحتاج إلى بطل - ربما هذا هو قدرك . لا يسمى الأطفال المزارعون باسم أول الفرسان قادة التنين بلا سبب . اسمك كان البداية ، والآن هذا هو استمرار الأسطورة ، أو نهايتها " .

قال إيراجون وهو يهز رأسه : " ياه ، الأمر مثل التحدث بالألغاز .... لكن لو كان القدر محددًا سلفاً ، فهل اختياراتنا لها معنى ؟ أم أننا يجب أن نتعلم أن نتقبل قدرنا ؟ " .

قالت سفيرا بحزم : " يا إيراجون ، لقد اخترتك من داخل بيضتى . لقد منحتك فرصة يموت الآخرون من أجلها . هل أنت تعيس من جراء ذلك ؟ اطرح هذه الأفكار

عن رأسك . فإنك لن تجد إجابة لتلك الأسئلة وستجعلك تعيساً " .

قال لها بأسي : *" هذا حقيقى ، لكن مهما حدث ، فتلك الأفكار تتراقص داخل رأسى " .*

قالت سفيرا : *" لقد اضطربت الأمور منذ موت بروم . جعلنى ذلك أشعر بعدم الراحة والقلق "* **. فوجئ إيراجون بكلامها لأنها نادراً ما أظهرت قلقها . وكانت فى تلك اللحظة تطير فوق ترونجهيم . نظر إيراجون إلى فتحة قمة الجبل ورأى أرضية موقع بيت التنين إيسيدار ميثريم أو النجمة الزرقاء الكبيرة . كان يعرف أنه لا يوجد تحتها سوى الحجرة المركزية الكبيرة . نزلت سفيرا إلى موقع بيت التنين في صمت ودخلت إلى الحافة وهبطت إلى إيسيدار ميثريم وأصدرت مخالبها صوت احتكاك قويًا " .**

قال إيراجون : *" ألن تخدشى النجمة الزرقاء هكذا ؟ " .*

" لا أظن ، فهى جوهرة غير عادية " **. نزل إيراجون من ظهرها واستدار ببطء ليرى ما حوله وحاول استيعاب المشهد أمامه . كانا فى حجرة بلا سقف ارتفاعها ستون قدمًا وعرضها ستون قدمًا . كانت الحوائط بها عدة فتحات مظلمة للكهوف ، وكانت مداخل الكهوف مختلفة الأحجام ، من فتحات كهوف صغيرة ليست أكبر من الإنسان إلى فتحات ضخمة أكبر من أى منزل ، كانت هناك درجات لامعة من الرخام فى الحائط لكى يصل الناس للكهوف العليا . وكان هناك ممر ضخم فسيح يؤدى إلى خارج موقع بيت التنين .**

فحص إيراجون الجوهرة الهائلة الحجم تحت قدميه وبدافع الفضول وبلا تفكير استلقى عليها . ضغط بخده على الجوهرة الباردة وحاول أن يرى من خلالها ، فرأى خطوطا مشوهة ونقاطا ملونة متحركة تلمع عبر هذا الحجر الكريم ، لكن سمكها حال دون رؤية أى شيء بوضوح على أرضية الحجرة التى تقع على بعد ميل تحتها .

قال إيراجون : *"هل سأضطر للنوم بعيداً عنك ؟"* .

هزت سفيرا رأسها الضخم وقالت : *"كلا ، يوجد فراش لك فى كهفى ، تعال وشاهده"* . ثم استدارت وبدون فتح أجنحتها قفزت نحو عشرين قدمًا فى الهواء وهبطت على كهف متوسط الحجم ، فجرى إيراجون خلفها .

كان الكهف ذا لون بنى غامق من الداخل وعميقًا إلى الداخل بشكل لا يوحى به حجم الفتحة الخاصة به ، كما أن الحوائط المنحوتة بخشونة أعطته إيحاء بأنها تكوين طبيعى . بجوار الحائط كانت هناك وسادة ضخمة وسميكة تكفى لكى تستلقى عليها سفيرا . بجوارها كان هناك فراش موضوع إلى جانب من الحائط ، وكانت الإضاءة الوحيدة مصباحًا واحدًا ذا ضوء أحمر محاطًا بباب حديدى لكى يحول دون دخول الضوء فى حالة الرغبة فى الظلام .

قال إيراجون : *"أنا أحب هذا المكان فهو يبدو آمناً"* .

قالت سفيرا : *"نعم"* ، ثم تكورت على الوسادة الضخمة وأخذت تراقبه . تنهد إيراجون وهوى على الفراش وكان يشعر بالتعب الشديد .

" سفيرا ، لم تقولى لى الكثير عندما كنا هناك . ما رأيك فى ترونجهيم وأجيهاد ؟ "

" سنرى ..... يبدو يا إيراجون أننا قد دخلنا فى نوع جديد من الحرب . السيوف والمخالب فيها لن تجدى ، لكن الكلمات والتحالف قد يؤديان الغرض . التوأم يكرهاننا . يجب أن نحترس من أى خدعة أو مكيدة قد يدبرانها لنا ، ولا يثق فينا معظم الأقزام ، والإلف لم يكن يريدون الفارس القادم من البشر بل منهم ، لذلك ستظهر معارضة منهم لنا . أفضل ما يجب أن نفعله هو أن نحدد من هم فى مراكز القوى ونصادقهم ، وبسرعة جداً أيضاً " .

" هل تظنين أنه من الممكن أن أظل مستقلاً عن باقى الزعماء المختلفين ؟ " .

هزت جناحيها فى وضع مريح أكثر وقالت : " أجيهاد يؤيد حريتنا ، لكننا قد لا نتمكن من الحياة هنا بدون أن ندين بالولاء لمجموعة ما . سرعان ما سنعرف ما يجب أن نفعله " .

جذر اليبروح
ولسان السمندل

كانت الأغطية متكورة تحت إيراجون عندما استيقظ ، لكنه كان مازال يشعر بالدفء . كانت سفيرا نائمة على وسادتها وتنفسها المنتظم له صوت وإيقاع واضح .

لأول مرة منذ أن دخل فارزن دور ، شعر إيراجون بالأمان والأمل . كان يستشعر الدفء والشبع وتمكن من النوم للمدة التى تحلو له . بدأ التوتر يتسرب من داخله حتى تخلص منه نهائياً ـ وهو التوتر الذى بدأ يتراكم داخله منذ موت بروم ، وحتى قبل ذلك ؛ منذ أن غادر وادى بالانكار .

قال لنفسه : *"لن أضطر للخوف مرة أخرى ، لكن ماذا عن مورتاج"* . مهما كان كرم ضيافة الفاردن فلن يقبل إيراجون ما حدث لمورتاج وضميره مرتاح . خاصة أنه يعلم ـ سواء كان يقصد أم لا ـ أنه هو الذى تسبب فى سجن مورتاج لذا يجب حل هذا الموقف بأى وسيلة .

ظل يتفحص سقف الكهف وفكر فى آريا . وبخ نفسه على أحلام اليقظة ثم هز رأسه ونظر إلى موقع بيت التنين . وجد هرًا كبيرًا يجلس على حافة الكهف ويلعق مخالبه ، ثم نظر إليه ورأى لمعة فى عينيه الحمراوين المائلتين .

قال إيراجون وهو لا يصدق ما يراه : " *سوليمبوم؟* " .

" هذا واضح " . كان الهر المسحور يتثاءب ببطء ويهز شعر وجهه الكثيف الخشن وكشف عن أنيابه الطويلة ، ثم تمدد وقفز إلى خارج الكهف ، وهبط بصوت مكتوم وجامد على إيسيدار ميثريم على بعد عشرين قدمًا ، ثم قال : " *هل ستأتى معى؟* " .

نظر إيراجون إلى سفيرا التى كانت مستيقظة الآن وتراقبه بلا حركة وقالت هامسة : " اذهب ، سأكون بخير " . كان سوليمبوم ينتظره تحت القبة التى تؤدى إلى باقى ترونجهيم .

فى اللحظة التى لمس فيها إيراجون بقدميه إيسيدار ميثريم ذهب الهر المسحور بسرعة عبر الطريق ذى القباب بقفزة من مخالبه . طارده إيراجون وهو يفرك عينيه ليطرد آثار النوم ، وسار عبر الممر ذى القباب فوجد نفسه يقف على رأس فول تورين أو السلم اللانهائى . لم يكن هناك مكان آخر للذهاب إليه فهبط إلى الطابق التالى .

وقف فى المساحة المفتوحة فى الطريق ذى القباب الذى ينعطف إلى اليسار ويحيط بشكل دائرى حول الحجرة المركزية لترونجهيم . وبين الأعمدة الرفيعة التى ترفع السقف ، رأى إيراجون إيسيدار ميثريم تلمع بضوء مبهر فوقه ، مع القاعدة البعيدة للمدينة الجبلية . وكان محيط

الحجرة المركزية يزيد مع كل طابق . كان السلم يمتد عبر أرضية الطريق ذى القباب إلى مستوى مماثل تحته ويعبر عدة طوابق حتى يختفى فى المسافة البعيدة . كانت الزحلوقة الكبيرة تمتد بجوار السلم . وفى قمة فول تورين ، كان هناك كومة من المربعات الجلدية لكى يتم التزحلق عليها . وعلى يمين إيراجون ، كان هناك ممر ملىء بالأتربة يؤدى لحجرات هذا الطابق . سار سوليمبوم ببطء عبر القاعة وهو يهز ذيله .

قال إيراجون : " انتظرنى " .

حاول اللحاق بسوليمبوم لكنه لمحه يسير بسرعة عبر الممرات المهجورة . ثم اقترب إيراجون من أحد الأركان ورأى الهر المسحور يقف أمام أحد الأبواب ويصيح ، فجأة انفتح الباب وكأنه فتح من تلقاء نفسه إلى الداخل . دخل سوليمبوم ثم انغلق الباب . توقف إيراجون أمامه وشعر بالحيرة ثم رفع يده وهم بطرق الباب ، لكن قبل أن يفعل ذلك فتح الباب مرة أخرى وغمره ضوء دافئ ، وبعد لحظة تردد ، دخل إيراجون .

عندما دخل وجد جناحًا مكونًا من حجرتين منحوتتين فى باطن الأرض ، ومزينتين بشكل رائع عن طريقٍ الخشبٍ المنحوت والنباتات المعلقة . وكان الهواء دافئا ومنعشا ورطبا . وكانت هناك مصابيح مبهرة معلقة على الحائط والسقف المنخفض ، كما كان هناك أكوام من الأشياء الغريبة على الأرض ؛ مما يخفى أركان الحجرة . كما كان هناك سرير له أربعة أعمدة وله ستار من النباتات الكثيفة ، وكان ذلك فى أقصى الحجرة .

فى مركز الحجرة الرئيسية ، وعلى مقعد وثير وفخم من الجلد ، جلست الساحرة والعرافة أنجيلا ، وتعلـو وجهها ابتسامة واسعة .

صاح إيراجون : " ما الذى تفعلينه هنا ؟ " وضعت أنجيلا يديها على حجرها وقالت : " حسناً . لماذا لا تجلس على الأرض وسأخبرك ؟ كنت أفضل أن أعرض عليك الجلوس على أحد المقاعد ، لكنى أجلس على المقعد الوحيد " . امتلأ ذهن إيراجون بالأسئلة وهو يجلس بين زجاجتين بهما سائل أخضر لاذعٍ يغلى .

صاحت أنجيلا : " حسنا ! أنت من الفرسان قادة التنين . كنت أشك فى ذلك ، لكنى لم أتيقن من هذا إلا بالأمس . أنا متأكدة أن سوليمبوم كان يعرف لكنه لم يخبرنى مطلقاً . كان يجب أن أخمن ذلك لحظة أن ذكرت لى اسم بروم . سفيرا .... أحب هذا الاسم ـ إنه اسم يليق بالتنين " .

قال إيراجون فجأة بحدة : " مات بروم ، قتله الرازاك " .

ذهلت أنجيلا وعبثت بإحدى خصلات شعرها الغزير وقالت برقة : " أنا آسفة حقاً " .

ابتسم إيراجون بمرارة وقال : " لكنك لست مندهشة ، أليس كذلك ؟ لقد تنبأت بموته على أية حال " .

هزت رأسها بالنفى وقالت : " لم أكن أعرف من سيموت فى حياتك . لكن كلا .... لست مندهشة . قابلت بروم مرة أو مرتين ولم يكن يهتم باتجاهى " التافه " من وجهة نظره للسحر ، بل كان يضايقه " .

عبس إيراجون وقال : " فى تيرم ، سخرت من قدرته وذكرت أنها نكتة لماذا ؟ "

تصلب وجه أنجيلا مؤقتاً ثم قالت : " عندما أتذكر ما قلته أعتقد أنه كان مزاحًا سخيفًا ، لكننى لم أكن أعرف مصيره وما سيقع له . كيف أعبر عن نفسى ؟ .... يمكن القول إن بروم كانت عليه لعنة بطريقة ما . كان قدره أن يخفق فى كل مهامه عدا مهمة واحدة ، على الرغم من أن الأمر ليس خطأه . تم اختياره كفارس من قادة التنين لكن تنينه قتل . وكان يحب امرأة لكن حبه لها تسبب فى موتها . وأعتقد أنه تم اختياره ليحرسك ويدربك ، لكن فى النهاية فشل فى ذلك أيضاً . الشيء الوحيد الذى نجح فيه هو قتل مورزان ، ولم يفعل أفضل من ذلك " .

قال إيراجون : " لم يذكر لى بروم أبدا أية امرأة " .

هزت أنجيلا كتفيها بلا اكتراث وقالت : " سمعت ذلك ممن لا يكذب أبداً . لكن دعنا من هذا الحديث ! يجب أن تستمر الحياة رغم كل شيء ، ولا يجب أن نزعج الأموات بما يقلقنا " . أمسكت كومة من الأعشاب من الأرض وبدأت تجدلها بمهارة معاً ، وأغلقت باب المناقشة فى هذا الموضوع .

تردد إيراجون وحاول الاستمرار فى المناقشة لكنه استسلم وقال : " حسنا ، ما الذى تفعلينه هنا فى ترونجهيم بدلاً من تيرم ؟ " .

قالت أنجيلا : " ياه ، أخيراً سؤال مثير ؛ بعد سماع اسم بروم أثناء زيارتك لى ، شعرت بأن الماضى سيعود فى آلاجيشيا . يتهامس الناس بأن الإمبراطورية تطارد أحد

الفرسان قادة التنين . كنت أعلم أن بيضة تنين الفاردن قد فقست ولذلك أغلقت متجرى وسافرت طلباً فى معرفة المزيد " .

" هل تعرفين موضوع البيضة ؟ " .

" بالطبع كنت أعرفه ، لست بحمقاء . أنا أكبر مما تظن . نادرًا ما يحدث شىء ويختفى عنى " ، ثم صمتت لبرهة وركزت على جدل النباتات ثم قالت : " على أية حال ، علمت أننى يجب أن أذهب للفاردن بأسرع ما يمكن . ظللت هنا لشهر تقريباً ولا أهتم حقاً بهذا المكان ـ فهو ملىء بالأتربة والرائحة العفنة ولا يروق لى ، والجميع فى فارزن دور يتسمون بالجدية والنبل . عامة كلهم فى انتظار الهلاك بطريقة فاجعة " . ثم تنهدت تنهيدة طويلة واكتسى وجهها بتعبير السخرية ، ثم قالت : " والأقزام مجرد مجموعة من الصغار الذين يؤمنون بالخرافات وسعداء بطرق وحفر الصخور طوال حياتهم . الشىء الجيد الوحيد فى هذا المكان هو الفطريات والأعشاب وعش الغراب التى تنمو به " .

ابتسم إيراجون قائلا : " إذن لماذا تمكثين هنا ؟ "

" لأننى أهتم بأن أتواجد فى الأماكن التى تحدث فيها أحداث مهمة " . رفعت رأسها وأردفت قائلة : " كما أننى لو بقيت في تيرم ، كان سيتركني سوليبوم ويذهب إلى هنا بدونى ، وأن أستمتع بصحبته . لكن أخبرنى بما حدث لك من مغامرات منذ أن تحدثنا معاً " .

لمدة ساعة ، لخص لها إيراجون كل ما حدث له في شهرين والنصف . كانت أنجيلا منصتة له ، لكن عندما ذكر اسم مورتاج تمتمت قائلة : " مورتاج ! "

أومأ لها إيراجون وقال : " نعم ، لقد أخبرنى بهويته ، لكن دعينى أكمل قصتى قبل إصدار أى أحكام " ، ثم واصل سرد قصته ، وعندما فرغ منها رجعت أنجيلا للخلف وأخذت تفكر ونسيت جدل الأعشاب .

وبدون سابق إنذار ، قفز سوليمبوم من مكان اختبائه وهبط على حجرها وتكور ونظر إلى إيراجون نظرة مرعبة .

ربتت أنجيلا على الهر المسحور وقالت : " رائع ، لقد تحالف جالباتوريكس مع الأورجال ، وظهر مورتاج أخيراً ... كنت سأحذرك منه ، لكن من الواضح أنك على وعى بالخطر " .

صاح بها في حزم : " كان مورتاج صديقاً مخلصًا وحليفاً لا يتردد في ولائه لى " .

قالت له : " مهما حدث ، احترس فحسب " ، ثم صمتت لبرهة ثم قالت بتقزز : " وهناك موضوع الظل الذى يسمى دورزا . إنه أكبر خطر على الفاردن الآن بجانب جالباتوريكس . أنا أكره الظلال ـ فهم يمارسون أقذر أنواع السحر بعد النوع المسمى " التخاطب مع أرواح الموتى " . أتمنى لو استخرجت قلبه بدبوس صدئ وأطعم قلبه للحيوانات ! " .

فزع إيراجون من حماسها المفاجىء الزائد وقال لها : " لا أفهم مقصدك ، لقد أخبرنى بروم أن الظلال سحرة

يسخرون الأرواح لتنفيذ أغراضهم ، لكن لماذا يجعلهم ذلك أشرارًا لهذه الدرجة ؟ " .

قالت له وهي تهز رأسها بالنفى : " كلا ، السحرة العاديون ، ليسوا أكثر من ذلك ، فالسحرة العاديون ليسوا أسوأ أو أفضل من باقي الناس . إنهم يستخدمون القوى السحرية للتحكم في الأرواح وقواها . لكن الظلال يتركون ذلك التحكم بحثًا عن قوة أكبر ، عن طريق السماح للأرواح بالتحكم فى أجسادهم . وللأسف ، فإن الأرواح الشريرة فقط هى التي تسعى للتحكم فى جسد البشر وبمجرد حدوث ذلك ، لا تغادر الروح الشريرة الجسد أبدا . هذا يحدث مصادفة لو أن الساحر قام باستحضار روح أقوى منه . المشكلة هى أنه عندما يتكون الظل ، من الصعب جدا قتله . أنا متأكدة أنك تعلم أن هناك اثنين فقط تمكنا من هذا العمل المبهر : " لا تيرى الإلف " و " إيرنستاد " الفارس قائد التنين " .

قال إيراجون : " سمعت قصصهما " ، ثم أشار للحجرة وقال : " لماذا تعيشين هنا فى مكان عال فى ترونجهيم ؟ أليس من المزعج أن تظلى فى عزلة ؟ وكيف أحضرت كل أغراضك هنا ؟ " .

رفعت رأسها وضحكت بمرارة وقالت : " أقول لك الحق ؟ أنا أختبئ . عندما جئت لأول مرة لترونجهيم ، قضيت أياماً في هدوء وسلام ـ حتى ثرثر أحد الحراس ـ ممن أدخلونى إلى فارزن دور ـ عن شخصيتى فجاء كل من يشتغلون بالسحر ، لكنهم أقل من أقل ساحر حقيقى ، وأخذوا يضايقوننى وحاولوا أن يقنعونى بالانضمام

لجماعتهم السرية . التوأم دراجل أكثر من حاول إقناعى بذلك لأنهما من يتحكمان بتلك الجماعة . فى النهاية هددتهما بتحويلهما إلى ضفادع ، لكن عندما لم يكن ذلك رادعاً كافياً لهما ، تسللت إلى هنا فى منتصف الليل . كان ذلك العمل أسهل مما تتخيل وخاصة لمن فى مثل قدراتى ومهاراتى " .

" هل تطرق التوأم إلى ذهنك قبل أن تدخلى المدينة ؟ لقد أجبرونى على غربلة ذكرياتى " .

لمعت عينا أنجيلا ببرود وقالت : " لا يجرؤ التوأم على فحص ذهنى خوفاً من إيذائى لهما . بالطبع هما يتمنيان ذلك ، ولكنهما يعرفان أن ذلك المجهود سيجعلهما منهكى القوى ويصابان بالهذيان والبله . لقد اعتدت على المجىء للفاردن قبل أن تنتشر عادة فحص ذهن الناس .... ولن يبدآها معى الآن " .

نظرت للحجرة الأخرى وقالت : " رائع ! لقد كان حديثنا شيقاً ومثمرًا ، لكن أخشى أن عليك الذهاب الآن . إن خليط مقاديرى من جذر اليبروح ولسان السمندل أوشك على الغليان ، ويجب أن أعتنى به . زرنى عدة مرات كلما سمح الوقت . ولا تخبر أحدًا من فضلك بمكانى . إننى أكره أن أنتقل لمكان آخر ، فهذا يجعلنى ...... *متضايقة جداً* ، ولن ترغب فى مضايقتى ! " .

قال لها إيراجون : " لن أبوح بسرك " .

قفز سوليمبوم من على حجرها عندما وقفت وصاحت : " رائع ! " .

ودعها إيراجون وغادر الحجرة وأرشده سـوليمبوم عـبر مكان مبيت التنين ثم تركه بهزة من ذيله قبل أن يعود قفزًا لأنجيلا .

قاعة ملك الجبل

كان أحد الأقزام ينتظر إيراجون فى موقع التنين . بعد أن انحنى وهمس قائلاً : " أرجيتلام " ، ثم قال بلهجة فظة : " رائع أنك مستيقظ. إن كنورلا أوريك ينتظرك " ، ثم انحنى وجرى مبتعداً . قفزت سفيرا خارج الكهف وهبطت بجوار إيراجون وكان زاروك بين مخالبها .

عبس إيراجون وقال : " *لماذا يجب أن أحمله ؟* " .

مالت برأسها وقالت : " *احمله معك ، فأنت فارس من قادة التنين ، ويجب أن تحمل سيف الفرسان . قد يكون لهذا السيف تاريخ دموى ، لكن ذلك لا يجب أن يؤثر على أفعالك . قم بتشكيل تاريخ جديد له واحمله بكل فخر* " .

" *هل أنت متأكدة ؟ تذكرى نصيحة أجيهاد* " .

زأرت سفيرا وخرج الدخان من منخاريها وقالت : " *احمله يا ايراجون إن أردت أن تعلو على كل القوى*

الموجودة هنا ، لا تدع معارضة الآخرين تملي عليك أفعالك " .

قال علي مضض : " *كما تريدين* " ، ثم وضع السيف على حزامه وتسلق ظهرها وطارت به إلى خارج ترونجهيم . كان هناك ضوء كاف في فارزن دور في تلك اللحظة لدرجة أن الكتلة غير الواضحة المعالم لجدران فوهة البركان - خمسة أميال في كل اتجاه - كانت على مرمى البصر . وعندما حلقت سفيرا في دوائر حتى نزلت إلى قاعدة المدينة الجبلية ، أخبرها إيراجون عن مقابلته مع أنجيلا .

بمجرد أن هبطا بجوار إحدى بوابات ترونجهيم ، ركض أوريك نحو جانب سفيرا وقال : " الملك هروثجار يرغب في رؤيتك مع سفيرا ، ترجل سريعاً ، وهيا نسرع الخطى " .

ركض إيراجون خلف القزم إلى مدينة ترونجهيم . واستطاعت سفيرا المحافظة على إيقاع سيرها بجوارهما . تجاهل إيراجون حملقة الناس إليه في الممرات المرتفعة وقال : " أين سنقابل هروثجار ؟ " .

بدون إبطاء قال أوريك : " في قاعة العرش تحت المدينة . سيكون اجتماعًا خاصًا على انفراد كما في حالة " أوثو " أو " العهد " . لست مضطرا لمخاطبته بأى أسلوب خاص لكن تحدث معه باحترام . هروثجار سريع الغضب ، لكنه حكيم ويجيد قراءة أذهان الناس جيداً ، لذلك فكر جيداً قبل أن تتكلم " .

بمجرد أن دخلا الغرفة المركزية لترونجهيم ، قادهما أوريك إلى أحد السلالم المؤدية لأسفل والمجاورة للحائط

المقابل . هبطوا جميعًا عبر السلم الأيمن والذى كان يلتف إلى الاتجاه الذى جاءوا منه . وقد اتحد السلم الآخر مع سلمهم وشكلا سلمًا عريضًا كشلال منحدر من الدرجات المنيرة بإضاءة خافتة ـ والتى انتهت بعد ١٠٠ قدم أمام بابين من الجرانيت . كان هناك تاج له سبع حواف منحوت على البابين .

على كل من الجانبين من البوابة ، كان يقف سبعة حراس من الأقزام يحملون فئوسًا لامعة ويرتدون أحزمة مرصعة بالجواهر . وعندما اقترب إيراجون وسفيرا وأوريك ، طرق الأقزام الباب بمقابض الفئوس . سمع إيراجون صوتًا هادرًا وعميقًا كدوران عجلة خلف السلالم ثم انفتح الباب إلى الداخل .

كانت أمامهم قاعة مظلمة وطولية الشكل . كانت قاعة العرش عبارة عن كهف طبيعى والحوائط مغطاة بطبقات الستالاجميت ، والستالاكتايت ، وكل طبقة سمكها أكبر من طول الإنسان . كان هناك عدد قليل من المصابيح المعلقة التى تلقى بضوئها الخافت . كانت الأرضية ذات لون بنى ولامعة ومصقولة . وفى نهاية القاعة كان هناك عرش أسود يجلس عليه شخص بلا حراك .

انحنى أوريك وقال : " الملك ينتظرك " . وضع إيراجون يده على جانب سفيرا وتحرك كلاهما للأمام وأغلقت الأبواب دونهما وبذلك صارا وحيدين فى قاعة العرش المظلمة مع الملك .

ترددت أصداء خطواتهما عبر القاعة عندما تقدما إلى العرش . وفى الفراغات ما بين طبقات الستالاجمايت

والستالاكتايت ، كانت هناك تماثيل ضخمة . كل تمثال منحوت يمثل أحد ملوك الأقزام وهو يرتدى التاج ويجلس على عرش ، وعيون التماثيل الحجرية تحدق فى صرامة إلى الأفق ، ووجوههم ذات التجاعيد تعلوها تعابير صارمة . كان هناك اسم منحوت بحروف غريبة بين كل قدمين لكل تمثال .

سار إيراجون وسفيرا فى وقار بين صفى التماثيل للملوك الذين ماتوا منذ عصور طويلة ومروا بالعديد من الفراغات والكهوف الفارغة والمظلمة فى انتظار الملوك الآخرين فى المستقبل . توقفا أمام الملك هروثجار فى نهاية القاعة .

كان ملك الأقزام يشبه التمثال فى جلسته على عرش مرتفع منحوت من قطعة واحدة من الرخام الأسود . كان العرش ضخمًا وبلا زينة ، لكنه منحوت بدقة متناهية . كانت هناك قوة تشع من هذا العرش تعود للعصور السحيقة عندما حكم الأقزام آلاجيشيا بدون معارضة الإلف والبشر . كان التاج الذى على رأس هروثجار عبارة عن خوذة ذهبية مرصعة بالياقوت الأحمر والماس . كان وجهه كئيبًا وممتلئًا بالتجاعيد ورفيعًا بفعل سنوات طويلة من الخبرة وتحت جبهته المليئة بالتجاعيد كانت عيناه العميقتان اللتان تبدوان وكأنهما تشعان ضوءاً تلمعان وتكادان تخترقان إيراجون وسفيرا بنظراتهما وعلى صدره القوى كان يرتدى سترة حديدية . وكانت لحيته البيضاء مربوطة تحت حزامه ، وفى حجره ، كان يمسك بمطرقة حرب قوية ومختوم على رأسها رمز الفصيلة الخاصة بأوريك .

انحنى إيراجون وهو يتحرك بخجل وركع أمام الملك . وظلت سفيرا واقفة منتصبة القامة . تحرك الملك وكأنه استيقظ من نوم طويل وقال بصوت هادر : " قم أيها الفارس قائد التنين ، لا داعى للانحناء لى " .

اعتدل إيراجون ونظر للملك هروثجار فى عينيه الغائرتين التى لا توحى بأى انفعال . فحصه الملك بنظرة صارمة ثم قال بلهجة غريبة من حنجرته : " أز كنورل ديمن لانوك " ، إنه مثل قديم لدينا ويعنى : " احترس ، لأن الصخور تتغير .... وفى هذه الأيام يتغير الصخر بسرعة جدا " ، ثم لمس المطرقة بأصابعه وقال : " لم أتمكن من مقابلتك قبل ذلك كما قال أجيهاد ؛ لأننى كنت مضطرًا للتعامل مع أعدائى فى فصائل الأقزام . لقد طالبوا بألا أمنحك الملاذ وأطردك من فارزن دور . لقد بذلت جهدًا كبيرًا لكى أقنعهم بالعدول عن ذلك " .

قال إيراجون : " شكراً لك ، لم أكن أتوقع أن ينشب خلاف كبير بسبب حضورى " .

قبل الملك شكره ، ثم رفع يده الصغيرة المضمومة وأشار قائلاً : " هل شاهدت أيها الفارس إيراجون أين يجلس أجدادى فى قبورهم التى على شكل عروش ؟ عددهم واحد وأربعون وترتيبى هو الثانى والأربعون . عندما أموت ، فإنهم سيضعون جثتى معهم بالترتيب . أول تمثال لجدى الأكبر كورجان ، وهو من صنع هذا الصولجان المسمى فولوند . منذ ٨٠٠ عام ـ منذ بداية نشأة جنسنا من الأقزام ـ حكم الأقزام العالم السفلى فارزن دور ، إننا أساس الأرض ،

وأطول عمراً من الإلف الذين يتمتعونٍ بالجمال ومخلوقات التنين المتوحشة . اهتزت سفيرا قليلا .

مال هروثجار للأمام وقال بصوت عميق وحاد : " أنا طاعن في السن أيها الإنسي - حتى بحسابكم للأعمار - فأنا كبير بما يكفي لرؤيتي لكل الفرسان في مجدهم التليد ، وتحدثت مع آخر قائد لهم ويدعى فرايل ، والذى قدم لىٍ الولاء والاحترام بين جنبات هذه الحوائط . قليل جدا مازالوا أحياء ممن يدعون أنهم مروا بكل تلك الأحداث . أنا أذكر السلام الذى عمٍ بسبب الفرسان وكيف تدخلوا فى شئوننا ، وأذكر أيضاً أنه كان من الممكن السير في أمان من ترونجهيم إلى ناردا .

" والآن وأنت ماثل أمامي - أشعر أنه تم إحياء المجد والتقاليد المفقودة . أخبرنى بصدق ، لماذا جئت إلى فارزن دور ؟ أعرف الأحداث التى جعلتك تهرب من الإمبراطورية ، لكن ما هو غرضٍك الآن ؟ " .

قال إيراجون : " حاليا أرغب أنا وسفيرا فقط فى الاستجمام وطلب الراحة فى ترونجهيم . لسنا بصدد التسبب فى أى متاعب ، بل نبغى الملاذ من الأخطار التى واجهناها لشهور طويلة . قد يرسلنا أجيهاد للإلف لكن حتى يحدث ذلك ، لا نرغب فى مغادرة المكان " .

" إذن هل الدافع الوحيد لكى تأتى إلى هنا كان الرغبة فى الأمان ؟ هل تسعى للعيش هنا وتنسى مشاكلك مع الإمبراطورية ؟ " .

هز إيراجون رأسه بالنفى حيث رفض كبرياؤه هذه العبارة ، ثم قال : " لو كان أجيهاد قد أخبرك بماضى

حياتى جيداً ، فينبغى أن تعرف أن لدىّ ثأرًا رهيباً مع الإمبراطورية يدفعنى لمحاربتها حتى لا يبقى منها أى شئ سوى التراب . بل وأكثر من ذلك ..... أريد مساعدة من لا يتمكنون من الهرب من بطش جالباتوريكس ومنهم ابن خالى . وبما أن لدىّ القوة اللازمة للمساعدة ، فسوف أقدمها " .

بدا الرضا على الملك بإجابة إيراجون فاتجه إلى سفيرا وقال : " أيها التنين ، ما رأيك فى هذا الأمر ؟ لماذا حضرت إلى هنا ؟ " .

صاحت سفيرا من بين شفتيها وقالت لإيراجون : " أخبره أننى متعطشة لدماء أعدائنا وأنتظر بشغف اليوم الذى نحارب فيه جالباتوريكس . ليس لدىّ أى عطف أو رحمة للخونة وكاسرى بيض التنين مثل هذا الملك المزيف لقد كان يحتفظ ببيضتى منذ أكثر من قرن ولديه حتى الآن اثنان من إخوتى ، وأريد تحريرهما إن أمكن . وأخبر هروثجار أننى أعتقد أنك مستعد لهذه المهمة " .

عبس إيراجون بسبب كلماتها لكنه نقلها للملك كلها بأمانة . فابتسم الملك بابتسامة باهتة وحزينة عمقت من تجاعيده وقال : " يبدو أن مخلوقات التنين لم تتغير على مر القرون " .

ثم طرق العرش بعقلة من إصبعه ثم أردف قائلاً : " هل تعرف لماذا تم نحت العرش بحيث يكون منبسطًا وله زاويا حادة ؟ لكيلا يجلس أحد عليه وهو يشعر بالراحة ، ثم قال : " لن أتنازل عن هذا العرش بدون ندم عندما أموت ، ما الذى يذكرك هنا بالتزاماتك يا إيراجون ؟ إذا سقطت

الإمبراطورية فهل ستحل محل جالباتوريكس وتطالب بالعرش ؟ " .

قال إيراجون باضطراب : " أنا لا أسعى لمنصب ملكى وارتداء التاج واعتلاء العرش . إن كونى من الفرسان قادة التنين يعد مسئولية كافية . كلا ، لن أستولى على العرش فم " أوروباين " ..... إلا إذا لم يرغب فيه أحد أو لم يكن هنال من هو جدير به " .

قال هروثجار محذراً إيراجون بصرامة : " بالتأكيد ستكون ملكا رحيمًا مقارنة بجالباتوريكس ، لكن لا أحد من أى جنس يرغب فى ملك أو قائد لا يشيخ ولا يترك العرش أبداً ، لقد انتهى زمن الفرسان قادة التنين يا إيراجون ولن يعود مرة أخرى - حتى فى وجود بيضتين لدى جالباتوريكس ينتظر أن تفقسا " .

أظلم وجهه عندما حدق إلى جانب إيراجون وقال : " أرى أنك تحمل سيف أحد أعدائنا . وقد علمت أنك كنت تسافر مع ابن أحد الفرسان المنشقين . لا يسرنى أن أرى هذا السيف " ، ثم مد يده قائلا : " لكننى أحب أن أفحصه " .

سحب إيراجون زاروك وأعطاه للملك من ناحية المقبض . أمسك هروثجار بالسيف ومر بعينيه الخبيرتين على النصل الأحمر . فعكس النصل ضوء المصابيح بشدة . ووضع ملك الأقزام راحة يده على النصل وحافة السيف ثم قال : " إنه نصل تم صناعته بإتقان تام ، ونادراً ما يختار الإلف صناعة السيوف - فهم يفضلون الأقواس والرماح - لكن عندما يختارون صناعة السيوف ، فإن النتيجة لا يضاهيها شىء . هذا السيف منحوس ، ولست سعيداً بحمله حين تغير حظه

بالفعل ، " ثم أعاد زاروك إلى إيراجون الذى وضعه فى غمده ، ثم قال الملك : " هل كان ابن أختى معينًا لك أثناء إقامتك هنا ؟ " .

" من ؟ " .

رفع هروثجار حاجبه الكثيف وقال : " أوريك هو ابن أصغر إخوتى . كان يخدم تحت إمرة الزعيم أجيهاد لإظهار تأييدى للفاردن ، لكن يبدو أنه عاد ليعمل تحت إمرتى ، وأنا سعدت عندما علمت أنك دافعت عنه بكلامك " .

فهم إيراجون أن تلك علامة أخرى على " الأوثو " أو " الإخلاص " من جانب هروثجار ، فقال : " لم أكن لأجد مرشدًا أفضل منه لى " .

قال الملك والسرور واضح على وجهه : " هذا رائع ، لكن للأسف ، لن أتمكن من التحدث معك لفترة أطول لأن المستشارين الخاصين بى فى انتظارى لمناقشة أمور مهمة . لكنى سأقول لك شيئاً أخيرًا : إن أردت تأييد الأقزام فى مملكتى ، فيجب أن تثبت مدى ولائك لهم . لدينا ذكريات طويلة مع الفرسان ولن نتعجل فى اتخاذ قرارات متسرعة . الكلمات لا تجدى بل الأفعال هى الفيصل " .

انحنى إيراجون وقال : " سأضع هذا فى اعتبارى أيها الملك " .

أومأ هروثجار برأسه بشكل ملكى وقال : " أذنت لك بالانصراف الآن " .

استدار إيراجون وسفيرا وسارا إلى خارج قاعة العرش لملك الجبال . كان أوريك فى انتظارهما على الجانب الآخر من البوابات الحجرية ويعلو وجهه تعابير القلق ، قابلهما

بمجرد نزولهما إلى الغرفة الرئيسية لترونجهيم وقال :
" هل تم كل شيء على ما يرام ؟ هل استقبلك الملك بكل ترحاب ؟ " .

" نعم ، لكن أظن أن ملككم حريص جداً " .

" هذا سبب استمراره على العرش طوال هذه المدة الطويلة " .

قالت سفيرا : *" لا أريد أن يغضب هروثجار منا "* .

قال لها إيراجون : *" وأنا أيضاً ، لكنى لست متأكداً من رأيه فيك ، يبدو أنه لا يحب التنين ، لكنه لم يقل ذلك صراحة "* .

بدت سفيرا مستمتعة بذلك وقالت : *" إنه حكيم جداً فى ذلك خاصة أنه بالكاد يصل لطول ركبتى ! "* .

في مركز ترونجهيم تحت العلامة اللامعة إيسيدار ميثريم ، قال أوريك : " مباركتك التى أعطيتها بالأمس جعلت كل الفاردن يشعرون بالحماس والنشاط . الطفلة التي باركتها سفيرا بلمستها السحرية تم تنصيبها كبطلة للمستقبل وتم إيداعها مع راعيتها فى أفخم القاعات ، إن الجميع يتحدثون عن " المعجزة " التى قمت بها ، كل الأمهات من بني البشر لديهن نية أن يجدنك ويحصلن على مباركتك لأطفالهن " .

انزعج إيراجون للغاية ونظر حوله في قلق بالغ وقال :
" وماذا أفعل ؟ ! " .

قال أوريك بجفاء : " بجانب إلغاء ما قمت به ؟ ابق بعيداً عن الأنظار قدر الإمكان ، سيتم إلزام الجميع بالابتعاد عن مقر التنين لكيلا يزعجك أحد " .

لم يكن إيراجون يريد العودة لمقر التنين الآن ، فاليوم مازال في بدايته المبكرة ، وكان يريد استكشاف ترونجهيم مع سفيرا ، الآن عندما ابتعد عن الإمبراطورية فلا داعي لانفصاله عنها . لكنه أراد أن يتجنب لفت الانتباه ، وهذا مستحيل مع بقائها إلى جواره فقال لها : " ما رأيك يا سفيرا ، ماذا أفعل الآن وماذا تريدين ؟ " .

حكت أنفها به وحراشيفها في ذراعه وقالت : " سأعود لبيت التنين ، فهناك من أريد مقابلته هناك . تجول كما تريد " .

قال لها : " حسناً ، لكن من الذى تريدين مقابلته ؟ " .

لم تجبه سفيرا بل غمزت فقط بعينها الكبيرة قبل أن تسير عبر أحد الأنفاق الرئيسية الأربعة لترونجهيم .

شرح إيراجون لأوريك إلى أين تتوجه سفيرا ثم قال : " أريد تناول طعام الإفطار ، ثم التجول ومشاهدة ترونجهيم أكثر ؛ إنه مكان مذهل ولا أريد الذهاب لمكان التدريب إلا غداً فأنا لم أسترح بعد " .

أومأ أوريك واهتزت لحيته على صدره وقال : " في هذه الحالة هل تريد زيارة مكتبه ترونجهيم ؟ إنها قديمة وتحتوى على مخطوطات لها قيمة كبيرة ، وقد يثيرك أن تقرأ تاريخ آلاجيشيا التي لم تلوثها بعد يد جالباتوريكس فيما مضى " .

تذكر إيراجون فجأة كيف تعلم القراءة على يد بروم وتساءل هل مازال يحتفظ بتلك المهارة أم لا ، لقد مر وقت طويل منذ آخر مرة رأى كلمات مكتوبة فقال : " نعم ، لنفعل ذلك " .

" حسناً " .

بعد أن فرغا من تناول الطعام ، أرشد أوريك إيراجون عبر عشرات الممرات حتى وصلا للمكتبة ، وعندما وصلا للقبة المنحوتة الخاصة بها ، دخلها إيراجون بكل احترام .

ذكّرته حجرة المكتبة بالغابة . فقد كان هناك صف من الأعمدة الرشيقة فى الظلام تمتد حتى السقف وتغطى خمسة طوابق . وبين الأعمدة ، كانت هناك رفوف للكتب مصنوعة من الرخام الأسود متجاورة ومتلاصقة من الظهر . كان هنال أرفف مليئة بالمخطوطات التى تغطى الحوائط وتتخلله ممرات ضيقة تؤدى إلى ثلاثة سلالم متعرجة . وبين كا حائط وآخر كانت هناك أريكتان متقابلتان من الحجر وبينهما موائد صغيرة لها قواعد ملتحمة مع الأرضية فى شكل عجيب .

كان هناك عدد لا يحصى من الكتب والمخطوطات التى كانت مخزنة فى هذه الحجرة ، قال أوريك : " هنا يكمن التراث الحقيقى لجنس الأقزام ، فهنا يوجد كتاب لأعظم ملوكنا وعلمائنا ، منذ فجر التاريخ وحتى الآن . كما أنها تحتوى على أغان وقصص من تأليف فنانينا ، إن هذه المكتبة هى أثمن ما نملك . لكن ليس كل الكتب للأقزام فقط ـ فهناك كتب للبشر أيضاً . على الرغم من قصر عمر البشر لكنهم يكتبون الكثير ، فهم غزيرو الإنتاج فى الكتابة ـ لدينا قليل جداً من كتابات الإلف ، فهم يحرسون كل أسرارهم بمغالاة شديدة " .

قال إيراجون وهو يتحرك نحو الأرفف : " كم طول المدة المسموح بها للبقاء هنا ؟ " .

" ابق كما تشاء ولا تتردد فى طرح الأسئلة علىّ إن أردت " .

فحص إيراجون المجلدات الضخمة فى سعادة كبيرة ، وتناول بحماس المجلدات ذات الأغلفة الجذابة والعناوين المثيرة وكان مما يدعو للدهشة أن الأقزام كانوا يستخدمون نفس الحروف التى يستخدمها البشر . شعر بيأس وانزعاج كبيرين عندما وجد صعوبة ومشقة فى القراءة بعد شهور من عدم المطالعة ، وقد ألقى نظرة سريعة على كل كتاب على حدة وسار ببطء بعد ذلك إلى أروقة المكتبة . فى النهاية وصل إلى قصيدة رائعة كان قد كتبها الملك العاشر للأقزام ، ويُدعى " دوندار " .

وبينما كان يتفحص السطور المنمقة الرشيقة ، سمع خطوات تقترب من خلف رفِ الكتب ، فشعر بالفزع ، لكنه وبخ نفسه لأنه بدا سخيفاً فى فزعه من شىء تافه ـ فهو لا يمكن أن يكون الشخص الوحيد فى المكتبة . لكن على الرغم من ذلك أعاد الكتاب لمكانه ببطء وبهدوء وهرب لأنه شعر بالخطر . لقد تعرض لكمين عدة مرات وبالتالى لن يتجاهل مشاعر الفزع . سمع الخطوات التى تقترب مرة أخرى وبينه وبينها رفان من الكتب ، توجس خيفة ثم ركض نحو الباب وحاول أن يتذكر أين يجلس أوريك ، ثم اختبأ فى ركن ثم فزع عندما وجد نفسه فِى مواجهة التوأم .

وقف التوأم معاً متلامسة أكتافهما وكان وجهاهما الأملسان خاليين من أى تعابير ، وكانت عيونهماٍ السوداء كالثعابين تكاد تخترقه . تحركت أيديهما قليلاً داخل ثنايا

ملابسهما الأرجوانية . انحنى كلاهما له بحركة سريعة تنم عن السخرية والوقاحة .

قال أحدهما : " كنا نبحث عنك " ، وكان صوته غير مريح لأنه يشبه صوت الرازاك .

كتم إيراجون رغبته في أن يرتعش وقال : " لماذا ؟ " ، وتواصل ذهنيا مع سفيرا وتوحد عقلاهما وصارت تسمع معه ما يحدث .

" منذ أن قابلت أجيهاد ونحن نريد .... أن نعتذر عما بدر منا " . كانت الكلمات توحي بالسخرية ، لكن ليس بطريقة تمكن إيراجون من الرد ثم استطردوا : " لقد جئنا لكي نظهر احترامنا لك " . تورد وجه إيراجون من شدة الغضب عندما انحنى كلاهما مرة أخرى .

صاحت سفيرا : " *احترس !* "

تجاهل غضبه المتصاعد وحاول كتمه ، فهو لن يتحمل أن يغضب ويتضايق من مثل تلك المواجهات . خطرت له فكرة وقال مبتسماً : " كلا ، بل أنا الذى أريد إظهار احترامى لكما . بدون موافقتكما ، لم أكن لأدخل فارزن دور ثم انحنى لهما بدوره بطريقة مهينة قدر استطاعته " .

لمعت عيونهما من الغيظ ، لكنهما ابتسما وقالا : " لنا الشرف لأن شخصًا فى مثل ...... أهميتك ..... يقدرنا بهذا الشكل . نحن مدينان لك بكلمات الثناء التى وجهتها لنا " .

تضايق إيراجون بدوره من هذه العبارة فقال : " سأتذكر ذلك عندما أحتاج إليكما " .

تدخلت سفيرا بحدة فى أفكاره وقالت : " *لا تبالغ ، لا تقل أى شىء ستندم عليه لاحقاً . سيتذكران كل كلمة لاستخدامها ضدك* " .

صاح بها قائلاً : " *الأمر صعب بما يكفى بدون تعليقاتك !* " ، فتراجعت وزأرت فيه بغضب .

اقترب التوأم منه وكانت أطراف رداء كل منهما تلامس الأرضية وصارت أصواتهما أكثر دقة وقالا معاً : " كنا نبحث عنك لسبب آخر أيضاً أيها الفارس قائد التنين ، إن من يستخدمون السحر فى ترونجهيم قد كونوا مجموعة معا اسمها " دو فرانجر جاتا " أو ـــــ " .

قاطعمها إيراجون وقال : " أعرف ، اسمها طريق التجول " وتذكر ما قالته أنجيلا .

قال أحدهما بلطف : " معرفتك باللغة القديمة مبهرة . كما كنا نقول ، لقد سمعت جماعة " دو فرانجر جاتا " بأعمالك المبهرة ونعرض عليك الانضمام إلينا . سننال كل الشرف والفخر أن يكون من بين أعضائنا شخص فى مكانتك وربما سنقدم لك مساعدتنا أيضاً " .

" كيف ؟ " .

قال الآخر : " لقد جمع كلانا معلومات وخبرات كثيرة فى السحر . سوف نرشدك .... ونعلمك التعاويذ التى اكتشفناها ونعلمك كلمات القوة . لا شىء يسعدنا أكثر من مساعدتك ولو بالقليل فى طريقك إلى المجد . لا داعى لرد هذا الجميل ، ولو أردت تبادل المعلومات معنا وتخبرنا بالقليل الذى تعرفه ، فسوف نكون ممتنين لك " .

تصلب وجه إيراجون عندما أدرك طلبهما وصاح بغلظة : " هل تظنانى أحمق ؟ لن أتعلم منكما أى شيء ولن أعلمكما ما لقننى بروم من كلمات سحرية ! لابد وأنكم غضبتما لأنكما لم تسرقاها من عقلى ! " .

اختفت الابتسامات الزائفة الخادعة فجأة وصاحا : " لا تعبث معنا أيها الفتى ! نحن من سيختبر قدراتك فى السحر ، وهذا قد يكون مزعجاً جداً . تذكر أنه بتعويذة واحدة خاطئة قد تقتل أحدًا . ربما أنت من الفرسان لكن كلينا مازال أقوى منك " .

منع إيراجون نفسه من إظهار أية تعابير على وجهه على الرغم من الغضب الذى يغلى داخله بألم وقال : " سأفكر فى العرض الذى قدمتماه .... " .

" سننتظر ردك غداً ، وتأكد من أن يكون الرد السليم " ، ثم ابتسما ببرود وسارا إلى داخل المكتبة .

عبس إيراجون وقال لسفيرا : *" لن أنضم إلى دو فرانجر جاتا مهما فعلا بى "* .

قالت سفيرا : *" يجب أن تستشير أنجيلا ، فلقد تعاملت مع التوأم من قبل وربما تحضر اختبارك ، وهذا سيمنعهما من إيذائك "* .

" إنها لفكرة جيدة " . سار إيراجون حول أرفف الكتب حتى وجد أوريك جالساً على أحد المقاعد الحجرية مشغولاً ومنهمكاً فى تلميع بلطة الحرب الخاصة به فقال له : " أريد العودة لبيت التنين " .

أدخل القزم مقبض فأسه فى فتحة حزامه الجلدى ثم اصطحب إيراجون إلى البوابة التى تنتظره بجوارها سفيرا .

تجمع الناس حولها بالفعل ، تجاهلهم إيراجون وقفز على ظهرها وحلقا فى السماء .

قالت سفيرا وهى تهبط على إيسيدار ميثريم : " *يجب حل المشكلة بسرعة ، لا تدع التوأم يرهباك* " .

" *أعلم ذلك ، لكنى آمل فى تجنب إغضابهما ، فقد يشكلان عدوًا خطيرًا لى* " . ترجل من على ظهرها بسرعة ممسكًا بزاروك .

" *بإمكانك أن تصبح عدوًا خطيرًا لهما ، هل تريدهما كحليفين لك* " .

هز رأسه : " *ليس ذلك حقاً ..... سوف أخبرهما غداً اننى لن أنضم لجماعة " دو فرانجر جاتا* " .

ترك إيراجون سفيرا فى كهفها وتجول خارج بيت التنين . كان يريد رؤية أنجيلا لكنه لا يذكر أين مكان اختبائها وسوليمبوم ليس هنا لكى يرشده . ظل يتجول بين الممرات المهجورة وتمنى لو قابل أنجيلا مصادفة .

تعب من التحديق إلى الحجرات الفارغة والحوائط الرمادية الممتدة بلا نهاية ، فعاد إلى بيت التنين مقتفياً آثار أقدامه . وعندما اقترب من بيت التنين سمع صوت أحد الأشخاص يتحدث من إحدى الحجرات . توقف فجأة وأرهف السمع لكن الصوت الهادئ صمت فقال ذهنياً لسفيرا : " *سفيرا ؟ من هنا ؟* " .

" *امرأة .... وتبدو زعيمة من نوع ما . سوف أشغلها حتى تأتى أنت* " . أخرج إيراجون زاروك ومده من حزامه وقال لنفسه : " *قال أوريك إنه سيتم منع المتطفلين من دخول*

بيت التنين ، فمن تكون هذه ؟ " ، ثم هدأ من روعه ودخل لبيت التنين وفي يده السيف .

وقفت امرأة شابة فى وسط الحجرة ، وكانت تنظر بفضول إلى سفيرا التى أخرجت رأسها من الكهف . كانت المرأة تبدو فى السابعة عشرة من عمرها تقريباً ، والنجمة الزرقاء ألقت بضوء وردى عليها مما جعل جلدها يبدو فى نفس لون جلد أجيهاد . كان رداؤها المخملى فى لون النبيذ الأحمر وفاخرًا جدًا . وكان معلقاً على وسطها خنجرٍ مطعم بالجواهر وقد بلى من كثرة الاستخدام ، وكان معلقاً فى غمد جلدى فاخر .

قام إيراجون بعقد ذراعيه وانتظر أن تراه المرأة . لكنها استمرت فى النظر إلى سفيرا ثم انحنت باحترام وقالت بصوت ناعم وجميل : " هلا أخبرتنى أين الفارس إيراجون " ، لمعت عينا سفيرا من فرط استمتاعها بما يحدث .

ابتسم إيراجون وقال : " أنا هنا " .

استدارت المرأة بسرعة لتواجهه ويدها تتجه تلقائيًا نحو الخنجر ، كان وجهها جميلاً وأخاذًا ، وعيناها على شكل حبات اللوز وشفتاها عريضتين ووجنتاها مستديرتين . شعرت بالراحة وانحنت له باحترام وقالت : " أنا نازوادا " .

أومأ لها برأسه احتراماً لها وقال : " بالتأكيد تعرفين من أنا ، لكن ماذا تريدين ؟ " .

ابتسمت نازوادا ابتسامة ساحرة وقالت : " والدى أجيهاد أرسلنى برسالة إليك . هلا سمعتها ؟ " .

لم يخطر ببال إيراجون أن قائد الفاردن من النوع الذى يميل للزواج والأبوة . تساءل عمن تكون أم نازوادا لابد أنها امرأة غير عادية لتجذب انتباه أجيهاد ، قال لها " نعم سأسمعها " .

دفعت شعرها إلى الخلف وقالت : " إنه مسرور لأنك بخير هنا ، لكنه يحذرك من أفعال الخير كالتى فعلتها بالأمس ؛ فهى تتسبب فى كثير من المشاكل ولا تحل أى مشكلة ، كما أنه يحفزك لكى تخضع للاختبارات بأسرع ما يمكنك - إنه يحتاج لمعرفة مدى قدراتك قبل أن يجرى اتصالاته بالإلف " .

قال إيراجون : " هل قطعت كل هذه المسافة فقط لتخبرينى بذلك " ، وفكر فى السلم اللانهائى فول تورين .

هزت نازوادا رأسها بالنفى وقالت : " لقد استخدمت الآلة الرافعة التى تنقل البضائع إلى الطوابق العليا . كنا سنرسل الرسالة مع أحد أتباعنا لكنى قررت أن أحملها إليك بنفسى وأقابلك " .

قال لها : " هلا تفضلت بالجلوس ؟ " ، ثم أشار إلى كهف سفيرا .

ضحكت نازوادا بلطف وقالت : " كلا ، فلدىّ موعد فى مكان آخر ، يجب أن تعرف أيضاً أن والدى قرر أنه يمكنك زيارة مورتاج إذا كنت ترغب فى ذلك " . اكتسى وجهها بالجدية التى جعلت ملامحها الناعمة تضطرب وقالت : " لقد قابلت مورتاج قبل ذلك .... إنه متلهف للقائك والتحدث معك . بدا أنه يشعر بالوحدة ويجدر بك زيارته " . ثم أعطته الاتجاهات للوصول لزنزانة مورتاج .

شكرها إيراجون على المعلومات وقال : " ماذا عن آريا ؟ هل تحسنت صحتها ؟ هل يمكنني رؤيتها ؟ لم يتمكن أوريك من إخبارى بالمزيد عنها " .

ابتسمت بمرح وخبث وقالت : " إنها تتقدم سريعاً فى العلاج ، كما هو الحال مع كل الإلف . لا أحد مسموح له برؤيتها سوى أبى وهروثجار والمعالجين . لقد قضوا معها وقتاً طويلاً وعلموا كل ما حدث أثناء احتجازها فى السجن " . نظرت إلى سفيرا وقالت : " يجب أن أذهب الآن ، هل تريدنى أن أنقل أى رسالة إلى أجيهاد بالنيابة عنك ؟ " .

" كلا ، سوى نقل رغبتى فى زيارة آريا ، واشكريه بالنيابة عنى لكرم الضيافة الذى أظهره لنا " .

" سأنقل كلامك كله مباشرة . وداعاً أيها الفارس إيراجون . أتمنى مقابلتك مرة أخرى قريباً " ، ثم انحنت فى احترام وخرجت من بيت التنين ورأسها مرفوع فى شموخ وإباء .

قال إيراجون لسفيرا : " *هل جاءت حقاً عبر كل هذا الطريق من ترونجهيم لترانى فقط . سواء كان هناك أداة رافعة أم لا . لقد كان لديها غرض آخر من هذه المقابلة وليس مجرد الثرثرة الفارغة* " .

قالت سفيرا : " *نعم ، عندك حق* " ، ثم سحبت رأسها إلى داخل الكهف . سار إيراجون نحوها واندهش لوجود سوليمبوم متكوراً فى الفتحة فى قاعدة رقبتها . كان الهر المسحور يصيح بصوت خافت وعميق ، وذيله ذو الطرف

الأسود يهتز يمنة ويسرة . نظر كلٌ من سفيرا وسوليمبوم لإيراجون بوقاحة وكأنهما يريدان القول : " *ما الأمر ؟* " .

هز إيراجون رأسه وضحك فجأة رغماً عنه وقال : " *سفيرا ، هل كنت تريدين مقابلة سوليمبوم ؟* " .

غمز كلاهما له وقالا في صوت واحد : " *نعم* " .

قال : " *شيء رائع* " ، وكان يشعر بسعادة غامرة تجتاح كيانه . كان من المعقول جداً أن يصادقا بعضهما البعض - فشخصياتهما متشابهة ، فكلاهما من المخلوقات السحرية . تنهد وأخرج في تنهيدته بعضاً من القلق والتوتر لهذا اليوم وفك زاروك من حزامه وقال : " *سوليمبوم ، هل تعرف مكان أنجيلا ؟ لم أتمكن من إيجاده وأحتاج لمشورتها* " .

تحسس سوليمبوم بمخالبه حراشيف ظهر سفيرا وقال : " *إنها في مكان ما في ترونجهيم* " .

" *متى ستعود ؟* "

" *قريباً* " .

قال إيراجون وقد نفد صبره : " *قريباً متى ؟ أحتاج للتحدث معها اليوم* " .

" لن تأتي اليوم " .

رفض الهر المسحور أن يقول المزيد على الرغم من أسئلة إيراجون الملحة . استسلم إيراجون وجلس مستنداً إلى سفيرا . كان صوت سوليمبوم الهادئ يبدو كالطنين الخافت فوق رأسه . قال إيراجون لنفسه وهو يعبث بخاتم بروم بإصبعه : " *يجب أن أزور مورتاج غداً* " .

اختبار آريا

في صباح ثالث يوم منذ أن جاء إلى ترونجهيم ، تقلب إيراجون في فراشه ثم قام وهو يشعر بالحيوية والنشاط . وضع زاروك في جرابه حول وسطه ثم وضع قوسه وجعبة السهام المليئة حتى منتصفها على ظهره وبعد طيران هادئ ومريح ، داخل فارزن دور مع سفيرا ، قابل إيراجون أوريك عند إحدى البوابات الأربع الرئيسية لترونجهيم ، وسأله عن نازوادا .

قال أوريك : " إنها فتاة غير عادية وغريبة الأطوار " ، ثم حدق إلى زاروك وقد بدا عليه الامتعاض ثم أردف قائلاً : " إنها تكرس كل حياتها لوالدها وتقضي كل وقتها في مساعدته . أعتقد أنها تقوم لوالدها أجيهاد بمهام بأكثر مما يعرف ـ أحياناً كانت تناور أعداء والدها بدون أن تكشف له عن دورها في تلك المناورات " .

" ومن هي أمها ؟ " .

" لا أعلم ، فقد كان أجيهاد بمفرده عندما أحضر نازوادا إلى فارزن دور وهي مازالت رضيعة . لم يخبرنا قط من أين جاء بها ولم يخبرنا عن مسقط رأسه " .

قال إيراجون لنفسه : " *إذن ، لقد كبرت ونشأت مثلى دون أن تعرف أمها* " طرد هذا الخاطر من ذهنه وقال لأوريك : " إننى مفعم بالطاقة وسيكون من الجيد أن أقوم بمجهود عضلي ، إلى أين يجب أن أذهب للاختبار الذى ذكره أجيهاد ؟ " .

أشار أوريك إلى فارزن دور وقال : " حلبة التدريب تقع على بعد نصف ميل من ترونجهيم ، لذلك لن تراها من هنا لأنها خلف المدينة الجبلية . الحلبة واسعة جداً حيث يتدرب فيها الأقزام وبنو البشر " .

قالت سفيرا : " *سآتى معك أيضاً* " .

أخبر إيراجون أوريك فأمسك القزم لحيته وقال : " قد لا تكون تلك فكرة جيدة ؛ فهناك عدد كبير من الناس فى حلبة التدريب ، وبالتأكيد ستجذب سفيرا انتباههم " .

صاحت سفيرا : " *بل إنى قادمة !* " ، وهذا حسم الموقف .

امتدت أصوات الضجيج غير المنتظمة للقتال والصراع من حلبة التدريب ما بين صوت اصطكاك الفولاذ والحديد وصوت انطلاق السهام ورشقها فى الأهداف المبطنة وصوت احتكاك العصى والرماح وصياح الرجال فى التدريب على المعارك . كان الضجيج يصيب المرء بالاضطراب ، لكن كل مجموعة كان لها إيقاع ونمط فريد .

كانت معظم مساحة حلبة التدريب يحتلها عدد كبير من الجنود المشاة الذين يتصارعون بالفئوس والدروع ، وكانت أسلحتهم تكاد تصل لطول كل منهم . كانوا يتدربون كجماعة في تشكيلات الجيش . كان يتدرب بجوارهم مئات المحاربين الفرادى وكان معهم كل أنواع السيوف والفئوس والرماح والعصى والمطارق والدروع من كل الأشكال والأحجام ، حتى إن إيراجون رأى أحدهم يحارب بشوكة الزراعة . وتقريبًا كان كل المحاربين يرتدون السترات الحديدية ، وغالباً تكون قطعة حديدية مكونة من السلاسل مع خوذة ، لكن السترات الحديدية المصنوعة من قطعة واحدة لم تكن منتشرة . كان عدد البشر مساويًا لعدد الأقزام ، لكن كل من الجنسين على حدة ولا يختلط بالآخر . وخلف المحاربين المتبارزين كان هناك صف كبير من رماة الأسهم يلقون السهام باستمرار على دمى رمادية محشوة بالقش .

قبل أن يتاح الوقت لإيراجون لكى يتساءل عما يفترض أن يقوم به ، سار بخطى واسعة نحوهم رجل ذو لحية ، وكان رأسه وكتفاه العريضتان الضخمتان مغطاة بخوذة من الحديد . كان باقي جسمه مغطى بسترة خشنة من جلد الثور مازال يغطيها الشعر . ألقى الرجل نظرة سريعة على سفيرا وإيراجون وكأنه يقدر مدى خطورتهما ، ثم قال بصوت فظ : " كنورلا أوريك ، لم نرك منذ فترة طويلة ، لم يعد لدىّ من أتبارز معه " .

ابتسم أوريك قائلاً : " ياه ، هذا بسبب أنك تجرح الجميع من مفرق الرأس لأخمص القدم بسيفك الضخم المتوحش " .

قال له مصححًا : " الجميع عدا أنت " .

" لأنني أسرع من عملاق مثلك " .

نظر الرجل إلى إيراجون مرة أخرى وقال له : " أنا فريدريك . تم إخباري أن أكتشف مدى قدراتك القتالية ومدى قوتك " .

قال له إيراجون : " أنا قوى بما يكفي ، ويجب أن أكون مستعداً للقتال بالسحر " .

هز فريدريك رأسه وأصدرت خوذته صوت رنين كجعبة العملة وقال : " لا مكان لاستخدام السحر هنا . عدا لو كنت قد حاربت مع الجيش ـ فأنا أشك فى أنك شاركت فى قتال دام لأكثر من بضع دقائق ، لكن ما نهتم به هو قدرتك على التحمل فى معركة قد تستمر لساعات ، أو حتى أسابيع لو كان هناك حصار . هل تعرف استخدام الأسلحة مع السيف والقوس ؟ " .

فكر إيراجون قليلاً وقال : " قبضة يدى فقط " . ضحك فريدريك وقال : " إجابة جيدة ! حسناً سنبدأ بمهارات القوس ونرى مدى قوتك . بعد أن نجد مكاناً خالياً فى الحلبة سنجرب ـــ " ، توقف فجأة عن الكلام ونظر فى غضب لما رواء إيراجون وعبس وجهه .

جاء من خلفه التوأم وكان رأساهما الأصلعان باهتين بالنسبة لردائهما الأرجوانى همهم أوريك بشىء ما بلغة الأقزام وأخرج بلطة الحرب من حزامه . تقدم فريدريك

بشكل مفزع أمامهما وقال : " أخبرتكما بالابتعاد عن حلبة التدريب " ، بدا التوأم ضعيفين مقارنة بحجمه الضخم .

نظرا إليه في غرور وكبرياء وقالا : " لقد أمرنا أجيهاد باختبار قدرات وذكاء إيراجون فى السحر ـ قبل أن تجهده بالطرق على قطع المعادن " .

صاح فريدريك فى غضب : " لماذا لا يختبره غيركما ؟ " .

قالا فى هدوء وغرور : " لا يملك أحد غيرنا القوة الكافية ، صاحت سفيرا بعمق وحدقت إليهما فى غضب وأخرجت دخاناً من منخاريها ، لكنهما تجاهلاها وقالا : " تعال معنا " ، ثم سارا حتى ركن فارغ من الحلبة .

هز إيراجون كتفيه بلا اكتراث وتبعهما مع سفيرا وسمع من خلفه فريدريك يقول لأوريك : " يجب أن نمنعهما من التمادى أكثر من اللازم فى ذلك " .

قال أوريك بصوت خفيض : " أعلم ، لكننى لن أتدخل مرة أخرى ، هروثجار أوضح لى أنه لن يتمكن من حمايتى إذا تشاجرت معهما مرة أخرى " .

أبعد إيراجون تخوفه منهما بعيداً عن ذهنه ؛ قد يعرف التوأم أساليب وكلمات سحرية أكثر .... لكنه تذكر ما قاله بروم : " الفرسان قادة التنين أقوى فى السحر من الرجال العاديين . لكن هل سيكون بالقوة الكافية لمقاومة القوة المزدوجة للتوأم ؟

قالت سفيرا : *"لا تقلق إلى هذه الدرجة ، سوف أساعدك ، نحن اثنان مثلهما "* .

تلمس رجلها بلطف وهو يشعر بالارتياح لكلماتها .
نظر التوأم لإيراجون وقالا : " ما ردك على عرضنا يا إيراجون ؟ " .

تجاهل التعابير المحيرة في وجهيهما وقال بنبرة عادية : " لا " .

تصلبت أركان شفاه التوأم واستدارا لمواجهة إيراجون من الجانبين ومالا عند وسطيهما ورسما على الأرض شكلاً خماسي الأضلاع ودخلا إلى الشكل وقالا بصوت أجش وفظ : " لنبدأ الآن . ستحاول إنهاء المهام التى نكلفك بها ...... هذا هو كل شيء " .

أدخل أحدهما يده إلى ردائه واستخرج صخرة مصقولة فى حجم قبضة يد إيراجون ووضعها على الأرض وقال : " ارفعها إلى مستوى العين " .

قال إيراجون لسفيرا : " *هذا أمر سهل* " ، ثم صاح بالكلمات السحرية : " ستنر ريزا ! " . تحركت الصخرة قليلاً ثم ارتفعت بسهولة من على الأرض ، لكن قبل أن ترتفع لمسافة قدم واحد ، أوقفتها قوى مقاومة غير متوقعة وأبقتها فى الهواء . ابتسم التوأم وحدق إليهما إيراجون فى غضب ـ إنهما يحاولان أن يجعلاه يخفق ! لو أجهداه الآن فلن يتمكن من إنهاء كل مهام الاختبار الأصعب . كان من الواضح أنهما مفعمان بالثقة فى أن قواهما الموحدة ستتعبه بسهولة .

قال إيراجون لنفسه بغضب : " *لكنى لست وحدى أيضاً ، هيا يا سفيرا ، الآن !* " .

اتحد ذهنه مع ذهن سفيرا ، فارتفعت الصخرة عبر الهواء ببطء حتى استقرت على مستوى العين . ضاقت عيون التوأم فى حقد شديد .

قالا فى وجوم : " هذا .... جيد " . بدا على فريدريك الغضب والتوتر الشديدين بسبب استعراض السحر . قال التوأم : " الآن حرك الصخرة بشكل دائرى " . مرة أخرى قاوم إيراجون جهودهما لإيقافه وتغلب عليهما مرة أخرى مما أغضبهما جداً . زادت المهام صعوبة وتعقيداً حتى تم إجبار إيراجون على التفكير بدقة لاختيار الكلمات السحرية التى يجب أن يقولها . فى كل مرة كان التوأم يقاومانه بشدة لكن التعب لم يظهر قط على وجهيهما .

تمكن إيراجون من الثبات بفضل دعم سفيرا له فقط ، وفى الراحة ما بين المهمتين قال لها : *" لماذا يستمران فى هذا الاختبار ؟ قدراتنا واضحة الآن مما رأياه فى ذهنى "* . رفعت رأسها وأخذت تفكر فقال لها إيراجون : " ربما يريدان انتهاز الفرصة لمعرفة الكلمات السحرية التى أعلمها ويتعلمان عبارات جديدة من اللغة القديمة " .

قالت له : *" إذن تحدث بصوت خفيض ، لكيلا يسمعاك ، واستخدم أبسط الكلمات قدر الإمكان "* .

ومنذ تلك اللحظة ، ظل إيراجون يستخدم مجموعة من الكلمات الأساسية لإنجاز مهام الاختبار لكن إيجاد طرق لجعل تلك الكلمات تؤدى الغرض بنفس الطريقة كالعبارات الطويلة كان يمثل تحديًا كبيرًا لذكائه وكان يكافأ على جهده وتفكيره بإحباط التوأم البادى على وجهيهما عندما يفسد

محاولاتهما مراراً . ومهما كانا يحاولان إلا أنهما لم يتمكنا من أن يجعلاه يستخدم كلمات جديدة من اللغة القديمة .

مرت أكثر من ساعة ، لكن التوأم لم يظهرا أى علامة تدل على توقف الاختبار . كان إيراجون يشعر بالحر والعطش ، لكنه امتنع عن طلب فترة راحة ـ سيستمر طالما هما استمرا . كانت هناك اختبارات كثيرة : تحريك الماء ، إلقاء النار ، استدعاء الصور والأشخاص والأماكن ، إلقاء الصخور بطريقة بهلوانية ، تجميد الجلد والأشياء الأخرى ، التحكم فى سير السهم ، وعلاج الخدوش . تساءل متى ستنفد أفكارهما .

فى النهاية رفعا أيديهما وقالا : " تبقى مهمة أخيرة ، وهى بسيطة ـ أى ساحر ماهر يمكنه أداؤها بسهولة " . خلع أحدهما خاتماً فضيًّا من إصبعه وأعطاه لإيراجون وهو يبدو واثقاً من نفسه وقال : " استحضر أصل عنصر الفضة " .

حدق إيراجون إلى الخاتم وهو يشعر بالحيرة فيما ينبغى أن يفعله . ما هى أصل مادة الفضة ؟ وكيف يمكن استحضارها ؟ لم تكن لدى سفيرا أدنى فكرة عن ذلك ، والتوأم لن يساعداه . لم يعرف معنى كلمة " فضة " فى اللغة القديمة ، لكنه يعرف أنها جزء من كلمة " أرجيتلام " أى ذو اليدالفضية . فى يأس ، جمع إيراجون بين الكلمة التى قد تنجح وهى" إيتجرى " بمعنى " استدعاء " وكلمة " أرجيت " .

انتصبت قامة إيراجون استجمع كل قوته المتبقية وهَمّ بأن يتلفظ بالتعويذة لكن فى هذه اللحظة اخترق الهواء صوت واضح عميق قائلاً : " كفىَ " .

كان لتلك الكلمة تأثير على إيراجون كالماء البارد ـ كان الصوت يبدو مألوفًا لديه بشكل غريب ، كلحن يتذكره بصعوبة . سرت قشعريرة في مؤخرة رأسه واستدار تجاه مصدر الصوت .

كانَ هناك شخص واحد يقف خلفه : آريا . كان هناك شريط من الجلد يطوق جبهتها ، ويلملم شعرها الغزير الأسود إلى الوراء ، والذى بدا كشلال متدفق ولامع خلف كتفيها . كان سيفها الرفيع معلقًا على جانبها وقوسها خلف ظهرها . كانت ترتدى رداء من الجلد الأسود بلا أى زينة على جسدها الرشيق ، وكان بسيطاً ولا يليق بجمالها . كانت أطول من معظم الرجال ، وقامتها منتصبة ومتوازنة تماماً بشكل مريح ، كان وجهها بلا أى جروح ، ولم يعكس أى عذاب مروع من الذى تلقته وتحملته لفترة طويلة .

ظلت عيناها الخضراوان تحملق فى غضب إلى التوأم ، الذين شحب وجهاهما من الخوف . سارت نحوهما وخطوتها بلا صوت وقالت بصوت ناعم مهددة التوأم : " عار عليكما ! من العار أن تطلبا منه شيئاً لا يمكن سوى لأستاذ خبير في السحر تنفيذه . من العار أن تستخدما تلك الطرق ، وأنكما أيضاً لم تخبرا أجيهاد بقدرات إيراجون السحرية . إنه متمكن من استخدام السحر بكفاءة . الآن اغربا عن وجهى ! " . حدقت عابسة إليهما وكان شكلها يوحى بالخطر لهما حيث رفعت حاجبيها المائلين كصواعق البرق ، ثم أشارت للخاتم الذى فى يد إيراجون وصاحت بكل قوة : " أرجيت ! " .

لمع الخاتم الفضى وظهرت صورة باهتة كالشبح من الخاتم بجواره . كان هناك خاتمان متماثلان تماماً عدا أن الخاتم الشبح بدا أكثر نقاءً وكان يلمع فى ضوء أبيض متوهج . بمجرد أن رأى التوأم ما حدث ، استدارا وركضا فى ذعر وأصدرت ملابسهما صوتًا واضحًا من سرعة الحركة .

اختفى الخاتم الوهمى من يدا إيراجون مخلفاً وراءه دائرة صغيرة من الفضة . ظل أوريك وفريدريك واقفين وينظران إلى آريا فى شك وريبة ، وبينما مالت سفيرا إلى الأسفل واستعدت للحركة فى أى لحظة .

مرت الإلف بعينيها على كل الحاضرين ، ثم توقفت عيناها المائلتان عند إيراجون ، ثم استدارت وسارت نحو قلب الحلبة . توقف المحاربون عن النزال وتأملوها فى عجب . فى غضون دقائق ، خيم الصمت على كل حلبة التدريب فى رهبة من وجودها الساحر الأخاذ .

لم يتمكن إيراجون من مقاومة سحرها وإعجابه بها فتقدم إلى الأمام . تحدثت سفيرا لكنه تجاهل تعليقاتها . تكونت دائرة كبيرة حول آريا . نظرت فقط إلى إيراجون وصاحت : " أريد اختبارك فى القتال بالسلاح . استل سيفك ! " .

" إنها تريد مبارزتى ! " .

قالت سفيرا بهدوء : *" لكن ليس إيذاءك على ما أظن "* ، ثم حكت أنفها فى جسد إيراجون وقالت : *" اذهب واستعرض كل مهاراتك جيداً وسأراقبك " .*

تقدم إيراجون إلى الأمام على مضض . لم يكن يريد أن يبارز وهو مجهد من استخدام السحر ، وعلى مرأى ومسمع من هذا الجمع الغفير . كما أن آريا قد تنقصها اللياقة للمبارزة بعد علاجها . لقد مر عليها يومان منذ أن تناولت " رحيق تونيفور ، قال لنفسه : " سأقلل من قوة ضرباتى لكيلا أؤذيها " .

واجه كل منهما الآخر وحولهما دائرة من المحاربين . استلت آريا سيفها بيدها اليسرى . كان سيفها أرفع من سيف إيراجون ، لكن فى نفس طوله وحدته . استل إيراجون سيفه زاروك من غمده اللامع المصقول وحمله بنصله الأحمر الموجه إلى الأرض بجانبه . مرت لحظة طويلة حيث وقفا بلا حراك ينظران لبعضهما البعض ، الإلف والإنسى . خطر ببال إيراجون أن هذه الفترة كانت طريقة البداية فى كل مرة يتصارع بها مع بروم .

تقدم إلى الأمام بحرص . وبحركة خاطفة ، قفزت آريا نحوه وهاجمت بسيفها ناحية ضلوعه . صد إيراجون الضربة بحركة لا إرادية انعكاسية وتلاقى السيفان وأصدرا شررًا كثيفًا . سقط السيف زاروك جانباً وكأنه ليس أكثر من ذبابة . لم تنتهز الإلف فرصة هذه الثغرة ، لكن قفزت فى الهواء إلى يمينها واخترق شعرها الهواء وضربت الجانب الآخر لإيراجون الذى أوقف الضربة بالكاد وتراجع للخلف بسرعة محمومة ، وهو مذهول من شراستها وسرعتها .

تذكر إيراجون متأخراً تحذير بروم بأنه حتى أضعف مخلوقات الإلف يمكنه بسهولة التغلب على أى إنسان . كانت فرصته للتغلب على آريا مثل الفرصة التى أتيحت له

للتغلب على دورزا . هاجمته مرة أخرى ووجهت له ضربة بسيفها لرأسه . انبطح إيراجون تحت النصل الحاد . لكن لماذا كانت ..... تلهو معه ؟ ظل لعدة ثوان محمومة يصد هجماتها ولم يفكر فى إجابة لسؤاله ، ثم أدرك ما يحدث :
" إنها تريد معرفة مدى كفاءتى " .

بفهمه لحقيقة الأمر ، بدأ فى استعراض أكثر أشكال الهجوم المعقدة التى يعرفها . تحرك من وضع الآخر ، وكان يعدل ويمزج بين طرق الهجوم بكل الطرق الممكنة بلا تفكير . لكن مهما كانت درجة ابتكاره ، كان سيف آريا يوقف هجمات سيفه . كانت تصد كل حركاته برشاقة وبدون جهد ظاهر .

أثناء الانهماك فى الحركات القتالية النارية التى تكاد تكون أشبه بالرقص ، كان جسداهما يتلاقيان ثم ينفصلان بالسيوف اللامعة السريعة . وفى أحيان كثيرة ، كان جسده يلامس جسدها ولا يفصل بينهما سوى مقدار شعرة واحدة ، ثم قوة الزخم تدفعهما بعيداً ، ثم ينسحبان لثوان ثم يلتحمان مرة أخرى . كان جسداهما المتلئان بالعروق يلتفان معاً كحبال مجدولة من الدخان الذى يدفعه الهواء .

لم يتمكن إيراجون أبداً من تذكر المدة الزمنية التى استغرقها هذا القتال . بدا وكأنها فترة مبتورة من الزمان ، ليس بها سوى الفعل ورد الفعل . أصبح زاروك ملتحماً بيده وكأنه جزء منها ثم تخدلت يده وأصبحت ذراعه تؤلمه مع كل ضربة ، أخيراً ، هجم إلى الأمام فابتعدت آريا بخفة ورشاقة إلى الجانب ووجهت نصل السيف لأسفل فكه بسرعة خارقة وغير طبيعية .

تجمد إيراجون فى مكانه عندما لمس المعدن البارد جدا جلده . ارتعشت عضلاته من فرط الإنهاك والإعياء . بالكاد سمع صوت حركة سفيرا ثم سمع فجأة صياحًا صاخبًا للمشجعين من حولهما . أبعدت آريا السيف ووضعته فى غمده وقالت فى هدوء وسط صياح الآخرين : " لقد اجتزت الاختبار بنجاح " .

اعتدل إيراجون ببطء وهو يشعر بالدوار . كان فريدريك يقف إلى جواره الآن ويطرق ظهره بحماس مشجعا له وقال : " كان قتالاً بالسيف رهيبًا جدًا ! كان أكثر من رائع ، ولقد تعلمت حركات جديدة من مراقبتكما . كانت الإلف ـ مذهلة ! " .

قال إيراجون لنفسه : "*لكنى هُزمت*" . مدح أوريك أداء إيراجون بابتسامة عريضة ولكن كل الذى لاحظه إيراجون هو أن آريا كانت واقفة فى صمت ووحيدة . حركت إصبعها فى حركة بسيطة فى صمت وأشارت إلى تل صغير يقع على بعد ميل تقريباً من حلبة التدريب ، ثم استدارت وابتعدت . وعندما مرت ، صمت كل الناس والأقزام وظلت عيونهم معلقة بها .

اتجه إيراجون إلى أوريك قائلاً : " أنا مضطر للذهاب ، سأعود سريعا لمقر التنين " ، ثم بحركة سريعة ، أعاد زاروك لغمده وقفز على ظهر سفيرا .

حلقت سفيرا عبر الحلبة التى تحولت إلى بحر من الوجوه بينما نظر إليها الجميع .

وبينما كانا يحلقان فوق التل الصغير ، رأى إيراجون آريا تحتهما تركض بخطوات واسعة وسريعة وسهلة بلا

جهد . علقت سفيرا قائلة : " *يعجبك قوامها المشوق ، أليس كذلك ؟* " .

قال ووجهه يحمر خجلاً : " *نعم* " .

قالت سفيرا : " *وجهها أجمل وأكثر وضوحاً من وجوه البشر ، ولكنه طويل ومستطيل كراس الحصان ، وبوجه عام قوامها ليس جميلاً* " .

نظر إليها إيراجون فى دهشة وقال : " *أنت تشعرين بالغيرة ، أليس كذلك ؟* " .

قالت وقد شعرت بالإهانة : " *مستحيل ، أنا لا أشعر بالغيرة مطلقاً* " .

قال ضاحكاً : " *لكنك تشعرين بالغيرة الآن ، اعترفى بالحقيقة !* " .

صاحت بكل قوة وفتحت فكها لأقصى درجة : " *لا أشعر بالغيرة !* " ، فابتسم وهز رأسه بالنفى لكنه تركها وشأنها ولم يعترض على إنكارها . هبطت بكل خشونة على التل الصغير مما جعله يرتطم بها بعنف ، فقفز من على ظهرها دون أن يعلق على ما حدث منها .

كانت آريا خلفهما وقريبة منهما ، وكانت خطواتها السريعة تحملها بأسرع من أى عدّاء رآه إيراجون . عندما وصلت لأعلى التل الصغير ، كان معدل تنفسها هادئاً ومنتظمًا . كف إيراجون عن التحديق إليها عندما وجد نفسه لا يجد ما يقوله . تخطته وقالت لسفيرا باللغة القديمة : " سكولبلاكا ، إيكا سيلوبرا أونو أون مولابرا أونو أون أوتر سور توجال نى هاينا أترا نوزو ويى فريكايا " .

لم يفهم إيراجون معظم الكلمات ـ لكن كان من الواضح أن سفيرا قد فهمت الرسالة . حركت أجنحتها وحدقت إلى آريا بفضول ، ثم أومأت لها وهى تهمهم بعمق وابتسمت آريا . قال إيراجون : " أنا سعيد لأنك بصحة جيدة . لم نكن نعرف هل ستعيشين أم لا " .

واجهته آريا وقالت : " هذا سبب مجيئى إلى هنا اليوم " . كان صوتها الثرى الرخيم يبدو غير مألوف وغامضًا ومركزًا وعميقًا . كانت تتحدث بكل وضوح وفى صوتها تغريد وكأنها ستغنى : " أنا مدينة لك بدين يجب أن أرده ، فلقد أنقذت حياتى ولا يمكن نسيان ذلك أبداً " .

قال إيراجون باضطراب : " لم ... لم يكن ذلك صعباً " . وظل حائرا لينتقى هذه الكلمات ، وكان يعرف أنها ليست حقيقة ، حتى وهو يقولها . ثم قال لها : " كيف أصبحت أسيرة فى جيلياد ؟ " .

خيم الألم على وجه آريا ، ونظرت إلى الأفق لبرهة ثم قالت : " لنتحدث معاً " ، ثم نزلا من على التل الصغير وسارا نحو فارزن دور . احترم إيراجون رغبة آريا فى الصمت أثناء السير . سارت سفيرا بخطوات هادئة بجوارهما . فى النهاية ، رفعت آريا رأسها ، وقالت برقة تليق بها : " أخبرنى أجيهاد أنك حضرت لحظة ظهور بيضة سفيرا " .

" نعم " . لأول مرة ، فكر إيراجون فى الطاقة اللازمة لنقل البيضة عبر عشرات الفراسخ التى تفصل بين دو ويلدنفاردن وسباين . مجرد محاولة إتمام عمل كبير كهذا

معناه الاقتراب من كارثة محققة إن لم يكن المرء يقترب هكذا من حافة الموت .

كانت كلماتها التالية مليئة بثقل الهم والحزن : " لتعلم ما يلى : فى اللحظة التى ظهرت فيها البيضة ورأيتها أنت لأول مرة ، هى اللحظة التى أمسكنى فيها دورزا " . كان صوتها يملؤه المرارة والحزن : " كان هو من أرشد الأورجال وقادهم لمكانى فى كمين غادر وقتل رفيقى " فاولين " و " جلينوينج " . عرف بطريقة ما أين المكان المناسب لينصب لنا كميناً - على حين غرة ولم نأخذ احتياطنا . لقد تم تخديرى ونقلى لـ " جيلياد " . وهناك تم تكليف دورزا من جانب جالباتوريكس لكى يعرف منى إلى أين أرسلت البيضة ويعرف منى أيضاً كل ما أعرفه عن مدينة إليسميرا .

نظرت أمامها نظرة باردة كالجليد وكان فكها متصلبًا ثم واصلت حديثها : " ولقد حاول لعدة شهور معى دون أن تكلل جهوده بالنجاح . كانت طرق استجوابه لى ..... صعبة جداً وقاسية . وعندما أخفق معى التعذيب ، أمر الجنود باغتصابى ، فتحكمت فى عقول الجنود وجعلتهم لا يتمكنون منى . فى النهاية أمر جالباتوريكس بإحضارى إلى أوروباين . شعرت بالرعب يجتاحنى عندما علمت بذلك ، وقد كنت مرهقة بدنيا وذهنيا ولا أملك القوة الكافية لمقاومته ، ولولاك لمثلت أمام جالباتوريكس خلال أسبوع " .

ارتعش إيراجون داخليا . كان مندهشًا جدا كيف تحملت كل ذلك ونجت وظلت على قيد الحياة . كانت ذكرى جروحها مازالت حية فى ذهنه .

قال لها برقة : " لماذا تخبرينى بكل ذلك ؟ " .

" لكـى تعـرف مـا الـذى أنقـذتنى منـه . لا تظـن أننـى يمكننى تجاهل صنيعك لى " .

شعر بالإحراج والتواضع فحنى رأسه وقال : " ما الـذى ستفعلينه الآن ـ هل ستعودين إلى إليسميرا ؟ ".

" كلا ، ليس الآن . هناك الكثير من الأمور التـى يجـب إنجازها هنـا . لا يمكننـى التخلـى عـن الفـاردن ـ أجيهـاد يحتاج لمسـاعدتى . رأيـت اختباراتـك فـى السحـر والسـلاح اليـوم . لقـد دربـك بـروم جيـدًا . إنـك مسـتعد للتقـدم فـى التدريب " .

" هل يجب أن أذهب إلى إليسميرا ؟ "

" نعم " .

شعر إيراجون بقليـل مـن الغضـب ، ألـيس لـه رأى هـو وسفيرا في هذا الأمر ؟ لكنه قال لها : " متى ؟ " .

" لم يتم تحديد ذلك بعد ، لكن ليس قبل أسابيع " .

قال إيراجون لنفسه : " على الأقل أعطونـا فـترة كـبيرة من الوقت " . قالت له سفيرا شيئاً ، فنقله لآريا وقال : " ما الذى كان يريده منى التوأم أن أقوم به ؟ " .

تقوست شفتا آريا في تقزز وقالت : " شىء لا يمكنـهمـا تنفيذه . من الممكن أن تتفوه باسم شـىء مـا باللغـة القديمـة وتستدعى شكله الأصلى . هذا الأمر يتطلب سنوات من العمل والتدريب ، لكن المقابل هو التحكم التـام فـى هـذا الشـىء . هذا سبب إخفاء الاسم الحقيقى للمرء طوال الوقـت لأنـه لـو عرفه الأشرار فسيتمكنون من التحكم التام به " .

قال إيراجون بعد برهة : " إنه شىء غريب ، لكن قبـل أن أقع فى الأسر فى جيلياد كنـت أراك فـى أحلامـى . كـان

الأمر مثل استدعاء صورة شخص ما على سطح أملس ـ لاحقاً تمكنت من أن أفعل ذلك معك ـ لكننى كنت أراك دائماً فى أحلامى " .

ضمت آريا شفتيها وفكرت بعمق ثم قالت : " كانت هناك مرات شعرت فيها بأن هناك كياناً أو حضوراً آخر يراقبنى ، لكنى كنت غالباً مشوشة الذهن ومحمومة . لم أسمع عن أحد أبداً ـ سواء فى الحكايات الشعبية أو الأساطير ـ تمكن من استدعاء صورة شخص ما أثناء النوم " .

قال إيراجون : " أنا لا أفهم أيضاً حقيقة الأمر " ، ثم نظر إلى يديه وعبث بخاتم بروم الذى يرتديه حول إصبعه وقال : " ما معنى الوشم المرسوم على كتفك ؟ لم أقصد التحديق إليه لكن عندما كنت أعالج جروحك ...... كان من الصعب عدم رؤيته . كان يشبه الرمز المرسوم على هذا الخاتم " .

قالت بحدة : " لديك خاتم به عملة " ياوى " ؟ " .

" نعم ، كان ملك بروم ، هل تريدين رؤيته ؟ " .

مد لها يده بالخاتم ففحصت آريا الحجر الكريم الأزرق ثم قالت : " هذه الهدية لا تعطى إلا إلى الأصدقاء المحترمين جداً لجنس الإلف ـ وهى هدية قيمة جداً لدرجة أنها لم تعط لأحد منذ قرون . أو هكذا كنت أظن . لم أعرف قط الملكة " سلانزادى " كانت تحترم بروم وتقدره إلى هذه الدرجة " .

قال إيراجون : " إذن ينبغى ألا أرتديه " ، وكان يخشى أن يبدو متجاوزاً الحد فى غير الحق لأنه يرتدى مالا يستحقه .

" كلا ، احتفظ به ، فهذا الخاتم سيوفر لك الحماية لو قابلت الإلف مصادفة وقد يساعدك لتنال حظوة لدى الملكة . لا تخبر أحدًا بشأن الوشم ، فلا يجب أن يعرف أحدًا بأمره " .

" حسناً " .

كان يستمتع بالتحدث مع آريا وتمنى لو طال حوارهما معاً . وعندما افترقا ، تجول عبر فارزن دور وتحدث مع سفيرا . وعلى الرغم من إصراره وإلحاحه ، رفضت سفيرا أن تخبره بما قالته آريا لها . فى النهاية ، أخذ يفكر فى مورتاج ونصيحة نازوادا له بزيارته . قال لسفيرا : " *سأذهب لتناول الغداء ثم أزور مورتاج ، هلا انتظرتنى لكى أعود لبيت التنين معك ؟* " .

" سأنتظر ـ اذهب الآن " .

ابتسم لها إيراجون فى امتنان ثم انطلق سريعاً إلى ترونجهيم وتناول طعامه في ركن مظلم وغير لافت للأنظار من المطبخ ثم اتبع إرشادات نازوادا حتى وصل إلى باب صغير رمادى يحرسه رجل وقزم . وعندما طلب الدخول ، دق القزم على الباب ثلاث مرات ثم فتح القفل . قال الرجل لإيراجون : " ناد علينا عندما ترغب فى الرحيل " ، ثم ابتسم له بود .

كانت الزنزانة دافئة وجيدة الإضاءة وبها حوض للاغتسال فى أحد الأركان ومكتب ـ مزود بحبر أقلام للكتابة ـ فى ركن آخر . كان السقف به أشكال وتماثيل منحوتة ومغطاة بمادة لامعة ؛ وعلى الأرضية سجادة وثيرة

وناعمة . كان مورتاج مستلقيًا على فراش وثير وقوى وضخم ، وكان يقرأ إحدى المخطوطات . نظر فى دهشة إلى أعلى وصاح بمرح : " إيراجون ! لكم تمنيت أن تزورنى ! " .

" كيف .... أعنى ظننت ــــ " .

" بالطبع ظننت أننى ملقى فى زنزانة ضيقة وأمضغ الطعام الجاف " ، ثم استدار ووقف وهو يبتسم ابتسامة عريضة ثم أردف قائلاً : " فى الواقع توقعت نفس الشىء لكن أجيهاد يسمح لى بكل هذا طالما لا أتسبب فى مشاكل . كما أنهم يحضرون لى وجبات ضخمة وكل ما أريده من المكتبة لو لم آخذ حذرى فسأتحول إلى عالم سمين ! " .

ضحك إيراجون وبابتسامة حائرة جلس بجوارٍ مورتاج وقال : " لكن ، ألست غاضباً ؟ أنت مازلت سجيناً " .

قال مورتاج وهو يهز كتفيه بلا اكتراث : " كنت سجيناً فى البداية ، لكن كلما فكرت فى الأمر ، أدركت أن هذا أفضل مكان لى . حتى لو أعطانى أجيهاد حريتى ، لمكثت معظم الوقت فى حجرتى على أية حال " .

" لكن لماذا ؟ " .

" كما تعلم ، لن يرتاح الجميع لى ، بعد أن عرفوا شخصيتى ، وسيكون هناك دائماً من لن يكتفوا بالنظرات أو العبارات الجارحة . لكن كفى كلاماً عن هذا ، أنا متحمس ولى شوق كبير لمعرفة آخر الأخبار . هيا أخبرنى بما حدث منذ أن تركتك " .

روى له إيراجون أحداث اليومين الماضيين وذكر له مقابلته مع التوأم فى المكتبة . عندما انتهى من رواية كل

شىء ، استلقى مورتاج إلى الوراء وأخذ يفكر فيما سمعه ، ثم قال : " أشك فى أن آريا أهم مما ظننا . فكر فيما علمته : فهى خبيرة فى القتال بالسيف والسحر والأهم هو اختيارها لحمل حراسة بيضة سفيرا . لا يمكن أن تكون مخلوقة عادية من الإلف " .

وافقه إيراجون الرأى .

حدق مورتاجٍ إلى السقف وقال : " أتعرف ، إننى أجد هذا السجن مريحا جداً ويمنحنى الهدوء والسلام الداخلى . لأول مرة فى حياتى ، لا أضطر إلى الشعور بالخوف . أعرف أنه ينبغى أن آخذ حذرى ..... لكن هناك شىء ما فى هذا المكان يجعلنى أرتاح بدنياً ونفسياً ، نوم الليل بأكمله يساعدنى على ذلك أيضًا " .

قال إيراجون فى سعادة ممزوجة بالألم : " أعرف ما تعنيه " ، ثم انتقل لمنطقة مريحة أكثر من الفراش وقال : " نازوادا قالت لى إنها زارتك . هل قالت أى شىء مثير ؟ " .

نظر مورتاج إلى الأفق وهز رأسه بالنفى وقال : " كلا ، كل ما كانت تريده هو مقابلتى فقط . ألا تبدو كأميرة ؟ هل نظرت إلى طريقة سيرها ! ؟ عندما دخلت لأول مرة عبر الممر ظننتها إحدى الأميرات من بلاط جالباتوريكس . لقد رأيت أمراء لديهم زوجات إذا ما تم مقارنتهن بها فهن يصلحن لحياة الحظائر كالبهائم وليس لحياة الملوك " .

سمع إيراجون مديحه لها وتوجس خيفة ، لكنه قال لنفسه : " *ربما ذلك لا يعنى شيئاً ، لقد استنتج سريعاً بلا أدلة كافية* " ، لكن شعوره بترقب الخطر كان هاجسًا لم يتركه ، وحاول التخلص من هذا الشعور فقال : " إلى متى

ستظل سجيناً يا مورتاج ؟ لن تستمر في الاختباء إلى الأبد " .

هز مورتاج كتفيه بلا اكتراث لكن قال بكلمات لها ثقل وأهمية : " أنا الآن راض بالبقاء هنا في راحة . لا داعى لطلب اللجوء لأى مكان آخر وتعريض نفسي لفحص التوأم . لا شك في أنني سأمل في النهاية لكن الآن ..... أنا راضٍ تمامًا " .

الظلال تطول

أيقظت سفيرا إيراجون بضربة حادة من أنفها ؛ مما أصابه بكدمة . فصاح : " آه " ، وانتصب قائماً فجأة وجلس على فراشه . كان الكهف مظلماً عدا الضوء الخافت الصادر عن المصباح المغطى . وخارج بيت التنين لمع إيسيدار ميثريم بآلاف الألوان علاوة على لمعان حزام المصابيح حوله .

وقف قزم مضطرب للغاية على باب الكهف وهو يفرك يديه ويقول : " يجب أن تأتى يا أرجيتلام ! هناك مشكلة ضخمة ـ أجيهاد يستدعيك ، لا وقت للكسل ! " .

قال إيراجون : " ما الأمر ؟ " .

هز القزم رأسه فقط واهتزت لحيته وقال : " يجب أن تأتى معى ! كاركن براغا ! الآن ! " .

وضع إيراجون سيفه زاروك على حزامه والتقط قوسه وجعبة سهامه ثم وضع السرج على ظهر سفيرا التى صاحت فى ضجر : " *لم أستكمل نومى !* " ، ثم انحنت إلى الأرض بشدة لكى يتسلقها إيراجون ويجلس على ظهرها .

تثاءب إيراجون بصوت عالٍ بينما طارت سفيرا خارج الكهف .

كان أوريك فى انتظارهما وكانت تعلو وجهه تعابير تنم عن الكآبة عندما هبطا عند أبواب ترونجهيم ، قال : " تعالا ، الآخرون فى انتظاركما " ، ثم قادهما عبر ترونجهيم إلى حجرة أجيهاد . فى الطريق إلى هناك ، ضايق إيراجون أوريك بوابل من الأسئلة لكن أوريك لم يقل سوى : " لا أعرف أنا نفسى ـ انتظر حتى تسمع أجيهاد " .

فتح باب حجرة أجيهاد بواسطة حارسين ضخمى الجثة . كان أجيهاد يقف خلف مكتبه ويفحص إحدى الخرائط وتعلو وجهه الكآبة . وكانت آريا ومعها رجل له ذراعان نحيلتان من ضمن الحضور أيضاً . نظر أجيهاد إلى إيراجون وقال : " من الجيد أنك أتيت يا إيراجون . هذا هو جورموندور نائبى " .

تعرف كلاهما على الآخر ، ثم وجهها كل الانتباه لأجيهاد الذى قال : " لقد أيقظتكم أنتم الخمسة لأننا جميعاً فى خطر محدق . منذ نصف ساعة ، جاء أحد الأقزام من نفق مهجور تحت ترونجهيم . كان ينزف وكلامه غير مترابط من الهذيان ، لكن قبل أن يغشى عليه قال للأقزام عمن كان يطارده : جيش من وحوش الأورجال ، ربما على مسيرة يوم من هنا .

ساد الصمت فى الحجرة من فرط الصدمة . بعد ذلك سب جورموندور ولعن بصوت عال وبدأ فى طرح الأسئلة فى نفس الوقت مع أوريك . ظلت آرياً صامتة . رفع أجيهاد يديه وصاح : " هدوء ! فهناك المزيد . الأورجال لا يتقدمون على

الأرض بل تحتها فى الأنفاق .... سوف نهاجم من تحت الأرض " .

رفع إيراجون صوته فوق الضجة التى تبعت كلام أجيهاد وصاح : " لماذا لم يعرف الأقزام ذلك قبلها بمدة كافية ؟ كيف عثر الأورجال على الأنفاق ؟ " .

صاح أوريك : " نحن محظوظون لمعرفة ذلك مبكراً ! " ، توقف الجميع عن الكلام لسماعه فقال : " يوجد مئات الأنفاق عبر جبال بيور ، ولا يسكنها أحد منذ أن تم حفرها ، الأقزام الوحيدون الذين يذهبون إليها هم المجانين الذين لا يريدون التواصل مع أى أحد . لولا الحظ لما عرفنا ذلك التحذير أساساً " .

أشار أجيهاد إلى الخريطة ، فاقترب إيراجون . كانت الخريطة تصف الجزء الجنوبى من آلاجيشيا ، لكن على عكس خريطة إيراجون فكانت تصف سلسلة جبال بيور بأكملها بتفاصيل كثيرة . كان إصبع أجيهاد على الجزء المتاخم للحدود الشرقية لمنطقة سوردا ثم قال : " هنا يدعى القزم أنه رأى الأورجال " .

صاح أوريك : " أورثياد ! " . تساءل جورموندور فى حيرة عما يعنى فقال : " إنه مسكن قديم للأقزام صار مهجوراً عندما تم الانتهاء من بناء ترونجهيم . فى ذلك الحين كانت من أعظم مدننا ، لكن لم يعش بها أحد الآن منذ قرون " .

قال أجيهاد : " وهى قديمة جداً لدرجة أن بعض أنفاقها قد تهدمت ، وهكذا نخمن كيف تم اكتشافها من على سطح الأرض . أنا أشك فى أن أورثياد تسمى الآن إثرو

زادا إلى حيث كان يتجه جيش الأورجال الذى طارد إيراجون وسفيرا ، وأنا متأكد من أن الأورجال كانوا يهاجرون طوال العام إلى تلك المنطقة. ومن هذا الموقع ، يمكنهم التنقل لأى مكان يريدونه فى جبال بيور ، ولديهم القوة الكافية لتدمير الفازدن والأقزام .

مال جورموندور نحو الخريطة ونظر إليها بدقة ثم قال : " هل تعرف عدد وحوش الأورجال ؟ هل جيوش جالباتوريكس معهم ؟ لن نتمكن من وضع خطة دفاع بدون معرفة حجم جيشهم " .

رد أجيهاد بحزن : " لسنا متأكدين بشأن عددهم ، لكن بقاءنا على قيد الحياة يعتمد على هذا السؤال الأخير . لو زوّد جالباتوريكس هذا الجيش برجاله ، فلن تكون هناك فرصة للنجاة . لكنه لو لم يكن قد فعل ذلك ـ لأنه لا يريد أن يعرف الناس بتحالفه مع وحوش الأورجال ، لسبب لا نعرفه ـ فمن الممكن أن تكون الغلبة لنا . لا الملك أورين ولا الإلف يمكنهم مساعدتنا فى هذه الساعة المتأخرة . وعلى الرغم من ذلك ، فإننى أرسلت رسلى إليهما بأخبار تلك الكارثة . فعلى الأقل لن يفاجأوا بسقوطنا " .

مسح جبهته السوداء بيده وأردف قائلاً : " تحدثت بالفعل مع هروثجار وقررنا الآتى : أملنا الوحيد هو محاصرة الأورجال فى أكثر ثلاثة أنفاق لكى نوجههم إلى فارزن دور لكى لا يجتاحوا ترونجهيم كأسراب الجراد " .

" أحتاج لمساعدتك يا آريا ويا إيراجون لكى تساعدا الأقزام على هدم الأنفاق الزائدة المتشبعة . المهمة صعبة جداً بالمقاييس العادية ، فهناك مجموعتان من الأقزام يعملون

على ذلك : إحداهما خارج ترونجهيم والأخرى تحتها . إيراجون ، ستعمل مع المجموعة الخارجية ، وآريا ستعمل مع المجموعة تحت الأرض ؛ وسوف يرشدكما أوريك لهما " .

قال إيراجون : " لماذا لا نهدم كل الأنفاق بدلاً من ترك الأنفاق الرئيسية ؟ " .

قال أوريك : " لأن هذا سيجبر وحوش الأورجال على نقل الأنقاض ، وقد يتوجهون إلى اتجاه لا نريده . كما أننا لو قطعنا هذا الطريق فسوف يهاجمون مدن الأقزام الأخرى ـ ولن نتمكن من مساعدتهم في الوقت المناسب " .

قال أجيهاد : " هناك سبب آخر ؛ لقد حذرني هروثجار من أن ترونجهيم تقع على شبكة كثيفة من الأنفاق وإذا تم إضعافها ستسقط أجزاء من المدينة تحت الأرض ، ولن نخاطر بذلك " .

أنصت لهم جورموندور ثم سألهم : " إذن لن يكون هناك قتال داخل ترونجهيم ؟ لقد قلت إن وحوش الأورجال يمكن توجيههم إلى خارج المدينة إلى فارزن دور ؟ " .

رد أجيهاد سريعاً : " هذا صحيح . لن نتمكن من حماية كل محيط ترونجهيم ؛ فهو أكبر من قواتنا ـ لذلك سنغلق كل المداخل الأخرى والبوابات المؤدية لها وهذا سيجبر الأورجال على التوجه إلى الأماكن الفسيحة حول ترونجهيم ، حيث تتاح لنا المساحات الشاسعة للمناورة مع أعدائنا . وبما أن الأورجال يمكنهم دخول الأنفاق فلن نجازف بمعركة ممتدة . وبما أنهم هنا فإننا سنكون في خطر دائم بسببهم لأنهم قد يحفرون طريقاً لهم عبر

ترونجهيم . إذا حدث ذلك سيتم حصارنا ونهاجم من الداخل والخارج . يجب منع الأورجال من الاستيلاء على ترونجهيم . إذا ظفروا بها فأنا أشك في أن تكون لدينا القوة اللازمة لإخراجهم " .

قال جورموندور : " ماذا عن عائلاتنا ؟ لن أرغب في رؤية زوجتي وابني يقتلان على يد الأورجال " .

ظهرت تجاعيد عميقة على وجه أجيهاد وقال : " يتم الآن إخلاء المنازل من النساء والأطفال إلى الوديان المجاورة . ولو هُزِمْنَا ، فسيكون معهم مرشدون سوف يأخذونهم إلى سورداَ . هذا كل ما يمكنني فعله تحت وطأة هذه الظروف " .

بالكاد تمكن جورموندور من إخفاء شعوره بالارتياح ، وقال : " هل ستذهب معهم نازوادا يا سيدى ؟ " .

" نعم على غير رغبتها " . توجهت كل العيون إلى أجيهاد وهو يرفع قامته ويعلن : " سيصل إلينا الأورجال في غضون ساعات . نعرف أن عددهم هائل لكن يجب علينا التمسك بفارزن دور . الفشل يعني سقوط وفناء الأقزام والموت للفاردن ـ والهزيمة الحتمية لسوردا والإلف . يجب ألا نخسر هذه المعركة . الآن اذهبوا كل منكم لإنهاء مهمته ! جهز الرجال للقتال يا جورموندور " .

غادر الجميع القاعة وتفرقوا : جورموندور إلى الثكنات العسكرية ، وأوريك مع آريا للسلم المؤدى إلى الأنفاق تحت الأرض ، وإيراجون مع سفيرا إلى إحدى القاعات الأربع الكبرى لترونجهيم . وعلى الرغم من أن الوقت كان مبكرا ،

فإن المدينة الجبلية كانت مليئة بالناس كبيت النمل . كان الناس يركضون ويصيحون بالرسائل والتعليمات ويحملون ممتلكاتهم في أكوام وحقائب .

لقد قاتل إيراجون من قبل ؛ لكن المعركة المنتظرة أصابته برعب شديد كان كالوخزات في صدره . لم ينل فرصة توقع معركة أبداً . الآن لقد حصل على هذه الفرصة ، لكنه ممتلئ رعباً . كان يثق في قدراته عندما يواجه جماعة من الأعداء ـ كان يعلم أنه سيهزم ثلاثة أو أربعة من وحوش الأورجال بسهولة بواسطة زاروك والسحر ـ لكن أثناء المعارك الكبيرة فإن أي شيء قد يحدث .

خرجوا من ترونجهيم وبحثوا عن الأقزام الذين من المفترض أن يقدموا لهم المساعدة . بدون الشمس أو القمر ، كانت المنطقة داخل فارزن دور مظلمة للغاية ، لكن كان هناك عدة مصابيح لامعة معلقة في كل مسافة وتتحرك في فوهة البركان . قالت سفيرا : " ربما يكون الأقزام في الجانب الآخر من ترونجهيم ". وافقها إيراجون الرأى وقفز على ظهرها .

طارت حول ترونجهيم حتى وصلا إلى مجموعة من المصابيح ظهرت أمامهما ، وطارت سفيرا نحو المصابيح ثم هبطت بدون أدنى صوت لا يزيد على الهمس بجوار مجموعة من الأقزام الذين فزعوا لرؤيتها ، وكانوا مشغولين بحفر الأنفاق بالفئوس . شرح لهم إيراجون في عجالة سبب وجوده هنا . قال له قزم طويل الأنف : " هناك نفق على بعد أربع ياردات تحتنا ، سنقدر مساعدتك على هدمه " .

تنفس إيراجون ببطء واستعد لاستخدام السحر . قد يكون من الممكن إزالة كل الأنقاض من النفق لكنه أراد المحافظة على كل جهده وقوته لوقت لاحق . وبدلاً من ذلك ، حاول أن يهدم النفق بتوجيه القوة إلى الأجزاء الضعيفة من السقف .

همس بالكلمات السحرية : " ثريستا ديلوى " فتخللت الأرض بؤر القوة التى سرعان ما واجهت الصخر ، فتجاهله واخترق الحائط حتى وصل للفراغ داخل النفق ، ثم بدأ البحث عن الأماكن الضعيفة فى الصخور . وكلما وجد مكاناً ضعيفاً ، كان يوجه قواه السحرية إليه ويوسعه ويعمقه . كان عملاً منهكاً للقوى لكن لم يكن يزيد عن الإنهاك الذى كان سيشعر به لو أراد شق الصخور باليد . لم يحرز تقدماً ملحوظاً - وهذه حقيقة لم تغب عن الأقزام الذين نفد صبرهم .

واصل إيراجون عمله فى مثابرة ، وقبل أن يمر وقت طويل ، كللت جهوده بالنجاح ؛ حيث ظهر شق له صوت قوى ومسموع على سطح النفق . زاد الصوت واستمر حتى انهار النفق كالماء الذى يتدفق من الصنبور ، مخلفاً وراءه فتحة كبيرة عرضها سبع ياردات .

فرح الأقزام وواصلوا الحفر ونقل الأنقاض ، ثم قاد القزم ذو الأنف الطويل إيراجون إلى النفق التالى . كان النفق التالى أصعب فى الهدم ، لكنه نجح فى تكرار نفس المهمة الرائعة . ولعدة ساعات تالية ، نجح فى إسقاط حوالى نصف دستة أنفاق عبر فارزن دور بمساعدة سفيرا .

تسلل ضوء النهار عبر الفتحة التى ظهرت من السقف أثناء عملهم . لم يكن الضوء يكفى للرؤية لكنه دعم ثقة إيراجون فى نفسه . ابتعد عن أنقاض آخر نفق وفحص الأرض باهتمام .

خرجت جماعات من النساء والأطفال والشيوخ من الفاردن خارج ترونجهيم بسرعة كبيرة ، كان الجميع يحملون كميات من الطعام والملابس والممتلكات . وكان بصحبتهم مجموعة صغيرة من المحاربين ومعظمهم من الغلمان وكبار السن .

لكن معظم النشاط كان فى قاعدة ترونجهيم حيث يستجمع الفاردن والأقزام جيشهم ، الذى كان مقسمًا إلى ثلاث كتائب . كل كتيبه تحمل علم الفاردن : تنين أبيض يحمل وردة على سيف نصله لأسفل وخلفية العلم لونها أرجوانى .

كان الرجال صامتين وواجمين والشعر يتطاير من تحت خوذاتهم . ومعظمهم كان معه فقط سيف ودرع ، لكن كان هناك عدة صفوف من المحاربين يحملون العصى والرماح . وفى المؤخرة ، كان هناك الرماة يجربون أقواسهم .

كان الأقزام يرتدون رداء القتال الثقيل . كانت الملابس الحديدية اللامعة تتدلى حتى الركبة ، وكان معهم دروع مستديرة بها رموز فصائلهم ، وكانوا يحملونها بالأذرع اليسرى . كانت السيوف معلقة على أحزمتهم فى أغمادها وفى اليد اليمنى ، كانت الدروع الحديدية الدقيقة ، وكانوا يرتدون خوذات حديدية وأحذية مغلفة بالنحاس .

كان هناك شخص ضئيل فصل نفسه عن الكتيبة الخلفية وهرع إلى إيراجون وسفيرا . كان أوريك ، وكان يرتدى مثل باقي الأقزام ، وقال لهم : " يريد أجيهاد أن تنضم لجيشنا ، لا يوجد المزيد من الأنفاق لهدمها ، الطعام في انتظاركما " .

اصطحب أوريك إيراجون وسفيرا إلى خيمة ؛ حيث وجدا الخبز والماء لإيراجون وكومة من اللحم المجفف لسفيرا . تناولا الطعام بلا شكوى ؛ فقد كان أفضل من الجوع .

عندما فرغا من تناول الطعام ، طلب منهما أوريك الانتظار ثم اختفى وسط صفوف الكتيبة . وعندما عاد ، كان بصحبته طابور من الأقزام يحملون حملاً ثقيلاً من أكوام أجزاء سترة حديدية . تناول أوريك جزءًا منها وقدمه إلى إيراجون .

قال إيراجون وهو يتحسس المعدن المصقول : " ما هذا ؟ " . كانت السترة الحديدية مشغولة بدقة بأشكال ذهبية منحوتة . كان سمكها بوصة واحدة ولكنها ثقيلة جداً . لا يوجد من يمكنه الحرب تحت هذا الوزن الثقيل . كانت هناك قطع كثيرة جداً بالنسبة لشخص واحد .

قال أوريك : " إنها هدية من هروثجار " ، وبدا سعيداً من نفسه وقال : " كانت ضمن كنوزنا التى نسيناها . لقد صنعت فى عصر آخر ، قبل سقوط الفرسان قادة التنين " .

قال إيراجون : " لكن ما فائدتها ؟ " .

" إنها سترة حديدية للتنين طبعاً ! أكنت تظن أن التنين يذهب للحرب بلا حماية ؟ لا يوجد طقم كامل للسترة لأنها

تستغرق وقتًا طويلاً فى صنعها والتنين لا يتوقف عن النمو أبداً . لكن سفيرا ليست كبيرة جداً بعد ، وستليق السترة على حجمها بشكل مناسب " .

تشممت سفيرا أحد أجزاء السترة وقال لها إيراجون : " *سترة حديدية للتنين ! ما رأيك ؟* " قالت وفي عينيها لمعان شديد : " *سأجربها* " .

بعد معاناة وصراع ، تراجع أوريك وإيراجون لرؤية نتيجة مجهودهما الرائع . كانت رقبة سفيرا بالكامل ـ عدا أشواك ظهرها والرقبة ـ مغطاة بمثلثات حديدية . كانت البطن والصدر تغطيهما أثقل قطع المعدن ، والقطع الأخف وزناً تحمى ذيلها . كما تم تغطية ظهرها وأقدامها بالكامل ، وتركت أجنحتها لتتمكن من الطيران . كانت على رأسها خوذة تغطى كل شيء عدا الفم لكى تتمكن من العض والفتك بأسنانها .

رفعت سفيرا رقبتها لكى تجرب حرية الحركة ، فانثنت أجزاء السترة بسهولة مع حركتها ، وقالت : " *هذا سوف يبطئنى قليلاً لكن سيقينى السهام . كيف يبدو شكلى ؟* " .

قال إيراجون بصدق : " *مرعبة جداً* " ، مما زاد من سرورها .

تناول أوريك باقي الأجزاء الحديدية من على الأرض وقال : " أحضرت لك سترة حديدية أيضاً ، لكن كان من الصعب العثور على مقاسك . نادرا ما يصنع الأقزام أسلحة للرجال أو الإلف . لا أعرف صاحب السترة التى صنعت من أجله ، لكن لم يتم استخدامها من قبل وستفيدك جداً " .

مرورًا برأس إيراجون تم إدخال الحلة الحديدية الصلبة المبطنة بالجلد والتى وصلت حتى ركبتيه كالتنورة واستقرت بثقلها على أكتافه وكان لها رنين وهو يتحرك . وضع إيراجون زاروك عليها مما جعلها لا تتأرجح . وضعوا على رأسه خوذة من الجلد ثم أخرى من الحديد ، ثم ثالثة من الذهب والفضة وتم ربط الأحزمة من ذراعه إلى أسفل قدميه ، وارتدى قفازات حديدية مبطنة أيضا . وفى النهاية أعطاه أوريك درعًا كبيرة مرسومًا عليها شجرة بلوط .

عندما علم أن ما تم منحه له ولسفيرا يساوى ثروة ضخمة ، انحنى إيراجون وقال : " شكرا لك على هذه الهدايا ، هدايا هروثجار محل تقدير كبير " .

ضحك أوريك وقال : لا تشكرنى الآن ، انتظر حتى تنقذ السترة الحديدية حياتك " .

بدأ المحاربون من حولهما فى الابتعاد عن مكان التجمع . أعادت الكتائب تشكيل ذاتها إلى مناطق مختلفة من فارزن دور . نظر إيراجون إلى أوريك وهو لا يعرف ما الذى يجب أن يفعله فهز أوريك كتفيه بلا اكتراث وقال : " أعتقد أنه علينا أن نصحبهم " . وساروا خلف كتيبة تتجه إلى حائط فى فوهة البركان . سأله إيراجون عن الأورجال لكن كان كل ما يعرفه أوريك هو أن فرق الاستطلاع تم نشرها تحت الأرض فى الأنفاق ولم يخبروهم بشىء بعد .

توقفت الكتيبة عند أحد الأنفاق المهدومة . جمع الأقزام الأنقاض بحيث من يدخل النفق يخرج بسهولة . قالت سفيرا : " لابد أن هذا أحد الأماكن التى سنجبر الأورجال على الخروج منها " .

كانت هناك مئات المصابيح معلقة على عمدان مغروسة فى الأرض وتوفر ضوءًا مبهرًا لامعًا كضوء الشمس عند الغروب . وكانت النيران تضىء حواف سقف النفق ، وكانت هناك قدور تغلى فوقها ومليئة بالقار الأسود . حول إيراجون نظره بعيداً وقاوم شعوره بالنفور والتقزز . إن إلقاء القار المغلى طريقة بشعة للقتل ، وحتى لو كان لقتل الأورجال .

تم غرز عمدان حادة ورفيعة فى الأرض كمانع حاد يفصل الكتيبة عن النفق . وجدها إيراجون فرصة لتقديم المساعدة وانضم للرجال ممن يحفرون الخنادق بين العمدان . ساعدتهم سفيرا أيضاً ؛ حيث كانت تبعد الأنقاض بمخالبها الضخمة . وبينما كانوا يعملون ، تركهم أوريك للإشراف على بناء سد لحماية رماة الأسهم . كان إيراجون يشعر بالامتنان كلما شرب من قِرَب الشراب المارة على الجميع . وبعد الانتهاء من حفر الخنادق وملئها بالعمدان والعصى الحادة ، ارتاح إيراجون مع سفيرا لفترة من الوقت .

عاد أوريك ليجدهما جالسين ، فمسح جبهته وقال : " كل الرجال والأقزام فى ميدان المعركة . تم إغلاق ترونجهيم . وتولى هروثجار قيادة الكتيبة فى اليسار وأجيهاد تولى قيادة الكتيبة التى أمامنا " .

" ومن يقود الكتيبة المتبقية ؟ " .

" جورموندور " . ثم جلس أوريك وصاح فى ضجر ووضع بلطة الحرب على الأرض .

لفتت سفيرا انتباه إيراجون وقالت : " انظر " . قبضت يده على زاروك عندما رأى مورتاج يرتدى خوذة ويحمل

درعًا من دروع الأقـزام وسـيفه الـذى يصـل حولـه إلى ذراع والنصف ، وعلى ظهر حصانه تورناك .

لعنه أوريك وهب واقفاً لكـن مورتـاج قـال بسـرعة : " اهدءوا ، لقد أطلق أجيهاد سراحى " .

صاح أوريك : " ولماذا يفعل ذلك ؟ " .

قال مورتاج بسرور ممزوج بمرارة : " قال إنهـا فرصـة لإثبات نواياى الحسنة . يبدو أنه لا يظن أننى سـأقوم بـأى ضرر حتى لو انقلبت ضد الفاردن " .

أومأ له إيراجون مرحباً به ، ثـم تـرك سـيفه الـذى قـد أمسكه بقوة . كـان مورتـاج محاربًـا مـن طـراز ممتـاز وبـلا رحمة ـ هذا هو نوع المحارب الذى كان إيراجـون يحتاجـه إلى جواره أثناء المعركة .

قال أوريك : " كيف نعرف أنك لا تكذب ؟ " .

جاء صـوت أجيهـاد الحـازم مـن بعيـد : " لأننـى قلـت ذلك " . ثم سار حتى جاء إلـيهم ، وكـان مسـتعدًا للمعركـة بدرع حديدية للصدر وسيف مقبضه مـن العـاج . وضـع يـده القوية علـى كتـف إيراجـون وسحبه بعيـدا لكـيلا يسـمعه الآخرون ونظر إلى سترته الحديديـة وقـال : " رائـع ، لقـد أعدك أوريك بالزى اللائق للحرب " .

" نعم ..... هل رأى أحد شيئاً فى الأنفاق ؟ " .

" كلا " ، ثم مال أجيهاد علـى سـيفه وقـال : " سـيبقى أحد التـوأم فـى تـرونجهيم ، وسـيراقب المعركـة من بيـت التـنين وينقـل المعلومـات عـن طريـق أخيـه لى . أعلـم أنكـم يمكنكم التحدث بعقولكم . إننى أحتاج إلى أن تخـبر التـوأم

بأى شيء غير طبيعي أثناء القتال . وسأنقل أوامرى لك عن طريقهما . هل تفهمنى ؟ " .

كانت فكرة الارتباط ذهنياً بالتوأم قد ملأت إيراجون بالتقزز والكراهية ، لكنه كان يعلم أن ذلك أمر لابد منه فقال : " نعم " .

صمت أجيهاد لبرهة ثم قال : " لست من الجنود المشاة ولا الفرسان ، ولا من أى نوع من الجنود التى اعتدت على قيادتهم . قد تكون المعركة غير عادية وصعبة ، لكن من الأمان لك ولسفيرا أن تظلا على الأرض . فى الهواء قد تصيبكما سهام رماة الأورجال . هل ستحارب وأنت تركب سفيرا ؟ " .

لم يحارب إيراجون قط على ظهر حصان وبالتالى لم يحارب قط من على ظهر سفيرا لكنه قال : " لست متأكدا مما يجب القيام به ، فعندما أركب سفيرا يمكننى الارتفاع للقتال مع أى عدو عدا الكول " .

قال أجيهاد : " أخشي أنه يوجد الكثير من وحوش الكول " . ثم انتصب قائما ورفع سيفه المغروز فى الأرض وقال : " نصيحتى الوحيدة لك هى تجنب المجازفات غير الضرورية لن تتحمل الفاردن خسارتك " ، ثم استدار وانصرف .

عاد إيراجون إلى أوريك ومورتاج وسار نحو سفيرا ووقف بجوارها ووضع درعه على ركبتيه . ظل الأربعة ينتظرون فى صمت مثل مئات المحاربين حولهم . خفت الضوء حول فتحة سقف فارزن دور بينما ابتعدت الشمس عن فتحة سقف الفوهة البركانية .

استدار إيراجون لفحص المعسكر ثم تصلب فى مكانه ، وانتفض قلبه من هول ما رأى . على بعد حوالى ثلاثين قدمًا ، كانت آريا تجلس وقوسها على حجرها. على الرغم من أن ذلك لم يبد معقولاً ، لكنه تمنى لو لحقت بالنساء إلى خارج فارزن دور . شعر إيراجون بالقلق فهرع إليها وقال : " هل ستحاربين معنا ؟ " .

قالت آريا بهدوء : " أنا أؤدى واجبى " .

" لكن الأمر فى غاية الخطورة ! " .

اسود وجهها وصاحت : " لا تدللنى أيها الإنسى . الإلف يدربون رجالهم ونساءهم على القتال . أنا لست كنساء البشر الضعيفات اللاتى يركضن هرباً من الخطر . لقد تم تكليفى بحماية بيضة سفيرا ...... ولقد أخفقت فى مهمتى . سمعتى ضاعت ، وسيكللنى العار إذا لم أحرسك أنت وسفيرا فى ميدان المعركة . هل نسيت أننى أقوى من الآخرين بالسحر ، حتى أنت . إذا جاء الظل " دورزا " إلى هنا ، فمن سيهزمه سواى ؟ ومن لديه الحق فى قتاله سواى ؟ ".

حدق إيراجون إليها وهو لا يصدق ما يسمعه ، لكنه كان يعلم أنها على حق ، وكره تلك الحقيقة . قال لها : " إذن حافظى على سلامتك " ، ثم أضاف بيأس باللغة القديمة : " ويول بومنوريا إيليان " ؛ أى : " من أجل سعادتى " .

حولت عيناها عنه وهى لا تشعر بالارتياح ثم غطت خصلات شعرها الأمامية وجهها . تحسست قوسها اللامع المصقول ثم همست قائلة : " إن أمنيتى أن أكون هنا . يجب أن أسدد الدين " .

عـاد إيراجـون فجـأة إلى سـفيرا ، ونظـر إليـه مورتـاج بفضول وقال : " ماذا قالت لك ؟ " .

" لا شيء " .

ساد الصمت الثقيل لعدة سـاعات علـى المحـاربين وكـلٌ مشغول بهمومه . أظلمـت الفوهـة البركانيـة لفـارزن دور ، عدا الضوء الأحمـر كالـدم للمصـابيح والـنيران التـى تغلـى القار . اتجه إيراجون إلى فحص وصـلات سـترته الحديديـة فحصاً دقيقاً وقضى وقته ما بين ذلك وبين التجسس على آريا دون أن تراه . وكان أوريك يشحذ شفرة بلطته على أداة للسن من الحجر ، وكل فترة يفحص الشفرة بعـد عـدة شـحذات . كان صوت احتكاك الحديد بالحجر مزعجًـا للغايـة ، بينمـا ظل مورتاج يحدق إلى الأفق .

علـى فـترات متقاربـة ، كـان حـاملو الرسـائل يعـبرون الطريق وسط المعسكر ، ممـا كـان يجعـل المحـاربين يقفـون فجأة على استعداد للقتال . لكن فى كل مرة يتضح أنه إنذار كاذب . نال التعب والإعياء مبلغـه مـن الأقـزام والرجـال ؛ وكانوا غالباً ما يسمعون أصواتًا غاضبة كل فترة . كان أسوأ ما فى فارزن دور هو غياب الرياح ـ كان الهواء سـاكناً لدرجـة قاتلة . ولم يكن هناك أى راحة حتـى مـع وجـود جـو حـار وخانق بسبب الدخان .

أرخى الليل سدوله وكـان كـل شـيء هادئًـا وصـامتًا فـى ميدان القتال ، كصمت الموتى ، تصلبت العضلات مـن كثـرة الانتظار وحدق إيراجون إلى الأفق فى الظلام وجفونـه ثقيلـة من عدم النوم . كان يهز جسمه لكى يظل متيقظاً وحـاول أن يركز على الرغم من إغفاءته ورغبته الملحة فى النوم .

في النهاية قال أوريك : " لقد تأخر الوقت ، يجب أن ننال قسطا من النوم . لو حدث شيء سوف يوقظنا الآخرون " . صاح مورتاج في ضجر ، بينما كان إيراجون متعبا جداً . لم يعترض وتكور على ظهر سفيرا واستخدم درعه كوسادة . وعندما هم بإغلاق عينيه رأى أن آريا لاتزال مستيقظة وتحرسهما .

كانت أحلامه مضطربة وزائغة ، مليئة بالوحوش ذوي القرون والأخطار غير المرئية . ولعدة مرات سمع صوتًا عميقا يسأله : " هل أنت جاهز ؟ " ، لكنه لم يجب أبداً . كان نومه غير عميق ومضطربًا للغاية من تلك الكوابيس ، حتى لمس شيئًا ما ذراعه فاستيقظ في فزع .

المعركة تحت فارزن دور

قالت آريا ووجهها يعلوه الحزن : " لقد بدأت المعركة " . كانت القوات فى المعسكر تقف فى تيقظ تام مع أسلحتهم فى وضع استعداد . هز أوريك بلطته للتأكد من وجود مساحة كافية للتحرك . وأمسكت آريا بسهم وجعلته مستعداً للانطلاق بقوسها .

قال مورتاج لإيراجون : " جاء أحد أفراد استطلاع من أحد الأنفاق منذ دقائق . وحوش الأورجال قادمون " .

راقب الجميع الفوهة المظلمة للنفق عبر صفوف الرجال والعصى الحادة المغروزة فى الأرض . وبدون أن يرفع إيراجون عينيه من على النفق ، تسلق وركب سفيرا وكان زاروك فى يده ولم يكن وزنه ثقيلاً هذه المرة . مرت دقيقة ببطء ، ثم دقيقة أخرى .... وأخرى . وركب مورتاج حصانه تورناك . وصاح أحد المحاربين : " إننى أسمعهم ! " .

تصلب المحاربون وقبضوا بشدة على الأسلحة . لم يتحرك أحد .... حبس الجميع أنفاسهم . وفى مكان ما ، صهل أحد الخيول من مكان بعيد .

امتلأ الهواء بصيحات الأورجال المفزعة الفظة وصعدوا من فتحة النفق كالأشباح المظلمة . بالأمر تم إمالة قدور القار المغلى ، مما جعل القار الحارق يجرى إلى فتحة النفق الواسعة . صاح الوحوش فى ألم وتحركت أذرعهم فى الهواء وتم إلقاء مشعل فى القار المغلى فاندلعت ألسنة اللهب فى مدخل الكهف ، وابتلعت ألسنة اللهب الأورجال . شعر إيراجون بالتقزز الشديد وطار على سفيرا عبر فارزن دور إلى الكتيبتين الأخريين ورأى نفس المشهد يتكرر ، فوضع زاروك فى غمده وأخرج قوسه وجهزه .

سرعان ما تدفق المزيد من جيوش الأورجال وداست فيالقهم على القار والجثث المحترقة لإخوانهم . تكاتفوا معاً كالحائط القوى المنيع أمام الرجال والأقزام خلف السد الذى ساعد أوريك فى بنائه أطلق أول صف من الرماة وابلاً من سهامهم وراقبوها وهى تخترق صفوف الأورجال .

اهتزت صفوف الأورجال ، وكانت ستنقسم ، لكنهم غطوا أنفسهم بدورهم مما خفف من وطأة هجوم السهام . أطلق الرماة سهامهم . مرة أخرى ، لكن الأورجال استمروا فى التدفق إلى السطح بمعدل شرس وخطير وسريع للغاية .

ذهل إيراجون وصعق من أعدادهم المهولة . هل من المفترض أن يقتلوا كل وحش من وحوش الأورجال ؛ إن إنجاز مثل هذه المهمة يعد ضرباً من الجنون . كان عزاؤه

الوحيد هو عدم وجود قوات جالباتوريكس مع الأورجال حتى الآن على الأقل .

بدا جيش الأورجال ككتلة صلبة من الأجساد التى امتدت بلا نهاية . كانت أعلامهم المخيفة الممزقة معلقة فى وسط جحافلهم والأصوات المثيرة للاشمئزاز والفزع تتردد أصواتها عبر فارزن دور وأطلقت أبواق الحرب . هجم كل وحوش الأورجال وهم يطلقون صيحات الحرب الشرسة المفزعة .

عبروا سريعاً وباندفاع صفوف العصى الحادة التى غرزت فى بعضهم وسالت الدماء اللزجة وسقطت بعض جثثهم لأن جنودهم فى الصفوف الأمامية تم سحقهم على العصى الحادة . أطلق رماة الأورجال وابلاً من السهام عبر السد بينما خفضت الصفوف الأمامية رؤوسهم . انحنى إيراجون خلف درعه ليتقى السهام بينما غطت سفيرا رأسها ودوى صوت السهام وهى تصطدم بسترتها الحديدية بلا أذى .

سادت الحيرة والاضطراب جحافل الأورجال عندما أعاقتهم العصى فتجمع الفاردن معاً فى انتظار الهجمة التالية . وبعد برهة أطلق الأورجال صيحات الحرب مرةً أخرى وهم يتقدمون للأمام . كانت الهجمة شرسة جداً وحاول الأورجال المضى إلى ما بعد العصى الحادة ؛ حيث حاول حملة الرماح طعنهم لصدهم ، لكن موجة الأورجال طغت عليهم على الرغم من مقاومة حملة الرماح لوقت لا بأس به ، ثم تقدم الأورجال وتوغلوا أكثر .

بذلك تم خرقٍ أول خط دفاعى للفاردن ، فاصطدمت كتائب الفاردن معاً لأول مرة . انطلقت صيحة تصم آذان

الرجال والأقزام وهم يندفعون للأمام بجيوشهم . صاحت سفيرا وقفزت للأمام للقتال واندفعت فى دوامة من الضجيج والحركة المضطربة .

مزقت سفيرا أحد وحوش الأورجال بمخالبها وفكها . كانت أسنانها حادة كالسيف ، وذيلها كأى بلطة حرب ضخمة . ومن على ظهرها ، صد إيراجون ضربة بلطة من زعيم الأورجال وحمى جناحيها . لمع نصل زاروك الأحمر فى سعادة بينما سالت الدماء عليه .

وبطرف عينيه ، رأى إيراجون أوريك يضرب الأورجال فى الأعناق يحصدهم حصداً بضربات قوية من فأسه . وبجوار القزم ، كان مورتاج على ظهر تورناك ووجهه عابس بشكل مرعب وهو يلوح بسيفه بغضب شديد ويحصد الأرواح بيأس شديد . ثم استدارت سفيرا ورأى إيراجون آريا تقفز على جثة أحد وحوش الأورجال التى صرعته .

قفز أحد وحوش الأورجال على جسد أحد الأقزام المجروحين . وجه ضربته إلى إحدى أقدام سفيرا وطرق سيفه سترتها الحديدية وتطاير منه الشرر . ضربه إيراجون على رأسه بالسيف لكن السيف علق بين قرونه وانتزع من يده . لعنه إيراجون وهجمت عليه سفيرا ثم حطم إيراجون وجهه بدرعه ونزع زاروك من بين قرونه وقاتل وحشاً آخر هاجمه .

صاح لسفيرا قائلاً : *" سفيرا ، أحتاج إليك ! "* ، لكن هجوم الجحافل ووطيس القتال فصل بينه وبينها . وفجأة هجم عليه أحد وحوش الكول ورفع بلطته ليضربه . لم يتمكن إيراجون من رفع درعه فى الوقت المناسب فصاح :

" جيراد ! " ، فانكسرت رقبة الكول بدفع رأسه للخلف بالسحر محدثة صوتاً قويًا . سقط من الأورجال صرعى على نصل زاروك المتعطش للدماء ، ثم سار مورتاج بجوار إيراجون وهو يدفع الأورجال للوراء .

صاح مورتاج : " هيا ! " ، ورفع إيراجون معه على ظهر الحصان تورناك ، ثم وصلا لسفيرا التى كانت تصارع مجموعة من الأورجال عددهم اثنا عشر مسلحاً بالرماح ، ونجحوا بالفعل فى إطلاق السهام على جناحيها عدة مرات وتناثرت دماؤها على الأرض . وفى كل مرة تهاجم أحدهم ، يسرع الآخرون بضربها على عينيها لكى يجبروها على التقهقر . حاولت إبعاد الرماح بعيداً عن طريق مخالبها ، لكن الأورجال كانوا يقفزون للخلف ليتجنبوها .

كان مشهد دم سفيرا يجعل إيراجون يغلى من الغضب ، فقفز من على تورناك وهو يصيح بشدة وقتل أقرب الأورجال له بطعنة فى الصدر ، ولم يترك أى ضربه وهجمة فى محاولته المحمومة المستميتة لمساعدة سفيرا . وقد وفر لها هجومه تحويل الانتباه عنها التى كانت تريده لتهرب . ركلت أحد الأورجال فطار ثم هجمت عليه ومزقته إرباً . أمسك إيراجون أحد أشواك عنقها وقفز ليجلس على سرجها . رفع مورتاج يده ثم هجم على مجموعة أخرى من الأورجال .

بموافقة صامتة ، طارت سفيرا فوق الجموع الغفيرة طلباً للراحة من الوطيس الحامى للقتال . تنفس إيراجون بارتعاش وكانت عضلاته متصلبة ، وكان مستعداً لصد

الهجوم التالى . كانت كل ذرة فى كيانه تنبض بالطاقة وتجعله يشعر بالحيوية وأكثر تمسكاً بالحياة .

طارت سفيرا فى دوائر حتى استعادت قوتها ثم هبطت ناحية الأورجال بالقرب من الأرض لتجنب أن يروها . اقتربت منهم من الخلف حيث يتجمع رماة السهم من الأورجال .

قبل أن يدرك الأورجال ما يحدث ، حصد إيراجون رأس اثنين من رماة الأسهم ، ومزقت سفيرا أحشاء ثلاثة آخرين ، ثم طارت مرة أخرى بينما انطلقت صفارات الإنذار وحلقت لأعلى بعيداً عن مرمى رماة السهام .

كررت نفس الأسلوب من جانب آخر من الجيش . كانت سرعتها وتسللها مع الضوء الخافت يجعل من المستحيل أن يتنبأ الأورجال بهجمتها التالية ، وكان إيراجون يستخدم القوس كلما طارت سفيرا لأعلى ، لكن سرعان ما نفدت سهامه . لم يبق فى جعبته سوى السحر ، وكان يريد اللجوء إليه كسلاح أخير عندما يكون فى حاجة ماسة إليه .

كان طيران سفيرا فوق الأعداء قد أعطى إيراجون رؤية فريدة لمدى تقدم المعركة . كانت هناك ثلاث معارك منفصلة تحتدم فى فارزن دور ، عند فتحة كل نفق . كان الأورجال واقعين فى مأزق كبير بتشتت قواهم ، وعدم قدرتهم على إخراج كل قواتهم من أى نفق مرة واحدة . لكن على الرغم من ذلك ، لم يتمكن الفاردن والأقزام من إبعاد الوحوش ومنعهم من التقدم ، ولقد تقهقروا قليلاً ناحية ترونجهيم . بدت كل دفاعاتهم بلا أهمية أمام جحافل الأورجال ، الذين زاد عددهم كلما تدفقوا من الأنفاق .

نظم الأورجال أنفسهم حول عدة أعلام وكتائب لكل فصيلة على حدة ، لكن لم يكن من الواضح من هو القائد العام لهم . لم تهتم أى فصيلة بالأخرى وكأنهم يتلقون الأوامر من مكان آخر . تمنى إيراجون معرفة قائدهم لكى يقتله مع سفيرا .

تذكر إيراجون تعليمات أجيهاد وبدأ فى نقل المعلومات للتوأم ، كانا مهتمين بما قاله عن عدم وجود قائد ظاهر للأورجال وطرحا عليه عدة أسئلة . كان تواصل الأفكار يتم بسهولة ولكن باختصار . قال له التوأم : " *مطلوب منك بالأمر مساعدة هروثجار ، فالقتال لا يدور لصالحه* " .

قال لهما : " عُلم وينفذ " .

طارت سفيرا سريعا إلى الأقزام المحاصرين وهبطت فى أثناء طيرانها ناحية هروثجار . كان ملك الأقزام يرتدى سترة حديدية مغطاة بالذهب وكان يقف فى مقدمة نفر من بنى جنسه ، ويلوح بسلاحه المسمى فولوند ، وكان عبارة عن مطرقة لأحد أجداده . كانت لحيته البيضاء تلتقط ضوء المصابيح وهو يرفع رأسه ليرى سفيرا . ظهرت أمارات الإعجاب فى عينيه .

هبطت سفيرا بجوار الأقزام وواجهت الأورجال القادمين . حتى أشجع وحوش الكول تردد أمام شراستها ؛ مما سمح للأقزام بالتقدم إلى الأمام . حاول إيراجون حماية سفيرا . كانت الناحية اليسرى لها محمية بالأقزام ، لكن العدو كان يهجم كأمواج البحر من الأمام واليمين . ولم يظهر لهم أى رحمة ، واستخدم السحر عندما لم يسعفه زاروك . اخترق أحد الرماح درعه فأصابه بكدمة كبيرة على

كتفه . ارتعش إيراجون من الألم وشق رأس الأورجال بسيفه مما مزج بين المخ والعظام والمعدن .

كان منبهرا من هروثجار ـ الذى كان بحكم معايير الإنس والأقزام ـ شيخاً طاعناً فى السن ، لكن قواه لم تخب فى ميدان المعركة ، ولم تتمكن وحوش الأورجال والكول من الوقوف أمامه وأمام حرسه وظل على قيد الحياة . فى كل مرة يضرب بسلاحه فولوند ، كان يقرع جرس الموت لعدوه . وبعد أن سقط أحد حراسه بطعنة رمح ، أمسك هروثجار الرمح وبقوة مذهلة ألقاه عبر جسد صاحبه على بعد عشرين ياردة . تلك الشجاعة جعلت إيراجون يتشجع لكى يجازف أكثر ليبارى هذا الملك القوى .

هجم إيراجون على أحد وحوش الكول العمالقة . كان بعيداً عنه وكاد أن يسقط من على ظهر سفيرا . قبل أن يعود إيراجون لتوازنه ، هجم الكول ملوحاً بسيفه فى اتجاه سفيرا . وكانت ضربته التى تلقاها إيراجون على خوذته قد جعلته يترنح ويتراجع للخلف وزاغ بصره ورنت أذنه كالرعد .

شعر إيراجون بالذهول لما حدث ، وحاول استجماع قوته لكن الكول استعد للضربة التالية وهوى بذراعه على جسد إيراجون لكنه فجأة توقف وبزغ من صدره نصل رفيع من الفولاذ فخر صريعاً إلى جانبه ، وفى مكانه وقفت أنجيلا .

كانت الساحرة ترتدى عباءة حمراء طويلة وسترة حديدية غريبة مغطاة بالمينا السوداء والخضراء . كانت تمسك بسلاح غريب له رأسان ـ عصا خشبية طويلة ولها

نصلان فى كلا الجانبين . غمزت بخبث ومرح ثم انطلقت تواصل القتال وهى تلف عصاها كالدوامة . كان خلفها مباشرة سوليمبوم على هيئة ولد صغير غزير الشعر ، ويحمل خنجراً أسود صغيرا وكشر عن أنيابه الحادة .

كان إيراجون مازال يشعر بالدوار من الضربة التى تلقاها لكنه تمكن من القفز على السرج وطارت سفيرا لأعلى على ارتفاع كبير ، لكى يفيق من الدوار . فحص سهول فارزن دور وحزن عندما رأى أن المعركة على الجبهات الثلاث تسوء للغاية . لم يتمكن هروثجار أو أجيهاد أو حتى جورموندور من إيقاف الأورجال الذين فاق عددهم الحصر .

تساءل عن عدد الأورجال الذى يمكنه قتلهم بالسحر . كان يعرف حدود قدراته جيداً ، لكن لو قتل عدداً كبيراً لأحدث فرقاً لصالحهم فى المعركة ..... ربما يكون الأمر بمثابة الانتحار ولكن ربما كان هذا ما يستلزم حدوثه للنصر .

استمر القتال لساعات طويلة بلا نهاية . كان الفاردن والأقزام منهكى القوى ، لكن الأورجال كانوا يتلقون التعزيزات طوال الوقت ولا تبدو عليهم آثار التعب .

كان الأمر كالكابوس لإيراجون ، على الرغم من أنه هو وسفيرا قاتلا بكل قوة ، لكن كان هناك دائما وحش يأخذ مكان الآخر الذى قتل . كان جسمه يؤلمه ـ وخاصة رأسه . كان يفقد جزءاً قليلاً من طاقته كلما استخدم السحر . أما سفيرا ، فقد كانت حالتها ممتازة على الرغم من أن جناحيها كانا مثقوبين بالجراح الصغيرة .

وبينما كان إيراجون يتقى بدرعه ضربة قوية ، تواصل معه التوأم ذهنيا بشكل عاجل : *" هناك ضجيج عال تحت ترونجهيم . يبدو أن الأورجال يحاولون حفر نفق تحت المدينة ! نحتاج لمساعدتك مع آريا لهدم أى نفق يحفرونه "* .

قتل إيراجون الوحش الذى يهاجمه بضربة من سيفه وقال : " سنكون هناك " . بحث عن آريا حتى وجدها تصارع مجموعة من الأورجال فشق طريقه إليها بصعوبة مخلفا وراءه جثث الأورجال . مد يده لها وقال : " اركبى ! ".

قفزت خلفه على ظهر سفيرا بلا تردد وأحاطت بذراعها اليمنى وسطه وباليد الأخرى كانت تقاتل بالسيف . عندما مالت سفيرا للأرض لكى تطير ، جرى نحوها أحد وحوش الأورجال وهو يصيح ورفع فأسه وطرق صدرها .

صاحت سفيرا من الألم وتقدمت إلى الأمام وطارت وفتحت جناحيها وحاولت جاهدة ألا يتحطما من ترنحها ناحية اليمين . وعندما لامس جناحها الأرض تحتهم ، هم الأورجال بإلقاء فأسه مرة أخرى ، لكن آريا رفعت راحة يدها وصاحت فانطلقت كرة أشعة خضراء كلون الزمرد من الطاقة فقتلت الأورجال فى الحال . بدفعة قوية من كتفيها ، اعتدلت سفيرا وبالكاد صارت تطير فوق رؤوس المحاربين . ابتعدت عن ميدان المعركة بضربات قوية من جناحيها وارتعش تنفسها وصار له صوت غريب .

قال إيراجون بقلق : *" هل أنت بخير؟ "* ، ولكنه لم ير أين ضُربت .

قالت له بحزن : " *سأعيش ، لكن تم تحطيم مقدمة سترتى الحديدية وصدرى يتألم وسأتحرك بصعوبة* " .

" *هل يمكنك حملنا لمقر التنين ؟* .

" *سنرى* " .

شرح لآريا حالة سفيرا فقالت له : " سأظل لمساعدة سفيرا عندما تهبط ، وبمجرد تخليصها من الحديد سأنضم إليك " .

قال لها : " شكراً لك " . كان الطيران مجهداً جداً لسفيرا ؛ وكانت تطير فى دوائر كلما استطاعت خشية السقوط . وعندما وصلوا لبيت التنين ، هبطت بثقلها فجأة على إيسيدار ميثريم ، حيث كان من المفترض أن يكون عليها التوأم يراقبان المعركة لكنهما لم يكونا هنا . قفز إيراجون إلى الأرض وتلوى وجهه فى فزع عندما رأى ما فعله الأورجال بسفيرا . كان هناك قطع حديدية محطمة على صدر سفيرا مما يحول دون تحركها وتنفسها بسهولة ، قال لها : " *لتبقى هنا فى أمان* " . ثم وضع يده على جانبها ثم جرى عبر طريق القباب .

توقف وسب ولعن ، وكان فى تلك اللحظة أعلى فول تورين السلم اللانهائى . وبسبب قلقه على سفيرا نسى كيف سيهبط لقاعدة ترونجهيم ـ حيث يوجد الأورجال المهاجمون . لم يكن هناك وقت للنزول من السلم ففحص النفق المتاخم له وقرر التزحلق عليه والتقط مشاية جلدية وجلس عليها لكى يهبط .

تزحلق إيراجون على الحجر الأملس كالخشب المصقول . بوجود المشاية الجلدية تحته ، كان ينزلق بسرعة رهيبة

ومخيفة . وزاغت عن أبصاره الحوائط وانحناء الزحلوقة كاد يضغط على جسده ليرتطم بالحائط . ظل إيراجون في وضع استلقاء تام لكي ينزل بشكل أسرع . اندفع الهواء عبر خوذته ؛ مما جعلها تهتز كمرشدٍ اتجاهات الرياح وسط العاصفة . كان النفق المنزلق ضيقاً بالنسبة له وأوشك على الاحتكاك بالحوائط بشكل خطير ، لكنه ظل في أمان طالما لم يحرك قدميه أو ذراعيه .

كان الهبوط سريعاً لكنه استغرق عشر دقائق للوصول لسفح ترونجهيم . كان الهبوط على المستوى الأفقي ، وفي النهاية قذفه إلى نصف الطريق عبر أرضية ضخمة بلون العقيق الأحمر .

توقف فجأة في النهاية وكان يشعر بدوار شديد ولم يتمكن من المشي . جعلته أولى محاولاته للوقوف يشعر وكأنه على وشك التقيؤ ، فانحنى على نفسه وأمسك رأسه بكلتا يديه لكي يتوقف الدوار . وعندما شعر بتحسن ، وقف ونظر حوله في حذر .

كانت الحجرة الفسيحة مهجورة تماماً ، وكان الصمت يثير شكوكه . كان الضوء الوردي ينبعث عبر إيسيدار ميثريم . ترنح في مشيته ـ إلى أين يجب عليه أن يذهب ؟ ـ فحاول التواصل ذهنياً مع التوأم . لم يجد شيئاً . تجمد في مكانه عندما وجد طرقاً بصوت عالٍ يتردد صداه عبر ترونجهيم .

هز الانفجار الشديد كل ما حوله ، تحطمت قطعة كبيرة من أرضية الحجرة وانفجرت عبر ثلاثين قدماً في الهواء . تطايرت قطع الصخور إلى الخارج وتحطمت . تراجع

إيراجون وهو مذهول وأمسك بزاروك . خرج من الفتحة التى انفجرت وحوش الأورجال بأشكالهم الدميمة .

تردد إيراجون ، هل يهرب ؟ أم يصمد ويحاول أن يغلق الفتحة الخاصة بالنفق ؟ حتى لو نجح فى سدها قبل أن يهاجمه الأورجال ، ماذا لو كان هناك عدة أنفاق يتم حفرها في أماكن أخرى فى ترونجهيم ؟ لم يتمكن من إيجاد كل الأماكن فى الوقت المناسب لمنع الاستيلاء على المدينة الجبلية . قال لنفسه : " لكن إذا توجهت لإحدى بوابات ترونهجيم وفتحتها عنوة ، قد يستعيد الفاردن ترونجهيم بدون حصار اضطرارى " . وقبل أن يقرر ، خرج إليه من النفق رجل طويل يرتدى حلة حديدية سوداء ونظر إليه مباشرة .

لقد كان دورزا .

كان الظل دورزا يحمل معه سيفاً باهت اللون به خدش كان أجيهاد قد أحدثه فيما مضى . كان يحمل على ذراعيه درعاً سوداء بها علامة قرمزية . كانت خوذته السوداء مزينة بشكل مبهرج مثل خوذة قائدى الجيوش ، كما كان يرتدى عباءة سوداء من جلد الأفاعي وكانت تنتفخ وراءه . كان الجنون يشتعل من عينيه الحمراوين ، وكان جنون من يستمتع بقوة مطلقة ويجد نفسه أهلا لها .

كان إيراجون يعلم أنه ليس سريعاً بالقدر الكافى أو قوياً بما يكفى للهروب من الشرير الماثل أمامه . حذر سفيرا فى الحال ، على الرغم من أنه يعلم أنه من المستحيل أن تنقذه فى هذه اللحظة انبطح أرضاً وراجع فى عجالة ما قاله بروم عن القتال مع من يستخدم السحر . لم يشد ذلك من أزره بل

ثبط عزيمته . وقد قال أجيهاد إن الظلال لا تموت سوى بطعنة فى القلب .

حدق إليه دورزا باحتقار وقال للأورجال باللغة القديمة : " كاز يتيرل ترازيد! أوتراج باغ " ، فنظر الأورجال بريبة إلى إيراجون وشكلوا حلقة حول محيط الحجرة . اقترب دورزا ببطء من إيراجون وتعلو وجهه علامات الانتصار ، وقال : " حسناً أيها الفارس الصغير قائد التنين ، لقد تقابلنا مرة أخرى . لقد كنت مخطئاً وأحمق لهروبك منى فى جيلياد . هذا سيجعل الأمور أسوأ بالنسبة لك فى النهاية " .

صاح إيراجون : " لن توقع بى حياً أبداً ! " .

قال الظل : " هكذا إذن ؟ " ، ثم رفع حاجبه ، وكان الضوء من النجمة الزرقاء يعطى لجلده لوناً باهتاً كالشبح وقال : " لا أرى صديقك مورتاج هنا لكى يساعدك . لن تتمكن من إيقافى الآن . لن يوقفنى أحد " .

بلغ الخوف مبلغاً عظيماً من إيراجون وقال لنفسه : " كيف علم بأمر مورتاج ؟ " ، ثم قال بكل سخرية يتمكن منها بعد أن تملكه الخوف : " كيف كان حالك عندما أطلقت عليك سهامى ؟ " .

ضاق وجه دورزا مؤقتاً وقال : " الدم فقط سيكون ثأرى منك . أخبرنى الآن بمكان اختفاء تنينك " .

" مستحيل ! " .

اسود وجه الظل ثم قال : " إذن سوف أجبرك على أن تخبرنى ! " ، ثم لوح بسيفه فى الهواء . فى اللحظة التى انفى فيها إيراجون ضربة السيف بدرعه ، شعر بالمجسات

الذهنية تخترق أفكاره . قاوم بكل ضراوة لكي يحمي عقله الواعي فاندفع في حدة ودفع دورزا واخترق عقله هو الآخر .

قاوم إيراجون بكل قوته ضد الدفاعات الصلبة جداً حول عقل دورزا لكن بلا فائدة . لوح بسيفه زاروك وحاول أن يهاجم دورزا على حين غرة ولكن دورزا صد الضربة بلا جهد يذكر ثم سدد ضربة مقابلة بسرعة البرق .

غرز نصل السيف في ضلوع إيراجون واخترق السترة الحديدية وجعلته الضربة يشهق لكن السترة الحديدية جعلت الضربة تحيد بمقدار شعرة ، وكان هذا هو تشتيت الانتباه الذى يحتاجه دورزا لكي يخترق عقل إيراجون ويتحكم فيه تماماً .

صاح إيراجون : " كلا ! " ، ثم ألقى بنفسه على الظل وتلوى وجهه وهو يشتبك معه ، ويلوح بسيفه . حاول دورزا أن يبتر يد إيراجون لكنها كانت محمية بالقفاز الحديدى ، والذى صد النصل وجعله يتجه لأسفل . بينما ركل إيراجون قدم الظل كشر وجه دورزا وأشاح بدرعه السوداء وضرب بها إيراجون فطرحه أرضاً . ذاق إيراجون طعم الدماء في فمه ؛ وترنح عنقه ، ثم تجاهل جروحه وتحرك وألقى بدرعه على دورزا . وعلى الرغم من سرعة الظل الفائقة ، فإن الدرع الثقيلة أصابته في فخذه . وبينما كان دورزا يترنح عاجله إيراجون بضربة من سيفه على أعلى ذراعه فسالت الدماء على ذراع الظل . هاجم إيراجون الظل ذهنياً واخترق دفاعاته التي ضعفت الآن . اجتاحه سيل منهمر ومتدفق من الصور فجأة عبر العقل الواعي .

ظهرت صورة دورزا كفتى صغير يعيش مع البدو الرحالة مع أبويه فى السهول المقفرة . لقد هجرتهم القبيلة وسمت والده : " خارق العهد " ؛ لم يكن اسمه دورزا حينئذ ، بل كاريسب . الاسم الذى كانت والدته تتغنى به وهى تمشط شعره ......

ترنح الظل بشكل رهيب وتلوى وجهه من الألم . حاول إيراجون التحكم فى طوفان الذكريات ، لكن قوته كانت متدفقة وقوية جدًا .

كان يقف على تل فوق قبرى أبويه ويبكى لأن من قتلهما لم يقتله معهما . ثم اتجه إلى الصحراء يسير على غير هدى ....

واجه دورزا إيراجون والكراهية والمقت ينطلقان من عينيه الحمراوين القانيتين . كان إيراجون يقف على ركبة واحدة ـ فى وضع شبه واقف ـ ويناضل بكل ضراوة للتحكم فى عقل دورزا .

فعرف كيف نظر العجوز إلى كاريسب لأول مرة وهو على حافة الموت على تل الكثبان الرملية . لقد استغرق كاريسب أياما لكى يشفى ، وخاف جداً عندما علم أن من أنقذه ساحر . لقد تضرع إليه مراراً وتكراراً لكى يعلمه كيف يتحكم فى الأرواح الشريرة . فى النهاية وافق الساحر العجوز ـ هايج ـ على ذلك وسماه فأر الصحراء .

كـان إيراجـون يقـف الآن وهاجمـه دورزا ... وأشـهر سيفه ... لكنه تجاهل درعه من فرط غضبه العارم .

قضى أياماً فى التدريب تحت الشمس الحارقة وكان يتتبه لصيد السحالى للطعام . نمت قوته ببطء ومنحته الفخر والثقة . مرت الأسابيع وهو يعالج أستاذه المريض من جراء تعويذة فاشلة . وكانت فرحته الكبرى بشفاء " هايج " ......

لم يكن هناك وقت كاف لرد الفعل .... ولم يكن هنـاك وقت كاف ...

هجم اللصوص ليلاً وقتلوا " هايج " ، شعر كاريسب بالغضب العارم وطالب الأرواح الخبيثة بالانتقام . لكن الأرواح الشريرة ، كانت أقوى مما كان يعتقد . لقد انقلبوا ضده وتملكوا عقله وجسده فصاح بأعلى صوته :

" أنا دورزا ! "

تلقى إيراجـون ضـربة السـيف الثقيلـة علـى ظهـره ، واخترقت جلده وسترته الحديدية . صرخ من الألم الرهيب الذى اجتاحه ، وجثا على ركبتيه ، اجتاح الألم كل جسمه وتقوس جسده ومحا كـل ذكرياتـه . ثـم تـرنح وهـو بالكـاد مازالٍ فى وعيه وتدفقت الدماء بغزارة من ظهره . قال دورزا شيئاً ما لم يتمكن إيراجون من سماعه .

فى ألم شديد ، رفع إيراجون عينيه إلى السماء والدموع تنهمر منهما وتنساب على خدوده . كل شيء فشل تماما . سيتم تدمير الفاردن والأقزام . لقد هُزمَ إيراجون . وسفيرا ستضحى بنفسها من أجله ـ كما فعلت من قبل ـ وآريا ستقع فى الأسر مرة أخرى وقد تقتل . لماذا صارت تلك هى النهاية كيف يكون ذلك هو العدل ؟ ذهب كل شيء سدى ، فى أدراج الرياح .

نظر إلى إيسيدار ميثريم من فوق جسده المتألم ، وكاد الضوء المبهر يعميه ، وبعد ثانية واحدة اهتزت كل الحجرة بصوت يكاد يصم الآذان . اتضحت أمامه الرؤية وشهق غير مصدق ما يحدث .

لقد تحطمت النجمة الزرقاء ، وقفزت مجموعة هائلة من الشظايا الضخمة نحوهم وكانت تلمع بجوار الحائط . فى مركز الحجرة ، قفزت سفيرا لأسفل بسرعة رهيبة . كان فكاها مفتوحين ، وكانت تنفث ألسنة ضخمة من اللهب لونها أصفر لامع وحوافها زرقاء . على ظهرها ، جلست آريا : شعرها يتناثر فى الهواء بشدة ، وذراعها مرفوعتان وراحة يدها بها هالة من الضوء الأخضر السحرى .

سار الوقت ببطء شديد بينما رأى إيراجون دورزا ينظر وعلى وجهه تظهر علامات الصدمة أولا ، ثم الغضب الذى جعل وجهه يتلوى من الحنق . ابتسم فى سخرية وتحد ورفع يده فى اتجاه سفيرا وهم بقول تعويذة سحرية .

فجأة ، امتلأ إيراجون بطاقة داخلية خفية من أعماق أعماقه وأمسك مقبض سيفه وهجم على الحائل الذهنى ومنع السحر . ركز كل ألمه وغضبه على كلمة واحدة :

" بريزينجر ! " .

لمع زاروك بلون أحمر كالدم ، وجرى على نصله أشعة لهب حمراء بلا حرارة ....

قفز إيراجون إلى الأمام ....

وغرز زاروك في قلب دورزا .

نظر دورزا إلى أسفل فيٍ صدمة بينما انغرس النصل فى صدره وهو فاغر فاه . وبدلاً من الكلمات ، انطلقت من فمه صيحات غير آدمية وسقط السيف من يده التى صارت بلا أعصاب ، وحاول الإمساك بزاروك وكأنه يحاول انتزاعه لكنه كان مغروزا بالكامل وبشدة داخل صدره .

صار لون جلد دورزا شفافاً وتحته لم يكن هناك جلد أو عظم ، بل أشكال دائرة من الظلام . صاح بصوت أعلى بينما تراءى نبض الظلام داخله وقطع جلده . بصيحة أخيرة ، انقسم جلده من مفرق الرأس لأخمص القدم وأخرج جسده كتلة ظلام انفصلت إلى ثلاث كتل طارت عبر حوائط ترونجهيم خارج فارزن دور ثم اختفى الظل للأبد .

خارت قوى إيراجون فسقط مغشيًا عليه وبالكاد رأى سفيرا وآريا تهبطان على الأرض ـ وبدا وكأنهما سوف يموتان تحت كتل النجمة الزرقاء المتهاوية . وبينما غاب عن الوعى ، كان آخر مشهد رآه هو آلاف الشظايا وآريا وسفيرا ـ وكان كل شىء يتوقف عن السقوط ويتعلق بلا حراك فى الهواء .

حكيم الحزن

ظلت شذرات من ذكريات الظل تطارد إيراجون ذهنياً . واجتاحته عاصفة من الأحداث السوداء والمشاعر العارمة ، مما منعه من التفكير . فغرق فى دوامة من الذكريات ، ولم يعرف من هو ولا أين هو . كان ضعيفاً جداً ولم يتمكن من إبعاد نفسه عن الوجود الغريب الذى استحوذ على ذهنه . كانت تتوارد على ذهنه صور صارخة وعنيفة ودموية من ماضى الظل وظلت تطارده وتفرض وجودها أمام عينيه حتى صاحت روحه من الألم من كثرة المشاهد الدموية .

جاءه مشهد لجثث متكومة .... أبرياء قتلوا بأمر الظل . لازال يرى الجثث - قرى بأكملها من القتلى - قتلوا على يد الساحر أو بأمر منه . لم يكن هناك مهرب من المذبحة المحيطة به . كان يرتعش كلهب الشمعة ، ولم يتمكن من تحمل موجة الشر العارمة . أخذ يدعو فى صمت لكى يرحمه أحد وينتشله من هذا الكابوس ، لكن لم يكن

هناك أحد . لو كان فقط يتذكر من هو : رجل أم فتى ، شرير أم بطل ، ظل أم فارس ، كل شىء تداخل فى جنون لا معنى له . كان ضائعاً تماماً فى كتلة دائرة كالدوامة العنيفة .

فجأة ، بزغت له مجموعة من ذكرياته عبر الغيام البائس الذى خلفه له ذهن الظل الشرير ودارت فى ذاكرته كل الأحداث منذ أن وجد بيضة سفيرا فى ضوء مبهر وبارد وظهرت له إنجازاته وإخفاقاته معاً بالتساوى . لقد فقد أشياء كثيرة عزيزة لديه ، لكن القدر منحه هدايا نادرة وثمينة ؛ لأول مرة يكتشف كم هو فخور بهويته ، وكرد فعل لثقته فى نفسه التى لم تستمر إلا لثوان ، هاجمته من جديد كتل ضبابية مظلمة خانقة للظل ؛ تبددت هويته فى الفراغ وضاعت كل أفكاره وإدراكه فى غياهب الخوف والشك . من يظن نفسه ؟ كيف يتسنى له تحدى قوى آلاجيشيا ويحيا بعد ذلك ؟

قاوم كل الأفكار الشريرة للظل فى ضعف فى البداية ثم بقوة أكثر ثم همس لنفسه بكلمات من اللغة القديمة ووجد أنها تمنحه قوة كافية لتحمل الظلال السوداء التى تغيم على عقله . وعلى الرغم من تذبذب دفاعاته بشكل خطير فى البداية ، فإنه بدأ ببطء فى استجماع عقله الواعى المحطم إلى قوقعة صغيرة براقة حول لب عقله وخارج ذهنه كان على وعى بألم رهيب يهدد حياته ، لكن كان هناك شىء - أو شخص يحول بينه وين الموت .

كان لايزال ضعيفاً جداً ولم يهدأ عقله تماماً ، لكنه كان واعيًا بدرجة كافية ليتأمل كل ما حدث له منذ أن

غادر كارفاهول . إلى أين سيذهب الآن ...... ومن سيرشده عبر الطريق ؟ بدون بروم ، لم يعد له مرشد أو معلم .

" تعال إلىّ " .

اهتز وتراجع بلمسة من عقل واعٍ آخر يتواصل معه ـ كان هذا العقل الواعي واسعًا وقويًا وكأنهً جبل يخيم عليه ، هذا هو المصدر الذى يصد الألم ، أو هكذا تراءى له . إنه مثل ذهن آريا ، ولقد شعر أن هذا الذهن الذى يتطرق له يملؤه بالموسيقى : كالأوتار المصنوعة من الذهب فى لون العنبر ويعزف لحنًا به شجن عميق ودافئ .

فى النهاية قال إيراجون بجرأة : " من ... من أنت ؟ " .

" أنا من سيساعدك " . بتفكير كالوميض ، تم إبعاد تأثير الظل تماماً كخيوط العنكبوت التى تم إزالتها . تحرر إيراجون من الوزن الثقيل الذى كان يقيده فشعر بأن ذهنه يمتد ويتواصل مع حائل بعيد عما وصل إليه من قبل . قال الصوت : " لقد حميتك قدر استطاعتى ، لكنك كنت بعيداً عنى ولم أتمكن سوى من حماية قواك العقلية من الألم " .

مرة أخرى قال إيراجون : " من أنت لتفعل ذلك ؟ " .

سمع إيراجون صوت هدير منخفض ثم قال الصوت : " أنا أوسثاتو شيتوا ، حكيم الحزن ، وأنا أيضاً " توجيرا يكونوكا " الكسيح الكامل . تعال إلىّ يا إيراجون . لدىّ كل الإجابات لكل أسئلتك ، لن تشعر بالأمان إلا عندما تجدنى " .

قال إيراجون فى يأس : " لكن كيف سأجدك وأنا ولا أعرف مكانك ؟ " .

" ثق فى آريا واذهب معها إلى إليسميرا ـ سأكون هناك . لقد انتظرتك لفصول كثيرة ، لكن لا تضيع الوقت الآن حتى لا يفوت الأوان ...... أنت أعظم مما تظن نفسك يا إيراجون . فكر فيما فعلته وابتهج ، لقد خلصت الأرض من شر عظيم . لقد فعلت ما لم يقم به أحد من قبل والجميع مدينون لك " .

كان هذا الغريب على حق ! فما فعله يستحق كل الشرف والاعتراف بالجميل . مهما كان ما سيواجهه فى المستقبل ، لم يعد مجرد أداة فى لعبة القوة المتصارعة ، لقد تعدى كل هذا وأصبح أكثر من ذلك . لقد صار كما أراد أجيهاد : سلطة مستقلة عن أى ملك أو زعيم .

بدا عليه الارتياح عندما وصل لتلك الاستنتاجات ، قال حكيم الحزن : " أنت تتعلم الآن " ، وقد اقترب منه ونقل إليه هذه الرؤيا : تدفق مبهر من الألوان تفتح فى ذهنه ثم رأى رجلاً منحنى الظهر ويرتدى ملابس بيضاء ، ويقف على جرف صخرى تسطع عليه الشمس . **قال الحكيم : " حان وقت راحتك يا إيراجون : عندما تستيقظ لا تخبر أحداً أنك رأيتنى "** *. هكذا تحدث معه برقة وكان وجهه مخفيًا تحت هالة فضية من الضوء .* **" تذكر أنه يجب أن تذهب إلى الإلف ، والآن نم يا إيراجون "** *ثم رفع يده وكأنه يباركه وشعر إيراجون بالسلام والهدوء يتسللان إليه .*

كانت آخر فكرة خطرت له قبل أن يخلد للنوم هى أن بروم كان سيفخر به كثيراً .

صاحٍ صوت آخر : " استيقظ يا إيراجون لقد نمت وقتًا طويلاً جدًا " فاستيقظ على غير رغبتـه وكرهٍ سماع هذا الصوت . كان الدفء من حوله مريحًا جدا ولا يريد أن يقوم . صاح الصوت مرة أخرى : " استيقظ يا آرجيتلام ! نحن بحاجة إليك ! " .

فتح عينيه بالقوة على مضض ووجد نفسه مستلقيًا على فراش طويل ومغطى بأغطية ناعمة . كانت أنجيلا هى التى تتحدث وهى تجلس على مقعد بجواره وتحدق إلى وجهه بشدة وقالت : " كيف حالك الآن ؟ " .

شعر إيراجون بالحيرة والاضطراب ، وتفحص الحجرة بعينيه وقال : " لا ... لا أعرف " وكان حلقه يؤلمه وفمه جافًا .

" إذن لا تتحرك ، حافظ على قوتك " ، ثم تحسست بيدها على رأسها ذى الشعر المموج . رأى إيراجون أنها مازالت ترتدى السترة الحديدية الغريبة . لماذا ؟ أخذ يسعل وشعر بالدوار ، فرفعت أنجيلا قربة الشراب البارد المذهبة من على الأرض وقربتها من فمه قائلة : " اشرب " .

شرب الشراب البارد فهدأ من حلقه الجاف وأنعشه . شعر بالدفء في معدته وسرى الدفء إلى وجنتيه . سعل مرة أخرى وزاد ألم رأسه . "*كيف جئت إلى هنا ؟ كانت هناك معركة .... كنا على وشك الهزيمة .... ثم جاء دورزا .... و..... سفيرا !* " . صاح باسم سفيرا وانتصبت قامته وهو مازال جالسا ثم تراجع إلى الوراء بارتخاء وشعر بالغثيان وأغمض عينيه في ألم وقال : " ماذا عن سفيرا ؟ هل هى

بخير ؟ كاد الأورجال يفوزون فى المعركة .... وكانت تسقط ، وآريا ! " .

قالت أنجيلا : " الجميع بخير وعلى قيد الحياة . كلنا فى انتظارك لكى تفيق . هل تريد رؤيتهم ؟ " . أومأ لها فى ضعف ، فقامت وفتحت الباب ودخلت آريا مع مورتاج . مدت سفيرا رأسها فقط لأن الحجرة ضيقة على جسدها الضخم ، وكانت عيناها تلمعان وصدرها يهتز وهى تهمهم بعمق فى سعادة لنجاة إيراجون .

ابتسم لها إيراجون وتواصل مع ذهنها ونقل لها شعوره بالارتياح والامتنان . قالت له برقة : "*يسرنى أنك بخير أيها الفتى*" .

"*وأنت أيضاً ، لكن ـــ ؟*" .

"*سيشرح لك الآخرون ما حدث وسأدعهم يقولوا لك كل شىء*" .

"*لقد رأيتك تنفثين النار !*" .

قالت بفخر : "*نعم*" .

ابتسم لها بضعف وكان عقله لا يزال مشوشاً ، ثم نظر لآريا ومورتاج .كان كلاهما عليه ضمادات : آريا على ذراعها ومورتاج حول رأسه . ابتسم مورتاج ابتسامة واسعة وقال : " أخيرًا استيقظت ، كنا ننتظرك فى الصالة منذ ساعات " .

قال إيراجون : " ماذا .... ماذا حدث ؟ " .

بدا الحزن على وجه آريا . لكن مورتاج صاح : " لقد انتصرنا ! كان أمرًا لا يصدقه عقل ! عندما طارت الأرواح الشريرة عبر جسد الظل ـ إذا كانت أرواح حقاً ـ عبر فارزن

دور ، توقف الأورجال عن القتال وراقبوا الأشباح . يبدو وكأنهم تحرروا من أسر التعويذة السحرية ، وفجأة هاجمت كل فصيلة الأخرى وتفكك جيشهم في غضون دقائق . ثم انتصرنا عليهم واكتسحناهم ! " .

قال إيراجون : " هل قتلوا جميعاً ؟ " .

هز مورتاج رأسه بالنفي وقال : " كلا ، فالكثير منهم هربوا عبر الأنفاق ، الفاردن والأقزام يطاردون فلولهم الآن ، لكن الأمر سيستغرق وقتًا . كنت أساعدهم حتى ضربني أحد وحوش الأورجال على رأسي وتم إرسالى إلى هنا " .

" لن تسجن بعد الآن ؟ " .

بدت الجدية على وجهه وقال : " لا يكترث أحد لذلك الآن . الكثير من الفاردن والأقزام قتلوا ، والناجون مشغولون بمحاولة الراحة والاستشفاء من آثار المعركة الضارية . لكن على الأقل لديك أنت سبب لكى تكون سعيداً . أنت بطل ! الجميع يتحدثون عنك وكيف قتلت دورزا . لولاك لكنا قد خسرنا المعركة " .

انزعج إيراجون من كلماته ، لكنه قرر أن يتدبرها لاحقاً وقال : " أين كان التوأم ؟ لم يكونا موجودين في مكانهما - لم أتمكن من الاتصال الذهنى معهما ، ربما كانا مشغولين جداً لدرجة عدم التواصل معى " .

بدا ذلك خطأ لسبب ما ، لكن إيراجون لم يعرف السبب ، فاتجه إلى آريا التى ظلت تركز بعينيها الكبيرتين الخضراوين عليه طوال الوقت ، فقال لها : " كيف لم نمت تحت الحطام ، كنت مع سفيرا و .... " ، ثم صمت فجأة .

قالت له ببطء : " عندما حذرت سفيرا من دورزا ، كنت أحاول فك السترة الحديدية المحطمة من على جسد سفيرا . وعندما خلعتها بصعوبة كان الوقت ضيقا لكى أنزل عبر فول تورين ، ودورزا كاد يقتلك قبل أن أصل لإنقاذك ". ظهرت نبرة ندم فى صوتها عندما قالت : " لذلك فعلت الحل الوحيد الممكن لجذب انتباهه : كسرت النجمة الزرقاء " .

قالت سفيرا : " وحملتها لأسفل " .

حاول إيراجون بصعوبة أن يفهم ما حدث بينما جاءته نوبة دوار أخرى جعلته يغلق عينيه . وقال : " لكن لماذا لم تصبنا قطع النجمة الزرقاء أنا وأنت ؟ " .

" لم أسمح لهم بذلك . عندما كادت القطع تصل للأرض كنت أجعلها تقف فى الهواء بالسحر ، ثم تهبط ببطء ـ وإلا تحولت لآلاف الشظايا وتقتلك " ؛ هكذا قالت ببساطة وكانت الكلمات التى تقولها توحى بالقوة الحقيقية الكامنة بداخلها ، على الرغم من عدم رغبتها فى الإفصاح عن مدى قوتها .

قالت أنجيلا بمرارة : " نعم ، لكنك كدت تموتين أنت أيضاً ولقد استنفدت كل حيلى ومهاراتى لإنقاذ كليكما من الموت المحقق " .

شعر إيراجون بالألم البسيط يجتاح جسمه وشعر بطنين حاد فى رأسه وقال لنفسه : " ظهرى يؤلمنى ..... ! " ، لكنه لم يشعر بأى ضمادات فى ظهره فقال بشجاعة : " كم مكثت هنا ؟ " .

قالت أنجيلا : " حوالى يوم ونصف يوم ، وأنت محظوظ لوجودى هنا ، وإلا كنت ستشفى خلال أسابيع طويلة ـ هذا

إن كنت قد عشت " . شعر إيراجون بالقلق والانزعاج وأبعد الأغطية عن جسده وانحنى لكى يتأمل ظهره ويتحسسه . قالت أنجيلا : " يجب أن تعرف يا إيراجون أن قواى السحرية ليست مثل قواك أو قوى آريا . فأنا أعتمد على الأعشاب والمشروبات السحرية وهناك حدود لقواى السحرية وما أفعله وخاصة مع جرح غائر مثل .... " ، وكانت تمسك يده بيديها الصغيرتين .

انتزع يده منها وتحسس ظهره ، فوجد جلد ظهره ناعمًا ودافئًا وتحركت عضلاته القوية تحت أصابعه حتى فوجئ تحت رقبته بوجود قطعة من الحديد الصلب قطرها نصف بوصة فاتبع مسارها حتى وجد فى ظهره ما أفزعه . كانت ضربة دورزا تركت عليه جرحًا غائرًا طويلاً يمتد من كتفه اليمنى إلى وسطه إلى الجهة اليسرى .

قالت آريا بهدوء وعلى وجهها آثار الشفقة : " لقد دفعت ثمناً غالياً لبطولتك يا إيراجون ، يا قاتل الظلال " .

ضحك مورتاج بصوت مرتفع وقال : " نعم وصرت مثلى تماماً ! " .

شعر إيراجون بالأسى وأغلق عينيه وشعر أنه صار مشوهاً . ثم تذكر شيئًا ما من عقله الباطن وهو مغشى عليه ...... حيث ظهر الرجل الذى يرتدى الزى الأبيض الذى ساعده ـ الكسيح الكامل ـ الذى قال له : "*فكر فيما فعلته وابتهج ، لقد خلصت الأرض من شر عظيم . لقد قمت بعمل لم يفعله أحد من قبلك . الكثيرون مدينون لك .....*

تعـال إلىّ يـا إيراجـون ، فلـدىّ كـل الأجوبـة لكـل أسئلتك " .

شعر إيراجون بالسلام والأمان والرضا .

وقال : *"أنا قادم " .*





إيراجون

كريستوفر باوليني

الرواية التي تحولت الى عمل سينمائي ضخم!

#1 أكثر الكتب مبيعا طبقا لصحيفة نيويورك تايمز

#1 أكثر الكتب مبيعا طبقا لصحيفة ببلشرز ويكلي

#1 أكثر الكتب مبيعا طبقا لصحيفة وول ستريت جورنال

#1 أكثر كتب العام طبقا لجمعية Book Sense

ما كان حقيقة في الماضي، أصبح الآن أسطورة

عندما يجد ايراجون حجرا ازرق مصقولا ولامعا في الغابة، يظن أنه محظوظ، لاكتشافه، بحيث انه فتى مزارع فقير. ولكن عندما يتضح ان الحجر الأزرق ما هو إلا بيضة تنين، يدرك ايراجون على الفور انه عثر على ميراث قديم قدم الإمبراطورية نفسها. وما بين عشية وضحاها، يدخل في عالم جديد محفوف بالمخاطر يجمع بين القدر والسحر والقوة. ودون ان يكون لديه سوى سيف قديم ونصائح راوي قصص عجوز لترشده في الحياة، ينطلق ايراجون مع تنينه الصغير الوليد لاكتشاف عالم وبلاد خطيرة وأعداء أشرار وامبراطورية يحكمها ملك ليس لشره حدود. فهل سيتمكن ايراجون من احياء عصر الفرسان قاندي التنين المذكورين في الاساطير؟ فمصير الامبراطورية قد يستقر بين يديه.

❖ تشمل هذه الطبعة ثماني صفحات تتضمن صورا ملونة من الفيلم المأخوذ عن الرواية

الصورة على الغلاف ملك لشركة افلام توينتيث سينشري فوكس.

شركة أفلام توينتيث سينشري فوكس تقدم بالمشاركة مع شركة «ديفيز» للإنتاج الفني فيلم: «إيراجون» بطولة ادوارد سبيلرز، جيرمي ايرونز، سينا جيلوري، روبرت كارلايل، دجيمون هونسو، جاريت هيدلوند، جوس ستون وجون ماكوفيتش. موسيقى: باتريك دويل. مؤثرات بصرية وحركية: شركة انداستريال لايت، آند ماجيك، مصمم الأزياء: كيم باريت. مساعد منتج: ادم جودمان، مونتاج: روجر بارتون وكريس ليبنزون، مصمم الانتاج: وولف كروجر، مدير التصوير: هيو جونسون، منتج منفذ: جيل نيتر و كريس سايمز. الفيلم مأخوذ عن رواية لـ «كريستوفر باوليني». كتابة سيناريو: بيتر بوشمان و لورانس كونر ومارك روزنتال وجيث ويجتون، إنتاج: جون ديفيز و ويك جودفري، إخراج: ستيفن فانجماير.

www.eragonmovie.com



